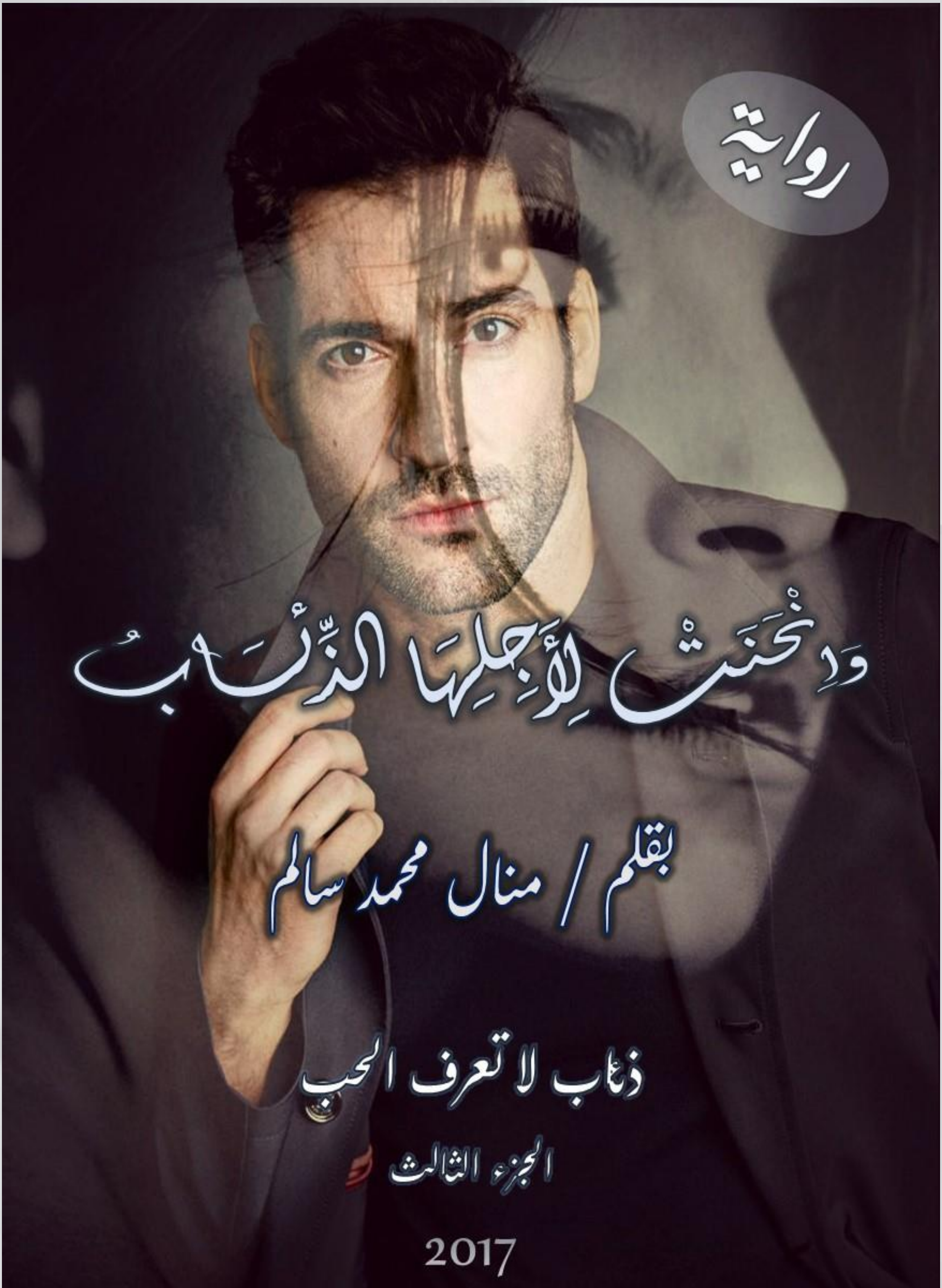
رواية
وتحنث لأجلها الذئاب
بقلم / منال محمد سالم
ذئاب لا تعرف الحب
الجزء الثالث
2017

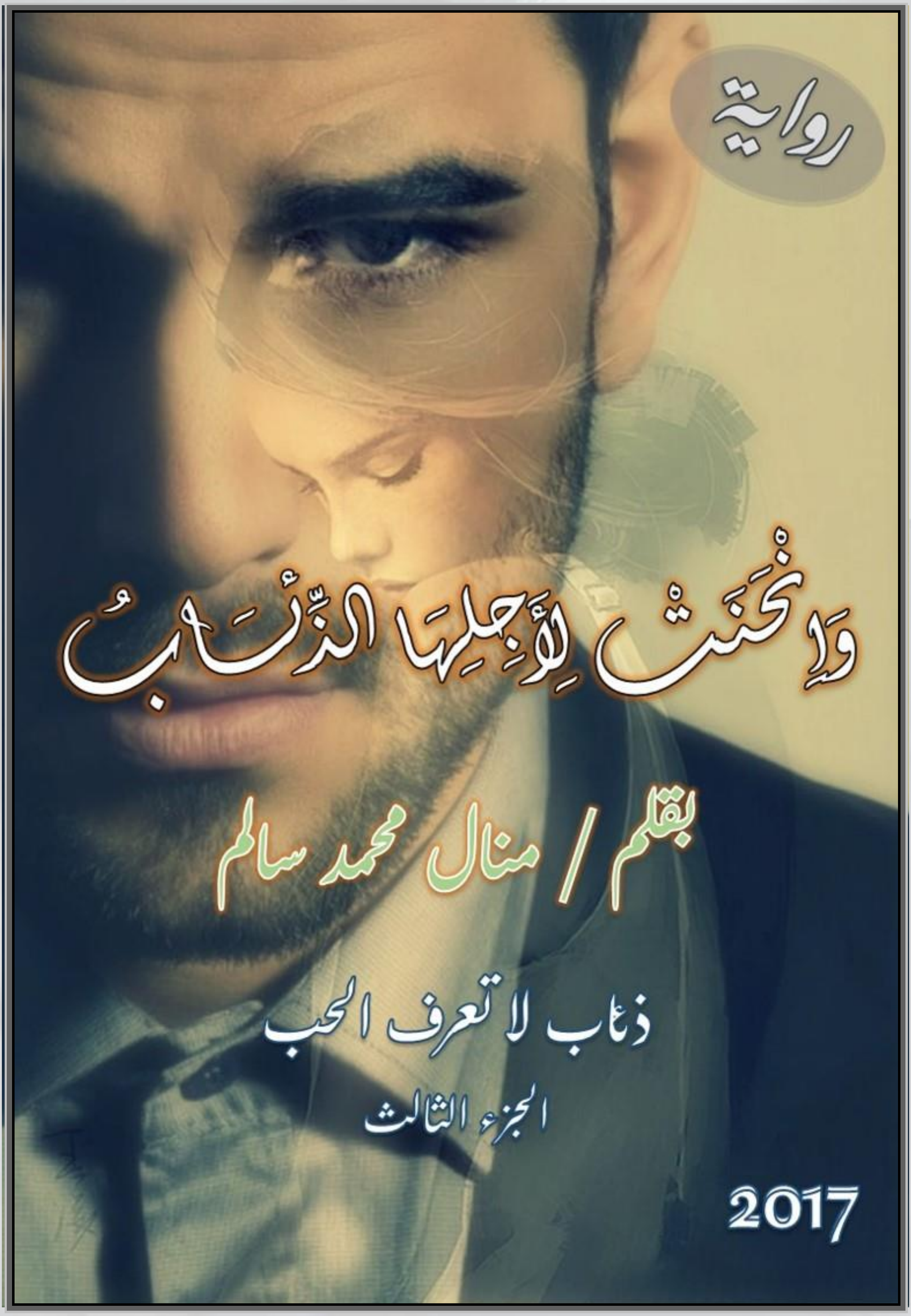
رواية
وَانْحَنَتْ لِأَجلِهَا الذِّئَابُ
بقلم / منال محمد سالم
ذئاب لاتعرف الحب
الجزء الثالث
2017

رواية

وَانْحَنَتْ لِأَجْلِهَا الذِّئَابُ

تأليف / منال محمد سالم

ذِئَاب لَا تَعرِف الحُب

(الجزء الثالث)

2017

جميع حقوق النشر محفوظة

لموقع

https://www.facebook.com/LoveStories.by.ManalSalem

قصص وروايات بقلمي منال سالم

نوع العمل : رواية

اسم العمل : وانحنت لأجلها الذئاب

اسم المؤلف : منال محمد سالم

الطبعة الأولى (إلكترونية) 2017

الناشر : موقع قصص وروايات بقلمي منال سالم

التدقيق اللغوي : منال محمد سالم

تصميم الغلاف : منال محمد سالم

التصميم الداخلي : منال محمد سالم

جميع حقوق النشر الإلكتروني محفوظة لموقع قصص وروايات بقلمي منال سالم

/https://www.facebook.com/LoveStories.by.ManalSalem

إهـداء

إلى زوجي (محمد) الذي لم يتوانْ للحظة عن دعمي ،

وإلى عائلتي التي دائما نعم السندلي ،

وإلى القراء الأفاضـل ...

منال سالم

المقدمــة

وَقَفَتْ بِمُفرَدِهَا

لِتُوَاجِـهِ جَحِيمَ الحَيَاة..

فَقَذَفتهَا عَمداً نَحوَ مَجْهُولٍ،

لَمْ يَكُنْ - كَمَا ظَنّت – سَرَاب ...

فَالتَقَت هِيَ بِهِم .. نَعَمْ بِأُنَاسٍ

لَا تَصفَح ، لَا تَرحَم ،

وَلَا تَقْبَل بِالغُفرَان ...

إِلَّا هُوَ!

خَرَقَ قَانُونَهُم غَيرَ مُكتَرِثٍ،

وَأَجبَرَهُم جَمِيعاً - بِهَيبَتِهِ - عَلَى

الإِنْصِيَاعِ لِتَقْوَاه..

وَلِأَجلِهَا فَقَطْ،

اِنْحَنَت أَقْوَى وَأَعتَى الذِئَابِ...

....

الفصــل الأول :

تلـــوى فم أوس بإبتســامة صغيرة ، وأغمض عينيه لتسكن روحه في أحضانها بعد أن تذوق اخيراً طعم السكون ، فهزته تقــى برعب وهي تصرخ فيه :

-أوس .. رد عليا ، أوس ، ماتموتش وتسيبني ! أوس !

ضربت على صدره بكفها وهي تضيف بصوت هــادر :

-انت وعدتني ماتسبنيش ! ليه بتخلف وعدك ، قـــوم .. كلمني يا أوس ..!!!

ثم رفعت رأسها للأعلى وأغمضت عينيها لتصرخ بتنهيدة حــــــارقة جثت على صدرها ، وأطبقت على روحها ، وقضت على أخــر ما تبقى من حياتها المعذبة تاركة إياها تعاني مرارة الفقد والحرمــان :

-لألألأ .. ماتموتش يا أوس .. ماتموتش وتسيبني هنـــا ! لألألألألألأ !

أمسكت به من ياقته وهزته بعنف أشـــد ، وكزت على أسنانها لتهدر بصراخ حـــارق :

-ليه بتعمل فيا كده ؟ ليه ؟!

لم يجبها بل ظل جســـده ساكناً ..

رفعت عينيها للأعلى لتنظر حولها بخوف بائن ..

كانت بمفردها في تلك الصحراء القاحلة .. لا أثــر للحياة ، ولا أثر لأي مخلوق ...

ابتلعت ريقها بفزع حقيقي .. ثم بحــذر شديد أبعدت أوس عن أحضانها ، وأسندت جسده على الرمــال ، وأمالته على الجانب ، ثم جاهدت لتنهض عن الرمــال بعد أن أصبحت ساقيها ثقيلتين وعاجزتين عن الحركة ..

نظرت إلى كفيها فوجدت الدمــاء تلضخهما ، فقفز قلبها رعباً من بين ضلوعه .. وزاد شحوب وجهها

وتلاحقت أنفاسها ..

هواجس مخيفة دارت - في تلك اللحظات الحرجة - في عقلها .. فهي مشتتة ، مذعــورة ، عاجزة عن التفكير ، وقبل أي شيء بمفردها لتواجــه تلك الفاجعة وعليها أن تنقذ ما يمكن إنقــاذه..

وتحولت نظراتها العدائية إلى نظرات قلق وخــوف واضح ..

مسحت بكمها عبراتها ، ثم جابت بأعينها المتورمتين المكان محاولة معرفة طريقها ومن أين تبدأ ..

هداها تفكيرها إلى السير حيث فــر هؤلاء المجرمين ، لعلها تصــل منه إلى الطريق الرئيسي ..

ألقت نظرة أخيرة على أوس ، ثم ركضت بهلع في طريقها المنشــود ..

ابتل جبينها بحبات عرق غزيرة ، وزاد خفقان قلبها .. فما أصعب الركض وسط تاك الرمـــال الساخنة وتحت أشعة الشمس الملهبة ..

حاولت أن تظل ثابتة في تفكيرها على هدفها وألا تتشتت .. نعم الوصــول إلى الطريق أولاً هو السبيل للنجـــاة ..

أُرهــق جسدها كثيراً من كثرة الركض .. ولكن لا وقت للبحث عن الراحة .. فالثانية الواحدة ربما تفرق في إنقاذ روحــه المعذبة ..

هي متشبثة بأمـــل واحد .. أنه مازال على قيد الحياة ، ولم يمتْ أو حتى يفارقها ..

لهثت كثيراً وهي تحاول معرفة الإتجـــاه الصحيح .. وحدثت نفسها بعزيمة عجيبة :

-مـ.. مش هاسيبك تموت قبل ما نتحاسب ! أيوه ، مش وقت ما عرفت يعني ايه حقي ، تروح إنت !!!

توقفت لتلتقط أنفاسها ، وانحنت للأمـــــام لتسند يديها على ركبتيها ..

ثم أخذت نفساً عميقاً لتضبط أنفاسها اللاهثة .. جف حلقها كثيراً .. وجفت شفتيها بصورة بائنة ..

كم ودت أن ترتشف القليل من المـــاء لتروي ظمئها ..

خشيت أن تكون قد ضلت طريقها .. وأوشكت على البكاء قهراً ويئساً .. ولكن لمعت عينيها ببريق أمــل واضــح حينما دققت النظر أمامها ..

فقد لمحت من على بعد شيء ما أسود ، وتتحرك عليه أشياء صغيرة ..

ظنت أنه ســراب ، وأنها تتوهم ما تراه ..

لكن الحركة ثابتة على ذلك الشريط الأســود ، ومستمرة ..

فإرتسمت إبتسامة تفائل على شفتيها الجافتين ... وتابعت ركضها بعزيمة أشــد ..

ورغم الإنهـــاك الذي أضنى كل جسدها ، والتعب الذي بدى واضحاً على وجهها إلا أنـها لم تستسلم وأصرت على الركــض ....

....

في مطـــار القاهرة الدولي ،،،

إرتسمت علامات الصدمة المصحوبة بالإندهـاش على وجـه مهاب الجندي حينما تم إيقافه عندما حاول إنهاء الإجراءات الخاصة بسفره ، وتشنج فمه صارخاً بإهتياج :

-يعني ايه أتمنع من السفر ؟ هو حد قالكم إني مجرم ؟!

رد عليه ضابط الجوازات ببرود :

-من فضل حضرتك ، مافيش داعي للشوشرة وإلا هانتخذ معاك إجراءات تندم عليها

لوح مهاب بيده أمـــامه ، وأكمل صائحاً :

-ده تهديد أنا مقبلوش

رمقه الضابط بنظرات ساخطة قبل أن يتابع ببرود قاسي :

-دي قوانين وإحنا هنا ملتزمين بيها

تلفت بعينيه الحانقتين المكان من حوله ، وهتف بغضب :

-فين مدير المطار ؟ أنا مش هاسكت عن المهزلة دي !

لم يعبأ الضابط بحالته العصبية ، ورد عليه قائلاً بهدوء عجيب :

-انت تقدر تطعن في قرارالنيابة ، لكن دلوقتي اتفضـل معانا !

ثم أشـــار له بكف يده لكي يسير معه .. فإستجاب الأخير على مضض له ، ورافقه وهو يغمغم بسباب لاذع ..

....

في المشفى الخاص بالأمــراض النفسية ،،،،

تحرك عدي مع الطبيب المعالج لليــان في الرواق المؤدي إلى غرفة مكتبه بالطابق الثاني ..

كانت تعابير وجهه توحي بالتفاؤل والأمــل خاصة بعد أن رأى حالة التجاوب المبشرة بين زوجته ووالدتها الحقيقية ..

هتف بتلهف وهو يشير بيديه :

-أنا كأني بأحلم ، ماتوقعتش إن ده يحصل

أجابه الطبيب بهدوء :

-عادة المريض بيفاجئنا بتصرفاته ، لكن هي بداية حلوة ، وخطوة في طريق العلاج !

تسائل عدي بحماس بادي في نبرته :

-يعني في أمل ؟

هز الطبيب رأسه ليجيبه :

-طالما هي عندها الرغبة ، والدعم الأسـري موجود ، إن شاء الله هايحصل !

-يا مسهل

ثم وضـع عدي يده على جيب بنطاله من الخارج ليتحسس هاتفه المحمول ، فلم يشعر به ، فدسها داخله ، وتفقد البقية ، وتحول وجهه للعبوس قليلاً ، وتوقف عن الحركة ..

إستغرب الطبيب من تصرفه ، وسـأله مستفهماً وهو محدق به :

-في حاجة ضاعت منك ؟

رد عليه عدي بضيق :

-موبايلي مش لاقيه !

سـأله الطبيب بإهتمام وهو مقطب الجبين :

-هو كان معاك وإحنا تحت ؟

هز كتفيه نافياً وهو يجيبه :

-مش عارف

أردف الطبيب قائلاً بصوت جاد :

-مش يمكن تكون سبته في العربية أو مكان تاني !

-مش فاكر

-على العموم لو هو هنا هنلاقيه ، المستشفى هنا كل اللي شغالين فيها مؤتمنين !

قالها الطبيب وهو يضغط على الكلمات الأخيرة ليؤكد على سمعة المشفى الجيدة و المعروفـة بين الجميع ، وكذلك على نزاهة العاملين بها ..

تنحنح عدي بصوت خافت ، وبرر قائلاً بصوته المتحشرج :

-أنا مقصدش ، بس إنت عارف إن هو عليه حاجات مهمة وآآ...

قاطعه الطبيب بهدوء حذر وهو يشير بكفه أمام وجهه :

-ماتقلقش ، لو جوا المستشفى هنلاقيه !

....

على ذلك الطريق السريع ، تسابقت السيارات بمختلف أنواعها للوصـول إلى وجهتها في أقل وقت ممكن ..

ومن بين تلك السيارات ، كانت هناك إحدى الدوريات المرورية التي تجوب الطرق للتأكد من سلامتها ..

حافظ قائد السيارة على سرعته ، بينما راقب الضابط الجالس في مقعد الراكب الطريق بكثب شديد ، ثم أشـار بإصبعه قائلاً بلهجة رسمية وهو محدق أمامه :

-لازم يتحط ردار هنا ، وإلا هتحصل كوارث

رد عليه الأمين الجالس في المقعد الخلفي بنبرة جادة للغاية :

-تمام يا فندم ، هانبلغ الإدارة في المرور

أكمل الضابط حديثه بحدة وهو متجهم الوجـه بـ :

-ماهو لو الناس دي مش خايفة على أرواحها فإحنا خايفين على الأبرياء اللي مالهومش ذنب في سواق متهور مش حاطط في باله أي اعتبار ليهم !

....

في نفس التوقيت كانت تقـى تركض وهي تلهث في إتجاه الطريق ..

قطعت هي شوطاً كبيراً من أجل إنقاذه ، وحينما بدت السيارات أمامها واضحة ، بدأت الصراخ عالياً بصوتها اللاهث :

-ساعدوني ، إلحقووني ، هما .. آآ.. هما ضربوه

توقفت لإلتقاط أنفاسها لثوانٍ معدودة ، ثم أكملت ركضها ، وعاودت الصياح بنبرة أعلى وهي تشير بكلتا يديها :

-حد سامعني ! هايموت !

مرت السيارات من جوارها كالريح ، لا أحد يعيرها الإهتمام أو حتى يلتفت نحوها ..

أُعتصر قلبها كمداً وحزناً مما يحدث .. فالبشر أصبحوا قساة .. قلوبهم لم تعدْ كما كانت تعرف الشفقة أو الرحمة ..

بكت عفوياً حسرة مما تراه ، ومع هذا رفضت الإستسلام ، وأكلمت صراخها المختنق :

-حد يقف ويساعدني ، هو بيموت ،ليه محدش عاوز يسمعني ؟ ليييه ؟!!

تشنجت وتعالت شهقاتها الباكية ومسحت بأصابعها المرتجفة تلك العبرات التي أغرقت مقلتيها لترى الطريق ..

بح صوتها وشعرت بتلك الحشرجة القوية تجتاح أحبالها الصوتية ، فآلمتها بشدة ، ورغم هذا واصلت الصراخ لعلها تجد من يرقْ قلبه لها ..

لمحها الضابط الجالس في الدورية المرورية ، فضيق عينيه بحدة وتسائل مع نفسه :

-بتعمل ايه دي هنا ؟ ومالها بتعمل كده ليه ؟!

لم يترك لنفسه الوقت ليفكر ملياً ، بل أشـــار للعسكري بيده وهو يأمره بصوت قوي :

-وقف العربية عند الست اللي هناك دي

دقق السائق النظر حيث أشـــار ، وأومــأ برأسه قائلاً :

-أوامر معاليك !

وبالفعل إتجه بالسيارة نحوها ..

كادت تقى أن تفقد الأمــل بعد أن يأست من توقف أي أحد لمساعدتها ، ولكنها شهقت مصدومة حينما رأت تلك السيارة تقترب منها ..

إزدادت خفقات قلبها ، وتراجعت خطوتين للخلف .. وحاولت أن تضبط أنفاسها المتسارعة ..

تفحصها الضابط بأعينه الثاقبة وهو يترجل من السيارة ، ثم سـار نحوها وسألها بصوت خشن وآجش :

-في ايه يا ست ؟ واقفة كده ليه ؟!!!

كذلك تفحص بقع الدمـاء التي تلطخ قميصها ، والحالة الغير طبيعية التي عليها دون أن ينبس بكلمة تاركاً لها الفرصة للرد ..

أجابته بصوت مبحوح ومتقكع وهي تتلفت برأسها للخلف ، ومشيرة بكلا ذراعيها :

-ضربوا عليه نار ، وآآ.. وكانوا عاوزين يموتوني ، بس آآ.. هو .. الحقوه الأول !

ضم الضابط أصابع كفه معاً ليشر لها وهو يشرع حديثه بهدوء مريب :

-اهدي كده وفهميني بالراحة اللي حصل !

صاحت بتوسل وهي تلهث بـ :

-مافيش وقت ، هايموت !

سألها بجدية وهو يرمقها بنظراته الغامضة والمريبة في آن واحد :

-مين ده ؟

توترت أكثر .. وزدات رجفتها وهي تجيبه بصوت متلعثم وخافت :

-آآ... أوس الجندي ، جـ ... جوزي !

نعم كانت تلك هي المرة الأولى التي تصرح فيها علناً بأنه زوجها .. حتى وإن كانت تمقته ، لكنه مازال إنساناً على شفير الموت ..

قطع تفكيرها المتوتر صوت الضابط حينما ردد على مسامعها بصوته القوي :

-جوزك !

أصابتها تلك الكلمة بقشعريرة قوية ، وحاولت أن تصرف عن ذهنها تأثيرها المثير للأعصـــاب .. وركزت كل تفكيرها على مهمة واحدة ..

لذا دون تردد هتفت بتوســل وهي ترمق الضابط بنظرات راجية :

-ياحضرت الظابط انقذه الأول ، هجموا علينا ، وكانوا آآ.. هو .. بص هناك ..أنا..آآ.. أنا سيبياه بين الحياة والموت ، ومحدش عاوز .. آآآ.. عاوز يساعدني

بدت تقى مشتتة وهي تحاول شرح ما حدث ، وتعذر على الضابط ربط ما تقوله بما حدث ، فتشدق قائلاً بضيق :

-كلامك مش راكب على بعضه ، فهميني بالظبط اللي حصل !

صاحت به بصوتها المبحوح ومشيرة بعينيها الملتهبتين :

-تعالى معايا وانت تشوف

قطب جبينه بشدة ، ورمقها بنظرات حـــادة وهو يسألها بنبرة محتدة :

-أجي فين يا مدام ؟

أشـــارت بيدها وهتفت وهي تسير من حيث أتت :

-هناك !

فغر الضابط ثغره قائلاً بجمود :

-في الصحرا

استمرت في التحرك وهي تهز رأسها بشدة لتصرخ فيه بعصبية :

-ايوه .. هو .. هو هناك ، هايموت يا باشا ، إلحقه !

تنهد الضابط بإنهـــاك لفشله في فهم ما حدث ، ولكن بحسه الأمني أدرك أن الخطب جلل ، لذا إستدار بجسده للخلف ، وصاح قائلاً بقوة وصرامة في أمناء الشرطة المرافقين له :

-يا أمين اطلع بالعربية هنا بسرعة !

أومــأ أمين الشرطة برأسه طاعة له مردداً :

-حاضر يا باشا !

ثم ضرب بيده على مقدمة السيارة ، وصاح بصوت رسمي : -يا عسكـــــري ، حرك العربية لفوق !

تابع الضابط حديثه الجـــاد قائلاً :

-وانتي يا مدام اتفضلي في العربية ، وورينا المكان اللي فيه جوزك

ابتلعت ريقها وبللت شفتيها وهي تهمس بصوت مضطرب :

-حـ ..حاضر !

أفسح لها أمين الشرطة المجـــال لتجلس في المقعد الخلفي ، ووقف في مكانه ممسكاً باللاسلكي وحدثه الضابط بكلمات مقتضبة :

-استتنى هنا لحد ما أشوف الموضوع ايه

هز رأســـه موافقاً وهو يسأله بخنوع :

-أي أوامر تانية يا باشا ؟!

رد عليه بجمود :

-تابعني على اللاسلكي ولو في حاجة هابلغك

-تمام يا فندم

ثم ركب سيارة الدورية لينطلق السائق بهم إلى حيث أشــارت تقى ......

....

في مكتب الجوازات الملحق بالمطـــــار ،،،

هاتف مهاب المحامي نصيف ، وأخبره بإيجاز عما حدث له أثناء إنهائه لإجراءات سفره ، فأبلغه الأخير بهدوء :

-ده أمر طبيعي يا مهاب باشا ، طالما في قضية وتحقيقات ونيابة ده بيحصل

-أنا مش متهم عشان أتحط على قوائم الممنوعين من السفر

-في جريمة قتل حصلت ، والنيابة مشتبه في كذا حد ، ومن ضمنهم حضرتك

-اتصرف وحل المشكلة دي

-حاضر .. هاشوف هاعمل ايه

-أووف ، خلصت وماخلصتش ، ولا لازم أنا أعمل كل حاجة بنفسي عشان أضمن انها على مزاجي

-د. مهاب

-ايوه !

-حضرتك تقدر تمشي الوقتي

نفخ من الضيق وهو ينهض عن مقعده قائلاً بسخط :

-أخيراً !

ثم إتجه نحو الباب ، ورمق الضابط بنظرات حادة وهو يسـألـه بصوت شبه متشنج :

-والشنط بتاعتي

-تقدر تستلمها ، هي مافيهاش حاجة

-أكيد طبعاً ، هو أنا مهرب !

-دي إجراءات روتينية يا دكتور ، أنا مش محتاج أفهمك

-عارف انه شغلك ، بس في استثناءات ، وأكيد انت عارف أنا مين !

-ايوه يا د. مهاب ، بس أنا هنا بأنفذ القانون

-أهـا ..

لم يضف مهاب أي كلمة أخـرى واكتفى بأن يغمغم مع نفسه بكلمات غاضبة وهو يسير نحو الرواق الجانبي المؤدي لصالة المطــار ...

....

في النادي الشهير ،،،،

هب سامي الجندي واقفاً بذعــر من مكانه ، وصــاح بصدمة وهو يضع هاتفه المحمول على أذنه :

-ايييبه ؟!!

إلتفت بعض الجالسين حوله إليه ، فتدارك الأمــر سريعاً وعاود الجلوس على مقعده ، وصــر على أسنانه متسائلاً بشراسة :

-هو مات ولا لأ ؟

ضغط على شفتيه قائلاً بغلظة :

-يعني ايه متعرفش ، أومــال أنا باعتك ليه ؟!!

زفـــر بغضب ، وإحمـــر وجهه من الغيظ ، ثم أضاف بنبرة قاسية :

-بلغني بالجديد فوراً ، وأنا فاتح تليفوني !

أنهى سامي المكالمة ، وألقى بالهاتف على الطاولة ، وفرك وجهه بيده .. ثم أخـــذ نفساً عميقاً ، وزفره مرة واحدة .. وتمتم مع نفسه بحنق وهو محدق أمامه :

-دي تبقى كارثة لو فضل أوس عايش ، مش هايرحم حد ، وخصوصا لو عرف مين ورا اللي جراله... !!!

....

قطع سائق سيارة الشرطـــة مسافة ليست بالقليلة داخـل الصحراء محاولاً الوصـول إلى الوجهة المقصودة بناءاً على تعليمات الضابط المسئول ..

بينما حدقت تقـى بكل تركيز أمامها حتى لا تضل الطريق ، وما إن لمحت شبح السيارة من على بعد حتى شهق مذعورة بـ :

-هي .. هي العربية اللي هناك دي

رد الضابط بهدوء بعدما نظر إلى حيث أشــارت :

-تمام

ثم مــال على السائق ، وأمره قائلاً :

-دوس بنزين شوية

هز السائق رأســه قائلاً :

-أوامرك يا باشا

أمسك الضابط باللاسلكي الخاص به ، وأردف قائلاً بنبرة رسمية :

-من الوحدة ((...)) المتحركة على طريق اسكندرية ـ القاهرة الصحراوي بلاغ عن حدث إعتداء على الطريق و..آآ..

لم تصغْ تقى إلى ما يقوله الضابط ، فكل حواسها منتبهة إلى أوس الذي تركته بين الحياة والموت ..

تسارعت دقـــات قلبها ، وشعرت بنبضاته تخترق آذانها ..

حاولت ألا تفكر في حدوث الأسوأ ، له ، وظلت تتمتم مع نفسها بقلق واضح بـ :

-استر يا رب ، عديها على خير !

دنت المسافة كثيرا ، وبدت السيارة أكثر وضوحاً ، ورأى الضابط جســد مُلقى أمامها ، فلكز السائق في كتفه وهو يهتف بجدية :

-أوقف هنا !

امتثل السائق لأوامـــره ، وأشهر الضابط سلاحه وهو يترجل من السيارة ، ثم ركض مسرعاً في اتجاهه ، وجثى على ركبته ليتفقده ..

بأصابعٍ مرتجفة ، فتحت تقى الباب ، وترجلت من السيارة وهي تكتم شهقاتها بيديها المرتعشتين ..

حدقت في الضابط الذي يوليها ظهرها ، ولم ترْ بوضـوح ما الذي يفعله ، فتحركت بحذر للجانب ، وحبست أنفاسها ، وراقبت المشهد بتوتر جلي ..

كان ضابط الشرطة ممسكاً بمعصم أوس ، ويضع إصبعيه عند عنقه ليتفقد نبض شريانه ، ثم رأته وهو يميل على وجهه ، ويصغي إلى تنفســـه ، ومن ثم هتف بصوت مرتفع :

-اطلب الاسعاف بسرعة ، لسه فيه النفس !

شهقت تقى بإرتيـــاح ، ومع هذا لم تتحمل ما قاله الضابط ، فخــــارت قواها من أثر الصدمة ، وسقطت على الرمـــال فاقدة للوعي .... !!!

...

الفصل الثاني :

في منزل عبد الحق بالزقـــاق الشعبي ،،،،

نفخت إحســـان بغضب لأكثر من مرة وهي ترى ابنـها ينقل أخــر ما تبقى من أثاثه إلى خـــارج المنزل ، وغمغمت بضيق :

-خلاص كده !

نظر لها بطرف عينه ، وأجابها بجمود :

-كده احسن يامه ، شيل ده من ده يرتاح ده عن ده !

توسلت له بإستعطاف :

-طب سيب السرير يمكن تحب تبات هنا !

صمت ولم يعقبْ .. فأضافت قائلة بتهكم :

-ولا انت مصدقتك ، السنيورة قالتلك يالا فإنت على طول زي الدلدول ماشي وراها

رد عليها بضيق وهو ينفخ في الهواء بغيظ :

-يامه كفاية الله يكرمك

تابعت قائلة بسخط وهي تلوي فمها :

-مشيت ورا مراتك وسبت أمك اللي ربتك ، دي أخرتها !!!

رد عليها عبد الحق بضجر وهو يشير بيده :

-يامه انتي على عيني وراسي ، بس أنا مش هاخلص من أم الخناقات اللي بينكم ، وأنا عاوز أرتاح

إدعت البكاء ، وأطرقت رأسها في حزن زائف لتتمتم بـ :

-وربنا يا عبده ماعملتلها حاجة ، دي هي اللي اتبلت عليا !

تنهد بإنهــاك ليجيبها بحذر :

-عــارف يامه

أثـــارت تلك الكلمات المقتضبة حفيظتها ، وتسائلت بفضــول وهي قاطبة لجبينـها :

-عارف ايه ؟

انتبه عبد الحق لزلــة لسانه ، وتوتر قائلاً :

-هــاه .. ولا حاجة ، خدي بالك من حالك ، وأنا هابقى أشق (اطمئن) عليكي كل شوية ، سلام !

ثم تركها وإنصـــرف دون أن يضيف كلمة أخـــرى ، بينما زادت حيرتها ، وهتفت متسائلة :

-قصده ايه الواد ده ؟! أنا الفار بيلعب في عبي !

ضيقت عينيها وهي محدقة أمامها لتضيف بتوعد :

-أنا لازم استقصى ورا الموضوع ده ! ويا ويلهم لو كان ملعوب عليا ....!

....

في منطقة ما بالصحراء ،،،

هب الضابط من مكانه مذعوراً ، وركض ناحية تقى الممددة على الرمـــال ، وجثى على ركبته ، ثم مد ذراعه من خلف ظهرها ، ورفعها للأعلى قليلاً ، وحاول إفاقتها صائحاً بـ :

-يا مدام فوقي ، سمعاني يا ست !

ثم ضرب على وجنتها بخفة ، وهو يكمل بصراخ :

-انتي يا مدام !

رفع وجهه في إتجاه أمين الشرطة الذي كان يتحدث في هاتفه المحمول وصــاح بغضب :

-هات يا بني مياه من العربية !

-تمام يا باشا !

أحضــر الأمين زجــاجة مياه بلاستيكة ، وفتحها ، ومــد يده بها إلى الضابط الذي أفرغ البعض من محتواها على يده ، ثم نثرها على وجهها ، فشهقت مجدداً ، ولم تفتح عينيها ..

تنهد الضابط بإرتياح ، وأردف قائلاً بسخط :

-المشرحة مش ناقصة قتلى !

أدار رأســـه ناحية أمين الشرطة ، ونـهره بحدة :

-انت هاتتفرج عليا كتير ، ما تشوف المرمي هناك ده كمان

رد عليه الأمين بتلعثم :

-حاضر !

ثم ركض في إتجاه أوس ، وجثى إلى جواره ليتابعه بإهتمام ..

....

في المشفى الخــاص بالأمــراض النفسية ،،،

دلف عدي مع الطبيب إلى داخـل غرفة المكتب ، فإبتسمت لهما المديرة عفاف ، وتسائلت بإهتمام :

-ايه الاخبار ؟

أجابها الطبيب بهدوء حذر :

-بداية مبشرة ، لكن لسه المشوار في أوله

ابتسمت له بتفائل قائلة :

-البركة فيك يا دكتور

تمتم قائلاً بجدية وهو يجلس على مقعده :

-إن شـــاء الله

التفتت عفاف إلى عدي ، ومدت يدها بهاتفه المحمول قائلة بصوت رقيق :

-اتفضل الموبايل يا عدي باشا

رفـع عدي حاجبه للأعلى ، وسألها بنبرة شبه حادة وهو يأخــذه منها :

-هو كان معاكي ؟!

ردت عليه عفاف بهدوء حذر بعد أن رأت نظرات الإتهام واضحة في عينيه :

-لا يا فندم ، حضرتك نسيته هنا على المكتب ، وأنا احتفظت بيه لحد ما ترجع واسلمه

تنحنح في حرج ، وأجفل عينيه وهو يكمل بندم :

-آآ.. تمام ، شكراً يا عفاف

تفقد هاتفه المحمول ، فأضـــافت عفاف قائلة بجدية :

-أوس باشا اتصل من بدري ، و.. ومدام تهاني ردت عليه

اتسعت عينيه وهو يردد :

-اييه ، اتصل !

ثم أدار رأســه للجانب ليرمق الطبيب بنظرات قوية وهو يقول بجدية :

-عن اذنك يا دكتور شوية

ابتسم له الطبيب ابتسامة مصطنعة قائلاً :

-خد راحتك !

أمسك عدي بالمقبض ، وأداره ، ودلف إلى الخـــارج ليقف في الرواق ، ثم وضع الهاتف على اذنه ، وتمتم مع نفسه بضيق :

-أوووف ، كان لازم اخد بالي ان الموبايل مش معايا !

سمع هو رسالة صوتية مسجلة تبلغه بأن الهاتف غير متاح حالياً ..

أبعد الهاتف عن اذنه ، وضغط على زر الإتصـــال مجدداً ، وأضاف بنبرة منزعجة :

-وده وقته تفصل الموبايل فيه !!

ظل عدي ينفخ في ضيق ، ثم رفع يده فوق رأســـه ، ومرر أصابعه في شعره ، وحدث نفسه بضجر :

-كتير الواحد بيحس انه مش عارف يفهمك !

ثم إنتصب في وقفته فجـــأة بعد أن دار بخلده كلمات عفاف الأخيرة قبل أن يخرج من الغرفة ، وهتف مصدوماً :

-ازاي مخدتش بالي من كلام عفاف ، تهاني ردت على أوس !!

....

في بقعة مــا نائية بالصحراء ،،،

وصلت سيارات الإسعــاف ومعها سيارتي شرطة إلى الموقع المنشود ..

وأسرعوا بوضــع أوس ونقله بحذر إلى داخل سيارة الإسعاف ، وبقى عدد من رجــال الشرطة والتحريات في المكان لدراسة ما حدث ..

كذلك قــام أحد المسعفين بإفاقة تقى ، فأخذت الأخيرة نفساً عميقاً ، وتسائلت بصوت ضعيف وغير مفهوم :

-آآ... الحقوه ، هو .. آآآ..

رد عليها المسعف بصوت هاديء وهو يعيد وضــع قناع الأوكسجين على فمها وأنفها :

-انتي بخير يا مدام ، اهدي !

جاهدت هي لتفتح عينيها وتتمكن من رؤية ما يحدث حولها ، فبدت الرؤية غير واضحة في البداية ، فرمشت بعينيها لأكثر من مرة ، ثم تلفتت حولها – برأسها - بذعر ، وأدركت أنها بداخل سيارة الإسعاف ، وممددة على التروللي المعدني ..

أزالت القناع عن وجهها ، وإستندت على مرفقيها محاولة النهوض ، فمنعها المسعف قائلاً بجدية :

-ارتاحي يا مدام ، انتي لسه دايخة !

لم تستمع إلى تعليماته ، وأزاحت يديه بعيداً عنها ، وهمست بضعف :

-انقذوه .. هـ.. هايموت !

سألها المسعف بإهتمام :

-مين ؟

أجابته بتلعثم وهي تحاول النهوض :

-آآ.. أوس .. جـ.. جوزي

تمكن المسعف من تثبيتها على الترولي ، وأجابها بصوت جاد :

-ايوه .. اللي كان معاكي ، اطمني ، هو في العربية التانية ، وطالعين به على أقرب مستشفي

حدقت به تقى وسألته بصوت مبحوح :

-هو .. هو لسه عايش صح ؟

رد عليها المسعف بصوت شبه قاتم :

-مقدرش افيدك الصراحة ! لأني معرفش ، أنا كنت مسئول عنك وبس

انقبض قلبها مجدداً ، وهتفت بتلهف :

-عـ.. عاوزة أشوفه !

هز المسعف رأسه مجيباً إياها بهدوء :

-احنا هانحصله يا مدام ، ماتقلقيش .. ارتاحي انتي بس لحد ما نوصل !

سألته مجدداً بأعينها اللامعة بـ :

-يـ.. يعني هو عايش ؟!

لوى المسعف فمه ليجيبها بإيجاز :

-افتكر كده

تنهدت بعمق رغم قلقها ، وأغمضت عينيها ، فمازالت هي تحت تأثير الصدمة ، وغير قادرة على استعادة توازنها بشكل تـام ...

طــرق المسعف بيده على زجاج السيارة الأمامي ، وهمس للسائق قائلاً :

-المدام اللي معانا فاقت ، بلغ الظابط !

إلتفت السائق له ، وأجابه بجمود :

-تمام

....

في المشفى الخاص بالأمــراض النفسية ،،،،

اصطحبت الممرضة تهاني عبر الطريق المؤدي إلى غرفة الطبيب بعد أن إنتهت مقابلتها المليئة بالمصارحة والمشاعر الفياضة .. وربتت على ظهرها قائلة بإبتسامة :

-ان شاء الله هتبقى كويسة ، المستشفى هنا متميز ،والدكاترة معروفين بالإسم !

ردت عليها تهاني بصوت مختنق وهي تمسح أنفها بمنشفة ورقية :

-نفسي بنتي ترجع تعيش تاني في حضني ، واعوضها عن اللي فات !

هزت الممرضة رأسها وهي تتابع بهدوء :

-هايحصل ، بس زي ما حضرتك عارفة كل حاجة بتاخد وقتها ، و آآ...

قاطعتها بنظرات نادمة ، وصوت متحسر :

-ده عمري راح كله من غير ما اعرف انها عايشة ، سنيني ضاعت من غير ما احس بيها ، يا رب قدرني وأعوضها !

ابتسمت لها الممرضة دون أن تعقب .. ثم أشــارت لها بيدها قائلة بخفوت :

-احنا وصلنا يا فندم .. اتفضلي

تنهدت تهاني بإنهاك قائلة :

-تسلمي يا بنتي ، ومش هاوصيكي عليها !

هتفت الممرضة قائلة بثبات :

-كلنا هنا في خدمتها ، هي مش محتاجة أي توصية !

-كتر خيرك !

....

خـــرج عدي من مكتب الحسابات الملحق بالمشفى بعد أن وضع دفعة مقدمة في حساب زوجته ، ثم عاود الإتصـــال بأوس ، فلم يجد سوى صوت الرسالة التقليدية المسجلة (الهاتف خـــارج نطاق التغطية) ، فنفخ من الضيق قائلاً :

-في ايه بس ؟ مش عارف أوصلك خالص !

دعـــك عينيه ، ثم قطب جبينه ، وهاتف سكرتيرة المقر الرئيسي للشركة متسائلاً بجدية :

-أوس باشا جه أو اتصل ؟

ردت عليه السكرتيرة برقـــة :

-لأ يا فندم ، مافيش أي أخبار عنه

سألها بصوت آجش :

-الحراسة بتاعته رجعت ؟

-لأ يا عدي باشا ، الأمن مابلغش بوصول أي حد من طقم الحراسة

-أوكي ، عرفيني لو في حاجة

-حاضر يا فندم

أنهى معها المكالمة وهو يفكر ملياً في إحتمالية شعور أوس بالضيق بسبب مكالمة (تهاني) ، فحدث نفسه بصوت مسموع قائلاً :

-لازم أسـأل عفاف عن اللي حصل بالظبط مع تهاني ! بس الأول أوصـلها للحارة وبعد كده أعرف اللي أنا عاوزه منها بالتفصيل !

....

بالقرب من مشفى حكومي نائي ،،،

بعد برهـــة من الوقت وصلت سيارة الإسعاف التي تقل تقـــى إلى المشفى العـــام والأقرب إلى موقع الحادث .. ومن قبلها وصلت السيارة الخاصة بأوس ..

نهضت تقى من على الترولي ، ورفضت أن يقدم لها أي مساعدة رغم حاجة الوهـــن والإعياء البادية على وجهها وجسدها ، وترجلت من سيارة الإسعاف ، وأسرعت في خطاها محاولة الوصـــول إلى الاستقبال والسؤال عن حالة أوس ..

كان المشفى أقل بكثير من المستوى الذي يليق بشخصية ثرية كأوس الجندي ، ولكنه كافي لإسعافه فوراً ، وإنقاذه من الموت ..

دلفت إلى البهو ، وتلفتت حولها بنظرات حائرة محاولة الوصـــول لمكتب الإستقبال ، وبالفعل لمحت مسند رخامي قديم ومرتفع عن الأرضية ، وتقف خلفه ممرضــة ما ممسكة بهاتف أرضي تتحدث فيه .. فســـارت نحوها بخطوات أقرب للركض ، وإستندت بكفيها على حافة المسند ، وتسائلت بصوت لاهث وهي جاحظة العينين :

-هو .. هو فين ؟

أبعدت الممرضة سماعة الهاتف عن أذنها ، ووضعتها على كتفها ، وسألتها بعدم فهم :

-بتسألي عن مين بالظبط ؟

ردت عليها تقى دون تردد :

-أوس الجندي

قطبت الممرضة جبينها أكثر ، وحدقتها بنظرات متفحصة ، وسألتها ببرود :

-مين ده ؟

هتفت بصوت متقطع وهي تشير بيدها :

-اللي جه من شوية هنا ، ومضروب بالنار

هزت رأسها ، وأجابتها وهي تشير بعينيها :

-أهـا .. هناك في الطواريء

ركضت تقى إلى حيث أشـــارت ، فصاحت بها الممرضة بصوت مرتفع :

-استني يا استاذة ، ممنوع الدخـــول !

لم تصغْ إليها ، وإنمـــا واصلت الركض حتى توقفت أمام باب معدني - يرتد للخلف وللأمـــام حينما تدفعه بقبضة اليد – فتسمرت في مكانها ، وحدقت باللوحة المضئية باللون الأحمر أعلاه وقرأت كلمة ((طـــواريء)) بصوت خافض ..

ابتلعت ريقها في حلقها الجــاف .. وتنفست بتوتر كبير ، وضمت قبضتي يدها معاً أمــام صدرها ، وجاهدت لتستجمع شجاعتها وتدلف للداخل لتراه ...

-رايحة فين يا مدام ؟

قالها ممرض ما بصوت خشن ، فأدارت هي رأسها نحوه ، وأجابته بصوتها اللاهث والمتردد :

-د...داخلة أشوف آآ.. أوس !

لوى الممرض فمه ، وأردف قائلاً بسخط :

-أوس

ابتلعت ريقها وهي تتابع بتوتر :

-أهــا .. ده .. ده يبقى جوزي

رمقها الممرض بنظرات جافة ، وأكمل قائلاً بجمود :

-حتى لو كان ايه ، فماينفعش يا مدام تخشي جوا ، الدكاترة بيتعاملوا مع الحالة

سألته بتلهف بادي عليها :

-طب.. طب هو هيبقى كويس ؟

هز كتفيه في عدم مبالاة مجيباً إياها بنفس الجمود :

-مش عارف ، بس شوية وهايطلعوا الدكاترة من جوا ، ويطمنوكي

ثم سمعت صوتاً رجولياً قوياً يأتيها من الخلف قائلاً بصرامة :

-مدام ، استني من فضلك !

انتبهت إلى مصدره ، ونظرت نحوه قائلة :

-هـــاه

حدقت هي في هيئة هذا الشخص الذي إستوقفها ، ورمقته بنظرات سريعة متفحصة ..

أضاف الشخص قائلاً بنبرة ثابتة وهو يتأملها بدقة :

-مع حضرتك المقدم طارق ، من مباحث قسم ((....)) ، وجاي هنا أحقق في اللي حصل !

هزت رأسها بعد أن عرفت هويته ، فتابع بنبرة رسمية وهو يشير بيده :

-عاوز أخد من حضرتك كام اجابة على أسئلتي

أومــأت برأسها موافقة وردت عليه بنبرة مضطربة :

-مــ.. ماشي ، هارد على كل اللي .. آآ.. عاوزه ، بس أطمئن عليه الأول !

رفع المقدم طــارق كفه أمام وجهها معترضاً ، وهتف ببرود :

-معلش يا مدام ، دي تحقيقات ، ولازم نعرف منك شوية تفاصيل عشان نوصل للجناة في أسرع وقت ، فيا ريت تتعاوني معايا !

تنهدت في إستسلام لتجيبه :

-طــ.. طيب

تابع هو قائلاً بجمـــود :

-اتفضلي معايا هناك

ابتلعت ريقها وســألته متوترة :

-هانروح فين ؟

رد عليها بهدوء مريب وهو يتفحصها بنظرات ثاقبة :

-مش بعيد ، بس هانتكلم بعيد عن الدوشة دي !

إستدارت برأسها للخلف ، وظلت محدقة بالباب المعدني وهي تكمل بصوت مرتبك :

-بس آآ.. أنا .. انا عاوزة اطمن على آآ...

قاطعها قائلاً ببرود :

-يا مدام لو في جديد هانعرف كلنا أكيد ، بالعكس احنا يهمنا نطمن على أوس الجندي عشان ناخد أقواله هو كمان !

-أهـا

-اتفضلي !

اضطرت هي أن تستجيب له ، وسـارت معه إلى حيث أشـار لتجيبه عما يريد من أسئلة ...

....

بداخــل غرفة الطواريء ،،،

التف الأطبـــاء حول أوس الجندي ، ومزق أحدهم قميصه ، بينما انتزع أخـر متعلقاته الشخصية ، وحرص ثالث على التصرف بحنكة من أجل وقف النزيف المستمر وانقاذه ..

لم يعرف أي أحد هويته بعد ، ولكن وضعه غير مستقر ..

أشـــار طبيب ما للممرضة بعينيه وهو يلقي في يديها ما جمعه :

-سلميهم لقرايبه ولو موجودين

أومـــأت برأسها إيجاباً وقائلة بهمس :

-حاضر يا دكتور

أردف طبيب أخـر قائلاً بجدية :

-باين عليه شخصية مهمة

رد عليه زميله بهدوء :

-أهـا .. من شكل الحاجة اللي معاه

أمسك الطبيب الثالث بالمشرط ، وهتف بصرامة :

-ركزوا دلوقتي في اللي هانعمله

-تمام ..

-المريض حالته حرجة

-ربنا يستر

-احنا المهم نوقف النزيف ونشيل الرصاصة

-مكانها قريب أوي

تشدق طبيب ما بهدوء :

-سنتيمتر كمان وكانت هتبقى في مقتل

همس زميله قائلاً بمزاح :

-حظه !

رد عليه الطبيب الثالث قائلاً بجدية :

-لأ عمــره !

-فعلاً ، ونعم بالله

وباشــر الجميع عملهم بدقـــة من أجل إنقاذ حياته ..

....

في نفس التوقيت ، في الإستقبال الملحق بالمشفى ،،،

قطم أحد الأشخــاص قطعة كبيرة من رغيف الخبز الذي بحوزته ، بعد أن دس في فمه قطعة من المخللات ، وتابع حديثه دون أن يعبأ بالطعام الذي يُقذف من فمه للخارج بـ :

-يا بت مافيش خبر كده ولا كده ، ده أنا بتنشأ على أي حاجة أجيبها للأستاذ فيديني الحِلوان

أجابته الممرضة حُسنية الجالسة إلى جواره وهي تبتلع الخيار المخلل بتذمر :

-هو أنت مشغلني المخبر بتاعك يا حمدي !

رد عليها حمدي عصفورة بمكر وهو يمسح أسنانه بطرف لسانه :

-ماهو كله لمصلحتنا في الأخر ، واحنا عاوزين نسترزق من الأخبار اللي بنجيبها !

زمت ثغرها قائلة بإستنكار :

-ما انت شايف مافيش أي جديد هنا ، كله محصل بعضه !

مـــال عليها وهمس لها بخبث :

-خليكي ناصحة يا بت ، واتعلمي ، وأهوو قرش من هنا ، على سبوبة من هناك هانكمل اللي ناقصنا ، ونتنيل نتجوز

نفخت من الضيق ، ودست في فمها قطعة مخلل ، وتابعت :

-يوووه ، ما أهوو على يدك ، المستشفى الخربانة دي مافيش فيها حاجة تتقال !

نظر إليها بنظرات إحتقارية ، وهمس بسخط :

-فقـــر !!!

تلفت حمدي حوله ، ووقعت عينيه على ذلك التجمع الغفير أمـــام باب الطواريء ، وتسائل بفضـــول وهو يحاول أن يشرأب بعنقه :

-أومـــال ايه اللمة اللي هناك دي ؟

نظرت إلى حيث ينظر ، وردت بفتور :

-والله ما أنا عارفة

لكزها في كتفها ، وهتف بخشونة :

-طب قومي شمشمي على أي خبر ، وتعالي قوليلي !

بلعت الطعام ، ورمقته بنظرات محذرة ، ثم نهضت عن المقعد وأردفت قائلة بجدية :

-طيب .. اوعى تاكل القرنبيط !!!

رمقها بنظرات متأففة وصاح بحنق :

-يا ولية هاسيبهولك ، بس انجزي في يومك !

لوت فمها قائلة بتذمر وهي تحدجه بنظراتها الحادة :

-ماشي .. رايحة أهوو .. !

اقتربت الممرضـــة حُسنية من الضابط ومن معه ، واسترقت السمع في محاولة مستميتة منها لتستشف أي معلومة ، ولكن رأهـا أحد العساكر فنهرها قائلاً بضيق:

-في حاجة ؟

أغلقت فمها المنفرج ، وأجابته بتلعثم :

-هــاه ، لأ .. ده أنا بس بأشوف في ايه !

نظر لها بحدة ، وأردف قائلاً بجمود واضح :

-مايخصكيش !

إكفهر وجهها ، وبرزت عروق جبينها من الغيظ ، وحدجته بنظرات منزعجة وهي تقول بغضب :

-جرى ايه يا شاويش ، ده انتو هنا في قلب المستشفى بتاعتنا ، وآآ...

قاطعها محذراً بتهديد صريح :

-اتمشي من هنا بدل ما أبلغ الباشا عنك ، واقوله بتعطلي شغلنا !

زفرت بصوت مسموع قائلة بإستسلام وهي تلوح بكف يدها أمام وجهه الصارم :

-طيب ، خلاص ، يعني هاتجيبلي الديب من ديله !

دست يديها في جيبي معطفها الأبيض ، وحدثت نفسها بتبرم بـ :

-لو رجعت لحمدي وقولتله معرفتش أجيب حاجة هايسمم بدني بكلمتين ، أمــا أروح أشوف كده في الإستقبال ، يمكن حد هناك يكون عارف حاجة !

وبالفعل توجهت ناحية رفيقتها العاملة بإستقبال المشفى ، وتبادلت معها الحوار المازح ، ثم سألتها بلؤم وهي مستندة برأسها على مرفقها :

-اومال ياختي المستشفى هنا مش على بعضها من الصبح ليه ؟

تنهدت الأخيرة بإنهاك ، وردت عليها بصوت فاتر :

-ماهو زي كل يوم

قطبت الممرضة حُسنية جبينها ، وسلطت أنظارها عليها ، وأردفت قائلة بتركيز :

-لأ مش فهماني ، ده في بوليس ونيابة وتحقيقات هنا

أجابتها زميلتها بعدم إكتراث :

-تلاقيها حاجة تبع الحالة اللي جت مضروبة بالنار

اتسعت عينيها في إهتمام ، وهتفت مصدومة :

-مضروبة بالنار ، يا ساتر يا رب !

ثم صمتت للحظة ، وتابعت متسائلة بفضول :

-وعلى كده حالته خطيرة الجدع ده ؟

ردت عليها قائلة بلا مبالاة :

-والله هما جابوه على أخر وقت ، والدكاترة في الطواريء معاه

سألتها الممرضة وهي تهز رأسها بـ :

-أهـا ، وده تبع مين ؟

هزت كتفيها وهي تجيبها بصوت عادي :

-معرفش ، بس هو اسمه أوس الجندي

رفعت الممرضة حاجبيها للأعلى ، وتسائلت بحيرة وهي تضع إصبعيها على طرف ذقنها :

-أوس الجندي ، مين ده ؟

لوت رفيقتها ثغرها قائلة بعدم إهتمام :

-ولا أعرفه

ضربت الممرضة بكفها على السطح الرخامي قائلة بفتور :

-أها ... يا خبر بفلوس بكرة يبقى ببلاش .. !

ثم رسمت ابتسامة زائفة على وجهها ، وتشدقت بإمتنان مصطنع :

-تسلمي ياختي

-على ايه ، ما احنا بندردش مع بعض

-ايوه ، بدل ما اليوم فقر ومش بيعدي ، يالا هاروح أشوف ورايا ايه أعمله

-ماشي !

عـــادت الممرضة حسنية إلى حمدي وهي محملة بالأخبار العادية من وجهة نظرها ..

وما إن رأها هو مقبلة عليه حتى إعتدل في جلسته ، وسألها بجدية وهو يطوي ورقة الصحيفة الملطخة بالزيت :

-عرفتي في ايه ؟

ردت عليه بنبرة عادية وهي تجلس إلى جواره :

-واحد مضروب بالنار

حدق بها بإهتمام وسألها دون تأخير :

-من مين ؟

قطمت بقية رغيف الخبز وهي ترد عليه بجمود :
-معرفش

سألها بجدية بـ :
-طب ايه السبب ؟

ردت عليه بفتور أكبر وهي تبتلع طعامها :
-معرفش

أردف حمدي قائلاً بسخط وهو يرمقها بنظراته المحتدة :
-أومال أنا باعتك ليه ؟!

مسحت فمها بطرف كمها ، وردت عليه بحدة :
-يباي ، ده اللي قدرت أوصله

نفخ من الضيق ، وأطلق سبة خافتة .. ثم سألها مجدداً بسخرية
:

-ويا ترى عرفتي اسمه ايه ؟ ولا كان صعب عليكي يا فالحة ؟!!!

ردت عليه بثقة قائلة وهي تجمع بقايا الطعام من جوارها :

-اه عرفت ياخويا

صـــاح بها بنفاذ صبر :

-ماتقولي

تجشــأت وهي تجيبه ببرود :

-واحد كده اسمه ابصر ايه .. آآ.. اه .. أوس الجندي !

اتسعت حدقتيه في صدمـــــة كبيرة ، وبرزت أسنانه السوداء قائلاً بذهـــــول

-بتقولي مييييييين .... !!!!

...

الفصل الثالث :

في المشفى الحكومي ،،،

ارتشفت تقى بضعة قطرات من كوب المياه البلاستيكي و الذي كانت تمسكه بيديها المرتجفتين ، ثم أسندته إلى جوارها ، وأطرقت رأسها بحزن للأسفل ..

راقب المقدم طارق إنفعالاتها بترقب شديد ، وتنحنح قائلاً بخشونة لتنتبه له :

-احم .. عاوزك تهدي يا مدام تقى وتحكيلنا عن اللي حصل بالراحة

رفعت رأسها قليلاً لتنظر نحوه ، وأجابته بوهن :

-أنا .. أنا مش فاكرة اللي حصل بالظبط

ضيق عينيه ليسألها بجدية :

-ازاي يا مدام تقى ، مش إنتي كنت معاه ؟

ابتلعت ريقها بتوتر وهي تجيبه :

-ايوه .. بس .. بس كل حاجة حصلت بسرعة

مط فمه للأمـــام ، ثم إنتصب في جلسته ، وأخذ نفساً عميقاً ، وزفره على مهل .. وهتف قائلاً بلهجة رسمية :

-طيب .. أنا هاصيغ سؤالي بشكل تاني ، مين ضرب على جوزك النار ؟

ارتبكت أكثر وهي تتذكر ما حدث نصب عينيها من دفاع أوس المستميت عنها .. من تضحيته بحياته ليفديها هي ، فلمعت مقلتيها بشدة .. وتسارعت أنفاسها .. ثم دفنت وجهها بين راحتيها ، وصرخت بصوت مكتوم :

-مـ.. مش عارفة

ثم بدأت تنتحب بأنين خافت .. وانسابت منها العبرات بأسف شديد ..

صـــر المقدم طارق على أسنانه متسائلاً بنفاذ صبر :

-طيب شوفتي شكل اللي ضربه ؟

اخترقت كلماته الأخيرة آذانها ، وأغمضت عينيها لتستعيد تلك اللحظات الحرجة ، ثم أبعدت يديها عن وجهها بعد أن مسحت

العبرات العالقة بأهدابها ، واعتدلت قليلاً في جلستها .. وتنهدت بعمق قائلة :

-اه شوفته

نفخ المقدم طارق بإرتيـــاح ، فأخيراً قد اضافت شيئاً مضيفاً بعد دقائق مطولة من التحقيق معها .. لذا سألها بجدية وهو محدق بها :

-حد تعرفيه قبل كده ؟

هزت رأسها نافية ، وأجابته بإرتباك يشوب كلماتها :

-لأ .. أنا .. أنا أصلاً مـ.. آآ..

ضاقت عينيه وزاد تفرسه لملامحها متسائلاً بجمود :

-انتي ايه ؟

ضغط عليها بأسئلته وحاصرها ، وحاولت هي قدر الإمكان أن تجيبه بصراحة وصدق .. ولكنها كانت في حالة شبه مصدومة ، تحاول ربط خيوط ما حدث معاً .. والبحث عن الكلمات المناسبة لتوضيح الحقيقة والوصول إلى الجناة ..

مر الوقت بطيئاً ، وبدى الإعياء واضحاً على وجهها ، وشعرت بحالة من الدوار تصيبها فما مرت به إلى الآن ليس بالهين ..

فوضعت يدها على جبينها ، وأمسكت بمقدمة رأسها ، وإرتخى كتفيها ، وأرجعت جسدها للخلف ، وأغمضت عينيها .. فهتف المقدم طارق متسائلاً بقلق :

-مدام تقى مالك ؟

أجابته بصوت ضعيف :

-تـ.. تعبانة ..

إلتفت المقدم طارق برأسه للجانب ، وصاح بصوت آمر :

-يا عسكري ، ناديلي دكتور بسرعة هنا

أشارت له بكفها قائلة بخفوت :

-مافيش داعي ، أنا .. أنا شوية وهابقى كويسة

أردف الطبيب قائلاً بجدية وقف هب واقفاً على قدميه :

-طيب يا مدام ، أنا مش عاوز أضغط عليكي أكتر من كده ، بس اكيد هنكمل كلامنا بعد ما تطمني على جوزك وعلى نفسك كمان !

هزت رأسها موافقة .. ولم تعلق .. فهي في حالة شبه واعية ..

....

انتفـــض حمدي مصدومـــاً من مكانه بعدما سمع من الممرضـــة حُسنية اسم الحالة المصابة بالعيار النـــاري .. ونهرها قائلاً بنبرة حادة :

-يخرب عقلك يا ولية ، بقى عارفة المعلومة دي وساكتة !!!

نظرت هي له بإستغراب ، وســألته بفتور :

-ليه ياخويا ، هو انت تعرفه ؟

لوى فمــــه قائلاً بإزدراء :

-هو في حد مايعرفش أوس الجندي !

ردت عليه بسخرية بائنة :

-أنا يا إدلعدي

زم فمه ليقول بنزق وهو يرمقها بإشمئزاز :

-ما انتي وش فقر هاتعرفي الأشكـــال النضيفة منين !!!

مطت ثغرها للجانب ، وردت عليه بسخرية :

-حوش حوش إنت اللي متربي على إيد الأكابر ، ما الحال من بعضه ..

ثم غمغمت مع نفسها بخفوت :

-لا تعايرني ولا أعايرك ، ده الهم طايلني وطايلك

فرك طرف ذقنه ليكمل بسخط :

-لأ ياختي لا متربي على ايدهم ، ولا غيره ، بس أنا يا بت مثأف (مثقف) ، وليا لي في العالم الأهبة دول ، تكونيش مفكراني ماستفدتش من شغلانتي مع سي الأستاذ ، بس انتي مابتفهميش ، لأن فهمك على أدك !

حركت فمها للجانبين لتسخر منه بـ :

-ومـــاله يا أبو العريف ، سيبالك المفهومية كلها

ثم أخفضت صوتها لتسخر منه :

-ده انت حياله ناقل للأخبار ، تسمع من هنا كلمة ، هوب تنقلها هناك .. يعني عصفورة زي ما سموك

أشـــار بكف يده وهو يتحرك للأمـــام هاتفاً بحزم :

-أنا هاتصل بالأستاذ وفيق الصحفي أعرفه !

-طيب

ثم ابتسم مع نفسه بسعادة ، وتمتم قائلاً :

-ده المعلوم الدور ده هايكون على أبوه

رفعت حسنية بصرهـــا للسماء وكذلك كفيها قائلاً برجاء :

-روح يا شيخ ربنا يفتحها في وشك

وبالفعل أخـــرج هاتفه المحمول – ماركة نوكيا – وهاتف الصحفي وفيق قائلاً بتصنع :

-عم الإعلام والصحافة كلها

سمع صوته يأتيه بتنهيدة ضجرة :

-خير يا حمدي عصفورة ، عندك ايه تقوله !

ارتسم على ثغره ابتسامة شيطانية وهو يقول :

-خبر إنما ايه ، هايعمل أحلى شغل معاك

رد عليه بعدم اكتراث بـ :

-كل مرة بتقول كده يا عصفورة ، وبيطلع هوا

ضيق عينيه بقوة ، وأردف قائلاً بثقة :

-لأ المرادي غير يا ريس

صــاح به بنفاذ صبر :

-اخلص يا عصفورة ، عندك ايه

أخبره حمدي بما عرفه من معلومات تخص وجود رجل الأعمال أوس الجندي في المشفى الحكومي مصاباً بعيارٍ ناري .. فصُدم الصحفي وفيق مما قاله ، وأمره بجدية :

-عاوزك تعرفلي يا حمدي تفاصيل التفاصيل عن اللي حصله ، ده خبر الموسم !

هز رأسه موافقاً وهو يطلب منه بلؤم :

-ماشي يا باشا ، بس تشوفني ؟!

-هاحليلك بؤك على الأخـــر !

-أوامرك يا ريس !

انهى معه المكــالمة وعاد إلى الممرضــة حُسنية وسحبها من ذراعها قائلاً بخفوت :

-عاوزك شوية

ثم توقف كلاهما بعيداً عن أعين المتواجدين ،

فرمقته بنظرات مندهشة وهي تسأله بتذمر :

-خير يا جدع ، ساحبني وراك كده ليه ؟!

غمز لها قائلاً بنبرة خافتة :

-المصلحة طلعت من العيار التقيل زي ما قولتلك ، وهنتروق على الأخر بس عاوزين شوية نصاحة

ضيقت عينيها أكثر ، وسألته بإهتمام :

-ايه المطلوب ؟

تحدث إليها بنبرة أقرب إلى فحيح الأفعى :

-شمشمي على أد ما تقدري وهاتيلنا أخبار

لوت فمها قائلة بحيرة :

-ما انت شايف الدنيا مقفلة ازاي

دقق النظر إليها ، وتشدق بهمس :

-هو في حاجة صعبة عليكي ، ده انتي حُسنية ، الحتة اللي في الشمــال

-الوقتي بقيت حبيبة القلب !

-طول عمرك ، بس يالا انجزي !

هزت رأسها موافقة وهي تبتعد عنه

-طيب .. استناني هنا !

....

خرجت إحدى الممرضـــات من غرفة الطواريء ومعها متعلقات أوس الشخصية ، وبحثت بعينيها عن أي من أقاربه ، فلم تجد أي أحد بالخـــارج ، ولكنها رأت الشرطة متواجدة بالمكان ، فإتجهت إلى أقرب ضابط ، وسألته بهدوء :

-حضرتك متعرفش فين أقرايب الحالة اللي في الطواريء

نظر لها الضابط بتفحص وهو يسألها بصرامة :

-بتسألي ليه ؟

مدت يديها بالمقتنيات للأمــام وهي تجيبه :

-عاوزة أسلم الحاجات دي لأهله

نظر لها بتفحص ، ورد عليها بجمود :

-ثواني .. هابلغ المقدم طارق

-ماشي

انتظرت الممرضة في مكانها ، وتنهدت بإنهــاك .. فجاءت إليها حسنية ، وسألتها بخبث :

-ايه أخبار الحالة ؟

قطبت الممرضة جبينها متسائلة بتعجب :

-حالة ايه ؟

أومــأت حسنية برأسها هاتفة بـ :

-الراجل اللي جه مضروب بالنار

حركت الممرضة رأسها إيجاباً ، وأجابتها بفتور :

-اها ، لسه الدكاترة معاه جوا

سألتها مجدداً بخبث وهي ترفع حاجبها للأعلى :

-وده مين اللي عمل فيه كده ؟

هزت كتفيها في عدم مبالاة مجيبة إياها :

-لسه مش عارفين !

سلطت حُسنية أنظـــارها على المتعلقات الشخصية المتواجدة في يدي زميلتها ، وسألتها بخبث :

-هي دي حاجته ؟

-أها ..

صمتت للحظة وتابعت سؤالها بفضول :

-انتي ناوية تعملي بيهم ايه ؟

أجابتها الأخيرة بفتور :

-هاديها لحد من قرايبه

هزت حسنية حاجبيها متسائلة بمكر :

-هو في حد جه هنا معاه ؟ اللي اعرفه انه جاي لوحده !!

ردت عليها الممرضة بتنهيدة :

-أديني قولت للظابط ، وهو يتصرف

-ايوه ، ماهي أمانة برضوه

بعد لحظـــات حضر إليهما الضابط ، وقال بجدية شديدة :

-سلميني الحاجة ، وأنا هاديها لمراته !

إستدارت حسنية برأسها في إتجاهه ، وسألته بإهتمام وهي تضع إصبعيها على طرف ذقنها :

-هي مراته معاه ؟

رمقها الضابط بنظرات مهينة وهو يسألها بصوت صارم :

-وانتي مين ؟

ردت عليه بإرتباك بعد أن أخافتها نظراته :

-أنا .. حسنية الممرضة ، شغالة هنا في الـ آآ....

لوح بيده أمام وجهها ، وصـــاح بها بصوت قاتم :

-روحي شوفي شغلك ، وماتسأليش في اللي ما يخصكيش !!

أطرقت رأسها ممتثلة له وهي تقول :

-احم.. طيب يا باشا

ثم انسحبت بحرج من أمـــامه ، وغمغمت مع نفسها بحنق يحمل التهكم :

-أنا عارفة بيشخط وينطر على ايه ، ده حياله واحد واتنيل انضرب بالنار ، تقولش وزير الداخلية ياخي ، ولا من بقية أهله !!

....

في منزل تقى عوض الله ،،،

تنهدت فردوس بعمق وهي تهز رأسها في حزن ، فربتت على كتفها جارتها إجلال ، ورمقتها بنظرات إشفاق ، ثم تشدقت قائلة بصوت أسف :

-معلش يا فردوس ، بكرة تتعدل إن شاء الله

نظرت لها بحزن دفين وهي تهتف بحسرة :

-هتتعدل إزاي ، والحال زي ما هو ، ده يمكن بقى أوحش من الأول !!

ابتسمت لها إجلال في محاولة يائسة منها لتخفيف حدة الأمـر ، وتشدقت قائلة بغصة :

-ده امتحان من ربنا ، والمؤمن مبتلى ، هو أنا برضوه اللي هاقولك !

زمت فردوس ثغرها لتقول بإعتراض :

-أكتر من كده

أضافت إجلال قائلة بثقة :

-ارضي بقضاء الله ، وصدقيني هتلاقي الفرج جاي قريب

-ربنا يفرجها من عنده

ضيقت إجلال عينيها ، وتسائلت بإهتمام :

-هاتعملي ايه مع سي عوض جوزك ؟

تنهدت بإنهاك لتجيبها بقلة حيلة :

-ولاد الحلال شاروا عليا بضاكتور كويس بس في المنصورة

-ياه .. المنصورة

-ايوه .. بيقولوا هو شاطر وبيفهم في الحالات اللي زيه

سألتها مجدداً بإهتمام أكبر بـ :

-طيب وناوية تروحيله امتى ؟

ردت عليها فردوس بيأس وهي مستندة بوجهها على راحة يدها :

-أما ربنا يفرجها وأحوش قرشين كده لزوم السفر والعلاج

مالت عليها إجلال وهمست بتفاؤل وهي تضع يدها على كف الأخيرة :

-طب ايه رأيك أدخلك في جمعية تقبضيها الرابع ؟

رفعت فردوس حاجبها للأعلى ورددت :

-الرابع ؟!

-ايوه ، جمعية انا اللي مسكاها ، بدأت من شهر ، وأنا هدخلك مكاني ، وأهوم قرشين تفكي بيهم أزمة

-بس آآ...

قاطعتها إجلال بإصرار :

-من غير بس ولا حاجة ، انتي هاتدخلي فيها بأمر الله

نفخت فردوس قائلة بضجر وهي تهز رأسها معترضة :

-يا ست إجلال انتي مش فاهمة ، أنا مش معايا أدفع اللي فات عشان آآ..

قاطعتها مجدداً بصوت حنون :

-ماتشليش هم ، أنا موجودة ، ورقبتي سدادة

ردت عليها بإمتنان بـ :

-كتر خيرك ، إنتي بردك عندك ظروفك وآآ...

أضافت إجلال بنبرة هادئة :

-الجيران لبعضيها ، وابقي ادفعي على مهلك ، المهم الوقتي صحة جوزك ، ربنا يقومهولك بالسلامة

-يا رب .. والله اللي زيك اليومين دول بقوا قليلين ! ربنا يجازيكي خير يا ست إجلال

-يا رب يكرمنا جميعاً

تنهدت فردوس بإرتيـــاح لوجود حل ما لضائقتها المالية ، وحمدت الله في نفسها أن لديها جـــارة طيبة تقف إلى جوارها في تلك الأزمة الطاحنة ...

....

في المشفى الحكومي ،،،،

عادت حسنية إلى خطيبها حمدي عصفورة ، وأبلغته بما عرفته .. فدون بعض الملحوظات في ورقة صغيرة ، والتوى فمه قائلاً بسعادة :

-اهوو كده اطلع بمصلحة من الأستاذ

رمقته بنظرات قوية وهي تحذره مشيرة بإصبعيها :

-نطلع احنا الاتنين ، مش تطلع لوحدك يا حمدي ، سامعني

تقوس فمه بضيق ، ونظر لها شزراً ، ثم ردد قائلاً :

-اه يا حسنية ! وماله ، بس تظبط معانا الأول ، خليكي انتي هنا ، وأنا هاروح أكلم الأستاذ وآآ... لأ ده أنا هاروحله مخصوص عشان يأبجني وش .. ولو في جديد عرفيني !

هزت رأسها وهي تؤكد عليه بـ :

-ماشي ، بس طمني أما تقبض

زفــر بنفاذ صبر مشيراً بكفيه :

-يا مسهل ، متوريش بس !

-طيب

لوح لها بذراعه وهو يوليها ظهره قائلاً بصوت شبه مرتفع :

-سلام يا حسنية

-مع السلامة يا حمدي

....

حضر الضابط إلى المقدم طــارق ، وأعطاه مقتنيات أوس الجندي ، فإستلمها الأخير منه ، وتفقدها بتفحص ، فقد كانت عبارة عن ساعة فضية ثمينة ، وهاتفه المحمول ، وحافظة نقوده .. ثم هتف قائلاً بصوت جامد :

-تمام ، ارجع لمكانك تاني

-حاضر يا فندم

اقترب هو من تقــى الجالسة على المقعد المعدني ، والتي كانت مغمضة العينين ، ومتكأة برأسها على مرفقها ، وكانت على وشك أن تغفو قليلاً .. فمــد يده بالأشياء نحوها قائلاً بهدوء :

-اتفضلي يا مدام ، دي حاجة جوزك

انتبهت هي إلى صوته ، وفتحت عينيها المرهقتين فجــأة ، وإعتدلت في جلستها ، وتسائلت بإندهــاش : :

-هـــاه ، حاجته ؟؟!!!!

أومــأ برأسه قائلاً بنفس الثبات :

-ايوه ، الممرضة سلمت الحاجات دي لزميلي من شوية ، وأنا بأديهالك

خفق قلبها بتوتر رهيب ، وسألته بتلهف وهي جاحظة العينين :

-هو .. هو خرج من جوا ؟

حرك رأســـه نافياً :

-لأ .. لسه ، اتفضلي

أمسكت بيديها المرتعشتين أشيائه ، وارتبكت بشــدة .. اعتلى صدرها وهبط من مجرد التفكير في كونه ربما يكون قد فــارق الحياة للأبد ..

جف حلقها ، وزادت مرارته ، وانقبض قلبها أكثر .. ولمعت عينيها بعبرات حارقة ....

و تردد في أذنيها صدى كلماته الأخيرة ، وإعترافه بحبه الصادق لها ..

فهو حقاً أحبها بالرغم من كل شيء .. وجاهد ليعوضها عما اقترفه في حقها ، ولكنها نبذته .. ورفضت ما قدمه لها خوفاً من تكرار تلك التجربة التي دمرت انسانيتها ..

بدأت عبراتها تنســـاب عفوياً مغرقة وجنتيها .. وصدر منها أنيناً خافتاً ..

لم تقاوم رغبتها في البكاء من أجله .. فهي لم تمهله الفرصــة لإصلاح ما مضى .. وإنما كانت أكثر قسوة منه ..

راقبها المقدم بنظرات مشفقة ، ونفخ بعمق .. ثم أردف قائلاً بجدية :

-اهدي يا مدام تقى ، الدكاترة أكيد عارفين شغلهم كويس

لم تصغْ إلى ما يقول .. فتفكيرها منصب الآن على لحظاتها الأخيرة معه ..

فقد كانت أعظم مطالبه منها هي أن تغفر له .. أن تصفح عن جريمته معها .. فتسكن روحه المعذبة وتهدأ ..

أجهشت بالبكاء وهي تظن الأسوأ ، وتركت أشيائه تسقط في حجرها ، ثم دفنت وجهها في راحتيها .. فشعر المقدم طارق بالضيق لحالتها تلك ، ومرر أصابع يده في رأســه ، وتلتفت حوله بحيرة ، وهتف قائلاً في محاولة منه لتهدئتها :

-اللي بتعمليه ده مش هايفيده بحاجة ، ادعيله !

هزت رأسها دون أن تنطق .. ومسحت بأناملها عبراتها ، فتابع قائلاً بجدية :

-انتي ست مؤمنة ، وعارفة أكيد ان ده قضاء وقدر

ثم أضـــاف بصوت جاد :

-كمان باين عليكي التعب يا مدام تقى ، فحاولي تبلغي حد من قرايبك أو العيلة عشان يتواجدوا معاكي في الظروف دي ، يعني صعب تفضلي لوحدك من غير ما حد يساندك وآآ.. ويكون معاكي

أومــأت برأسها مجيبة إياه بنشيج حزين :

-هـــه .. حــ..حاضر

لمح هو ممرضـــة ما تسير على مقربة منهما ، فصـــاح عالياً :

-لو سمحتي يا .. يا آآآ...

انتبهت له الممرضة ، وتحركت نحوه قائلة :

-أيوه

-خليكي مع المدام وآآ...

قاطعته تقى بحزم :

-أنا كويسة ، مافيش حاجة

مالت عليها الممرضة ، وسألتها بإهتمام زائف :

-خير يا مدام ؟ حاسة بإيه ؟

ردت عليها تقى بإقتضاب :

-مافيش حاجة فيا

اعتدلت الممرضة في وقفتها ، ونظرت للجانب وهي تقول بإمتعاض :

-عموماً أنا نبطشيتي خلصت ، بس هاشوف حد فاضي من الدكاترة يجي يبص عليكي يا مدام

رفعت تقى رأسها ناحيتها ، وهمست بصوت مختنق :

-شكراً ، ماتتعبيش نفسك !

حضر ضابط أخـــر ، ومال على المقدم ، وهمس في أذنه بكلمات مبهمة ، فهز الأخير رأســـه ، وأشـــار له بعينيه قائلاً :

-اسبقني وهاحصلك

ثم تنحنح بصوت خشن ، وتابع بجدية :

-مدام تقى زي ما فهمت حضرتك ، هنكمل باقي التحقيقات تاني

أجابته بصوت واهن :

-حاضر

ربت هو على كتف زميله قائلاً بصوت صـــارم :

-يالا يا حضرت الظابط نشوق شغلنا !

ثم تركها الإثنين وانصرفا مبتعدين عنها ، وظلت هي بمفردها ترتجف من فرط التوتر والقلق ، فقد دبت برودة مفاجئة في أوصـــالها زادت من إرتعاشتها وهي تتخيل عودة الممرضة إليها بأخبار مؤسفة عنه ...

إحتضنت نفسها بذراعيها ، وأغمضت عينيها ، وضغطت على شفتيها قائلة برجـــاء :

-ماتسمعنيش حاجة وحشة يا رب

....

راقبتها حسنية من مسافة قريبة ، وإلتوى فمها بإبتسامة شيطانية وهي تسأل حمدي – الواقف إلى جوارها - بخبث :

-يعني هو قالك صورها ؟

أجابها بصوت هامس وهو يلتقط بكاميرا هاتفه المحمول عدة صور فوتغرافية لها :

-أيوه ، وهايبعت واد مصوراتي ياخدلها كام لقطة

سألتها بإستفهام وهي تعقد ما بين حاجبيها :

-طيب وده مع الحساب ولا لوحده ؟

ابتسم مجيباً إياها بتفاخر :

-معاه طبعاً ، ودي تفوتني

لكزته في جانبه قائلة بتحذير :

-طب اخلص أوام بدل ما تاخد بالها مننا ، وتعملنا فضيحة

صر على أسنانه وهو يتابع بخفوت :

-طيب .. داري عليا إنتي بس !

دست تقى متعلقات أوس في جيب سترتها ، وتنهدت بعمق ، وحدقت بشـــرود أمامها .. فالقـــادم أصعب بكثير مما مضى ..

....

في مكتب الصحفي وفيق ،،،،

وضـــع الصحفي وفيق - والمعروف في الوسائط الإعلامية بأخباره الحصرية - اللمســـات الأخيرة على الخبر الصـــادم الذي ظن أنه سيهز أركـــان الطبقة المخملية في مجتمع الأثرياء حيث تعمد كتابة عناوين مثيرة ليضمن الولوج إلى موقعه ، وشراء

جريدته لاحقاً لمعرفة التفاصيل ، ومن ثَمَ تحقيق ربح مــــادي هائل على حساب الأخرين ، حتى وإن كانت ..

((إصابة رجل أعمال ثري بطلق ناري في ظروف غامضة))

((من مصـــادر موثوقة ، رجل الأعمال المصاب هو من رواد صناعة الصلب في مصر))

((وريث شركات الجندي للصلب في حالة حرجة))

((إنهيار زوجة رجل الأعمــال أوس الجندي عقب محاولة اغتياله))

((الشكوك تحوم حول الزوجة كونها الشاهد الوحيد في الجريمة))

أخـــذ وفيق نفساً عميقاً ، وزفره على مهل قائلاً :

-عاوز العناوين دي تنزل بالتتابع على الصفحة ، واحد ورا واحد

رد عليه زميله بكر بلؤم :

-تمام ، بس لو في صور حصرية هاتزود نسبة المتابعة

برزت أسنان الصحفي وفيق مضيفاً بثقة :

-ما أنا بعت للواد عصفورة مصور هيظبطنا في شوية فيديوهات وصور هتخدمنا ، وهو كمان هيصورلنا كام صورة كده على الماشي وهديله فيهم حسنته

سأله بكر بإستفســـــار وهو يحك أذنه :

-بتراضيه يا ريس ؟

مط فمه ليجيبه بفتور :

-حاجة زي كده

-ماشي

ضغط وفيق على كتف بكر بأصابعه قائلاً بحماس :

-مش هوصيك ، شعلل الدنيا

رد عليه الأخير بنبرة جادة :

-أنا مش هاسيب website إلا لما أنشر عليه !

وصمت للحظة قبل أن يسأله متوجساً :

-بس يا ريس انت متأكد من الكلام ده كله ، ولا في حاجة متفبركة ؟؟؟

أشـــار وفيق بإصبعه قائلاً بجمود :

-يعني من ده على ده ، ماهو طالما الحكاية فيها ست ، يبقى بديهي كده خيانة وعشيق وحركات من دي

عبس بكر قليلاً ، واعترض قائلاً بتوتر :

-بس افرض إن الموضوع آآ...

قاطعه وفيق بعدم إكتراث وهو يعيد رأسه للخلف :

-حيلني عقبال ما حد يدور ورا كلامنا ، الناس بتموت في النوعية دي من الفضايح ، ودي فرصة نعوض الخسارة اللي بقالنا شهور فيها

ابتلع بكر ريقه بخـوف وهو يضيف مستسلماً :

-اللي تشوفه يا ريس ، بس أنا خايف من أوس الجندي ، بيقولوا نابه حامي ، ومش بيسيب تاره من أي حد

رد عليه وفيق بعدم مبالاة وهو يشير بعينيه :

-مش يمكن يموت وتشعلل أكتر ، محدش ضامن عمره ، ولا إيه !

-تمام يا ريس

إعتدل وفيق في وقفته ، وحدق أمامه بنظرات شيطانية ، وأردف قائلاً بشراسة :

-وكل ما تزيد المتابعة تتملى جيوبنا ، و.. ونتتغنغ ....!!!!

....

الفصل الرابع :

غفت تقى في مكانها ، واستسلمت لبوادر النـــوم من شدة الإرهـــاق ، والإجهاد المتواصـــل ، وقلة الطعـــام ، ومن سبب أخـــــر ليست على علم به بعد ..

اقتربت منها الممرضـــة ، وأشفقت على حالها ، وغمغمت بتنهيدة مطولة :

-عيني عليها ! من بدري وهي على الحال ده !

وبحذر بائن حاولت إفاقتها وهي تقول بصوت خافت :

-يا مـــدام ، اصحي

فتحت تقى عينيها بتثاقل ، وشعرت بوخز في مرفقها الذي كانت تستند عليه ، وتحشرج صوتها وهي تتســأل بصوت ناعس :

-فـ.. في ايه ؟

ردت عليها بابتسامة زائفة :

-جوزك خرج من العمليات من شوية ، واتنقل على العناية المركزة

انتبهت حواسها بالكامل لعبارتها الأخيرة ، وانتفضت مذعـــورة من المقعد ، وتسائلت بخوف وهي ترمش بعينيها الذابلتين :

-طب .. طب هو عامل ايه ؟

لوت الممرضة فمها وهي تجيبها بأسف :

-ماخبيش عليكي ، حالته حرجة ، بس ادعيله !

ابتلعت ريقها بصعوبة .. وبدت أكثر شروداً وهي تتوقع خسارته بين لحظة وأخـرى ، لذا دون أدني لحظة تأخير هتفت بتلهف عجيب :

-أنا .. أناعاوزة أشوفه

هزت رأسها نافية وهي تجيبها بنبرة رسمية :

-للأسف مش هاينفع ، الزيارة ممنوعة بأمر الدكاترة

مدت تقى يديها المرتجفتين نحوها ، وتلمست برعشة ذراعها ، وتوسلتها بأعين لامعة :

-بس آآ.. بس انا محتاجة أشوفه

-ممم...

رجتها بإستعطاف بادي في نبرتها :

-من فضلك ، خليني بس أبص عليه

عضت الممرضة على شفتيها ، وهمست بإذعــان وهي تتلفت حولها بحيطة :

-طب بصي ، الرجل تهدى في العناية ، وأنا .. وأنا هحاول أطلعك تشوفيه !

ابتسمت لها تقى بإمتنان ، في حين أضافت هي قائلة بتحذير :

-بس الله يكرمك يا مدام مش عاوزة شوشرة ، تبصي أوام أوام عليه ، وتمشي على طول

أومـــأت برأسها عدة مرات موافقة ، ورددت بتوتر :

-حــ.. حاضر !

....

في سيارة عدي ،،،،،

جلست تهاني في المقعد الخلفي صامتة ، ولم تنبس بكلمة منذ إنتهاء زيارتها مع ابنتها ليـــان ..

تطلع إليها عدي من المرآة الأمامية ، وحاول أن يتجاذب معها أطراف الحديث ، لكنها كانت في شـــاردة في عالم أخــر ..

ردت عليه المدبرة عفاف بهدوء :

-معلش يا عدي باشا ، اللي حصل مش سهل

زم فمه قائلاً بضجر :

-أنا بس عاوز أعرف منها عملت ايه مع ليان ، وهي احساسها كان ايه لما شافتها !

أكملت هي بهدوء وهي تمعن النظر فيه بعينيها :

-مافيش حاجة بتستخبى

تنهد قائلاً بتذمر :

-مشكلتها انها مانطقتش بكلمة من ساعة ماخرجت !

بررت لها موقفها بـ :

-ماهي صدمة كبيرة عليها برضوه

هز رأسه في عدم إقتناع وهو يضيف بضيق :

-أنا مش متخيل إن د. مهاب يعمل كده

-محدش عارف التفاصيل ولا ايه اللي جرى زمان

رفع حاجبه للأعلى وصر على أسنانه قائلاً بجدية :

-بس أكيد هي عارفة

هزت كتفيها في حيرة ، وأجابته بخفوت :

-مقدرش أفيدك يا عدي باشا !

صمت للحظة ومن ثم تشدق قائلاً بتعب :

-عامة إحنا قربنا نوصــل للحارة ، وبعدها هاطلع على الشركة وأحاول أفكر بهدوء في كل حاجة

....

في المقر الرئيسي لشركات الجندي للصلب ،،،،

أمسكت السكرتيرة بهاتفها المحمول ، وظلت تقلب في موقع (الفيس بوك) لتتابع أخــر الأخبار والمستجدات عليه وهي جالسة في المطعم الملحق بتلك المؤسسة العريقة ..

ووقعت عينيها على خبر مثير للإهتمام .. فقرأته بهمس :

-((من مصــــادر موثوقة ، رجل الأعمال المصاب هو من رواد صناعة الصلب في مصر)) ...!!!

قطبت جبينها في إستغراب ، وفتحت الموقع الناشر للخبر ، وبدأت تطالع تفاصيله بفضــول كبير..

كانت التفاصيل تشير إلى رب عملها .. وابتلعت ريقها متوجسة وهي تخمن هويته ..

اعتدلت في جلستها ، وتركت قدح قهوتها لتنهض مسرعة من مقعدها حينما قرأت أول حرفين لإسمه (أ .. ج) .. وركضت في إتجاه مكتبها وهي تهاتف على عجالة مدير المجموعة (عدي)

....

بداخــل سيارة عدي ،،،

انتبه عدي إلى رنين هاتفه المحمول ، فإلتقطه بإصبعيه ، ونظر إلى اسم المتصل ، فوجدها سكرتيرة مكتب أوس ، فحدث نفسه بصوت مسموع نسبياً :

-تلاقيها عرفت حاجة عن أوس وهتبلغني

ضغط على زر الإيجاب ، ووضع الهاتف على أذنه ، وهتف متسائلاً بجدية :

-خير ، في جديد عندك؟

ردت عليه بصوت مذعور :

-في خبر كده قريته على النت يا فندم ، وأنا .. وأنا شاكة انه ليه علاقة بالباشا أوس

صـــاح بها بعنف وقد تشنجت قسمات وجهه :

-أوس ، خبر ايه ده ، انطقي !!

انتبهت تهاني لإسم ابنها ، وخفق قلبها قلقاً عليه .. وركزت أنظارها على عدي محاولة فهم ما الذي يدور ...

أخبرته السكرتيرة بتوتر شديد عن إصابته بطلق ناري في حادث بالطريق الصحراوي ...

جحظت بعينيه مصدومـــاً ، وتسائل غاضباً :

-انتي عرفتي منين الكلام ده ؟ مين بلغك بيه ؟ حد من الحرس اتصل ؟ قولي !

تلعثم صوتها وهي تجيبه :

-الـ.. آآ.. الموقع الاخباري ده هو اللي ناشر التفاصيل !!

هتف بإنفعال بعد أن أوقف السيارة إضطرارياً :

-كدب .. تلفيق ، المواقع اللي زي دي بتنشر أخبار غلط عشان تجيب متابعين وتعمل قلق وشوشرة !

توترت وهي تبرر ما عرفته بخوف :

-بس .. بس يا فندم ، هما .. هما ناشرين مع الخبر صورة لـ... آآ... لمراته

نطق عفوياً بإسمها دون لحظة تفكير :

-تـ.. تقى !

إرتسمت علامات الإرتباك والحيرة على وجـــه تهاني ، وإنتصبت في جلستها ، وراقبت عن كثب ما يحدث ..

لم يختلف حـــال المدبرة عفاف عنها كثيراً ، فتابعت بتوجس كلماته المقتضبة عنهما ..

صـــاح عدي بلهجة آمــرة :

-ابعتيلي فوراً لينك الموقع ده ، وأرقامه ، لازم أتأكد بنفسي

-تمام يا فندم !

أنهى المكالمة معها ، ونفخ بغضب .. ثم ضرب بقبضته المقود .. وكـز على أسنانه قائلاً بشراسة :

-لو طلع الخبر ده بصحيح ، هاتبقى كارثة !

ترددت عفاف في سؤاله ، ولكن كانت تهاني أشجع منها ، فهتفت دون وعــي :

-ابني ماله ؟

رد عليها عدي بإقتضاب :

-مافيش

تشبثت بمسند مقعده ، ومالت برأسها نحوه ، وهتفت بصوت مرتعد :

-ازاي ؟ وأنا .. وأنا سمعاك بتقول ان آآ....

زفـــر عدي بضيق وهو يجيبها بهدوء زائف :

-اهدي يا مدام تهاني ، مافيش داعي للقلق

تشنج صوتها وهي تســـأله بفزع :

-أقلق !! ده ابني ، انت .. انت بتكلمني عن روحي ، في ايه ماله ؟ أوس ابني جراله ايه ؟

أجفل عينيه ، وأخذ نفساً عميقاً زفره بحذر ليجيبها :

-حاجة كده عرفتها ومش متأكدين لسه منها

صرخت بإنفعال مفاجيء :

-ابني جراله ايييييه ؟!!!

....

في المشفى الحكومي ،،،

مــرت الدقائق على تقى وهي تنتظر بجوار الدرج كأنها دهــر ...

ظلت تراقب المارة بأعين زائغة ، وبقلب منقبض .. جاهدت لتسيطر على إرتجافتها المستمرة ، لكنها عجزت ، فكل شيء بداخلها غير مستقر .. حتى أنفاسها ..

طلبت منها الممرضة سابقاً أن تقف على مسافة قريبة منها حتى تتمكن من رؤية إشارتها حينما يحين الموعد فتستطيع الدخــول خلسة إلى غرفة العناية والإطمئنان على زوجها .. ونفذت هي – دون إعتراض - ما طلبته منها ..

لوحت الممرضة من بعيد بذراعها عالياً ، ولكن لم تنتبه لها تقى ، فقد كانت شـــاردة الذهن .. يمر ببالها طائف لحظاته الأخيرة .. فعضت الأولى على شفتيها مغتاظة ، ثم ســـارت بخطوات سريعها نحوها ، وأمسكت بها من ذراعها قائلة بضجر :

-بقالي ساعة بشاورلك ، مش معقول مخدتيش بالك !

اهتز جســد تقى من لمستها المفاجئة .. وتذكرت قبضة أوس عليها ، فإبتلعت ريقها بتوجس ، ونظرت لها بإضطراب ، ثم أجابتها بصوت مبحوح ومتردد :

-مـ... معلش .. مخدتش بالي

حدجتها بنظرات قوية وهي تحذرها هامسة :

-طب يالا أوام .. هما 5 دقايق بالكتير ، تبصي عليه وتمشي ، ولو اتقفشتي أنا ماليش دعوة

أومـــأت برأسها إيجاباً وهي تقول :

-حـ.. حاضر

أدارت لها ظهرها ، وهتفت بصرامة خافتة :

-تعالي ورايا

سـارت تقى خلفها وهي تشعر بثقل في ساقيها المنهكتين ..

ربما خوفها مما قد يصدمها يجعلها عاجزة عن السير بصورة طبيعية ..

إستدارت الممرضة عبر ممر طويل شبه مظلم ، وخالي من الممرضي ، وأشارت لها بيدها قائلة بخفوت :

-أخر الطرقة دي هتلاقي أوضته ، هو تالت سرير على الشمال

-هو .. هو مش لوحده

-انتي مش في مستشفى خاص يا مدام ، دي حكومي ، وزي ما انتي شايفة الحال هنا !

جابت تقى بعينيها المكان بنظرات سريعة ، ولوت فمها بإنزعـاج .. فحوائط الممر كئيبة للغاية – وذات لون رمـادي داكن يقبض الأرواح – وتعلوها تشققات مثيرة للإشمئزاز .. بالإضافة إلى روائح غير مستساغة تنبعث من المناور الجانبية ..

تنفست بعمق ، وسـارت ببطء نحو وجهتها ..

اخترق آذانها صوت دقات قلبها المتلاحقة .. وشعرت بدمائها تتدفق بغزارة إلى عروقها ..

جف حلقها ، وزادت مرارته .. وتمتمت برعب رهيب :

-يا رب .. يا رب !

وقفت تقـــى أمـــــام باب الغرفة ، وقلبها يكاد ينفجر في ضلوعها من فرط التوتر الممزوج بالخوف ..

إستندت بكفيها على حافتي الباب ، ودارت بعينيها الزرقاوتين في إتجــاه اليســار - حيث يوجد فراشـــه – وحبست أنفاسها وهي تتطلع نحو الحائل القماشي الذي يفصله عن باقي الأسرّة الشاغرة ..

أبطــأت في خطواتها وهي تتجه صوبه .. وإرتفع صدرها وهبط وهي ترى مقدمة فراشـــه ..

امتزج رنين الأجهزة الطبية مع دقات قلبها ، ولم تشعر بمن حولها .. وكــأن الغرفة قد أصبحت خاوية إلا من كليهما ...

سمعت أصــوات ضربات قلبه المنتظمة عبر الجهاز الموصــول به .. وتنهدت بعمق ..

أغمضت عينيها ، وكورت قبضة يدها اليسرى .. وأخذت نفساً مطولاً ، وبأطراف أنامل يدها اليمنى ، تلمست الحائل القماشي ، واقتربت أكثر منه ..

استطاعت أن تشعر بهيبة حضوره الطاغي رغم سكونه التام .. وتدريجياً بدأت تسلط أنظارها عليه .. فرأته ممدداً بلا حركة ،

وموصولاً بالأسلاك الطبية .. وخراطيم هـواء تخترق فمه وأنفه ..

أمــا صدره العاري فتم تغطيته بالشــاش الطبي حيث موضع استئصال تلك الرصـــاصة التي اخترقته ..

وضعت يدها على فمها لتكتم تلك الشهقة المتآلمة والتي صدرت تلقائياً منـها .. ..

لم تتصــور أن يكون ذلك المتسلط القاسي – متحجر القلب - والذي إعتادت أن تراه في أقوى حالاته و جنى عليها يوماً بلا رحمة يرقد اليوم على الفراش كباقي البشر الطبيعين ..

مشهد زلزل كيانـها .. وهـز بقوة صورته المحفورة في عقلها ...

ترقرقت العبرات بشدة في مقلتيها ، ولم تقـــاوم إنسيابها .. وهمست بصدمة :

-آآ.. أوس !

كـــادت تفقد توازنـها .. فهي ليست على ما يرام ، فالمجهود العصبي أكبر من طاقتها على التحمل ، لذا تشبثت بفراشه ، وجلست بحذر على طرفه ، وأعطت لنفسها فرصة لتتمالك نفسها ..

ثم عــاودت النظر إليه بتدقيق شديد ..

فهو مازال يحتفظ بتلك اللمحات القاسية في وجهه رغم صمته المريب ..

مسحت بأطراف أصابعها العبرات العالقة في أهدابها .. وأردفت قائلة بصوت منتحب :

-شوفت الأيام بتدور ازاي علينا ؟ مين بقى الجاني ومين بقى الضحية !

صمتت للحظة لتسيطر على حالها ، وتمنع نفسها من الإنخراط في نوبة بكائها ..

نظرت له بأسف وهي تضيف :

-محدش بيفضل على حاله ، المشوار كان لسه في أوله معانا ... بس .. بس القدر لعب لعبته وقرر عننا !

زاد نحيبها وهي تقاوم تلك الذكريات الموجعة التي قضت عليها سابقاً ، وهمست بنشيج :

-تفتكر هانقدر ننسى اللي فات ، ونعيش عادي ، جايز نسامح ، بس آآ.. بس صعب ننسى اللي حصل ، كل واحد فينا جواه جرح كبير .. جواه آلم وعذاب .. و..آآ..

قاطع حديثها المسترسل صـــوت رجولي خشن متسائلاً بعنف :

-بتعملي ايه هنـــا ؟

انتفضت تقى مذعــورة من مكانها ، وأدارت رأسها للخلف لتجد طبيباً متجهم الوجــه يرمقها بنظرات ساخطة .. فابتلعت ريقها متوجسة ، وتحشرج صوتها وهي تحاول أن تجيبه :

-أنا .. آآ..

صــاح بها بغلظة أرعبتها :

-مين سمحلك تدخلي هنا ؟

أشــارت بيدٍ مرتجفة وهي تجيبه بتلعثم :

-مـ.. محدش .. أنا .. كنت ..آآآ

قاطعها بصوت آمـــر يحمل الإهانة وهو يرمقها بنظرات قوية :

-اطلعي برا ، دي العناية يا مدام مش عنبر مفتوح لكل من هب ودب يدخل فيه على كيفه !

حضرت الممرضة على إثر صوته المرتفع ، ورمقت تقى بنظرات معاتبة وهي تهتف بصوت متقطع :

-ايوه يا دكتور

نهرها بغضب وهو يشير بإصبعه :

-كنتي فين والمدام أعدة هنا ؟!

بدى التوتر واضحاً على تعابير وجهها وهي تجيبها بإرتباك :

-أنا يا دكتور آآ....

قاطعها بصوت محذر قائلاً :

-أحسنلك تشوفي شغلك كويس بدل ما تتجازي

-حــ.. حاضر

-ناقص نقلبها أعدة شعبي ..!

ثم حدج تقى بنظرات حـــادة وهو يوجه لها حديثه قائلاً بصوت جاف :

-برضوه لسه واقفة عندك ، اتفضلي !

أطرقت رأسها في خزي .. وتحركت ببطء لتبتعد عن الفراش ، ولكنها تسمرت مصـــــدومة في مكانها ، وخفق قلبها بشـــدة ، وإضطربت أوصالها حينما سمعت صوت (أوس) يناديها بخفوت :

-تــ... تقــى .... !!!

....

الفصل الخامس :

في المشفى الحكومي ،،،

في غرفة العناية ،،،

-تقــى .. !

قالها أوس بصوت ضعيف وهامس جعلها تتسمر في مكانها مصـــدومة ..

تسائلت بأنفاس لاهثة هل تتوهم ما سمعته تواً ، هل أحلام اليقظة بدأت تراودهــا ، فظنت أنه يخاطبها ...

-تــ... تقى !

قالها مجدداً بصوت أكثر همساً .. فأدارت رأسها نحوه ، وحدقت به بأعين مشدوهة .. فرأته يحرك رأسه للجانب .. ولكنه مغمض العينين ..

أســـرع الطبيب نحوه ، وتفقده بإهتمام ، فتابعته بأنظارها المذعـــورة ، ولم تنبس ببنت شفة ، وتجمعت أفكارها حول كونه يتحدث إليها ،

نظرت إليها الممرضة بضجر ، وأردفت قائلة بجدية :

-برا يا مدام الوقتي خليني أشوف شغلي

نظرت لها تقى بأعين لامعة ، وهمست بعدم تصديق :

-هو .. هو بيتكلم ! قـ.. قال اسمي !

ردت عليها ببرود قاسي :

-دي هلاوس البنج ، مافيش حاجة !

ثم قبضت على ذراعها ، وسحبتها للخلف وهي تتابع بضيق :

-من فضلك برا ماتجبليش مصيبة !!!!

توسلت لها بإستعطاف بائن في نبرتها :

-سبيني بس آآ....

قاطعتها بجمـــود وهي تتحرك بها إلى خـــارج الغرفة :

-لما يعدي مرحلة الخطر هتبقي تزوريه براحتك ، غير كده انتي هاتقطعي عيشي

همست تقى بإرتجافة قوية :

-أنا .. آآآ

نظرت لها بتحذير وقاطعتها بصوت حـــاد :

-من فضلك يا مدام ، متخلنيش أندم إني عملت معاكي معروف !

ثم إصطحبتها إلى خـــارج غرفة العناية ، وأغلقت الباب خلفها .. فوقفت تقـــى بمفردها وحيدة خائفة في الممر الكئيب وهي على وشـك الإنـهيار ..

طوقت جسدها بذراعيها لعلها تبث إلى نفسها شعورها بالآمـــان ، ولكن ما زاد هذا إلا من رعبها .. فهي دوماً وحيدة .. لا يساندها أحد إلا والدها الكهل ، والذي بات عاجزاً في الأشهر الأخيرة .. إستندت بظهرها على الحائط المشقق .. وتلفتت حولها بحسرة ..

نعم لا أحد معها ، لا أحد يشد من أزرها ويبث في روحها السكينة ..

هي ضعيفة ، قليلة الحيلة .. تجاهد للصمود ، لكنها تعبت وأرهقت .. ولم تعد تتحمل ....

هوت على الأرضية لتجلس ضامة ركبتيها إلى صدرها ، وأحاطتهما بذراعيها ، وإنتحبت بخفوت ..

....

في سيارة عدي ،،،

أرسلت السكرتيرة أرقــام صاحب موقع الصحافة الإخبارية - والذي نشر تلك الأخبار المغلوطة عن أوس الجندي- إلى عدي في رسالة خاصة ...

كز على أسنانه بحنق وهو ينتظر بفارغ الصبر رد صاحب الموقع عليه ..

ضرب بيده المقود ، وصاح غاضباً :

-ابن الـ ..... مش بيرد

مطت عفاف شفتيها وهي تضيف بحذر :

-اهدي يا عدي باشا ، كل حاجة بتيجي بالعقل

انفجــــر قائلاً بصوت حـــاد :

-عقل ايه السعادي !!!

زاغت عيني تهاني ، وتسائلت بتلهف أمومي حقيقي :

-ابني .. طمني عليه ، حصله ايه ؟

نفخ عدي بضيق وهو يضع الهاتف على أذنه :

-ثواني يا مدام تهاني

بعد لحظة سمع صوتاً أجشاً يأتيه من الطرف الأخر قائلاً :

-ألوو .. !

سأله عدي بنبرة محتدة وهو محدق أمامه بشراسة :

-انت وفيق ؟

رد عليه وفيق متسائلاً :

-مين معايا ؟

تابع هو قائلاً بقوة بادية في نبرته :

-أنا عدي عبد الرحمن مدير مكتب شركات الجندي للصلب ، وصاحبه لو متعرفتيش

تنهد الصحفي وفيق قائلاً بإستخفاف :

-أها ، تشرفنا

صــــاح عدي بغضب وهو مكور قبضة يده :

-ايه الكلام الغريب اللي انت نشره عن صاحب المجموعة ومراته

سأله الأخير بنبرة غير مبالية :

-قصدك مين ؟

أردف عدي قائلاً بسباب صارخ :

-ماتحورش بـروح أمك ، يعني مش عارف مين ؟

حذره وفيق بصوت هاديء بـ :

-اتكلم عدل معايا يا أستاذ ، وإلا هارفع عليك قضية سب وقذف ، انت مش عارف أنا أكون مين ، ولا ايه السلطة اللي في ايدي !!!

رد عليه عدي بنبرة تهديد غير مكترثة به :

-لأ الظاهر إنك انت متعرفنيش كويس ، أنا أقدر أقفلك موقعك وجريدتك وأشردك على الأخر !

سأله الأخير بنبرة جافة :

-ليه كل ده ؟

صـــاح عدي بنبرة جهورية متشنجة :

-انت عــارف ليييييه !

رد عليه وفيق ببرود مستفز :

-لأ مش عارف ، وضحلي !

صـــر عدي على أسنانه بقوة وهو يجيبه :

-أوس الجندي !

-أهــا .. ماله !

هــدر به بصوت محتقن :

-ايه التخاريف اللي بتكلم فيها عنه ؟!

أجابه وفيق بنبرة بـــاردة :

-وهو أنا جبت حاجة من عندي !

اشتعلت عيني عدي ، وزادت نظراته حدة ، وتسائل بشراسة :

-قصدك ايه ؟

رد عليه وفيق بتهكم واضح :

-يعني يا مدير مكتب الباشا ، يا اللي المفروض تكون عارف كل حاجة عن رئيسك ، الأخبار المنشورة صحيحة

فغر عدي فمه في عدم تصديق :

-نعم !

تابع وفيق حديثه بثقة بالغة :

-ايوه ، وكلها موثقة وبالصور ، مافيش حاجة عندنا متفبركة

صرخ به عدي مستنكراً :

-انت كداب

أردف وفيق قائلاً بهدوء مستفز :

-عيب عليك يا حضرت تقول كده ، ده حتى وحشة في حقي

صـــاح عدي بنبرة عدوانية مهددة :

-قسماً بالله هادمرك لو آآ...

قاطعه وفيق بجمـــود :

-طب ما تخطف رجلك عند مستشفى ((.......)) و هتتأكد بنفسك !

أضـــاف عدي قائلاً بتوعد حقيقي :

-لو طلع حرف واحد كدب من كلامك هاتتنسف ، مش بس مني ، لأ من أوس الجندي نفسه

رد عليه وفيق بنبرة مستفزة :

-بلاش تقول كلام مش أده ، احنا صحافة محترمة ، سلام يا أستاذ

ثم أنهى المكالمة على الفور ، فضغط عدي على شفتيه ليسب بوقاحة :

-يا ابن الـ .... يا ....

تسائلت تهاني بنبرة هلعة :

-ابني ! جراله ايه

جاهد عدي ليتمالك أعصابه ، وظل ينفخ بغضب .. ثم استدار برأسه للخلف ، وتشدق قائلاً بتشنج :

-مدام تهاني، أنا هوصلك على بيتك في الحارة ، وآآ...

قاطعته بإصرار شديد وهي تهز رأسها معترضة :

-لأ ... مش هاتنقل ولا أروح اي حتة إلا لما أشوف ابني ، ده روحي يا ناس !

تسائلت عفاف بحذر وهي تنظر بتوجس إليه :

-خير يا عدي باشا

زفـــر عدي بصوت واضح مجيباً إياها بحنق :

-أوووف ، واضح انه مش خير على الاخـــر

ثم ضغط على رقم هاتف شركة الحراسات الأمنية التابعة لشركات الجندي ، ووضع الهاتف على أذنه ، وأردف قائلاً بجمود :

-ألوو .. معاك عدي عبد الرحمن

ضيق عينيه أكثر ليكمل بقوة :

-عاوز مجموعة من الحراسة بس على أعلى مستوى تروحلي على مستشفى ((.....)) فوراً ، ويسألوا عن الباشا أوس ، ولو لاقوه هناك يتأمن المكان اللي هو فيه ، مش عاوز مخلوق يقربله .. سامع أي حد مهما كان مين ، وأي غلطة هتتحاسب فيها قصادي ، فاهم !!!!

ثم أنهى المكالمة ، وأدار المحرك لينطلق بالسيارة صوب المشفى ...

....

في مكتب المحامي أمجد سعفان ،،،،

ظل ســـامي يجوب غرفة المكتب ذهاباً وإياباً والغضب الممزوج بالإنفعال مسيطر عليه .. ثم توقف فجــأة عن الحركة ، وتحرك

في إتجاه المكتب ، وضرب بقبضتيه بحنق على سطحه ، وصــاح بغضب :

-أنا كده روحت في داهية ، أوس مش هايسكت غير لما يعرف مين اللي كان ورا محاولة قتله ، وينتقم منه

رد عليه أمجد بهدوء حذر :

-اهدى بس يا سامي بيه ، مافيش قلق

صــاح به سامي بصوت هــادر وهو يلوح بذراعيه في الهواء :

-عاوزني أهدى ازاي وأنا روحي على كف عفريت ، إنت مش شايف الخبر قالب الدنيا ازاي ؟!

إبتسم له أمجد مجيباً إياها بهدوء :

-لأ شايف ، وعادي جداً

أردف سامي قائلاً بسخط :

-يا اخي نفسي يبقى عندي برودك

أخــذ أمجد نفساً عميقاً ، وزفره على مهل ، ثم تحدث بنبرة متريثة :

-شوف أنا عاوزك تعمل اللي هاقولك عليه بالنص ، وأنا أضمنلك محدش هايفكر فيك

-هـــاه

تابع قائلاً بخبث :

-في الأول انت تكلم اخوك مهاب وتطمن منه على أوس ، وتعرف منه ايه أخر التفاصيل والأخبار اللي عنده ، وخصوصاً إن الموضوع بقى فيه عشيق وخيانة ، يعني زنا وكلام هيخدمنا أوي

لمعت عيني سامي ببريق شيطاني مخيف .. فحديث محاميه اللئيم أمجد قد أثاره بشدة ، وجعله يهدأ نوعاً مــا .. فتسائل بفضول :

-أها .. وبعدين ؟!

أراح أمجد ظهره في المقعد ، وأكمل بمكر :

-بعدها بقى تفضل ملازمله وتسانده ، واحنا هنشيل الليلة كلها من أولها لأخرها لحد تاني من الألاضيش !!

ضيق سامي عينيه في حيرة ، وقال مستفهماً :

-مش فاهمك ! تقصد ايه ؟

إنتصب أمجد في جلسته ، وحدق في عينيه بنظرات قاتمة ، وتشدق قائلاً بخســـة :

-شوف من الأخر كده هيلبس الحكاية دي كلها واحد سكة ، وأنا خلاص عرفت هايكون مين

جحظت عيني سامي وهتف بصدمة :

-اوعى يكون الواد آآ...

أومـــأ أمجد برأســـه إيجاباً وهو يرد عليه بصوت جاد :

-بالظبط .. هو اللي في بالك !

قهقه ســـامي عالياً ، وإرتخت ملامح وجهه المتشنجة ، وتابع بإعجاب مثير :

-ده انت طلعت دمـــاغ !!

أرجع أمجد ظهره للخلف مجدداً ، وإلتوى فمه بإبتسامة شيطانية وهو يضيف :

-ده انا بألعب بالبيضة والحجر ! هايستعصى عليا حتى جناية زي دي تتقلب لآداب وآآ.. انت فاهم بقى !

هتف سامي قائلاً بحماس :

-الله .. الله ! هو ده الكلام !

....

في قصـــر عائلة الجندي ،،،

انتفض مهاب مفزوعــاً من على مقعد مكتبه بعد أن ورده إتصالاً هاتفياً من كبير الأطباء بمشفاه ليبلغه فيه عن صحة خبر إصابة ابنه الوحيد بطلق ناري ، ثم صـــاح بإهتياج :

-منشور فين الكلام ده ؟

أجابه كبير الأطباؤ بتوجس :

-على الفيس بوك ومواقع الأخبار الإلكترونية

إتسعت مقلتيه بشراسة وهو يهتف بعدم تصديق :

-ابني أنا يتقتل !! طب ليه ؟ كدب ، استحالة يحصل !

ثم صــر على أسنانه بشدة ، وتسائل بغضب :

-انت متأكد من كلام الصحفي الغبي ده ؟ ولا أي كلام بيتنشر والسلام ؟

ابتلع كبير الأطباء ريقه ، وأجابه بنبرة مرتبكة :

-واضح انه مش هزار يا د. مهاب ، لأن .. لأن الموضوع داخل فيه المدام تقى كمان

إشتعلت حدقتي عينيه أكثر ، وصرخ بصوت مخيف :

-ميييين ؟

تردد كبير الأطباء وهو يجيبه بحذر :

-مـ.. مرات أوس باشا !

أطلق مهاب سبة لاذعة في حق تقى ، وتابع قائلاً بصوت آمـــر :

-هاتلي عنوان المستشفى اللي بيقول إن ابني فيها ، وجهز أكبر طقم طبي من عندنا ، ويسبقوني على هناك

-أوامرك .. !

ثم خطى مهاب مسرعاً نحو الخـــارج وعقله مشتتاً من هول المفاجــأة ...

....

في المشفى الحكومي ،،،،

لم تدرْ تقى كم مر عليها من الوقت وهي جالسة على الأرضية شـــاردة في آلامها ومرتعشة من البرودة التي تسيطر على جسدها الهزيل ...

ولكن تسرب إلى آذانها صوت ضوضـــاء قريبة ، فإرتجف قلبها بشدة ، وظنت أن الأســوأ قد حدث ..

فرفعت رأسها عالياً ، وأرخت ذراعيها عن ركبتيها ، وإستندت بكفها على الحائط لتنهض عن الأرضية ..

بدت مذعورة وهي تحاول استشفاف ما حدث ..

إلتفتت برأسها ناحية باب غرفة العناية ، وحاولت أن ترى ما يحدث بالداخل ...

كان السكون هو سيد الموقف ، فإنتبهت إلى وجود تلك الهمهات من الخـــارج ، فإستدارت بجسدها للخلف ، وصــارت ناحية الدرج ..

وإذ بها تتفاجيء بحالة من الهرج والمـــرج عليه .. أمعنت النظر في المتواجدين ، فرأت العديد من الأشخاص ذوي الملابس العادية والرسمية ، والكثير من كاميرات التصوير ..

جحظت بعينيها مصدومة ، وتسائلت مع نفسها بخفوت :

-هو .. هو في ايه ؟

انتبه لوجودها أحـد الأشخاص ، فصاح بصوت جهوري :

-مراته أهي ، بسرعة الحقوها

تراجعت متوجسة للخلف ، وزاد خوفها من إندفـــاع هؤلاء الغرباء نحوها ..

وفجـــأة تم إحاطتها بهم ، وسلطت العشرات من العدسات نحوها ، وسطع وميض الفلاشات بشدة ليزعج عينيها المتورمتين ..

تسائل أحدهم بصوت جــاد :

-ممكن يا مدام تقوليلنا جوزك اتصاب ازاي ؟

وأضـــاف أخر بصوت لاهث

-مين أعدائه ؟

وأردف أخــر قائلاً بصوت مرتفع :

-كنتو فين وقت وقوع الجريمة ؟

تشدق أحدهم متسائلاً بنظرات حادة :

-اشمعنى أوس الجندي تحديداً ؟

بينما تابع أخــر بفضول :

-هل في عداوات خفية مع أوس الجندي ؟

-ايه حقيقية وجود خلافات أسرية وزوجية ؟

-هل آآ....

نظرت لهم تقى بخوف ، وإرتعدت بشدة من أسئلتهم ونظراتهم الجريئة ، وحاولت الإحتماء منهم ، ولكنها كانت محاصرة رغماً عنها بسبب عددهم المتزايد ..

وضعت يديها على أذنيها لتصمهما ، وصرخت بإهتياج :

-ابعدوا عني ، سيبوني في حالي !

وضـع أحدهم يده على كتفها ، فإنتفضت وهي تشهق برعب من لمسته المباغتة لها ، ونظرت له بهلع .. وصاحت بصوت مرتعد :

-ماتلمسنيش !

رأت هي إبتسامة صفراء بغيضة تلوح على وجهه ، ثم سألها بقسوة :

-هل فعلاً في عشيق سري ليكي هو اللي حاول يتخلص من جوزك ، وآآ.. انتي فاهمة يعني يا مدام !

صرخت فيه بصوت محتج :

-اخرس

لوى فمه ليضيف ببرود قاتل :

-ممم.. ده مش كلامي على فكرة ، كل الأخبار بتقول كده ، إنك على علاقة بواحد !

احتقن وجهها بحمرة الغضب ، وبرزت عروقها ، وصرخت فيه بإنفعال:

-كدب .. كدب !

تشدق أخــر قائلاً بنزق :

-يعني دي جريمة مخططة ؟

بينما لاحقها ثالث بســؤال جدي قائلاً :

-ايه ردك في آآ...

تلفتت حولها بذعــر ، بحثت عن مخرج ، لكن لا مفر .. فالطوق محكم حولها ..

أصبحت أسيرتهم رغم حريتها ، مجرمة مدانة رغم براءتها .. و الأخطــر (زانية) رغم طهرها وعفتها ...

ورغم تلك الإتهامات المجحفة التي تشيب لها الرأس إلا أن تركيزها منصباً على حماية نفسها من لمساتهم الجريئة على جسدها وكأنهم استبحوه .. وكافحت لتبعد تلك الأيادي الممتدة نحوها ، وظنت لوهلة أنها محاطة بذئاب تبرز أنيابها بشراسة ، وعلى إستعداد تام لإغتنام الفرصة لإفتراسها إن إتيحت لهم .....

صرخت تقى مستغيثة :

-ابعدوا عني ، سيبوني ، لألألألألأ !

وفجــأة صــاح أحد ما من الخلف بصوت غليظ وجهوري :

-ايه الدوشـــة اللي هنا ؟

التفت المعظم نحو مصدره ، فرأوا طبيباً كبير السن يرمقهم بنظرات حادة ، فتسائلوا عن هويته فيما بينهم ، بينما تابع قائلاً بإنزعـــاج وهو يلوح بيده :

-مين اللي سمحلكم تيجوا هنا ؟

صدرت همهمات عالية مختلطة ، لم يفهم منها ذلك الطبيب المسن أي شيء ..

في نفس الوقت لكز حمدي حُسنية في كتفها قائلاً بخسة :

-دي فرصتنا يا بت عشان نستفرد بالمدام ونعرف تفاصيل منها

سألته بحيرة :

-عاوزني أعمل ايه ؟

أجابه بخبث وهو محدق في تقي :

-خشي جريها من وسط الجرمــأ (الحشد) ده ، وهاتيها معاكي على أوضة التمريض .. محدش فيها الوقتي ، واحنا هنسألها هناك على استفراد ، ها فهمتي ؟

-أيوه يا عصفورة

وبالفعل تحركت حسنية تجاه التجمع المحيط بتقى ، ثم اخترقت صفوفهم لتتمكن من إنتشالها ، ومن ثم إحتضنتها بذراعيها ، وصاحت بجدية :

-تعالي معايا يا مدام .. !

إلتفتت لها تقى بأعينها اللامعة ، ورمقتها بنظرات راجية لتنجيها مما هي فيه .. فإحتوتها الأخيرة ، و إندفعت بجسدها بقوة لتتمكن من إخراجها من وسطهم وهي تضيف بحدة :

-وســع يا أخ انت وهنا .. اوعوا كده !

أُجبر الصحفيين على إفســاح الطريق لهما ، فتنفست تقى الصعداء ، وتسرب إليها بريق أمل بعد تدخل إحداهن لتساعدها في محنتها تلك ..

ابتسمت لها حسنية قائلة بخفوت وهي تشير بعينيها :

-من هنا يا مدام

رمقتها تقى بنظرات ممتنة ، وهمست بضعف :

-انتي آآ..

صـــاح حمدي بجدية ليقاطعها من بعيد وهو يشير بيده :

-هاتيها يا حُسنية ، الأوضة دي فاضية !

أومـــأت حسنية برأسها ، وظلت تضم تقى بذراعها ، واتجهت بها نحو غرفة الممرضــات ليحتمي ثلاثتهم بها ...

....

هتف الطبيب المسن بصوت غاضب بعد رحيل تلك البائسة التي استضعفوها :

-فين الأمن هنا ؟ ازاي يسمحوا بالعدد ده يدخل بدون ما يتصرف ويمنعه !

رد عليه أحدهم بنبرة جــافة :

-احنا صحافة ولينا الحرية في السؤال ، والجمهور يهمه يعرف التفاصيل !

-بالظبط كده ، محدش يقدر يمنعنا نوصل للي احنا عاوزينه

إغتاظ الطبيب المسن من ردودهم المستفزة ، وهتف بغل :

-دي العناية ، يعني في مرضى وآآ..

قاطعه أخــر بنبرة غير مكترثة :

-احنا بنعملك شهرة للمستشفى التعبانة بتاعتك دي

صــاح فيه الطبيب بصوت محتقن ومتعنت :

-هي مش بتاعتي ، دي بتاعة الدولة ، ولو عندك اعتراض عليها روح اكتب عنها في جرنالك !

ابتسم له أحدهم قائلاً بسخط :

-ماتحبكهاش يا دكتور ، ما كلنا عارفين اللي فيها

لـوى فمه ليرمقهم بنظرات مهينة ، وصــاح بنبرة أكثر حدة :

-محدش هايستنى هنا لحظة ، يا أمــن !

وتحرك في إتجاه الدرج ليتابع بصراخ :

-انتو يا تمرجية يا اللي هنا ! مشوا العالم دي كلها

....

صـــب حمدي بعض المياه من الدورق الزجاجي في كوب بلاستيكي ، ثم غمـــز لحسنية بطرف عينه ، فأومـــأت الأخيرة برأسها بخفة بعد أن فهمت مقصده ..

اقترب حمدي من المقعد الخشبي ، ومد يده بالكوب لتقى ، وأردف قائلاً بهدوء :

-اشربي يا مدام ، بلي ريقك ، ناس معندهاش دم

أمسكت هي بالكوب بأصابع مرتجفة ، وارتشفت بشراهــة كل محتواه ..

زمت حسنية فمها لتضيف بتعاطف زائف :

-عيني عليكي يا مدام ، اتكاتروا عليكي واستضعفوكي

ثم رسمت ابتسامة مصطنعة على ثغرها وهي تضيف بثقة :

-بس ولا يهمك ، طول ما حسنية هنا ماتشليش هم أيتها حاجة ، ما تقولها يا عصفورة !!

شعرت تقى بالدوار يصيبها ، وبحالة من الغثيان تسيطر على معدتها ، فهمست بصوت واهن :

-أنا .. أنا تعبانة

ردت عليها حسنية بحزن مبالغ فيه :

-اه يا حبيبتي ، من كبستهم عليكي ، نفسهم يخنق ويهد !!

أسندت تقى يدها على مقدمة رأسها ، وتأوهت قائلة :

-آآه ..

حرك حمدي رأسه ، وصاح بجدية وهو يضيق عينيه :

-سيبها يا حسنية ، برضوه اللي حصل معاها مش قليل !

هتفت حسنية بضجر وهي تزم تلوي ثغرها للجانبين :

-ايوه ، الضاكتور بيقول جوزك – ربنا يشفيه – حالته خطيرة ، ولو عدى الكام يوم دول على خير في أمل انه يعيش !

نظرت لها تقــى بقلق ، وابتلعت ريقها متوجسة من مخاوف تطور حالته الصحية للأســوأ ..

أضـــاف حمدي قائلاً بجدية :

-ربنا على الظالم والمفتري ، الحكومة مش هاتسكت ، ده راجل واصل ومعارفه كتير !

تنهدت بإنهاك لتقول :

-عندك حق يا عصفورة !

غمـــز لها حمدي ففهمت هي مقصده ، ووضعت يدها على ذراع تقى ، وهمست بخبث :

-ألا يا ست الهوانم هما ضربوه ليه بالنار؟ مين اللي عمل كده وعشان ايه ؟

إغتاظ حمدي من طريقتها الهوجـاء في معرفة أدق التفاصيل من فريستهما السهلة ، فنهرها وهو يرمقها بنظراته المشتعلة :

-ما بالراحة يا حسنية عليها ، داخلة هجم بالأسئلة !!!

ثم أخفض من نبرة صوته ليضيف :

-سيبها تاخد نفسها وتحكيلنا بالراحة عن اللي حصل !

احتقنت عيني تقى ، وتشنجت تعابير وجهها .. وهتفت بإنفعال وهي تنهض عن المقعد :

-أنا عاوزة أمشي من هنا

أصابتها تلك الحركة المفاجئة بدوار شديد ، وكاد توازنها يختل ، فأسرعت حسنية بإسنادها ، وهتفت بقلق زائف :

-بالراحة يا مدام ، اقعدي بس

ثم أجلستها على المقعد ، فإختنق صوت تقى وهي تهتف بـ :

-كفاية بقى .. مش عاوزة أسمع أي حاجة ، سيبوني في حالي !

ردت عليها حسنية ببرود :

-حاضر يا مدام ، اهدي !

استشاط حمدي أكثر ، وكز على أسنانه قائلاً بنفاذ صبر :

-تعالي يا حسنية ، سيبي الهانم تريح ، وخشي اعمليلي شاي

نظرت له حسنية بإستغراب ، فرمقها هو بنظرات أكثر شراسة ، فلوت فمها ، وابتعدت عن تقى ..

فأمسكها حمدي من ذراعها ، وسحبها بعيداً في الغرفة الداخلية الملحقة بها ليوبخها بصوت خافت :

-ايه يا ولية العتة اللي نزل على مخك فجـأة ؟!

ردت عليه بتبرم وهي ترفع حاجبها للأعلى مستنكرة :

-في ايه يا عصفورة ، مش أنا بأعمل اللي قولتلي عليه بالحرف

رمقها بنظرات إحتقارية وهو يقول بتهكم :

-ده انتي خربتيها على الأخر

ردت عليه بضجر :

-الله ! يعني كنت ألف وأدور ، ما أنا فهمي على أدي

بصق أمامه قائلاً بصوت هامس :

-غبية !

نظرت له بغيظ ، وسألته بإقتضاب :

-بتقول ايه ؟

رد عليها بحذر وهو يفرك وجهه :

-اسكتي بقى الوقتي ، وخليني أفكر هاوصل منها للي أنا عاوزه ازاي !!!

في نفس التوقيت استغلت تقى الفرصة لتتسلل من الغرفة دون أن تصـــدر أي جلبة حتى تهرب من حصـــار الأسئلة الذي يطاردها أينما ذهبت .. ولا حاجة لها الآن للخوض في جدال بشــأن ما يخصها مع كائناً من كان ..

....

أمـــام باب المشفى ،،،

وصلت عدة سيارات دفع رباعي مليئة برجـــال أشداء من ذوي الملابس الرسمية أمـــام باب المشفى ..

نظر العاملون بالمكان بإندهـــاش إلى هيئتهم ، وتسائلوا بتعجب عن هويتهم ..

دلف الجميع إلى الداخـــل ، وأسرع أحدهم في خطواته ليتجه إلى الإستقبال ، وتسائل بجمود مخيف :

-أوس باشا الجندي هنا ؟

نظرت له الممرضة بتعجب ، وفغرت فمها قائلة :

-هـــاه .. مين

حدجها الحارس الشخصي بنظرات قوية ، وتسائل مجدداً بصرامة :

-الباشا أوس الجندي موجود هنا ولا لأ ؟

ابتلعت ريقها ، ورمشت بعينيها في رهبة منه ، وردت عليه بتلعثم :

-ثـ..ثانية كده هاشوف قدامي ، أنا اصل الشفت بتاعي بادي من شوية وآآ...

قاطعها بصوت صـــارم وغليظ :

-مش عاوز رغي ، بسرعة شوفي الاسم قدامك !

أحـــاط به باقي رجـــال الحراسة ، وتوترت الممرضة وهي تبحث عن اسمه بين كشوف المسجلين .. ثم هتفت بصوت مرتجف :

-اه .. هو هنا ، وخرج من العمليات وفي العناية آآ..

قاطعها مرة أخرى متسائلاً بصوت جاف :

-مكانها فين ؟

أشـــارت بيدها للأمام وهي تجيبه بصوت مضطرب :

-فوق في الدور التاني ، بس الأسانسير عطلان ، والسلم من هناك

تحرك الجميع في إتجـــاه الدرج .. وتسابقوا في الصعود عليه .. وبدأ المصورون والصحفيون المتواجدون في المكان بإلتقاط الصور لهم للحصول على سبق صحفي .. ولكنهم تفاجئوا بهم يدفعونهم جبراً بعيداً عن الطابق الثاني .. فإعترض أحدهم بـ :

-ماينفعش اللي بتعملوه ده

لم يعبأ بهم رجال الحراسة ، بل استمروا في إبعاد الجميع ، فتذمر أخــر :

-هانشتكي في النقابة عن تصرفاتكم الهمجية

إلتقط أحد المصورين صورة فوتغرافية لما يحدث ، فرأه حارس منهم ، فجذب الكاميرا منه عنوة ، وسحب كارت الذاكرة منها .. فصاح صاحبها غاضباً :

-هات الكاميرا بتاعتي ، هوديك في داهية !

رمقه الحارس بنظرات إحتقارية ولم ينبس ببنت شفة ، وحطم الكارت بقبضتيه ، فصرخ الأخير منفعلاً :

-لألألألأ .. !!!

....

ســـارت تقى في طريقها عائدة إلى غرفة العناية لعلها تتمكن من رؤية أوس مجدداً وتحتمي بها .. فهي الملاذ الوحيد والأمن لها من كل الذئــاب .. ولكنها تسمرت في مكانها مشدوهة من هول المنظر .. فلم تتوقع أن يتواجد هؤلاء الرجال الضخام المشابهين لحراسة أوس بالممر .. ويبعدون بلا تردد كل من يعيق طريقهم ..

رأها أحدهم فإقترب منها وصاح بها بقوة :

-اتفضلي يا استاذة من هنا بالذوق بدل ما تتبهدلي

إرتعش جسدها من تهديده ، وإنكمشت على نفسها أكثر ، و

كانت على وشك الرد والقول أنها زوجة أوس الجندي ، ولكنها خافت من هيبة هذا الرجل .. ومن ملامحه القاسية .. وظنت أنه ربما ينعتها بالكاذبة ويتطاول عليها باللفظ واليد .. خاصة بعد أن لمحت بطرف عينها ما يفعله البقية مع المتواجدين .. فخشيت على نفسها منه ..

ولكن قطع تفكيرها المضطرب صوت الحارس الغليظ وهو يشير بكفه محدجاً إياها بنظرات عدائية :

-يالا يا أستاذة من هنا

هزت رأسها موافقة بخوف ، فقد إرتعدت من أن تطالها يده ، ويعاملها بعنف ، وهي لن تتمكن من مقاومته .. وقبل أن تنصرف حانت منها إلتفاتة أخيرة نحو باب غرفة العناية ، وتنهدت بإرهاق .. ثم ســارت بحذر في إتجاه الدرج ..

زادت حيرتها فهي لا تعرف إلى أين تذهب .. وليست على ما يرام ، كذلك لا يوجد معها أي مبلغ نقدي تستخدمه للعودة إلى منزلها ..

استمرت في السير بخطوات متعثرة ، وراقبت الحارس الذي يلاحقها كظلها بتوجس ، ولكن أوقفها صوتاً مألوفاً سمعته من قبل يناديها قائلاً بنبرة عالية وقوية :

-تقى ، استني ....!!!

....

الفصل الســادس :

في السجن النســـائي ،،،،

تلفتت ناريمـــان حولها بذعــر ، وبدت أكثر إرهاقاً وعجزاً وهي تتطلع إلى هياتم الجالسة قبالتها .. كذلك تجمعت الهالات السوداء بكثافة أسفل عينيها .. واعتلى الشيب رأسها ..

لم تتوقع الأخيرة أن ترى سيدة الأعمـــال الراقية بتلك الحالة الرثة والمزرية .. خاصة بعد أن تلقت منها مكالمة تطلب فيها لقاءها في زيارة رسمية بمحبسها ..

نظرت لها بإشفـــاق وهي تسألها بهدوء حــذر :

-خير يا مدام ناريمان ؟ حضرتك طلبتي مقابلتي هنا ليه؟

حدقت بها ناريمان بنظرات خائفة ، ومدت يديها المرتعشتين نحوها لتمسك بكفها ، وهمست بصوت مبحوح :

-انتي الوحيدة اللي هاتقدري تساعديني يا هياتم

ضيقت هي عينيها بشدة ، وأردفت قائلة بجدية وهي تسحب كفيها للخلف :

-بس أنا مش محامية ولا آآ...

قاطعتها ناريمان بتلهف :

-أنا عارفة ، بس معنديش حد أثق فيه غيرك

-مدام ناريمان ، حضرتك عارفة من بعد اللي حصل واتكتب واتقال ، أنا .. انا مقدرش آآ...

رمقتها بنظرات أكثر رجاءاً ، وهتفت بإستعطاف :

-أرجوكي يا هياتم ، ماتتخليش انتي كمان عني .. صدقيني أنا بريئة ، مقتلتش حد .. ده .. ده ملعوب اتعمل عليا

قطبت هياتم جبينها ، ورددت بإهتمام :

-ملعوب !

هزت رأسها بصورة هيسترية وهي تجيبها :

-ايوه .. ده من جوزي الحقير مهاب الجندي

تعجبت مما قالته ، وبدى على وجهها الإندهــاش .. وتسائلت بفضول :

-طب وايه اللي هايخليه يعمل كده ؟

ابتلعت ناريمان ريقها ، وردت عليها بنبرة مرتعدة :

-عشان يخلص مني ، و..وياخد كل فلوسي

أرجعت هياتم ظهرها للخلف ، فحديثها لم يكن مقتنعاً على الإطلاق ، وأردفت قائلة بإنكار :

-بس دكتور مهاب مش بالغباء ده عشان يعمل كده ، سامحيني في اللي هاقوله ، هو مش محتاج فلوسك !

إتسعت حدقتي ناريمان بشراسة ، وقالت بحنق :

-انتي مش عارفة حقيقته ، مهاب ممكن يعمل أي حاجة عشان مصلحته !

عقدت ساعديها أمام صدرها ، وتسائلت ببرود :

-والمطلوب مني ؟

هتفت بتلهف وهي محدقة بها :

-عاوزاكي تقفي جمبي .. عاوزاكي تكلمي الجمعيات النسائية والحقوقية عشاني

زمت شفتيها قليلاً ، وردت عليها بجمود :

-خلينا واقعين يا مدام ناريمان ، معتقدش إن في حد في ظروفك دي ممكن يوافق انه آآ...

قاطعتها بجموح :

-لأ هيوافقوا لو عرفوا ماضي مهاب القذر !

أرخت ساعديها لتنظر لها بإندهاش :

-هـــاه ، قصدك ايه ؟

....

عند المشفى الحكومي العـــام ،،،

وصــل عدي بسيارته عند المشفى المذكـور ، ودقق النظر حوله ليتأكد من أنه المكان المنشود ..

اعتلى وجهه نظرات إشمئزاز وتأفف وهو يرى الهيئة العامة للمبنى ..

صـف السيارة أمـــام المدخل ، وترجل منها ثم ســار بخطوات أقرب للركض وهو يتحدث في هاتفه المحمول قائلاً بجمــود :

-أنا عند البوابة ، انتو فين ؟ أهـــا .. تمام

ترجلت تهاني وكذلك عفاف من السيارة ، وتسائلت الأخيرة بنبرة حائرة :

-هو احنا المفروض هنعمل ايه هنا ؟

هتفت تهاني بنبرة متوترة :

-أنا عاوزة أطمن على ابني

ابتسمت لها إبتسامة صافية لتقول :

-إن شاء الله تطمني عليه

أشـــارت بيدها وهي تهتف بإضطراب :

-خلينا نحصل عدي بيه

ســـارت الإثنتين بخطوات سريعة في محاولة منهما للحاق بعدي الذي ولج إلى الداخـــل واختفى عن أنظارهما ...

....

ظهرت علامات الإمتعاض على محيا عدي ، ولوى فمه في تقزز جلي بعد أن رأى الهيئة العامة للمشفى المتواجد به رفيق عمره أوس الجندي ..

ركض ناحيته أحد رجـــال الحراسة الخاصة ، وهتف قائلاً بنبرة رسمية :

-عدي باشا اتفضل من هنا

أســـرع أحد الممرضين خلفهما ، وتسائل بغموض :

-على فين العزم يا بهوات ؟

التفت عدي برأســـه نصف إلتفاتة ليرمقه بنظرات احتقارية ، قبل أن يستدير ليكمل سيره دون أن ينبس ببنت شفة ..

لوى الممرض فمه قائلاً بضيق :

-ماله ده ؟!

رأى بعض المصورين عـدي وهو يصعد على الدرج ، فتسابقوا لإلتقاط صور حصرية له لإضافتها للأخبار المتعلقة بقضية الموسم ...

وأردف أحدهم متحدثاً بلؤم :

-واضح كده إننا هنعمل أحلى شغل

رد عليه أخر بسعادة :

-أه طبعاً ، هما دول أي ناس

تسائل صحفي ثالث بجدية :

-تفتكر إن الموضوع فيه خيانة صحيح ولا اشاعات ؟

رد عليه زميله :

-مش عارف ، بس هيبان لما أوس الجندي يفوق ويقول الحقيقة

تمكن أحدهم من الوصــــول إلى عدي ، وسأله بنبرة مرتفعة :

-عدي باشا ! إيه تعليقك في اللي حصل لرائد صناعة الصلب ؟ وما قولك في الإتهامات المنسوبة لزوجته بوجود عشيق سري يقف وراء محاولة إغتياله ؟

لم يتمكن عدي من السيطرة على إنفعالاته ، حيث انقض على الصحفي ، وتمكن منه ، وأمسك به من تلابيبه ، وجذبه بعنف نحوه ، وصــاح فيه بغلظة وهو يكز على أسنانه بشراسة جلية :

-اخــرس ! قسماً بالله أدفنك لو نطقت بكلمة زيادة عنه !

ابتلع الصحفي ريقه ، و تابع بصوت مختنق :

-ده .. ده مش كلامي ، كله منشور على المواقع ، وأنا .. وأنا بس بسألك عن .. عن رأيك

حدجــه عدي بنظرات مميتة ، ثم دفعه بعنف للخلف ليهتف بصوت حــاد يحمل الإهانة لرجال الحراسة :

-ابعدوا الأشكال دي عن هنا

وبالفعل امتثل أفراد الحراسة لأوامره ، وأزاحوا عن طريقه كل من يعترضـــه حتى يتمكن من الصعود للأعلى ..

....

في غرفة الممرضـــات ،،،،

أمســـك حمدي عصفورة الممرضة حسنية من ذراعها ، وضغط عليه بقسوة وهو يوبخها :

-حتى في دي كمان غبية ! معرفتيش تاخدي بالك من الولية

تشدقت قائلاً بصوت حانق :

-ياباي .. ما أنا كنت واقفة معاك ، كنت أعمل ايه ؟

ضرب مقدمة رأسه بكفه ، وأجابها بنزق :

-تفتحي مخك شوية ، وتصحصحي معايا ، أدينا خسرنا المصلحة

ردت عليه بعدم اكتراث :

-يعني هي هاتروح فين ؟ ما هو طول ما جوزها هنا هتلاقيها موجودة في أي حتة

رمقها بنظرات ساخطة ليقول على مضض :

-هاتفضلي طول عمرك كده ، غبية ، وفهمك على أدك

ثم لكزها في كتفها ليهتف بصوت منزعج :

-اتنيلي شوفيها راحت فين

تقوس فمها لتجيبه بإمتعاض :

-طيب .. ماتزوءش !

....

سمعت تقى صوتاً تألفه يناديها بصوتها بقوة أوقفتها ، فأدارت رأسها نحوه مصدره لتجد عدي يتجه نحوها ..

تنفست الصعداء لوجود أحـد ما تعرفه ، وإرتخت قسمات وجهها المتشنجة إلى حـد ما ..

اقترب الحارس منها ، ودفعها بعنف للأمـــام من كتفها ، فكادت تسقط على وجهها ، فتأوهت من الآلم ، وهتف قائلاً بضيق وهو يشير بيده :

-يالا يا أستاذة من هنا بدل ما أستخدم اسلوب مش هتحبيه، وآآ.....!

قاطعه عدي بصوت محتد وهو يرمقه بنظرات نارية :

-انت اتجننت ، مش عارف دي مين ؟

ابتلع ريقه ، وأطرق رأســـه في خزي ليجيبه :

-يا باشا دي آآ...

قاطعه بنبرة حـــادة :

-اخرس خـــالص ، دي مدام تقى ، مرات الباشا أوس

نظرت له تقى بذهـــول .. فلم تتوقع منه أن يعاملها معاملة انسانية راقية .. فهي لم تعتد سوى على الإهانة والعنف من غيرها ..

لكنها تفاجئت بتصرفه ، وكأنه أعـــاد لها كرامتها ...

وضع عدي يده على كتفها ، وأضـــاف قائلاً بهدوء حذر وهو يشير بعينيه :

-تعالي معايا

هزت رأسها موافقة وســـارت معه للأمـــام بعيداً عن الحرس المتواجدين بالممر ..

أخـذ عدي نفساً عميقاً وحاول أن يسيطر على حالة الإنفعال المتمكنة منه ، وسألها بوجه عابس ومتشنج :

-حصل ايه بالظبط ؟ يا ريت تفهميني ، أنا مش هاسمع لأي كلام تاني اتقال برا ، وهاسمع منك إنتي ..

نظرت له بقلق بالغ .. وتلاحقت أنفاسها وهي تحاول إسترجاع تلك اللحظات المؤسفة التي مرت بها مع أوس قبل لحظة اغتياله ..

انزعـــج عدي من صمتها ، وظن أن للأمر علاقة بما أكده الصحفي ، وأنها تحاول إختلاق كذبة ما مقنعة .. لذا صـــاح بصوت شبه هـــادر :

-اتكلمي ، ماتفضليش ساكتة كده ، حصل ايه مع أوس ومعاكي ؟ الموضوع فيه واحد يخصك ؟؟؟؟

اتسعت مقلتيها في صـــدمة كبيرة ، وإنفرجت شفتيها بذهــول واضح .. هو يظن كما وصل إلى مسامعها ومما ردده الصحفيون بأنها على علاقة آثمة بشخص ما أراد التخلص من زوجها ..

تبدلت ملامحها للتجهم ، وزاد تشنج قسمات وجهها .. وبرقت عينيها بصورة مخيفة ..

أمسك عدي بذراعيها ، وهزها بعنف وهو يهتف بها بنفـــاذ صبر :

-ردي .. قوليلي حصل ايه ؟!!!

انتفض جسدها فزعاً منه .. وأجابته بصوت مبحوح :

-أنا ... أنا معملتش حاجة !

صاح بها بغضب :

-اومال ايه اللي بيتقال ده ؟

ردت عليه بإنكار وهي تهز رأسها بصورة هيسترية :

-معرفش .. معرفش

ثم انفجــرت بالبكاء المرير أمامه .. فقد ظلمها هو الأخـر ظلماً بيّناً ، فهي تشمئز من حالها مع الرجال ، وتبغض قربهم منها

خاصة بعد تجربتها السيئة مع أوس ، وكانت تتحشاه قدر المستطاع .. فكيف تتهم بتلك التهمة النكراء .. فكيف يصدق عنها عدي هذا ، ويتهمها في عرضها وشرفها ..

في نفس التوقيت وصلت عفاف وتهاني إلى المكان ، ورأت كلتاهما عدي وهو ينفعل على تقى بشراسة ، فهتفت بهاني بخوف :

-عدي بيه ، بـ .. بتعمل ايه ؟

سألته عفاف هي الأخرى بقلق :

-خير يا عدي باشا ؟

أرخى عدي قبضتيه عنها ، ونفخ بصوت مسموع ، ثم فرك وجهه بكفه ، وضرب الحائط بقبضته الأخرى .. ثم تركها وانصرف متجهاً نحو غرفة العناية ...

دفنت تقى وجهها بين راحتيها ، وأجهشت ببكاء أشـد .. بكاء المظلوم الذي تتكالب عليه الظروف لتزيده قهراً ..

ركضت نحوها تهاني ، وأحاطتها بذراعيها لتضمها إلى صدرها ، ومسدت على رأسها لتسألها بصوت حاني :

-بنتي ! جرالكم ايه ؟ قوليلي على اللي حصل طمنيني ؟

ردت عليها تقى بصوت خافت ومختنق :

-مـ.. مظلومة

سألتها بنبرة أمومية متلهفة :

-ابني أوس فين ؟

أبعدت تقى وجهها لتنظر لها بعينيها الباكتين ، وأجابتها بصوتها المختنق :

-هـ.. هناك ، في الأوضــة دي

إرتخت ذراعي تهاني – عفويًا – عنها ، وسلطت أنظارها على باب تلك الغرفة التي أشارت إليها ..

اعتصـر الآلم صدرها ، وإنقبض قلبها خوفاً على ابنها الوحيد ..

ســارت كالمغيبة نحوها .. ولم تستمع إلى نداءات المدبرة عفاف المتكررة لها ..

تنهدت الأخيرة بأسف على حــال الجميع .. فما يحدث ليس بالأمــر الهين..

اقتربت من تقى ، ووضعت يدها على كتفها ، وهمست لها بحنو :

-اهدي يا بنتي ، كل حاجة هتتعدل

-مافتكرش

أجابتها تقى بنشيج واضح وهي تمسح عبراتها عن وجنتيها ..

....

في نفس التوقيت ، قـــام حمدي عصفورة بتسجيل ما دار بين عدي وتقى من خلال مقطع فيديو ، وإلتوى فمــه بإبتسامة وضيعة ، وهي يحدث نفسه بخسة :

-وربنا لأعمل أحلى شغل بالفيديو ده .. يااااه يا عصفورة ، أخيراً طاقت القدر اتفتحتلك ، والفلوس هتنزل على دماغك زي النطرة (المطرة)

سألته حسنية بفضول وهو تشرأب بعنقها للأعلى :

-ها صورتهم ؟

نهرهــا بصوت منخفض وهو يكز على أسنانه :

-ششش .. بس يا ولية لحسن تفضحينا

مطت فمها لتقول بهمس :

-يا باي .. مش بأطمن

....

بداخــل غرفة العناية ،،،،

تسمـــــر عدي أمـــام فراش رفيقه – أوس – غير مصدقاً ما أصابه ..

أدمعت عينيه بلا وعــي وهو يراه ساكن أمامه والأجهزة الطبية موصولة به ..

تحرك نحوه وهو يحدثه بصوت شبه متشنج :

-قوم يا صاحبي ! مين امتى حد بيقدر يجي عليك ؟ ده .. ده انت أوس الجندي ،

ابتلعت غصة مريرة في حلقه ، وتابع بصعوبة بعد أن جلس على طرف الفراش :

-مافيش حاجة بتأثر فيك ، أنا عارف ده كويس ومتأكد منه .. فوق يا صاحبي ، هاعمل ايه من غيرك !

أخــذ نفساً عميقاً ، وزفره قائلاً :

-العالم اللي برا دول مستنينك تقع عشان تنهش فيك ! بس .. بس أنا مش هاسمحلهم ، هامنع أي كلب يجيب سيرتك بكلمة لحد ما تفوق وتاخد حقك بنفسك !

ضغط على شفتيه بقوة وهو يضيف بتهديد :

-وقسما بالله لهنتقم من اللي عمل فيك كده .. حتى .. حتى لو كان من أقرب الناس !

ولجت تهاني هي الأخــــرى لداخل الغرفة لتستمع إلى ما قاله عدي فينفطر قلبها حزناً على ابنها ..

لقد أرادوا قتله ، ونالوا منه .. وهو الآن في عالم لا يعي فيه ما يحدث من حوله

أصدرت نحيباً خافتاً حسرة وأسفاً عليه..

انتبه عدي لوجودها ، فكفكف عبراته ، وانتفض واقفاً من مكانه ، وأدار رأسه في اتجاهها ، وأردف قائلاً بصوت متحشرج :

-تعالي يا مدام تهاني !

صُعقت – كــأم – من رؤية ابنها بين الحياة والموت .. وتسارعت دقـــات قلبها حتى كادت تصم أذنيها ..

وضعت يدها على فمها لتكتم شهقاتها المتتالية .. وزاد أنينها وهي تتأمله ..

ســـارت بخطوات ثقيله نحوه .. واقتربت من وجهه ، وظلت تهز رأسها مستنكرة رؤيته على تلك الحالة الحرجة ..

وضعت يدها على جبينه ، ومسحت عليه بحنية بالغة ، وهمست بصوت لاهث :

-ابني .. عملوا فيك ايه يا حبيبي ؟ يا ريتني كنت مكانك ! يا ريتهم قتلوني وسابوك انت تعيش وتتمتع بشبابك ! آآآآه ... يا حرقة قلبي عليك .. ملحقتش أتهنى بوجودك في حياتي ولا متعت عيني بيك .. آآآآه .. عملوا كده ليه ؟ بيحرموني منك ليه يا حبيبي ؟؟ آآآآه !

لم يقاطعها عـدي .. بل ترك لها العنان لتعبر عن مشاعرها كأم مكلومة ، فهي تنطق بأريحية عما يريد التعبير عنه .. فهو كرجل يجد صعوبة في إبراز مشاعره دون تزييف ....

....

كذلك وصــل مهاب إلى ذلك المشفى البائس ، ولحق به طاقم طبي على أعلى مستوى لفت جميع أنظـــار المتواجدين ..

ولكن لم يتجرأ أحـد على التدخل أو السؤال .. فهيئتهم جميعاً تشير إلى مدى سلطتهم وقوتهم ..

انتظر الطاقم الطبي بالخــارج لحين وصــول مهاب .. وكان على رأسهم كبير أطباء مشفاه ..

أوقف السائق السيارة ليترجل منها مهاب ، فركض ناحيته كبير الأطباء وهتف بجدية :

-ده المكان يا د. مهاب

رمقه مهاب بنظرات حادة وهو يسأله بصوت غاضب :

-انت واقف لسه عندك ؟ ابني متاخدش من فوق ليه ؟

تنحنح بصوت خافت ، وأجابه بنبرة شبه متقطعة :

-احنا .. احنا كلنا كنا منتظرين معاليك

صاح بنبرة غليظة وهو يشير بإصبعه :

-اتحركوا بسرعة ، عاوز ابني يتنقل عندي بدل ما هو قاعد في المزبلة دي

رد عليه كبير الأطباء بصوت خافت :

-أوامرك يا دكتور مهاب

ثم إستدار برأســـه للخلف وهتف بجدية :

-يالا يا دكاترة .. مش سمعتوا الباشا !

....

أجلست عفاف تقى على المقعد المعدني ، وجعلتها تسند رأسها على كتفها ، ثم أحاطتها بذراعها لتبث لها الأمـــان أكثر ..

تنهدت هي بعمق ، وأردفت قائلة بخفوت :

-اطمني يا بنتي ، كله هايبقى خير

ردت عليها تقى بنبرة واهنة :

-أنا .. أنا خايفة أوي ... مافيش حاجة بترجع زي الأول ، وأنا .. وأنا حاسة إني لوحدي ! مافيش حد معايا

ضغطت عفاف بأصابعها على ذراع تقى ، وهمست لها :

-متقوليش كده .. كلنا موجودين جمبك ، وبكرة هايفوق الباشا أوس وهتلاقيه معاكي

-مافتكرش !

....

إلتقطت عدســات المصورين لحظة دخــول مهاب الجندي إلى المشفى ، وزادت حماستهم لسؤاله عن مصير ابنه ..

وما إن رأه الحرس حتى إلتفوا حوله ، وشكلوا حائطاً بشرياً لمنع أي أحد من الإقتراب منــه .. ودفعوا بشراسة من دنا منه ..

-من هنا يا فندم

قالها أحد رجال الحراسة وهو يشير بيده للأعلى

ظل وجــه مهاب متجهماً للغاية ، وعبرت نظراته عن مدى اشمئزازه وتقززه من هذا المكان الكريه ..

اتجه نحو الدرج ، وصعد عليه بسرعــة ، ومعه كبير الأطباء .. وفريق الأطباء ..

هتف أحد المصورين قائلاً بإستخفاف :

-هو وزير الصحة جاي زيارة ولا ايه ؟

نظر له زميله بإستغراب ، وسأله متعجباً :

-انت مش عارف ده مين ؟

رد عليه بهدوء :

-لأ عارف ، مهاب الجندي

تابع زميله قائلاً بجدية :

-طيب لما انت عارف انه آآآ...

قاطعه بجدية وهو يشير بعينيه :

-يا سيدي أنا بس بتريق ، اللي يشوف المستشفى دي من الصبح مايشوفهاش الوقتي

ابتسم الأخير قائلاً بتهكم :

-على رأيك ، ياما لسه هانشوف العجب

تســأل الصحفي بفضول وهو يلمع عدسة الكاميرا الخاصة به :

-يا ترى هايحصل ايه تاني ؟

رد عليه زميله بخبث وهو يغمز له بطرف عينه :

-اصبر وهانعرف كلنا كمان شوية ، مافيش حاجة بتستخبى هنا

زدات ابتسامة الصحفي اتساعاً ليقول بغرور :

-بالظبط .. وده موسم الأخبار الحصرية

بينما تابع زميله بمكـــــر واضح :

-ومش لأي حد .. ده تبع عيلة الجندي

!! ....

....

الفصل السـابع :

بداخل غرفة العناية ،،،،

ربت عدي على كتف تهاني التي لم تكفْ للحظة عن الإنتحاب والأنين حزناً على ابنها ..

ولم يختلف حاله عنها ، ولكنه كان على عكسها متماسكاً ..

أردف قائلاً بهدوء زائف :

-يالا يا مدام تهاني ، وجودك مالوش لازمة الوقتي

نظرت له بأعينها الباكية ، وهمست بإستعطاف :

-سيبني مع ابني شوية ، انا .. أنا ملحقتش أشبع منه

رد عليه بجدية :

-احنا هننقله مكان تاني أفضل من هنا ، وساعتها تقدري تقعدي معاه براحتك

توسلت له بدموع صادقة :

-الله يكرمك يا ابني .. أنا محلتيش إلا هو واخته .. والاتنين ضاعوا مني زمان ، وأنا مصدقت إنهم رجعوا ليا تاني .. متبعدنيش عنهم ..

وضع يده على رأســـه ، ومرر أصابعه في شعره محاولاً تخفيف حدة الضغط العصبي المسيطر عليه ..

فهو في حيرة من أمــره ، فعبرات تهاني تزعجه بشدة .. وفي نفس الوقت يريد الإطمئنان على رفيقه وينقله لمشفى أفضل ...

....

أحست عفاف بوجود حالة من الهرج بالطابق السفلي ، فقطبت جبينها بدرجة كبيرة ، وحدقت في إتجاه المصعد ..

إزدادت حدقتي عينيها إتساعاً حينما رأت مهاب يظهر من أعلى الدرج .. ومن خلفه الفريق الطبي

ابتلعت ريقها بتوجس ، وربتت بخفة على ذراع تقى لتتنبهها ، وهمست لها بحذر :

-تقى يا بنتي .. !

سلط مهاب أنظاره الحانقة على عفاف وتلك البائسة التي تجلس إلى جوارها ..

هو لم ينسها للحظة .. فقد حفرت ملامحها – رغم رؤيته إياها لمرة واحدة – في ذاكرته ، ويتذكر كيف أصر ابنه عليها ، وتحداه من أجل تلك المعدمة .. فإمتلأ صدر حقداً عليها، وزادت رغبته في الانتقام والتخلص الفوري منها .. وها قد جاءت إليه الفرصة على طبق من ذهب ..

تجهم وجهه بشدة ، وكور قبضته بقوة .. ثم ســـار في إتجاههما ..

تحدث كبير الأطباء قائلاً بجدية :

-أنا هاشوف الوضع ايه هنا يا دكتور مهاب ، وأبلغك

أومـأ برأســه دون أن يضيف كلمة .. وتحرك كبير الأطباء بعد أن أشار بيده للطاقم الطبي ليتبعه أفراده ..

....

بداخل غرفة العناية ،،،،

سمع كلاً من عدي وتهاني أصواتاً مختلطة ، فأدار عدي رأسه أولاً في إتجاه مصدرها ، فوجد عدداً من الأطباء يدلفون للداخـل .. فضيق عينيه ليتفحص هيئتهم التي تختلف عن أطباء هذا المشفى ..

وارتسم على وجهه علامات الإندهاش حينما قرأ الشعار المحفور على ملابسهم الطبية ، وهتف دون وعــي :

-مستشفى الجندي !

صـــاح كبير الأطباء بجدية :

-عاوزكم تجهزوا أوس باشا عشان هيتنقل فوراً من هنا

اتسعت مقلتي تهاني في صدمة ، وتسائلت بتهلف :

-انتو .. انتو بتعملوا ايه ؟ وواخدين ابني على فين ؟

أجابها أحدهم بنبرة رسمية :

-وسعي شوية يا مدام

وأضـــاف أخر بهدوء :

-احنا جايين نشوف شغلنا

دخل طبيب يعمل بالمشفى للغرفة ، وتأمل ما يحدث بغيظ ، وصــاح منفعلاً :

-ايه المهزلة اللي بتحصل هنا ؟ ازاي يسمحوا بالفوضى دي في مكان زي ده

رمقه كبير الأطباء بنظرات دونية ، وأجابه بسخط :

-هو انت بتسمي دي مستشفى ؟!

اغتاظ الطبيب من رده المستفز ، وهتف مدافعاً :

-عيب أوي الكلام ده ، دي مستشفى بتقدم أحسن خدمة للمواطنين

إلتوى فم كبير الأطباء ليضيف بتهكم :

-لأ باين فعلاً !

ثم استدار بجسده ناحية طاقمه الطبي ، وصـــاح محذراً :

-محدش يتكلم معاه ، ولا مع اي حد ، احنا مش عندنا أوامر نتعامل مع أي حد إلا الباشا أوس وبس

هتف الطبيب الحكومي بصوت حــــاد :

-ردوا عليا مين سمحلكم تدخلوا هنا ؟

تجاهله الجميع وواظبوا على أداء عملهم وكأنه غير موجود بالمرة ..

بينما وقفت تهاني حائرة وحاولت استيعاب وفهم ما يحدث لابنها ..

هتف الطبيب الحكومي بصوت غاضب :

-أنا هابلغ الشرطة اللي بتعملوه هنا ، ده مش قانوني ، وفي لسه تحقيقات ونيابة ، العملية مش سايبة عشان كل من هب ودب يقتحم أي مكان وياخد اللي عاوزه من غير ما يعمل حساب حياة المريض

رد عليه كبير الأطباء بثقة بالغة :

-انت مش هاتقولنا شغلنا ، وهات اللي تقدر عليه ، احنا جاهزين للرد

....

في الخـــارج ،،،

هبت عفاف واقفة من مكانها بعد أن أزاحت ذراعها بعيداً عن تقى ، وأطرقت رأسها قليلاً وهي تشرع حديثها لمهاب بـ :

-ألف .. ألف سلامة على الباشا أوس آآ...

رفع كفه أمـــام وجهها لتصمت على الفور ، وسلط أنظاره على تقى التي ابتلعت ريقها خوفاً منه ..

حدجها مهاب بنظرات مهينة .. وهتف بصوت مغلول :

-انتي بقى اللي عملتي في ابني كده ؟

ردت عليه عفاف بحذر :

-مهاب باشا ، محدش عارف لسه آآ....

قاطعها بصرامة وهو يرمق تقى بنظرات أكثر شراسة :

-ششش .. أنا مأذنتش ليكي تتكلمي !

طأطأت رأسها في حرج .. وهتفت بخفوت :

-أنا .. أنا أسفة

أشـــار لها بإصبعيه لتبتعد عنهما .. فتوجست عفاف خيفة على تقى التي لم تكن في حالٍ جيدة للجدال .. ومع هذا امتثلت بلا أدنى اعتراض لأمره ، وتركتهما معاً ....

تسرب الخوف إلى أوصـــال تقى ، وزادها رعباً على رعب .. فشخصية مهيبة كمهاب الجندي ليست من النوعية التي تغفر بسهولة أي ذلة .. بل على العكس هو أسوأ بكثير من ابنه ..

هي تعلم البعض عن مساوئه من أحاديث خالتها العابرة ..

ومدركة أن أي مواجهة معه مصيرها الخسارة البيّنة .. فالمعركة بينهما غير متكافئة على الإطلاق ، ومن الأفضل تجنبه ..

راودتها الكثير والكثير من الأفكار ، ولكن صوته الصـــارم والمخيف قطع تفكيرها المضطرب حينما صاح بـ :

-مفكرة إنه هايكمل معاكي بعد اللي حصله

نظرت له بتوتر شديد ، فتابع بنبرة أكثر حدة :

-انتي كنتي مجرد لعبة في حياة ابني ، مرحلة وانتهت ، وهتتنسي للأبد ، مش هايبقى ليها وجود!

رمقها بنظرات ساخطة ، وكز على أسنانه ليضيف بنبرة مهددة :

-بس قبل ده مايحصل ، غصبن عنك هادفعك التمن ، وغالي أوي !

هزت رأسها مستنكرة ، واستجمعت القليل من الشجاعة لتواجهه ، وهتفت بصوت واهن :

-مظلومة .. مش أنا السبب ؟ معملتش فيه حاجة ؟

أجهشت بالبكاء وهي تدافع عن نفسها لتكمل بصوتها المنتحب :

-ليه الكل بيحملني الذنب ؟؟ ليييه ؟

رمقها بنظرات إحتقارية ، فبكائها – رغم صدقه – لم يقنعه على الإطلاق ..

ثم صـــاح بها بغلظة شديدة :

-لأنك من يوم ما دخلتي حياته والمصايب مش مفرقاه !

زادت عينيه حدة ، وتابع بصوت مهدد :

-وأنا غير ابني .. وشك ده مش هيخدعني ، ولا الفيلم ده هياكل معايا ، حتى دموع التماسيح دي مش بتأثر فيا ، فوقي ، أنا في لحظة ممكن أخد منك روحك !!!

جفلت من تهديده الصريح ، وخفق قلبها بسرعة رهيبة ..

أضــاف قائلاً بصوت محتد :

-ضافر ابني مايكفنيش فيه عمرك كله !!!

....

تابع ما يحدث بينهما حمدي عصفورة ، واستمر في تسجيل تلك المشاحنات الحادة ..

وزادت حماسته وهو يهمس للممرضة حسنية :

-شايفة يا بت

لوحت بكفها مستنكرة ، وأجابته بصوت منخفض :

-شايفة وسامعة يا اخويا بوداني اللي هايكلها الدود دول ..

ثم هزت شفتيها للجانبين في إستنكار لتضيف :

-ايه العالم الفاجرة دي ؟!

غمز لها بطرف عينه ليقول بجدية :

-سيبك من اللي بيقولوه ، ركزي معايا الفيديوهات دي لو وصلت للأستاذ وفيق هنتنغنغ ونأب على وش الدنيا

أومـــأت برأسها موافقة إياه :

-اهـــا .. ده كنز !

برقت عينيه بخبث واضح وهو يهمس :

-لأ ومش أي كنز .. ده ثروة قومية يا حسنية !!!

....

قبض مهاب على ذراع تقى ، وضغط بأصابعه القوية عليه ، وهزها منه بعنف ليتابع بتحذير :

-هارميكي في أزبل مكان لو كنتي فعلا ورا اللي حصل لابني ! مش هارحمك !

تأوهت من الآلم ، وتلوت بذراعها محاولة تحريره ، ولكنه استمر في الضغط بشراسة عليه ليؤلمها أكثر ..

-مهـــــــاب !!!!!

قالتها تهاني بصوت محتقن ومرتفع وهي تقف على عتبة باب غرفة العناية

استدار مهاب برأســـه نحو مصدر الصوت ، واعتلى وجهه علامات الدهشــة حينما رأى تلك المرأة التي عرفها منذ عقود تقف أمامه بكبرياء غير مسبوق ، وكأن الزمن لم يحنيها ..

لوى فمه في إستهزاء .. وسريعاً تلاشت علامات التعجب من على محياه ..

وأرخى قبضته عن تقى ليتجه نحو تهاني ..

رفعت الأخيرة رأسها في شمــوخ ، ورمقته بنظرات إحتقارية .. نعم فهو المخادع اللعوب الذي لم يذقها سوى المعاناة والقهر .. ورضخت هي لظلمه من أجل ابنها ، وفي النهاية سلبها كل شيء حتى عقلها ..

واليوم هي تقف أمامه لتواجهه ..

تقوس فمـــه بإبتسامة ساخرة ، وصاح مستهزئاً :

-تهاني ! انتي لسه عايشة ؟

اقترب منها أكثر حتى توقف قبالتها ، ورمقها بنظرات متفحصة لهيئتها ، وأضاف بسخط :

-ده انا فكرت ان مخك اتلحس وخلاص مبقاش في منك فايدة بعد اللي عملته فيكي

اتسعت عينيها بشراسة ، وهتفت فيه بتحدٍ :

-عقلي اتلحس من عمايلك ، بس أنا رجعت عشان أخلص منك كل حاجة ، سامع يا مهاب كل حاجة ، ماضيك هاكشفه وأفضحك وأعرف الناس حقيقتك

مـــال عليها برأسه ليهمس لها بثقة :

-مش هتقدري .. وبعدين في حد عاقل بياخد على كلام المجانين

ردت عليه بنبرة عنيفة :

-احسنلك تخاف من المجانين ، محدش ضامن ممكن يعملوا ايه في لحظة

ثم زادت نبرتها قوة وهي تتابع قائلة :

-وابني اللي انت حرمتني منه هايعرف الحقيقة ، ومش هاسيبه ليك

قهقه مهاب بطريقة مستفزة ، ثم صمت فجـأة ليهتف بجمود :

-ابنك ! أوس الجندي مالوش أم .. انتي ولا حاجة في حياته

كزت على أسنانها بغلظة وهي تقول :

-لأ يا مهاب ، انت مش عارف أنا أقدر أعمل ايه

وضع يده أسفل فكها ، وضربه بخفة عدة مرات محذراً :

-اصحي يا .. يا عاقلة وشوفي بتتكلمي مع مين ، في ثانية هاتتنسفي انتي واللي معاكي

....

في نفس التوقيت ، توقف هاتف حمدي عصفورة عن التسجيل المرئي بسبب نفاذ شحن البطارية ، فإحتقن وجهه ، وتذمر قائلاً :

-وده وقت تفصل فيه يا ابن الـ ***

سألته حسنية بإهتمام :

-في ايه يا عصفورة ؟

زم حمدي فمه وهو يجيبها بضجر :

-الزفت الموبايل فصل شحن ، وأنا كده مش هاعرف أصور الباقي

ردت عليه بنبرة غير مبالية :

-ما اللي معاك كفاية

نفخ بصوت مسموع ليقول :

-اووف .. كده المصلحة هاتقل شوية

ربتت على كتفه قائلة بجدية وهي تختلس النظرات حولها :

-طب يالا قبل ما حد ياخد باله مننا ، الرجل كترت في المكان ، واحنا ممكن نتكشف

أدرك حمدي أن حديث حسنية صائب .. لذا تابع بإمتعاض :

-ماشي .. ولو انها هتخسر معايا ، بس ملحوئة

تسلل الإثنين بحذر من خلال ممر أخــر جانبي ، وتسائلت حسنية بفضول :

-هاتكلم الراجل بتاعك ؟

هز رأسه وهو يجيبها بنبرة فاترة :

-ايوه .. هاشوف هابعته الفيديوهات دي ازاي وهاقبض المعلوم امتى منه

-كويس ، خلينا نشوف حالنا

تنهد بعمق ليتابع بقلق :

-يا مسهل ، ادعي ربنا بس إن المصلحة ماتبوظش !

....

خـــــرج كبير الأطباء من الغرفة أولاً ، وصـــــاح بجدية :

-مهاب باشا ، كل حاجة تمام وزي ما أمرت

انتبهت له تهاني ، وزاغت أنظارها بعد أن أدركت سبب وجود مهاب هنا .. وتسائلت بهلع :

-انت ناوي تعمل ايه في ابني ؟

رمقها بنظرات مهينة ، ثم دفعها من كتفها بعنف ليقول بقوة :

-اوعي من وشـــي

ركضت خلفه ، وتسائلت بصوت لاهث بعد أن تسارعت دقات قلبها من الخوف :

-استنى هنا ، كلمني ، ابني هاتعمل ايه فيه ؟

تجاهلها ، والتفت نحو كبير أطبائه ليأمره بــ :

-في أقل من ساعة ابني يكون عندي في المستشفى

خرج الطبيب الحكومي من الداخل ، وهتف معترضاً :

-مش هاتقدر تتحرك قبل ما البوليس يجي وآآآ...

قاطعه مهاب بقوة مخيفة :

-مافيش سلطة عليا ولا على ابني ، يالا يا دكتور نفذ الأوامر ..!

ثم استدار برأســـه ناحية عدي الذي كان يراقب المشهد في صمت ، وسأله بضيق :

-فين الحراسة بتاعتنا يا عدي ؟

تنحنح بخفوت ليجيبه بصوت خشن :

-موجودة يا دكتور مهاب

ومن ثَمَ تحرك في إتجاه الحراسة التابعة ، وصاح بهم بصرامة :

-انت يا بني آدم ، اتحرك وأمن المكان لحد خروج الباشا أوس من هنا !

ثم عــاود الدخــول إلى غرفة العناية للتأكد من إنتهائهم من تجهيز أوس ..

اقتربت عفاف من تقى مجدداً ، وأمسكت بكفها ، ورمقتها بنظرات مطمئنة .. فسألتها تقى بخوف :

-هما .. هما ناويين يعملوا ايه ؟

ردت عليها بخفوت وهي تتطلع بعينيها للأمــام :

-الظاهر يا بنتي هاينقلوا الباشا أوس على المستشفى الخاصة بتاعتهم

فغرت شفتيها بعد أن تزايدت حيرتها ، ثم تسائلت :

-هــاه .. طب و..آآ...

لم تكمل عبارتها حيث انتفضت مذعورة حينما سمعت صوت مهاب يصيح بغلظة بـ :

-عفـــــاف !!!

ردت عليه الأخيرة بتوتر وهي ترمش بعينيها :

-أيوه يا دكتور مهاب

صاح بها بنبرة أشد قسوة :

-هاتفضلي عندك كتير ، اتفضلي معايا

صرخت فيه تهاني بعد أن انقضت على ياقته قائلة :

-واخد ابني ورايح على فين

أزاح قبضتيها المجعدتين بعيداً عنه ، وهتف بها :

-ابعدي يا ست يا مجنونة عني !

صرخت فيه بشدة وهي شاخصة لأنظارها :

-لأ ، مش هاسيبك ، ده ابني وآآآ....

نفخ بصوت مسموع هاتفاً بضجر :

-يوووه .. يـــا أمن ، ارموا الست دي من هنا !!

اقترب منه أحد رجال الحراسة ، وردد بنبرة رسمية :

-حاضر معاليك !

ثم جذبها عنوة للخلف ، وانضم إليه أخـــر وأبعدوها عن مهاب ، فحاولت تقى التدخل لإنقاذها ، وصاحت بشجاعة غريبة :

-حرام عليكم سيبوها !

كان الرجلين ضخـــام الجثة ، فلم تستطع أن تفلت خالتها منهما ، فأدارت جسدها ناحية مهاب ، وصرخت فيه بصوت محتد :

-انت مفكر نفسك مين عشان تعمل فينا كده ؟ سيبها ! هي غلبانة !

رمقها بنظرات احتقارية ، وأشـــار بإصبعه لبقية الحراسة الخاصة للتحرك في إتجاه تقى وابعادها ..

لم تستطع عفاف التدخـل ، فهي لا حيلة لها أمام جبروت هذا الرجل ..

-دي مهزلة وقلة ادب ، وأنا هابلغ عنك للسلطات

قالها الطبيب الحكومي بنبرة حانقة

تحرك مهاب نحوه بخطوات بطيئة ، ورمقه بنظرات باردة ، ثم أردف قائلاً بقسوة :

-بلغ اللي تبلغه ، أنا ميفرقش معايا !

ولج الأطباء خـــارج الغرفة وهم يسحبون الـ ((ترولли)) الموضوع عليه أوس ..

اشرأبت تقى بعنقها محاولة رؤيته ، ولكنها عجزت عن فعل هذا بسبب أجســـاد الحراسة الضخمة ..

فصاحت بصوت مختنق :

-حاسبوا ، ابعدوا عننا

هتف الطبيب الحكومي قائلاً بخوف :

-ماينفعش مريض يتاخد وهو في الحالة الحرجة دي !

نظر له كبير الأطباء من طرف عينه ليجيبه بعدم اكتراث :

-مش شغلك

تابع الطبيب الحكومي قائلاً بجدية :

-ده فيه خطورة على حياته !!

رد عليه كبير الأطباء بجمود :

-احنا أدرنا باللي بنعمله ، وحياته أكيد فوق كل اعتبار

حــرك (أوس) رأســه قليلاً .. وردد – دون وعــي – بصوت هامس :

-تــ.. تقى !

انتبه عدي إلى حركة أوس الضئيلة ، فقد كان ملاصقاً للترولي ، فانحنى بجسده عليه ، وهتف بتلهف :

-أوس .. سامعني ؟ أوس !

همس أوس بهذيان بعد أن مال برأسه للجانب الأخــر :

-تـ.. تقى .. أنا .. آآ.. !

لم يصدق عدي أذنيه ، فرفيقه الوحيد يتحدث – وإن كان في غيبوبته – فهو يتحدث و يهزيء بكلمات مبهمة .. وهذه بداية مبشرة بالنسبة له .. فربما يستعيد وعيه في أقرب وقت ..

هتف عدي بصوت مرتفع :

-أوس بيتكلم ، أنا لسه سامعه !

رد عليه كبير الأطباء ببرود:

-تأثير البنج ..

أصابت الكلمات الأخيرة عدي بالإحباط ، ورمق ذلك الطبيب المستفز بنظرات نارية ..

استمعت تقى إلى ما قاله عدي ، فخفق قلبها بتوتر رهيب ، وتلهفت للإطمئنان على حالته .. لذا صرخت بهياج :

-خلوني أعدي ، سيبوني أشوفه

زادت نوبة صــراخ وإنفعال تهاني ، وقاومة أفراد الحراسة بذراعيها ، وتشنجت قائلة بإصرار :

-ابني .. وسعوا من قدامي ، هتمنعوني عن ابني ، لألألألأ !

إستدار مهاب برأســـه للخلف ، وحدج الاثنتين بنظرات قاتمة ، وصاح بنبرة عدائية :

-الأشكــال دي متقربش من عيلة الجندي ! سامعين !

ثم عاود النظر لكبير الأطباء ولإبنه ، وتابع قائلاً بجمود مريب :

-اتحرك بإبني من المكان ده .. كفاية أوي الوقت اللي ضاع واحنا هنا ..!

وبالفعل أشــار كبير الأطباء لطاقمه الطبي ليتحركوا بأوس الجندي ، وانطلقوا مبتعدين عن صراخ تهاني المتواصــل وبكاء تقى الذي لم ينقطع للحظة ..

تريث عدي في خطواته قليلاً ، ثم اقترب من الإثنتين ، وتشدق قائلاً :

-هحاول أطمنكم عليه ، ده اللي اقدر أعمله في الوقت الحالي !

رمقهما بنظرات أخيرة مشفقة ، وهتف بإيجاز وهو يوليهما ظهره :

-ســلام !

وقبل أن يختفي عن أنظارهما ، صاح محذراً من بعيد لأفراد الحراسة :

-محدش فيكم يتعرضلهم بأي أذى !

رد عليه أحدهم بنبرة رسمية :

-حاضر يا فندم

اضـــاف قائلاً بصوت آمـــر :

-مهمتكم تنتهي بعد ما نمشي من هنا ، تسيبوهم وترجعوا على الشركة ، مفهوم !

-حاضر !

هز عدي رأسه مستنكراً ، وإنطلق مسرعاً على الدرج ليلحق بأوس والبقية ....

احتقنت عيني تهاني بشدة ، وكزت على أسنانها بشراسة ، وحدثت نفسها بنبرة متوعدة :

-المرادي غير كل مرة يا مهاب ، أنا مش هاسيبلك ولادي ، هادافع عنهم وأرجعهم لحضني حتى لو كان أخر يوم في عمري ..!

توقفت تقى عن المقــاومة ، وتراجعت للخلف ، ودفنت وجهها بين راحتيها لتشهق بصوت مكتوم .. فالكل يتحامل عليها ، وهي وحيدة لتواجه كل هذا الظلم بمفردها .. لماذا لا يشعر أي أحد بما تعانيه ، لماذا لا تجد من يقف إلى جوارها ويضمها بعاطفة صادقة دون أن يطعنها في شرفها ، أو يلقي جزافاً بالتهم الباطلة عليها ؟ ولماذا تتحمل هي مرارة الظلم والقسوة ؟

صرخت دون أن تدري بإهتياج شديد :

-كفـــــاية .. ليييه أنا ؟ ليييه ؟ اشمعنى الكل بيجي عليا ؟ ليييه ؟

نظر إليها الحرس بتعجب شديد ، فلم يتوقعوا أن تثور ثائرتها فجـأة خاصة أنهم لم يمسوها أو يتعرضوا لها بالأذى ..وتبادلوا النظرات المندهشة فيما بينهم ..

وتسائل أحدهم بإستغراب :

-مالها دي ؟

هز زميله كتفيه قائلاً :

-مش عارف

أردف أخـــر قائلاً بجدية :

-الأوامر بتقول نسيبهم لما الجماعة يمشوا

-بالظبط

-عامة احنا قدامنا 10 دقايق بالكتير ونمشي من هنا

-اوكي

نظرت تهاني إلى تقى بنظرات متحسرة ، وشعرت بما تمر به ، فمدت ذراعيها نحوها ، وأحاطتها بهما لتضمها إلى صدرها ، وهتفت قائلة بنشيج أسف :

-آآآآه يا بنتي ، محدش بيحس بالمظلوم إلا اللي زيه

لم تستكنْ تقى في أحضانها ، بل ظلت تصرخ بإنفعال أشـــد :

-ليييه ؟ اشمعنى أنا الكل بيجي عليا ؟ أنا محدش بيسبني في حالي ، أنا بأموت في اليوم مليون مرة ومحدش بيحس بيا ، ويـ... ويوم ما بدأت أسامحه يروح مني ، طب ليه ؟ لييييه ؟

ذرفت عينيها العبرات الحارقة عفوياً ، وتوسلتها بأنين خافت:

-كفاية يا بنتي ! قطعتي قلبي بكلامك

تسارعت أنفاسها ، وهتفت بصوت لاهث ومتقطع :

-مـ.. معنتش قــادرة آآ..آآستحمل ..أنــ.. آآ..

تثاقل جسدها في أحضـــان خالتها التي هتفت بذعـــر :

-تقى .. مالك يا بنتي

لم تتمكن تهاني من إمســـاك تقى بشكل جيد ، فصرخت بهلع وهي تحاول منعها من السقوط :

-الحقوني يا نـــاس !

نظر أفراد الحراسة لبعضهم بحيرة ، وســأل أحدهم بقلق :

-هنعمل ايه معاهم ؟

لكزه زميله في كتفه وهو يجيبه ببرود :

-مالناش فيه ، يالا بينا من هنا

ضغط الحارس الأول على شفتيه ليقول بتوتر :

-بس .. بس آآ...

هتف أخــر بعدم مبالاة :

-يا سيدي الأوامر عندنا بإننا نمنعهم يقربوا من البشوات ، غير كده مايخصناش

صــاح فيهم بضيق :

-خلوا في قلبكم شوية رحمة !

رمقه زميله بنظرات محذرة وهو يبرر موقفه قائلاً :

-يا عم متدخلش ، بدل ما حد يبلغ الباشا وساعتها هتخسر شغلتك ..

بينما أضــاف الأخــر بسخط :

-وبعدين هما يعني في كوكب تاني ، ماهما في مستشفى ، يصطفلوا معاهم بطريقتهم !

ضرب الحارس كفه على الأخــر ، وردد بضجر :

-لا إله إلا الله

صاح زميله بنفاذ صبر :

-يالا .. وجودنا مالوش لازمة هنا !

..

ســـــار حمدي عصفورة على الممر الخـــارجي المؤدي لمدخل المشفى بعد أن أجرى مكالمة هاتفية مع الصحفي وفيق ، في حين وقفت الممرضة حسنية تتطلع إليه بتلهف بادي على ملامحها ..

وما إن رأته يقترب حتى أسرت نحوه ، وسألته بحماس :

-ها .. طمني عملت ايه ؟

ابتسم لها إبتسامة صفراء وهو يجيبها بسعادة :

-خير يا حسنية !

ثم مسح بيده على صدره وتابع قائلاً بجدية :

-الأستاذ هايجي بنفسه يقابلني ومعاه المعلوم

اتسعت مقلتيها بفرحة ، وتسائلت بتشوق :

-ده بجد ؟

رد عليها بنبرة فاترة :

-طبعاً .. أومال هزار !

تنهدت حسنية في إرتياح زائف ، وتمتمت بنبرة راضية :

-يا ما إنت كريم يا رب ، ايوه بقى ، أخيراً حالنا هيتصلح

رد عليها بجمود :

-قولي يا رب

-يـــا رب

ثم سألته بفضول رهيب :

-على كده هو قالك هيدفع كام ؟

رمقها بنظرات حادة وهو يجيبها بضيق بادي على محياه :

-والله مرضاش يقدر الفلوس إلا لما يشوف اللي معايا

أردفت قائلة بخبث وهي تهز حاجبها :

-اطلب منه مبلغ عالي عشان لو فاصل معاك مايخسفش بيك الأرض

هز رأسه موافقاً ليقول بمكر :

-ما أنا هاعمل كده .. دي بردك أعــراض ناس !

لوت فمها لتضيف بخفوت :

-اه ياخويا ، أل يعني بيفرق معاك !

....

انتهى الطبيب من فحص تقى ، وأعــاد وضع ساعدها على جانب الفراش بعد أن انتهى من حقنها بمادة طبية .. ثم إعتدل في وقفته ، وأشــار للممرضة الواقفة خلفه ليقول بنبرة رسمية بعد أن دون شيئاً ما في لوحة الملحوظات المعدينة :

-كمان ساعة تاخد الدوا ده

هزت الممرضة رأسها وهي تجيبه :

-تمام يا دكتور

تسائلت تهاني بتلهف وهي تحاول الحفاظ على هدوئها :

-مالها يا دكتور ؟

-ضعف عام

فغرت فمها بقلق ، وتسائلت متوجسة :

-ضعف .. وده خطير عليها ؟

رد عليها بجدية شديدة وهو ينظر لها :

-والله في حالتها دي .. ايوه .. !

ابتلعت تهاني ريقها ، ورددت بصوت متقطع :

-بس آآ.. بس هي بتاكل كويس وآآ..

قاطعها الطبيب بنبرة متريثة :

-مش مسألة أكل ، هي محتاجة رعاية واهتمام خصوصاً في الفترة دي

لوحت تهاني بيدها في الهواء ، وعللت قائلة :

-هي الظروف اللي مرت بيها الأيام اللي فاتت كانت ملخبطة معها أوي ، وجايز تكون أثرت عليها وآآآ..

قاطعها الطبيب بجدية واضحة :

-يا مدام حضرتك مش فهماني ، المدام حامل ، وأي تأثير نفسي سلبي خطر عليها وعلى صحة الجنين ، وعلى الحمل بصفة عامة !

جحظت تهاني بعينيها في صدمـــة رهيبة ، وإرتسمت علامات الذهــول على وجهها المنهك ، وهتفت بعدم تصديق :

-ايييه ، تـ... تقى حــ... حامل

.... !!!

....

الفصل الثامـن (الجزء الأول) :

في المشفى الحكومي ،،،

عجزت تهاني عن التفكير بصورة واعية بعد صدمتها الكبرى فور سماعها بخبر حمل تقــى .. وتسائلت بغموض عن كيفية حدوثه خاصة وأنها تعرضت للإعتداء الجنسي العنيف .. فكيف يؤدي هذا لحملها الغير متوقع على الإطلاق ؟ وكيف يمكن لأي أحــد أن يعرف بمســألة حملها ولم يمر على الحادث المؤسف سوى بضعة أسابيع ..

لم تترك الأمــر يُحيرها كثيراً حيث اقتربت من الطبيب وهمست له بحذر :

-دكتور .. هو .. هو انت عرفت ازاي ؟

رد عليها الطبيب بنبرة رسمية

-يا مدام عادي ، بنعمل تحليل دم للمريضة عشان نشوف نسبة السكر عندها ، لاقينا باين في التحليل هرمون الحمل ، وتقريباً هي ما بين نهاية الاسبوع التالت وبداية الرابع

-هـــه

ثم أضـــاف قائلاً بتهكم :

-وبعدين انتي هنا في مستشفى مش في محل بقالة !

ابتلعت ريقها لتســـأله مستفهمة :

-طب .. معلش ممكن أسألك في حاجة معينة ؟

نظر لها الطبيب بتفحص وهو يردد بهدوء :

-خير ؟

أخذت تهاني نفساً عميقاً ، وزفرته على مهل .. وحاولت إيجاد الطريقة المناسبة لبدء الحديث معه .. فما هي على وشك قوله خطير للغاية ..

انزعج الطبيب من صمتها الغير مبرر ، وبدأ صبره ينفذ ، ولاحظت هي هذا على تعابير وجهه ..

لذا أردفت حديثها بتلعثم :

-هو .. هو ممكن حمل يحصل لو .. لو واحدة آآ... لو واحدة آآ.. اتعرضت للإغتصاب ؟

-مممم..

ابتلعت ريقها مجدداً بإرتباك واضح وهي تتابع قائلة :

-اللي أقصده إنه حصلها نزيف و.. آآ...

قاطعها بنبرة جـــادة وهو يضيق عينيه قليلاً :

-معلش ممكن أنا أسألك سؤال ؟

ردت عليه بتلهف :

-اتفضل .. اسأل

عقد ساعديه أمام صدره ، ورمقها بنظرات عادية وهو يسألها بجدية :

-هو المغتصبة دي كانت (بِكر) ولا مدام ؟

-هــاه ..

أضـــاف قائلاً بنبرة هادئة :

-أوضحلك كلامي شوية ، هي كانت آنسة لما اغتصبت ؟

أومـــأت برأسها إيجاباً وهي تقول :

-آآ.. ايوه

مط فمه للأمام ليجيبها :

-خلاص يبقى عادي ، فين المشكلة ؟

زادت حيرتها عقب عبارته الأخيرة الغامضة ، وتسائلت مستفمة :

-متأخذنيش ، أنا .. أنا بس مش فاهمة حضرتك

أرخى ساعديه ، ودس يديه في جيبي معطفه الطبي ، وهتف قائلاً بنبرة متريثة :

-شوفي يا مدام .. الوقتي لو احنا بنتكلم عن عملية الـ (جمـاع) عنيفة لأي آنسة ، فنتيجته هتسبب نزيف مهبلي ، والدم هينزل بغزارة لوجود جرح داخل المهبل وخصوصاً لو المغتصبة صغيرة في السن !

رمشت بعينيها مصـــدومة بعد ما قاله ... بينما أكمل هو بنبرة متزنة :

-وده زي ما قولت لحضرتك راجع لوجود علاقة جنسية عنيفة أدت لحدوث تهتكات وتمزقات في المنطقة المحيطة ، بس ده مايمنعش حدوث الحمل !

سألته بإهتمام أكبر :

-قصدك إن الحمل ممكن يحصل عادي وهي آآآ... ؟

أومـأ برأسه موافقاً وهو يتابع بنفس الهدوء :

-طبعاً .. طالما جسم الست في فترة التبويض ، وحصل تلقيح للبويضة فخلاص الحمل بنسبة كبيرة هيحصل

بدت مصدومة من حديثه الواثق .. وسلطت أنظارها على تقى ، وظلت تردد بلا وعـي :

-بس إزاي ؟ مش ممكن !

تنهد الطبيب بضيق ، وأضــاف قائلاً بنفاذ صبر :

-يا مدام التلقيح مش محتاج إلا لبويضة واحدة ناضجة وSperm (حيوان منوي) يلقحها ، وبعدها بكام يوم بيحصل الإخصاب داخل جدار الرحم ، وزي ما فهمتك كون إن العلاقة الجنسية كانت عنيفة أو لأ .. فده مش هايمنع حدوث الحمل إلا إن أراد ربنا إنه مايتمش !

هزت رأسها مستنكرة ما قاله ، وقالت بنبرة مصدومة :

-لكن دي .. دي نزفت وآآ.. ومكنش في آآ...

برر الطبيب حديثه قائلاً بجدية :

-ده مش كلامي يا مدام ، دي وقائع طبية معروفة .. كمان انتي قولتي انها آنسة يعني مش مدام عشان نقول كانت حامل والعلاقة العنيفة عملتلها إجهاض !

اقتنعت تهاني بما قدمه لها من مبررات طبية تحمل الصواب بنسبة كبيرة .. ورددت عفوياً :

-أها .. !

زفــر الطبيب بصوت مسموع ، وأكمل قائلاً :

-عامة أي دكتور نسا متخصص هايقدر يفيدك ويقول بإسهاب عن أسباب حدوث الحمل

هزت رأسها ممتنة وهي تضيف :

-كتر خيرك يا دكتور .. أنا .. أنا بس كنت بستفسر منك

زم فمه ليرد بهدوء :

-اوكي ! مافيش مشكلة

لم يطرأ ببال تهاني هذا الأمــر مطلقاً .. إمكانية حدوث الحمل رغم التعرض للإعتداء الجسدي ... وبدأت الصورة تضح لها عن حالة تقى ، خاصة في الآونة الأخيرة من ضعفها العام وقلة شهيتها ، وعدم رغبتها لتناول الطعام حينما كانت تجبرها عليه .. ولكن ما أثار فضولها حقاً هو أن ابنة أختها لم تكتشف تلك المسألة الخطيرة ..

تطلعت إليها بإشفاق أكبر .. وأدمعت عينيها حزناً عليها .. فما تخشاه هو أن تخسر بذرة الأمـل التي زرعت في رحمها إن عرف الجميع بمسألة حملها ...

جلست تهاني على طرف الفراش ، وأمسكت بكفها ، واحتضنته براحتيها ..

هتف الطبيب قائلاً بخشونة :

-اتمنى انكم تهتموا بيها أكتر ، لأن من اللي أنا شايفه معتقدش ان آآ....

إلتفتت تهاني برأسها ناحيته ، وحدجته بنظرات محذرة مقاطعة إياه بضيق :

-ماتكملش يا دكتور

رد عليها الطبيب ببرود :

-أنا بأقول المتوقع ، وبأكد نصيحتي انكم تتابعوا مع دكتور نسا متخصص ، هايقدر يفيدكم أكتر

تنهدت بإنهاك وهي تســـأله :

-إن شاء الله ، طب هي هاتفوق امتى ؟

أجابها بنبرة عادية وهو يشير بيده :

-كمان شوية .. وأنا موجود لو في حاجة حصلت ، خلي الممرضة تنادي عليا

ابتسمت له إبتسامة باهتة قائلة :

-كتر خيرك يا دكتور

انصـرف الطبيب من الغرفة ، وظلت تهاني بمفردها مع تقى ..

وأخرجت من صدرها تنهيدات أسفة على حالها .. ثم اقتربت منها أكثر ، ومدت كفها لتمسح به على وجهها الذابل ، وهمست بحزن :

-يا ترى هيعملوا فيكي ايه يا بنتي لو عرفوا انك حامل ؟

برقت عينيها بوميض غريب وهي تتخيل حدوث الأسوأ لها من إجبارها على التخلي عن هذا الجنين ، أو إنكــار أبيه لنسبه في أسوأ الظروف ، أو إرتكاب مهاب البغيض لجريمة في حقها .. فهي كالحمل الوديع في غابة مليئة بالذئــاب ..

ابتلعت ريقها بتوتر رهيب .. وهمست بذعـر :

-مش .. مش لازم حد يعرف قبل .. قبل ما ابني بنفسه يقرر هايعمل ايه معاها .. !

تأوهت تقــى بأنين خافت وهي تتململ للجانب ، ثم بدأت تفتح عينيها المنتفختين بتثاقل ..

كانت الرؤية غير واضحة في البداية ، ولكن رويداً رويداً بدى كل شيء أمامها جلياً ..

تساءلت بصوت ناعس وشبه مذعــور :

-هو .. هو ايه اللي حصل ؟ مــ... مين جابني هنا ؟

ردت عليها تهاني بحنو رغم توترها :

-اطمني يا بنتي .. انتي .. انتي كويسة

تسائلت بإضطراب بادي في نبرتها وهي تتلفت برأسها للجانبين :

-أنا .. أنا فين ؟

ثم حـــاولت أن تنهض من رقدتها ، ولكن رأسها كان يدور بشدة ، فمالت على الجانب ووضعت يدها على جبينها .. فأسرعت تهاني بإسنادها وهي تهتف بتلهف :

-بالراحة يا بنتي ، ماتقوميش فجأة ، انتي لسه دايخة

وعاونتها على التمدد مجدداً على الفراش .. فأردفت تقى قائلة بمرارة :

-انا تعبت من كل حاجة

تنهدت بعمق لتقول في محاولة بائسة لتهون عليها :

-معلش يا بنتي ، فترة وهتعدي

أغمضت عينيها كمداً لتردد بخفوت :

-مش باين

طلبت منها تهاني بنبرة هادئة :

-ارتاحي انتي شوية ، وبعد كده هنتوكل على الله ونمشي

غمغمت مع نفسها بيأس :

-وهتيجي منين الراحة

ترددت خالتها في إبلاغ ابنة اختها بمسـألة حملها ، فكانت تخشى عليها من أثر الصدمة .. خاصة وهي في حالة جسدية ضعيفة ، وأعصابها متوترة للغاية ، وربما لن تتحمل المزيد من المفاجأت وتبعاتها ..

ولكن في النهاية عليها أن تخبرها بهذا لكي تفكر الاثنتين معاً في طريقة للتصرف دون المساس بها أو بالجنين ..

إحتارت تهاني في إيجاد طريقة مناسبة لتمهد لها الموضوع .. وظلت تفكر ملياً في صمت ..

عاودت تقى فتح عينيها ، ونظرت إلى خالتها الصامتة بإستغراب .. فقد مرت عدة دقائق وهي على حالتها المتجهمة والشـــاردة ..

فتسائلت متعجبة وهي قاطبة الجبين :

-مالك يا خالتي ؟ ساكتة ليه ؟

انتبهت تهاني لصوتها ، وهتفت بتلعثم :

-هــه .. بتقولي حاجة ؟

زاد فضــول تقى بسبب نظرات خالتها الغامضة نحوها ..وتسائلت بتوتر :

-في ايه ؟ بتبصيلي كده ليه ؟

خفق قلبها للحظة ، واتسعت عينيها نوعاً ما وهي تقول بنزق :

-هو .. هو في حاجة تانية حصلت وانتي مش عاوزة تقوليها ؟

ضغطت تهاني على شفتيها ، وأطرقت رأسها للأسفل لتقول بخفوت :

-أصل آآ.... آآ..

صاحت تقى بهلع :

-أوس ..أوس جراله حاجة ؟

أجابتها تهاني على الفور :

-لأ .. بعد الشر .. لحد الوقتي هو كويس الحمدلله

تنهدت تقى بإرتياح ، ونظرت إلى خالتها بنظرات دقيقة محاولة سبر أغوار عقلها .. وسألتها بفتور :

-طب في ايه ؟

أخــذت تهاني نفساً مطولاً ، وزفرته على عجالة وهي تقول بجدية شديدة ورامقة إياها بنظرات محذرة :

-تقى .. في موضوع مهم حصل لازم تعرفيه انتي وبس ، أي حد تاني مش هاينفع الوقتي !

عبس وجهها وهي تتسائل بقلق :

-موضوع ايه ده ؟

....

في مكتب أمجد سعفان ،،،،

هب الحارس الأمني السابق – أحمد – من مقعده مذعــوراً بعدما أخبره المحامي أمجد بدوره الهام في خطته الشيطانية ، وصـــاح بغضب :

-انت عاوز تضيعني ، أنا مش أد أوس الجندي !

أردف أمجد قائلاً بثقة وهو يشير له بيده

-متخافش احنا في ضهرك !

طرق أحمد بيده بعنف على سطح المكتب ، وهدر بصوت محتد :

-لا ضهري ولا غيره ، انت مش عارف أوس الجندي ولا شره !

قطب المحامي أمجد جبينه نوعاً ما ، وقال بخبث :

-مش هو اللي خد منك حبيبتك وحرمك منها وضيعها من ايدك ؟ عاوز كده تسيبه من غير ما تنتقم منه ؟! فين كلامك بتاع زمان ؟!

كــز أحمد على أسنانه بضيق ليجيبه :

-أنا بأعترف اني حبيتها ، لكن اللي بتقوله ده استحالة أعمله .. ده .. ده فيها رقاب هتطير !

تابع أمجد قائلاً بثقة وهو يلوح بإصبعيه :

-اطمن ، كل حاجة معمول حسابها

رفع أحمد كفه في وجـــه المحامي ليقول بجدية محذرة :

-إلا مع أوس الجندي ، ده الوحيد اللي مقدرش أئمن شره !!

لـــوى أمجد فمه ليقول مستهزئاً :

-انت جبان ، ماتستهلش حبيبتك

ضرب أحمد مجدداً بكفيه على السطح الزجاجي ، وانحنى للأمام ليهتف فيه بغضب :

-لأ .. أنا عاوزها ، لكن .. لكن انت فوق ما بتلبسني جناية قتل أنا معملتهاش أصلاً ، بتلبسني قضية زنا والله أعلم ايه الباقي

قهقه أمجد بإستخففاف ، وتابع بـ :

-مش للدرجادي يا راجل

اعتدل أحمد في وقفته ، ورفع رأسه عالياً ليقول بصرامة :

-أنا مش موافق

نهض أمجد من على مقعده ، وأضاف قائلاً بخبث :

-يا أحمد فكر الأول قبل ما تقول رأيك النهائي ، وصدقني انت المستفيد في النهاية !!

....

في مشفى الجندي الخـــــاص ،،،،،

وُضــع أوس الجندي في إحدى غرف الرعاية الفائقة ، والتي تم تجهيزها خصيصاً لتناسب حالته ..

كما تابع مؤشراته الحيوية فريق الأطباء المتخصص طــوال طريق العودة إلى المشفى ..

مسح مهاب على رأس ابنه ، وأردف قائلاً بنبرة هادئة :

-كده افضل من المكان الموبوء اللي كنت فيه

أضــاف كبير الأطباء قائلاً بجدية وهو يعلق اللوح المعدني على مقدمة الفراش :

-وضعه مستقر يا دكتور مهاب ، اطمن

هز رأسه بهدوء ليقول :

-تمام ..

ابتسم سامي ابتسامة باهتة ، وربت على كتف أخيه ليقول بهدوء :

-الحمدلله إنك اطمنت على ابنك يا مهاب ، أنا والله أول ما عرفت مكدبتش خبر وجيت جري عشان اطمن على ابن اخويا الغالي

نظر له مهاب من طرف عينه ، ورد بفتور :

-شكراً يا سامي

أضــاف سامي قائلاً بحزن زائف :

-انت مش عارف أوس غالي عندي أد ايه

هز مهاب رأسه ليقول بنبرة جافة :

-أها .. عارف

فكر ســـامي أن يستغل الوضع قليلاً لصالحه ويستفسر عن مدى معرفة أخيه بملابسات الحادث ، فتسائل بمكر :

-على كده مين الجماعة دول اللي حاولوا آآ..

قاطعه مهاب بصرامة وهو يحدجه بنظرات قوية :

-لسه مش عارفين تفاصيل

أكمل سامي متسائلاً بإهتمام أكبر موزعاً نظراته بين أخيه وابنه المسجي على الفراش :

-انا قريت إن الموضوع ليه علاقة بمراته و..و آآ... عشيقها باين

هتف مهاب محذراً :

-ســـامي ، مافيش داعي للكلام ده هنا

تنحنح سامي بصوت خشن ليبرر قائلاً :

-أنا .. أنا مقصدش .. أنا بأقول اللي شوفته وقريته على النت

ضاقت عيني مهاب بشدة ، وصــاح قائلاً بنبرة عدائية :

-شوية الكلاب اللي عملوا كده في ابني هانسفهم ، بس أوصل لطرف الخيط

رفع سامي حاجبه للأعلى ، وهمس بمكر أشد ليضمن إثارة الشكوك حول زوجته ، وابعادها تماماً عنه :

-ماهو الموضوع مش هايخرج عن مراته

ضغط مهاب على أسنانه ليهتف بشراسة حادة :

-سامي .. اسبقني على مكتبي ، مش هاكلم هنا !

هز سامي رأسه بحركة متوترة وهو يجيبه :

-هـــه .. طيب

....

في المشفى الحكومي ،،،،

أخبرت تهاني ابنة اختها بعد أن استجمعت شجاعتها عن مســـألة حملها الغير متوقعة ، فشهقت الأخيرة مستنكرة وهي تنظر نحوها بصدمة :

-اييييه ، أنا .. أنا حامل ، دي تخاريف ، مش حقيقي ! مش حقيقي

أمسكت بها تهاني من كتفيها ، وحاولت تهدئتها وهي تقول بحذر :

-ايوه انتي حامل !

حدقت بها تقى بنظرات فزعــة ، وصرخت بإستماتة :

-كدب .. كدب ، انتي بتقولي كده وخلاص

أشفقت تهاني عليها ، فهي تشعر بمدى الصدمة التي تعانيها الآن ، فهي لم تفق بعد من صدماتها السابقة لتتلقى واحدة أشـد ..

وبيأس حركت رأسها نافية ، وردت عليها بصوت أسف :

-لأ يا بنتي ، الدكتور لسه قايل الكلام ده

أغمضت تقى عينيها غير مستوعبة ، وصرخت محتجة :

-طب ..طب ازاي وهو .. وهو ملامسنيش إلا عشان آآ...

لم تكمل جملتها الأخيرة بسبب تجسد ذكرياتها الموجعة في تلك الليلة المشئومــة ، فإرتفع صدرها وهبط .. وتسارعت نوعاً ما أنفاسها ، وفتحت عينيها بذعــر .. وزادت رجفتها ..

ثم واصلت صراخها :

-ازاي ؟ مش معقول ، لألألأ .. ده كدب .. كدب !!!

ضمتها تهاني إلى صدرها ، وأحاطتها أكثر بذراعيها لتبث إليها الأمـــان ، وهمست بصوت أمومي :

-اهدي يا بنتي ، كل حاجة هاتكون كويسة !

ظلت على وضعها المصدوم ، ورددت بلا وعي :

-طب ليه ؟ ليه !!

..

في مكتب أمجد سعفان ،،،،،

هاتف المحامي أمجـــد سامي ليبلغه برفـــض أحمد الإشتراك في مخططهم ، فإنزعج الأخير بشدة ، وصاح بصوت غاضب :

-دي مصيبة ، انت مش وعدتني هاتتصرف

رد عليه أمجد بهدوء وهو يطرق بأصابعه على سطح مكتبه :

-ماشي ، بس مجاش في بالي إن الفقري ده يرفض

هــدر به سامي بصوت منفعل :

-اتصرف وطلعني من المصيبة دي !

تنفس أمجد بعمق ليضيف :

-اصبر .. احنا لسه في أولها ، ولو موافقش برضـاه ، هيوافق غصب عنه

سـألـه سامي بنفاذ صبر :

-ناوي تعمل ايه ؟

أجابه بهدوء حــذر :

-هافكر في الموضوع ده على رواقــة !

هتف سامي بإنزعــاج :

-أمجــد مش عاوز اي شكوك تيجي ناحيتي ، سامعني يا أمجد ، أنا مش ناقص أوس ولا غيره

أومــأ أمجد برأســه إيجابا ليرد عليه :

-حاضر يا سامي بيه !

....

في المشفى الحكومي ،،،،

استمرت تهاني في إقنـــــاع تقى بإمكانية حدوث الحمل ، ورغم إنكار الأخيرة تماماً ورفضها للتصديق إلا أن الأسباب كانت واضحة ومقنعة إلى حد كبير ..

ضغطت تهاني على شفتيها لتقول بإبتسامة باهتة :

-مش يمكن دي نعمة من ربنا

بقيت تقى على حالتها الجامدة ولم تعقب ، وظلت محدقة في الفراغ أمامها .. ولكن وجهها كان كافياً للتعبير عن نبذها للفكرة ..

مسحت تهاني على كف تقى عدة مرات ، وتابعت بإبتسامة متفائلة وهي تنظر لها بحنو :

-ايوه ، ربنا مش بينسى حد ، ويمكن هو أراد ده يحصل عشان يعوضك عن اللي شوفتيه ، طفل يكون فيه حنان الدنيا !

أدارت تقى رأسها في إتجاه خالتها ، ونظرت لها بغرابة ، فتابع الأخيرة قائلة :

-انتي شوفتي كتير ، وقاسيتي أكتر ، وجايز ربنا عمل كده عشان تلاقي الحب اللي يعوضك

إرتخت تعابير وجهها المشدودة قليلاً ، فشعرت تهاني أن حديثها بتلك الكلمات المؤثرة قد يؤتي ثماره ، فأضافت قائلة بجدية لتزيد من إقناعها بتقبل تلك المسألة :

-وبعدين احسبيها كويس من وقت ما اتجوزتوا هتلاقي إنه حصل !

سحبت تقى يدها من كفي خالتها ، وهدرت بإنفعال :

-لأ .. ماتقنعنيش !

تنهدت تهاني بإحباط وهي تقول :

-أنا تعبت يا تقى ، مش عارفة إنتي مش عاوزة تصدقي ليه

نظرت لها بحدة وهي تصرخ :

-لأنه استحالة يحصل ، مافيش واحدة بتحمل من آآ...

ثم دفنت وجهها بين راحتيها لتجبر عقلها على نسيان تلك اللحظات الموجعة ..

أمسكت تهاني بكفيها ، وأبعدتهما جبراً عن وجهها لتقول بجدية :

-لأ بتحصل ، إنتي بس عشان ظروفك كانت آآآ... يعني غير أي واحدة فمش قادرة تصدقي !!

اشتعلت عيني تقــى ، وزاد غضبها ، ولكن أكملت تهاني حديثها بصوت منزعج :

-عارفة المشكلة الأكبر ايه يا تقى ؟ لو عرف الباقي إنك حامل !

لمعت عيني تقى نوعاً ما ، وتسائلت متوجسة :

-قصدك ايه ؟

مالت عليها خالتها لتهمس لها :

-حياتك ممكن تكون في خطر لو حد عرف بده قبل ما أوس يفوق

ارتسمت علامات الصدمة على وجهها ، وفغرت شفتيها مذهولة :

-هـــاه

أرجعت ظهرها للخلف مرة أخـرى ، وتابعت بتوتر وهي تضع يديها على ذراعي تقى :

-انا معاكي وأقدر احميكي منهم يا بنتي ، بس .. بس دول شياطين وأبالسة ، ومحدش عارف دماغهم ممكن توديهم لفين ، أو .. أو يعملوا فينا ايه .. دول ناس ميقدرش عليهم إلا واحد زيهم .. فإحنا لازم نخبي الموضوع ده لحد ما جوزك يعرف الأول

فكرت تقى ملياً فيما قالته خالتها ، ربما تفكيرها مضطرباً الآن بسبب الصدمات المتتالية عليها ، وخاصة الصدمة الأخيرة ، ولكن في طيات حديثها الجاد هذا أشـــارت إلى التهديد الحقيقي الذي يهدد حياتها ..

وعفوياً مدت أصابعها لتتلمس بطنها ، وغمغمت لنفسها بتوتر رهيب :

-أنا .. أنا .. حــ...حامل !

راقبتها تهاني بهدوء ، وتنفست الصعداء لأنها قد بدأت نوعاً ما تتقبل فكرة كونها ستصبح أماً .... !!

....

الفصل الثامن (الجزء الثاني) :

في مكتب الصحفي وفيق ،،،،،

ألقى الصحفي وفيق بجسده على المقعد بعد أن سحبه للخلف ، وزفر بصوت مسموع وهو يسب قائلاً :

-يخربيته الواد عصفورة ، شبحني في الفلوس !

ثم إلتوى فمه بإبتسامة شيطانية ، وأخـــرج من جيبه هاتفه المحمول ، وأكمل قائلاً بلؤم :

-بس جايب حاجات انما ايه ، قاتلة !

ابتسم له بكر ليتسائل بحماس :

-يعني هنحط أخبار جديدة على الموقع ؟

برقت عيني وفيق بوميض خبيث وهو يجيبه بثقة :

-طبعاً ، وبالفيديوهات كمان !

تسائل بكر بفضــول وهو يعبث بحاسوبه المحمول :

-عن ايه المرادي ؟

تمطع وفيق بجسده وهو يجيبه بجمود :

-هو احنا ورانا حاجة غير عيلة الجندي !

ردد بكر عفوياً :

-تقصد أوس ومراته ؟

أومــأ برأسه مجيباً إياه بنبرة دنيئة :

-أهــا .. بس الدور ده مع أبوه ، واتهام صريح لمراته بخيانتها ، و خد كمان صاحبه فوق البيعة !

اتسعت عيني بكــر بشدة ، وهتف بحماسة واضحة :

-أوبــا ، ده كده ولعت

-طبعاً ..

قـــام وفيق بعرض مقاطع الفيديو المسجلة على هاتفه – والتي نقلها من على هاتف حمدي عصفورة - على رفيقه بكـر .. فصدم الأخير مما رأه ، ومن الإتهامات المجحفة لمهاب الجندي ومدى جبروته وتسلطه ...

تابع وفيق قائلاً بمكـــر رهيب :

-احنا دورنا نوجه أصابع الاتهام للمدام

قطب بكر حاجبيه بشدة ، وإحتج قائلاً :

-بس .. بس الفيديو بيقول إنها آآآ...

قاطعه وفيق بنبرة عابثة وهو يرفع حاجبيه للأعلى :

-احنا هنقص الجزء الأخير من الفيديو ده .. وهنعمل زووم على المقطع ده ، ونكرره ، والمشاهد بقى يحكم !

ابتلع بكر ريقه بتوتر .. فما سيقوم بفعله ربما يؤدي لحدوث فاجعة كبرى ، خاصة وأنه يعبث مع أخطر الأشخاص .. واستخدام تلك الأساليب الخسيسة والدنيئة في عرض حياتهم الخاصة على العامة غير محمود العواقب .. لذا تسائل بتوجس :

-طب.. طب لو الحقيقة اتعرفت ؟

أرجع وفيق ظهره للخلف في مقعده ، ورد بجمود :

-محدش هايعرف ،

ثم مسح بلسانه على أسنانه الصفراء ليضيف بعدم إكتراث :

-وبعدين مش هما اللي قايلين الكلام ده على لسانهم ، ولا أنا جايب حاجة من برا !

رمقه بكر بنظرات متعجبة وهو ينعته قائلاً :

-ده انت دماغك سم !

قهقه وفيق بتفاجر ، ورد عليه بنبرة مغترة :

-طبعاً ، هي مهنة الصحافة بالساهل

....

وبالفعل قـــام الصحفي وفيق بنشر مقتطفات من الفيديوهات بعد إجراءات تعديلات عليها على موقعه الإخباري وإضافة عناوين مثيرة للغاية ، وبسرعة البرق تم تداولها وإنتشارها على كافة المواقع ذات الصلة ...

....

في مشفى الجندي الخـــــــاص ،،،

وصل المحامي نصيف إلى المشفى ، وطالب مقابلة مهاب على الفور ، فسمح له بالصعود ، وأرشده أحد الممرضين إلى مكتبه ، واصطحبه أخـــر إليه ..

جلس نصيف على الأريكة الجلدية ، وظل يهز ساقيه بعصبية مفرطة وهو يتطلع إلى الباب ..

نظر في ساعة يده عدة مرات قبل أن يهب واقفاً من مكانه :

-لأ كده كتير ..

في تلك اللحظة فتح مهاب الباب ، وولج إلى الداخل ، ونظر إليه بهدوء ، ثم أشـــار له ليجلس قائلاً :

-واقف ليه يا أستاذ نصيف ، اتفضل اقعد

هتف نصيف قائلاً بتذمر :

-أنا مش جاي أقعد ولا أضايف ، أنا جاي أبلغك ببلوى على النت !

نفخ مهاب من الضيق وهو يسأله :

-في ايه تاني ؟

ســـرد له المحامي نصيف ما ورد على المواقع الإخبارية ، فإنفجر مهاب غضباً ، وقذف بمحتويات مكتبه على الأرضية ..

لم يتفاجيء نصيف من تصرفه ، بل على العكس زاد الطين بلة ، وأضاف بحنق :

-الأخبار مالية المواقع يا د. مهاب ، لازم تاخد بالك ، وعشان كده أنا جيت بنفسي أحذرك

صــاح مهاب بعصبية وهو جاحظ العينين :

-بنت الـ ...... فتحت العين علينا !

-ربنا يستر من اللي جاي

كـــز مهاب على أسنانه ليتسائل بغلظة :

-بس مين ابن الـ **** اللي صورني ؟

هز نصيف كتفيه ليقول بهدوء :

-مش عارف ، بس من الواضح ان ده مخطط معمول عشان يوقعك

احتقنت عينيه بشراسة مخيفة ، وهتف بوعيد :

-مش مهاب الجندي اللي يوقع بالساهل

مط نصيف فمه ليضيف بنبرة فاترة :

-عامة أنا موجود وهاتابع معاك كل حاجة

اقترب منه مهاب ، وحدق به قائلاً بصوت متشنج :

-اعرفلي بس مين ورا الأخبار دي يا نصيف

-حاضر يا باشا !

....

أسندت تهاني تقى بعد أن سمح لها الطبيب بالإنصراف ، وأوقفت إحدى سيارات الأجرة لتستقلها الإثنتين عائدتين إلى الحارة ..

وطـــوال الطريق ظلت خالتها توصيها بعدم إبلاغ أي أحد عن مســـألة حملها حتى تستقر الأوضـــاع .. فلم تبدْ الأخيرة إعتراضها ، وأسندت رأسها على كتف خالتها ، وظلت شــــاردة

تفكر فيما وصلت إليه حياتها ، وكيف عصفت بها الحياة في مصائب جمة في أسابيع معدودة ...

بعد برهــــة وصل السائق إلى مدخل الحارة ، فأشارت له تهاني بكفها :

-ايوه ، على جنب هنا يا اسطى

انتبهت تقى إلى صوت خالتها التي تابعت قائلة بجدية وهي تلكز السائق في كتفه :

-اتفضل يا بني

إلتفت السائق برأسه نحوها ، ومد يده ليتلقط الأجرة منها ، وشرع حديثه قائلاً بصوت متحشرج :

-متشكر يا ست

عدلت تقى من وضعية رأسها ، وتنهدت بإنهاك .. بينما ترجلت تهاني من السيارة ، ومدت يدها لتمسك بإبنة اختها وهي تقول بصوت دافيء :

-انزلي يا بنتي

إستندت تقى على ذراع خالتها ، وتأبطت بها ، وســارت الإثنتين بخطوات بطيئة عبر مدخـل الحارة ..

حدق معظم المارة بهما بغموض وفضــول ، ولكن لم تهتم تقى بنظرات من حولها .. فأقل ما يشغل بالها الآن هو كيف يفكر بها الجيران ..

....

صعدت تقى على الدرج أولاً ، ولحقت بها تهاني وهي تلهث بتعب ..

قابلتهما مصادفة الجارة إجلال ، فهتفت بسعادة :

-حمدلله على السلامة يا تقى ، منورة يا بنتي

ردت عليها الأخيرة بفتور :

-الله يسلمك

وتابعت صعودها دون أن تضيف كلمة أخــرى ...

نظرت لها إجلال بإندهاش وهي عابسة الوجه ، وتسائلت بقلق :

-هي مالها يا ست تهاني ؟

أجابتها تهاني بنبرة منهكة :

-معلش تعبانة شوية ، اعذريها !

زمت شفتيها لتسألها مستفهمة وهي تضع إصبعيها أسفل ذقنها :

-اه ياختي ، ربنا معاها .. بس هي جاية زيارة ولا آآ... ؟

ردت عليها تهاني بتنهيدة مطولة :

-لأ اعدة عندنا شوية

قطبت جبينها بإستغراب ، وسألتها بفضول :

-ليه ؟ هو في حاجة حصلت لا سمح الله

زفرت تهاني بصوت مسموع وهي تجيبها بنفاذ صبر :

-بعدين يا حاجة إجلال ، متأخذناش جايين من مشوار متعب !

شعرت الجارة إجلال بالحرج ، وردت عليها بإرتباك :

-اه وماله ، خدوا راحتكم ..!

....

قرعت تقى الجرس ، ففتحت لها والدتها ، وشهقت مصدومة حينما رأتها أمامها :

-تقى

إرتمت هي في أحضـــان والدتها ، وضمتها بإشتياق واضح إليها وهي تقول بصوت مختنق :

-ماما !

فرغم بيتها المتهالك إلا أنه الوحيد الذي تشعر بين جدرانه بالدفء والأمـــان .. وفيه تجد السكينة لكل أوجاعها التي لا تفارقها ..

حاوطتها والدتها بذراعيها ، ومسحت على رأسها قائلة بسعادة :

-والله وليكي وحشة يا بت !

ثم أرخت ذراعيها قليلاً ، وأدارت رأسها للخلف لتهتف بصوت مرتفع :

-تعالى يا عوض ، بنتك رجعت

إتكــأ عوض على عصاه وهو يخرج من غرفته لترفع تقى رأسها في إتجاهه ، وتهتف بصوت شبه باكي :

-بابا

ثم ركضت نحوه ، وألقت بجسدها في حضنه الدافيء الذي أشعرها بالأمـــان الحقيقي .. فوجود والدها في حياتها هو أكبر نعمة تعرف قيمتها ..

مسح والدها على ظهرها ، وردد بصوته الثقيل :

-تــ.. تقى

إنتحب صوتها وهي تهمس له :

-وحشني حضنك اوي ، أد ايه أنا محتاجة أكون جواه

ثم تركت لنفسها العنان لتبكي في أحضانه ، فواساها بنظراته المطمئنة ، وظل يربت على ظهرها

تعجبت فردوس من حالتها ، وأمعنت النظر في هيئتها ، وتسائلت بإندهاش :

-هو انتي جاية زيارة ؟ ولا آآآ...

مسحت تقى عبراتها بأناملها ، واعتدلت في وقفتها ، ثم إستدارت لتواجه والدتها ، وقبل أن تنفرج شفتيها لتجيبها ، صاحت تهاني بجدية :

-خشي ارتاحي يا تقى ، مش وقت حكايات

وقفت تقى مترددة في مكانها .. فأصرت تهاني على دخولها وعدم الحديث .. فإمتثلت لطلبها ، وسارت بتثاقل نحوها ..

اغتاظت فردوس من أختها ، وهتفت بضجر :

-مخلتيش البت ترد عليا ليه وتقولي هي جاية زيارة ولا لأ ، ولا انتي عاوزة تحصل فضيحة زي كل مرة هنا ؟

نهرتها بضيق وهي ترمقها بنظرات معاتبة :

-مش وقته يا فردوس ، سيبي البت ترتاح الأول

سألتها فردوس بإلحاح :

-يعني هي هتقعد معانا ؟

ردت عليها تهاني بإقتضاب :

-أيوه

لطمت فردوس على صدرها لتشهق فجــأة وهي تقول :

-هو .. هو ابنك طلقها ؟

نظرت لها تهاني شزراً ، وزفرت منزعجة :

-يوووه ، مش وقت أسئلة يا فردوس

سألتها فردوس بغضب :

-ما تريحيني يا ستي ، هو طلقها ولا لأ ؟

-لأ ..

قالتها تهاني وهي تتحرك صوب غرفة تقى ، فلحقت بها فردوس ، وأوقفتها من ذراعها لتقول متذمرة :

-استني يا تهاني ، فهميني في ايه بالظبط ؟ مش كانت راحت مع ابنك ، وخلاص قال تخصه وعمل أفلام هنا في الحارة وآآ...

قاطعتها بنفاذ صبر وهي تزيح قبضتها عنها :

-مش وقته يا فردوس ، انتي مش شايفانا جايين خلصانين

-ايوه شايفة وبسأل !

-أووووف

تابعت فردوس قائلة بتفرس :

-وبعدين البت وشها مخطوف ، وشكلها مبهدل ، مش عاوزاني أقلق ؟!

لوت تهاني فمها قائلة بضجر :

-يعني يا فردوس مش هترتاحي أبدا

ردت عليها بجدية :

-الله مش بنتي

أخذت تهاني نفساً عميقاً ، وزفرته بإنهاك لتجيبها :

-هي عملت حادثة مع أوس

لطمت فردوس مجدداً على صدرها وهي تصيح بصدمة :

-يا لهوي

رفعت تهاني بصرها للسماء لتقول بنبرة متوسلة :

-ربنا معاك يا ابني ويتولاك، ويزيح عنك ويقومك من اللي انت فيه ، يا قادر يا كريم

تسائلت فردوس بإستفســـار أكبر :

-يعني انتوا سيبتوه في المشتشفى وجيتوا هنا ؟

ردت عليها تهاني بحزن :

-حاجة زي كده

اغتاظت فردوس من ردود اختها المبهمة عليها ، فهتفت بصوت محتج :

-يا ستي ما توضحي كلامك معايا ، ولا انا غريبة وماليش لازمة ؟

أجابتها تهاني بصوت حانق :

-ايوه سيبناه

حركت فردوس فمها للجانبين بحركة مستنكرة ، وأضافت بسخط

-عادي كده ؟

رمقتها تهاني بنظرات حادة ، وتابعت قائلة بيأس :

-وفي ايدينا ايه نعمله ، ماهو أبوه ربنا ينتقم منه جه وخده !

ثم تحركت للأمـــام ، فأسرعت فردوس ورائها ، وهتفت بفضول :

-ايه ده ايه ده ، أبوه ، وخـده .. انتي هتكروتيني في الموضوع !!

نفخت تهاني بضيق واضح :

-يووه يا فردوس ، سيبني ارتاح وبعد كده هاحكيلك

ردت عليها فردوس بإنزعاج :

-ماشي يا اختي .. هانروح من بعض فين، ما بوزنا في بوز بعض !

....

مرت عدة أيـــام على تقى وهي في حـــالة شرود مستمرة .. تحاول إستيعاب فكرة كونها ستصبح أماً بعد بضعة أشهر ..

أخافها التفكير في هذا الأمر كثيراً .. فهي تعاني لوحدها ، وتكابد الكثير من أجل استعادة نفسها ، فكيف ستأتي بطفل لهذا العالم المقيت ليشاطرها الظلم والقهر .. ويعاني مثلما عانت ..

وما زاد من ذعرها هو تذكرها لكلمات مهاب المهددة بالإنتقام منها ، فماذا لو عرف بأمر حملها .. هل سينقل إنتقامه نحو جنينها ؟

احتمالية حدوث تلك الفكرة جعلت قلبها يخفق بقلق شديد ..

تابعتها خالتها بأسف .. هي تشعر بحيرتها ، وبالإرتباك والمشاعر المختلطة التي تسيطر عليها ..

هي لم تتعافْ بعد من مأساتها مع أوس ، فكيف ستتأقلم مع فكرة تأسيس أسرة ووجود طفل ..

ورغم السعادة الخفية في نفسها لكونها ستصبح جدة ، إلا أنها حافظت على هدوئها أمامها .. وأولتها الرعاية والإهتمام ..

ومع هذا كانت تقى تتناول لقيمات بسيطة من الطعام بعد إلحاح ، فهي قد فقدت شهيتها لكل شيء ..

ظل الفضـــول الممزوج بالحيرة يشغل بـــال فردوس ، ولم يتوقف عقلها عن التفكير في مصير ابنتها قليلة الحيلة والحظ ..

شعرت بوجود أمــر مريب في نظرات تهاني لإبنتها ، وكذلك في كلماتها المقتضبة إليها .. ولاحظت ذبول وجهها ، وحالة الإعياء المستمرة ، وقلة شهيتها للطعام ، ورغبتها بالجلوس بمفردها .. بالإضافة لنومها بالساعات ، والإنهاك المستمر رغم قلة نشاطها المبذول ..

حاولت هي أن تستدرج أختها في الحديث ، لكن الأخيرة كانت أكثر حرصاً في عدم الإفصاح عن أي شيء ..

....

لم تتوقف المواقع الإخبارية عن تناول الأخبار المتعلقة بعائلة الجندي ..

وتفنن البعض في إطلاق أكاذيب مغلوطة عن وجود علاقات غرامية تخص أوس وزوجته ، وسعي الإثنين للإنتقــام من بعضهما البعض بالإنغماس أكثر في الملذات المحرمة ..

وكان لموقع الصحفي وفيق نصيب الأســد في إطلاق تلك الأخبــار .. وحقق متابعات فائقة ، وأرباحاً لا تقدر ..

....

كما حاولت تهاني الإطمئنان على صحة ابنها عن طريق عدي الذي كان يبلغها بأي تطور يخصه أولاً بأول ..

كذلك إبتاع هو لها هاتفاً محمولاً لكي تتواصل معه هاتفياً دون الحاجة إلى زيارته في الشركة خاصة وأنه كان يخشى عليها من التعرض للإيذاء بسبب الإجراءات الأمنية المشددة والمفروضة على كل ما يخص عائلة الجندي من أجل إبعاد أعين الصحافة والمتلصصين ....

....

في مشفى الجندي الخاص ،،،،

غرزت الممرضة إبرة طبية في المحلول المعلق إلى جوار فراش أوس ، وتابعت مؤشراته الحيوية بإهتمام .. ثم أمسكت باللوحة المعدنية المعلقة على مقدمة الفراش ، ودونت عليها بعض الملحوظات ..

أسندتها في مكانها .. واتجهت إلى خـــارج الغرفة ..

تحرك جفني أوس بحركات عصبية متتالية .. ومال رأسه للجانب .. وبدأت أنفاسه تتســارع إلى حد مــا .. ثم أدار رأسه عفوياً للجانب الأخـر ، وزادت حدة أنفاسه..

إنفرج فمه ليشهق بصوت متحشرج بعد أن فتح عينيه فجـــأة :

-تـ... تقـــــــى !

رمش بعينيه عدة مرات لتعتاد عينيه على الإضاءة الموجودة بالغرفة .. ثم حرك رأسه قليلاً ليتأمل المكان من حوله ..

حـــاول أن يسترجع ما حدث معه ، فإقتحم عقله الكثير من الذكريات المتداخلة ..

رؤيته لتقى لأول مرة ، وصدامها معه .. ثم تحديها إياه .. إصراره على كسرها وإخناعها له ..

ثم سعيه لأخذها قسراً ، تدميره لعائلتها واستغلاله للظروف .. استسلامها له .. ومواجهتهما المصيرية ، ثم قسوته المفرطة ، وإعتدائه اللا آدمي معها ، وعنفه الذي أدى إلى لحظة إنهياره ، وكشفه أمـــام نفسه لتتضح معاناته النفسية ..

خوفه من فقدانها .. محاولته لإستعادتها .. ضميره المعذب .. روحه التي إحترقت شوقاً إليها .. نبذها له .. رغبته في تعويضها ، استمرار كرهها له .. ثم اللحظة الفارقة حينما أوشك على خسارتها أمام عينيه ، فوهــة المسدس المصوبة نحو صدره ، صراخها بإسمه .. وشعوره بالسكون حينما رقد في أحضانها .. وأخيراً أخر ما إلتقطته أذنيه مسامحتها إياه ...

اتسعت مقلتيه المحتقنتين بشـــدة ، وبحث عنها حوله ، فخفق قلبه ذعراً لعدم وجودها ، وخشي أن يكون قد حدث لها مكروهاً ..

فدون أدنى تفكير ، إستند بمرفقيه ليحاول النهوض من على الفراش ، ولكنه تأوه من الآلم الشديد الذي إجتاح صدره ، فكف عن المحاولة ، وسعل بصوت متحشرج .. ومن ثَمَ صـــاح بصوت جهوري مخيف :

-تقـــــــــى .... ؟؟؟ !!

....

الفصل التاســع :

في مشفى الجندي الخــاص ،،،

إحتقن وجـــه أوس بحمرة غاضبة رغم شحوبه ، وتشنجت تعابيره بشدة لعدم وجــود زوجته معه ، وصـــاح بصوت أكثر إنفعالاً :

-تقــــى ..!

انتفضت الممرضة فزعاً وهي تدلف راكضة إلى داخل الغرفة بعد أن سمعت صوته لأول مرة ..

تهللت أساريرها بعد أن رأت أوس الجندي قد إستعاد وعيه ، وهتفت غير مصدقة :

-أوس باشا ، حمدلله على السلامة يا فندم ! ده آآ...

صـــاح بها مقاطعاً إياها بصوت غاضب :

-فين مراتي ؟!

نظرت له الممرضة ببلاهة :

-هـــه !

تحامل أوس على نفسه لينهض عن الفراش ، ولكن إجتاح الآلم صدره بشدة ، فصرخ فيها بصوت هـــادر وهو يرمقها بنظرات نارية :

-بأقولك فين مراتي ؟ ايه مش سامعة ؟

اقتربت منه على حـذر ، وحاولت تثبيته في مكانه وهي تردد بهدوء زائف :

-اهدى بس ، حضرتك لسه في أول مرحلة الشفاء ، والجرح آآآ....

أمسك بها من رسغها ، وضغط عليه بقوته الغاضبة ، ثم جذبها نحوه ، وحدق فيها بنظرات مخيفة ليكمل صياحه الهادر :

-انتي مش هتقوليلي أعمل ايه ، ردي عليا ، فين مراتي ؟

إنتاب الممرضة حـــالة من الخوف الشديد ، وإرتجفت بشدة وهي تحاول تخليص معصمها ، وأجابته بنبرة مذعورة :

-أنا .. أنا معرفش حاجة ، ثـ .. ثانية واحدة أناديلك الدكتور مهاب وهو هايقولك

أرخـى أصابعه عنها ، فركضت الممرضة إلى خـــارج الغرفة لتبحث عن الطبيب مهاب ...

دفــع أوس بيده العقاقــير الطبية المسنودة على الطاولة الصغيرة المجاورة لفراشه ، وصرخ بإهتياج :

-هاتولي تقى هنا ، فين مراتي ، مش موجودة ليه ؟

دلف كبير الأطباء للداخل بعد إبلاغ الممرضة عن إفاقته ، ورسم على ثغره إبتسامة مستفزة وهو يقول :

-أوس باشا ، خضتنا عليك ..

ثم اقترب منه ليتفقد حالته ، ولكنه تفاجيء به يقبض على ياقته .. فشهق مصدوماً ..

جذبه أوس بعنف نحوه ، ثم إنقض على عنقه ، وأطبق عليه بأصابعه الغليظة ، وحدجه بنظرات مميتة ، وكز على أسنانه ليقول بشراسة جلية :

-فين تقى ؟

حاول أن يحرر كبير الأطباء عنقه من قبضته ، وابتلع ريقه بصعوبة بالغة ، وحاول أن يجيبه ، فخرج صوته متحشرجاً مختنقاً ومتقطعاً :

-مـ.. مش هنا !

ســأله بنبرة أعنف :

-أومــال فين ؟

-آآآ.. مـ... معـ..

-أوس .. سيبه !

قالها مهاب بقوة غريبة فأدار أوس رأسه في إتجاه والده ، ورمقه بنفس النظرات المشتعلة ، وأكمل بغضب :

-فين مراتي ؟

رد عليه مهــــاب بجمود قاتل :

-طردتها !

أرخــــى أوس أصابعه عن عنق كبير الأطباء بعد تلك العبارة الصادمة ، فسعل الأخير وهو يحاول إلتقاط أنفاسه ..

اقترب منه مهاب ، وربت على ظهره معتذراً :

-معلش يا دكتور ، سيبنا لوحدنا شوية

-حـ.. حاضر !

ثم غمغم كبير الأطباء مع نفسه وهو يفرك عنقه ليقول بتهكم وهو يلج للخــــارج :

-اولعوا مع بعض ، مش أحسن ما روحي كانت هاتطلع في ايد ابنك المفتري ده

سلط أوس أنظاره المحتقنة على والده الذي كان هادئاً بدرجة مستفزة ..

في حين سحب الأخير مقعداً ليجلس على مقربة من الفراش ، ثم وضع ساقه فوق الأخــرى ، ونظر إلى ابنه ببرود وهو يســأله بنبرة فاترة :

-كنت بتســأل عن مين ؟

رد عليه أوس بتسائل عنيف وهو يرمقه بنظرات مغلولة :

-طردت مراتي ليه ؟

أسند مهاب مرفيقه فوق ساقه ، وشبك أصابعه معاً ، وأجابه بهدوء مميت :

-لأنـها مش قيمتك ، ولا تستاهلك

إنتفض أوس من جلسته ليصرخ فيه بإنفعال والشرر يتطاير من مقلتيه الحمراوتين :

-هي مراتي ، محدش ليه الحق إنه يتحكم في اللي يخصها غيري

هــز مهاب رأســه ببرود ليســأله :

-أهــا .. وبعدين ؟

صـــاح أوس بصوت صـــارم وهو ينفث غضباً :

-أنا عاوزها تيجي هنا حالاً

رفع مهاب حاجبيه للأعلى ، ورد عليه بنبرة فاترة

-مش هايحصل

هــدر أوس بصوت متشنج :

-نعم !

حـل مهاب أصابعه من تشابكهم ، ولوح بكفه في الهواء ليبرر قائلاً :

-أوس .. شوف العصبية اللي انت فيها دي أنا مقدرها ، حاجة كانت في ايدك مسلياك يومين

صرخ فيه أوس بصوت عنيف وقد برزت عروقه الغاضبة من وجهه وعنقه :

-دي مراتي .. مش لعبة !

أنزل مهاب ساقه ، وإنتصب في جلسته ليرمقه بنظرات جامدة ، ورد عليه بجفاء :

-وإن يكن .. خلاص كفاية عليها كده !

تشنجت نبرة صوته وهو يكز على أسنانه بشراسة ليقول :

-مش انت اللي هاتقولي كفاية ، دي آآآ...

قاطعه مهاب ببروده المستفز :

-بطل الكلمة البايخة دي ، مراتك .. مراتك .. مراتك ، إيه يعني مراتك ؟

حذره أوس وهو يحاول كبح ثورته من الإنفجـــــار :

-دكتور مهاب ، بلاش تستفزني !

نهض مهاب عن المقعد ، ونظر إلى قراءة جهاز قياس نبضات القلب ، والذي أشـــار إلى زيادة واضحة في معدل ضربات قلب ابنه ، ثم أردف قائلاً بجمود وهو يطرق بإصبعه على الشاشة :

-اهدى شوية ! النبض الزيادة مش حلو عشانك

استشاط أوس غيظاً .. واحتقنت عينيه أكثر ، في حين أكمل والده ببرود وهو يوليه ظهره :

-أوس يا حبيبي ، البنت اللي بتدافع عنها ماتستهلش إنك تنطق اسمها ، وخصوصاً لما تعرف إنها آآآ...

توقف عن إكمـــال جملته ليحدق في عيني ابنه الملتهبتين ، واقترب أكثر منه ليهمس له بخبث :

-احم .. كان ليها عشيق سري !

جحظت عيني أوس بصدمة رهيبة .. وبدى وجهه كالقنبلة الموقوتة التي توشك على الإنفجار ..

استغل مهاب الوضع المحتقن ليضيف بلؤم :

-وده مش كلامي ، كل الأخبار في الأيام اللي فاتت آآآ...

هدر أوس قائلاً بصدمة واضحة :

-أيـــام ، هو .. هو أنا بقالي أد ايه هنا ؟

رد عليه مهاب بهدوء وهو يمسح على جبين ابنه :

-بقالك فترة

أزاح أوس يد والده عنه ، وأشـــاح بوجهه بعيداً ليحدق في الفراغ ، وردد بلا وعي :

-يعني .. يعني تقى لوحدها كل ده ؟

نفخ مهاب بصوت مسموع ، وهتف بنزق :

-برضوه بتجيب اسمها ، يا ابني افهم ، البنت دي سمعتها قذرة والكل بيحكي عنها !

زاد إتســـاع حدقتي أوس ، وإلتفت برأسه في إتجاهه ، وحدجه بنظرات نارية مميتة ، وضغط على أسنانه بقوة ليهتف بشراسة :

-دكتور مهاب ، مافيش داعي للغلط في مراتي

تجهم وجـــه مهاب قائلاً بغل :

-ايه مستخسر تقول بابا ؟

لم يعقب أوس ، واكتفى برمقه بنفس النظرات المحتدة ..

فتابع والده قائلاً بهدوء مصطنع وهو يوليه ظهره :

-براحتك ، بس أنا دوري يحتم عليا أمنع الوســاخة دي تلوث شرفك وسمعتك

كور أوس قبضة يده بشدة ، وتمالك أعصابه الثائرة ليرد عليه بنبرة حاسمة :

-عارف يا دكتور مهاب لو الدنيا كلها قالت عن تقى إنها أوسخ من أوسخ حد عرفته في حياتك ، فأنا مش هاصدق !

إغتاظ والده من رده ، وأضــاف قائلاً بصوت شبه منفعل :

-انت مش في وعيك ، تسلطك وحب التملك عاميك عن إنك تشوف حقيقتها

رد عليها أوس بنبرة واثقة دون أن تطرف عينيه :

-لأ .. حبي ليها مخليني متأكد إنها أطهر من أي حد .. حتى مني أنا شخصياً

كــز مهاب على أسنانه ليقول بصوت متشنج :

-انت مخدوع فيها ، أنا عاذرك ، بس لما تسمع وتشوف اللي اتقال هتغير فكرتك تماماً عنها

جاهد مهاب ليحافظ على هدوئه أمامه ، بينما رد عليه أوس بإصرار :

-برضوه مش هاصدق

قهقه والده عالياً ليثير حنقه أكثر بعد أن فشل في إقناعه ، وأكمل ساخراً :

-صدقني ، لو شوفت بس اللي بأقولك عليه هتغير كلامك ، ده انت مش بعيد تدبحها يا .. يا أبو دم حامي

هتف أوس قائلاً بنبرة عدائية مهددة :

-دمي الحامي ده هايقطع لسان كل كلب جاب سيرتها على لسانه ، مش مرات أوس الجندي اللي يتكلم عنها أي حد !

هــز مهاب رأسه مستخفاً بحديثه ليقول :

-اصبر بس وشوف ، وبعد كده أحكم

ثم أخــرج هاتفه المحمول من جيبه، وظل يعبث به ، ومــد يده نحو ابنه ليكمل بحدية :

-خد .. اتفرج ، أنا بنفسي مجمعلك كل الأخبار هنا عشان تتأكد

أبعد أوس يد والده عنه ، وتصلبت عروقه وهو يقول بحسم :

-مش عاوز أشوف حاجة

رمقه مهاب بنظرات مستخفة وهو يقول بسخرية مستفزة :

-لألألألأ .. ازاي يا بني ، وده يصح ، دي برضوه مراتك

ثم أسند الهاتف على طرف الفراش وتابع قائلاً ببرود وهو يغمز له:

-لازم تشوف .. وأنا هاسيبك براحتك !

تركـــه مهاب دون أن يضيف كلمة زائدة .. وإلتوى فمه بإبتسامة شيطانية وهو يحدث نفسه بتوعد :

-ولسه لما أكمل الباقي !

إلتقط أوس الهاتف بأصابع متشنجة ، ونظر إلى شاشته التي أضاءت بإسمه واسم زوجته ليقرأ ما قيل عنهما طـوال الفترة الماضية ...

....

في المقر الرئيسي لشركات الجندي للصلب ،،،

هب عدي واقفاً من على مقعده ، ودفعه بقدمه للخلف ليهتف بصياح :

-أوس فـــاق ، انت متأكد ؟

تنفس الصعداء وهو يصغي بإنتباه للطرف الأخــر ، وأضاف قائلاً بحماس :

-شكراً يا دكتور ، لأ تمام .. انا جاي

أنهى معه المكالمة ، وتنهد بحرارة وهو يضيف :

-يااااه .. أخيراً ... الحمدلله

ثم انطلق مسرعاً نحو باب الغرفة بعد أن إلتقط ميدالية مفاتيحه ، ولكنه توقف مكانه ليتابع بجدية بعد أن تذكر شيئاً ما :

-لازم أعرف مدام تهاني ، أكيد هتفرح أوي ، ده ابنها !

وبالفعل وضـع الهاتف على أذنه وهو يلج إلى الخــارج .. ثم ضغط بكفه الأخر على زر إستدعاء المصعد ..

تعجبت السكرتيرة من خروج عدي المفاجيء من مكتبه دون أن يبلغها بشيء ، وتسائلت مع نفسها بفضول :

-هو في ايه حصل ؟ عدي باشا بيجري كده ليه ؟!!!

تابعته بأنظارها إلى أن وصــل للمصعد ، فعاودت التطلع إلى شاشة الحاسوب الموضوعة على مكتبها

ردت تهاني بصوتها الهاديء على عدي ، فصاح هو بحماس :

-الو .. ايوه يا مدام تهاني ، عندي ليكي خبر هيفرحك أوي

سألته بإهتمام بادي في نبرتها :

-خبر ايه ؟

هتف دون تردد وهو يدلف داخل المصعد :

-أوس فـــاق !

صمتت ولم تعقب وكـــأن المفاجأة ألجمت لسانها ، فسأل متوجسًا :

-مدام تهاني سمعاني ! أوس فـاق

صرخت تهاني بلا وعــي :

-ابنـــي !

....

في منزل تقى عوض الله ،،،

لم تصدق تهاني أذنيها حينما أبلغها عدي بأن إبنها الوحيد قد إستعاد وعيه بعد تلك الجراحة الخطيرة ..

تنهدت بعمق ، وأدمعت عينيها بفرحة حقيقية ، وهمست لنفسها :

-ابني .. آآآه يا ضنايا .. الحمدلله يا رب ، ألف حمد وشكر ليك يا رب

رفعت بصرها للسماء ، وحمدت المولى كثيراً ،

ثم ركضت نحو غرفة تقى وعلى ثغرها ابتسامة مشرقة ..

....

جلست تقى في حالة شرود - كعادتها - على فراشها ، وهي ضامة ركبتيها إلى صدرها ، وعاقدة لذراعيها حولهما ..

وجدتها خالتها على تلك الحالة ، فرمقتها بنظرات سعيدة ، ثم جلست إلى جوارها ، ومدت يديها لتمسك بكفيها المعقودين ، وهتفت بسعادة جلية :

-تقى .. أوس ابني فاق ، خلاص عدى مرحلة الخطر والحمدلله

اتسعت حدقتيها بإهتمام عقب عبارتها الأخيرة ، وإنفرج فمها في صدمة ، وظنت أنها تتوهم ما تسمعه .. بينما تابعت تهاني بفرحة عامرة وهي تحيط نفسها بذراعيها :

-يـــاه .. ياما كان نفسي أخده في حضني واقوله حمدلله على سلامتك يا بني ، ولا كنوز الدنيا تسوى حاجة قصاد غيابك عن حياتي ، ولا آآ...

لم تصغْ تقى إلى ما تقوله خالتها ، فمـــا علق بذاكرتها هو الإبتسامة الراضية التي إعتلت ثغر أوس وهو في أحضانها حينما كانت تصرخ بإسمه ..

ابتسمت تلقائياً بعد أن تجسد نصب عينيها ذكريات الأوقات الأخيرة التي قضاها الاثنين معاً في الساحل بعيداً عن كل تلك الضغوط ..

تذكرت ما ظنت أنه وهماً حينما رأته يعبث بمنامتها الحمراء ، ومن إختلاسه للنظرات نحوها ، وإنكاره لإنهيارها المذعوم ، ثم دفاعه المستميت عنها ، وتمسكه بها حينما أوشكت على السقوط من حافة الشرفة ..

كذلك مزاحه الجاد معها .. وحمله إياها رغم تذمرها وإعتراضها على ذلك ..

وسعيه الحفي في تعويضها عن تعذيبه إياها .. وتوقه الشديد لإرضائها ..

ندمـــه الواضح على جريمته النكراء ..

توبته عن أفعاله المشينة ..

منعه لنفسه عنها رغم أسلوبها القاسي وتحديها المستفز لرجولته ..

رغبته الملحة في تقبلها له والصفح عن جريرته ..

وأخيراً سكونه في أحضانها بعد مسامحتها إياه ..

تنهدت بعمـق ، وأحست بإرتيـاح عجيب .. ربما لأنها لم تهنأ منذ أشهر .. واليوم فقط تذوقت للحظات طعم الراحـــة بعد أن إطمأنت عليه ..

-انتي مش سمعاني يا تقى ؟

قالتها تهاني وهي تنظر لها بإستغراب فقد ظلت صامتة لفترة ولم تعلق على تلك المفاجأة السارة

انتبهت الأخيرة لصوت خالتها الجـاد ، وردت بتلعثم :

-أنا .. أنا معاكي

ابتسمت لها خالتها ، وبدت أكثر تحمساً وهي تتابع قائلة :

-الحمدلله ، عقبال ما ربنا يجمعكوا سوا ، وتربوا ابنكم اللي جاي في حضن بعض

أثارت كلماتها الأخيرة القشعريرة في بدنها .. وإرتجفت لوهلة وهي تحاول تخيل وقــع الصدمة على أوس حينما يعلم بمســألة حملها ...

....

في مكـــان ما ،،،،

دلف مهاب الجندي إلى أحد مواقع تصوير البرامج الحوارية الشهيرة ، فأسرع أحد معدين هذا البرنامج المعروف بمد يده لمصافحته فور رؤيته إياه ، وهتف بجدية :

-نورت الاستديو يا دكتور مهاب ، بجد أنا مش مصدق إن حضرتك وافقت على الظهور في البرنامج بتاعنا

رد عليه مهاب بجمود وهو يرمقه بنظرات متمعنة من رأسه لأخمص قدميه :

-ده لمصلحة ابني

هز الأخير رأســـه قائلاً بنبرة مجاملة :

-أكيد طبعاً

اتجهت مذيعة مـا – صارخة الجمـال – تضع الكثير والكثير من مساحيق التجميل على وجهها ، وترتدي ثياباً رسمية داكنة نحوهما ..

رسمت على ثغرها إبتسامة مصطنعة ، ومدت يدها لتصافح مهاب قائلة بنبرة رقيقة :

-أهلا وسهلاً يا فندم

بادلها مهاب المصافحة قائلاً بنبرة جافـة :

-اهلا بيكي يا أستاذة

ازدادت إبتسامتها إتساعاً ، ورددت بإمتنان وهي تشير بيدها :

-شكراً لتشريف حضرتك ، وظهورك في البرنامج عندي

رد عليها بصوت آجش

-العفو .. !

ثم رفع أنفه للأعلى ليكمل بكبرياء مشروط :

-بس قبل ما نبدأ تصوير للحلقة ، أنا عاوز أشوف الأسئلة ، وده شرطي قبل ما اطلع على الهوا

هزت رأسها موافقة ، وأجابته بهدوء وهي ترسم تلك الإبتسامة الباهتة على محياها :

-حاضر .. وأنا عاوزة حضرتك تطمن ، كل الأسئلة هاتكون ضمن اللي حصل وبيتقال

مط فمه في إعجاب ليضيف بجدية :

-تمام .. ومش عاوز مكالمات هاتفية أو غيره

نظرت له بنظرات مطولة ، وأكملت بإطراء :

-اوكي .. اللي انت عاوزه يا دكتور مهاب ، ظهورك في البرنامج عندي إضافة ليا

تقوس فمه قليلاً قائلاً بإيجاز :

-متفقين !

ثم تحرك الاثنين سوياً نحو منطقة التصوير ، وأردفت المذيعة قائلة بحماس :

-أنا واثقة إن الحلقة هاتحقق أعلى نسبة مشاهدة

نظر لها بقوة ليضيف بإزدراء :

-أنا مايهمنيش نسب المشاهدة أد ما يهمني إن الكل يخرس ويلزم حدوده !

تنحنحت في حرج لتقول بخفوت :

-طبعاً .. ده حقك

ثم إلتوى فمـــه بإبتسامة خبيثة ، وغمغم مع نفسه بنبرة دنيئة :

-طالما ابني مش واعي للقرف اللي جاي من ناحية الملعونة دي ، يبقى لازم أتصرف وأخلصه منها بطريقي .. بالظبط زي ما أنا متعود أعمل كل حاجة مهمة بنفسي !

....

بأحـد أسواق الحارة الشعبية ،،،

وقفت فردوس أمـــام إحدى عربات بيع الخضـــار لتنتقي ما هو مناسب لتبتاعه وفق حاجتها ، ومن ثم تطهوه في المنزل لعائلتها ..

راقبتها سيدتين على مقربة منها ، وهمست إحداهما للأخـرى بسخط وهي تغطي فمها بطرف حجابها :

-ياختي الولية عينها قادرة ، نازلة وماشية وسطنا كده عادي ولا كـأن بنتها عملت عاملة منيلة بستين نيلة !

مطت الأخرى فمها لتضيف بتهكم :

-دي فاجرة ولا حد بيهمها ، ده لولا الواد شعبان قالي على الكلام اللي البتاع اللي اسمه ابصر ايه الفيس ولا كنا هنعرف

مالت الأولى على رأس رفيقتها قائلة بحنق :

-هما دول بيهمهم

إلتوى فم الأخـرى بسخط واضح وهي تقول :

-ربنا يسترها على ولايانا ، عالم مايجيش من وراها إلا الفضايح

تسائلت الأولى بحنق :

-طب احنا هنسيبها كده ؟

ردت عليها الأخـرى بتساؤل وهي ترفع حاجبها للأعلى :

-يعني نعمل ايه ؟

ضيقت السيدة الأولى عينيها لتهمس بلؤم :

-نسمعها إن الوضـــع مش عاجبنا

برقت عيني السيدة الأخرى بلمعان مريب ، وهمست وافقة وهي تشير بكفها :

-وماله ياختي ، إياكش يأثر الكلام في جيتها النحس دي

تحركت الاثنتين قليلاً .. ثم هتفت الأولى متعمدة وبصوت شبه مرتفع رامقة فردوس بنظرات إحتقارية :

-ألا قوليلي ياختي ، هو مافيش خشى خالص كده ، صحيح ناس كاشفة وشها ولا هامهما اللي بتعمله بناتها

أكملت السيدة الأخــرى بسخط وهي تهز حاجبيها :

-ماهو اللي اختشوا ماتوا يا حبيبتي من زمــان ، بس بعيد عنك في ناس عينـها أد كده ومابيهماش !

شعرت فردوس أن هذا الحديث الجانبي موجــه إليها ، لذا إستدارت بجسدها نحوهما ، ورمقتهما بنظرات حــادة ، وتسائلت بصوت شبه منزعج :

-انتو بتتنأرزوا على مين يا ولية منك ليها ؟

لوت السيدة الأولى فمها لتجيب بتنهيدة متأففة :

-اللي على راسه بطحة بيحسس عليها

احتقنت عيني فردوس قليلاً ، وهتفت بنبرة مهددة وهي تلوح بذراعها محذرة :

-قصدك ايه ؟ لمي لسانك انتي وهي بدل ما شبشبي أنسله على جتت كل واحدة فيكم !

ردت عليها السيدة الأخــرى قائلة بنبرة مهينة :

-بدل ياختي ما تمدي ايدك علينا ، روحي ربي بنتك اللي جابت سمعة الحارة للأرض

صاحت فردوس بصوت غاضب وهي تحدجهما بنظرات نارية :

-بنتي ، قطع لسان أي حد يجيب سيرتها ، دي شريفة و متجوزة وآآ..

قاطعتها السيدة الأولى قائلة بسخرية :

-متجوزة أه ، شريفة دي .. احم .. متأخذنيش

برزت مقلتي فردوس الغاضبتين أكثر ، وهتفت :

-نعم ؟

أضافت السيدة الأخــرى بحدة :

-روحي شوفي الكلام اللي بيتقال عنها على النت وبعدين اتكلمي !

فغرت فردوس شفتيها لتتساءل بعدم فهم :

-نت ! ده ايه ده كمان ؟

هزت السيدة الأولى كتفها في عدم اكتراث وهي تجيبها ببرود:

-اسألي بنتك وهي تقولك !

أمسكت السيدة الأخــرى بكتف رفيقتها ، وقالت بجمود :

-بس يا ولية .. واحنا مالنا ، تلاقيهم مطبخينها سوا !

زاد إندهــاش فردوس وشعورها بالبلاهـــة ورددت :

-هـــاه ، مطبخينها !

تغنجت السيدة الأولى بجسدها ، وأردفت قائلة بإزدراء :

-يالا بينا ، لأحسن نتشبه

ردت عليها السيدة الأخــرى بسخط :

-على رأيك .. و ربنا يسترها علينا ، ويكفينا شرهم !

وابتعدت الاثنتين عنها ، فظلت أنظارها معلقة بهما ، وتسمرت في مكانها تفكر ملياً فيما حدث ، وتسائلت مع نفسها بنبرة حائرة :

-هما بيتكلموا عن ايه بالظبط ؟ نت ايه وفضايح ايه اللي بنتي عملاها ، أنا لازم افهم منها !

....

في مشفى الجندي الخـــاص ،،،،

شـــاهد أوس الجندي بتركيز شديد ما قدمه له والده من مقاطع مرئية مسجلة ومنشورات إخبارية تخصه وتخص زوجته تقى .. فزاد إحتقان وجهه ، وبرزت عروقه الغاضبة من عنقه ، وإشتعلت عينيه كجمرتين متقدتين ...

قذف بالهاتف ليتحطم إلى أجزاء على الأرضية صارخاً بعصبية رهيبة :

-مش تقى اللي تعمل ده ! وابن الـ **** اللي عمل كده هاندمه عن كل حرف كتبه في حقها !

ظل أوس يطلق سباباً لاذعاً ، وتهديدات متوعدة لمن أســاء إلى حبيبته ..

وفي نفس اللحظة ، دلف الطبيب مؤنس إلى داخل الغرفة ، ونظر بإندهــاش إلى الهاتف المحطم ، وتسائل بتخوف وهو يتأمل ملامح وجهه المحتقنة :

-أوس باشا .. انت .. انت كويس ؟

إستدار أوس برأســه ناحيته ، وبدى شرساً للغاية وهو ينطق بصوت صــارم :

-أنا عاوز أخــرج من هنا

تفحص الطبيب مؤنس صدره بحذر ، وإلتفت برأسه لينظر إلى مؤشراته الحيوية عبر الشاشات الموصولة به ، ثم أردف قائلاً بهدوء جدي :

-قريب ، بس الوقتي مش هاينفع ، لازم الجرح يلم الأول

كـــز أوس على أسنانه قائلاً بإصرار :

-يلم وأنا برا ، مش وأنا راقد هنا وعاجز !

ابتلع الطبيب مؤنس ريقه ، وتابع بجدية :

-كله عشان صحتك يا باشا !

هـــدر به أوس بإنفعـــال :

-أنا أدرى بصحتي عن أي حد

دلف عدي إلى داخـــل الغرفة وعلى وجهه سعادة واضحة ، وهتف بحماس وهو يرى رفيقه يتحدث مع الطبيب :

-أوس

نظر الأخير نحوه ، ورمقه بنظرات شبه محتدة وهو يردد بهدوء زائف :

-عدي .. تعالى

اقترب منه رفيقه المقرب والوحيد ، وانحنى بجذعه عليه ليحتضنه بصدق ، وهمس له :

-وحشتني أوي يا صاحبي ، حمدلله على سلامتك

ثم رفع رأسه ليقبله في جيبنه ، وتابع بحماس :

-لو تعرف حالنا كلنا كان عامل ازاي من غيرك كنت هتعذرنا

ابتسم مؤنس لوجود عدي في الوقت الحالي ، وتعشم خيراً أن يثنيه عن رأيه المتصلب .. ونظر له بتفائل ، لكنه وجد نظرات أوس الجامدة مسلطة عليه ، وشعر أن وجوده غير مرغوب به ، فتنحنح قائلاً وهو يتجه نحو الباب :

-احم .. طيب اسيبكم أنا على راحتكم وأطمن عليك وقت تاني يا باشا

تابعه أوس بنظراته المشتعلة إلى أن خرج من الغرفة ، فهتف بتلهف و دون تأخير :

-عدي ، فين تقى ؟

أجابه عدي بتلعثم بعد أن اعتدل في وقفته :

-آآ.. هي آآ..

أضـــاف أوس قائلاً بإصرار واضح في نبرته ونظراته :

-أنا عاوز أشوفها ، هي فين ؟

رسم عدي إبتسامة باهتة على ثغره وهو يجيبه بفتور :

-اطمن ، هي في بيت اهلها !

سأله أوس بإهتمام وهو محدق به :

-انت شوفتها بنفسك ؟

أومـــأ برأسه إيجاباً :

-ايوه

ثم ضغط على شفتيه قليلاً ، ووضع يده على رأسه ليحكها للحظة .. ونفخ بخفوت .. فقد كان متردداً في إبلاغه بما حدث .. وخشي عليه من أن تثور ثائرته حينما يعلم بما قيل من اقاويل مغلوطة تخصه ..

ولكن في النهاية حسم تفكيره المضطرب بأن هتف سريعاً بصوت آجش :

-أنا مش عارف أقولك ايه ، بس اكيد انت عرفت باللي اتنشر عنك وعن تقى ، و آآ....

قاطعه أوس بصوت غاضب ومحذر :

-ماتكملش يولع كل ده ، أنا عاوز مراتي ، سامعني !

أردف عدي قائلاً بهدوء حذر وهو يترقب ردود أفعال رفيقه الغير متوقعة :

-ماشي .. بس أنا حابب أعرفك باللي اتقال في غيابك ، والفيديوهات على لسانا وآآ..

إتسعت حدقتي أوس بشدة ، وقال بصوت شرس :

-اسمعني يا عدي ! لو الدنيا كلها قالت إن تقى زانية وبنت **** ، فأنا الوحيد اللي استحالة أصدق ده عنها ، سامعني استحالة !

هز رأســه موافقاً إياه :

-تمام ..!

ثم ضغط على شفتيه ، وتابع قائلاً بحرج :

-أنا .. أنا أسف يا صاحبي لو جرحتها بكلامي ، بس والله غصب عني ، الكلام كان زبالة وأنا كان يهمني انت وآآ...

قاطعه أوس بعتاب وهو يرمقه بنظراته القوية :

-عيب عليك تصدق على مرات صاحبك كده !

مط عدي فمه قائلاً بنبرة نادمة :

-عندك حق

ثم أضـــاف محدثاً نفسه وهو محدق بأوس :

-ايوه .. وبنت خالت مراتي !

حـــاول عدي أن يغير مجرى الحديث في محاولة منه لتخفيف حدة الأجواء المشحونة ، فأردف قائلاً بإعجاب :

-بأقولك يا أوس ، هو انت عرفت إنها انقذتك ، ونقلتك على المستشفى ؟

إرتسمت علامات الإندهـــاش على وجهه ، وحدق فيه بعدم تصديق .. و تسائل بجدية ممزوجة بالتلهف :

-هي عملت كده لوحدها ؟

ابتسم عدي وهو يجيبه :

-ايوه .. لوحدها

ولكن سريعاً ما تلاشت إبتسامته وهو يتابع بصوت أسف :

-بس طبعاً انت عارف الصحافة بتشمشم على أي خبر وغيروا الحقايق وآآ..

قاطعه أوس بنبرة تهديدية صريحة :

-ولاد الكلب اللي عملوا كده مش هايترحموا !

ثم تنهد بعمق ، وحدق أمــامه ليضيف بنبرة صادقة :

-تقى غير أي واحدة عرفتها في حياتي ، أنا .. أنا بأشوف فيها نفسي ، ضعفي وقوتي معاها ، مش محتاج أكون غير بس أوس الحقيقي عشان أحس بيها وتحس بيا !

أصغى عدي له بتعجب واضح على ملامح وجهه ، فهو لم يتوقع يوماً أن تفعل فيه تلك الفتاة الضعيفة التي لا حول لها ولا قوة كل هذا ، وتغير ما عجز الأخرين عنه ...

هتف أوس بجدية بالغة بعد أن اشتدت عينيه إصراراً :

-المهم أنا عاوزك تجبهالي أشوفها

تسائل عدي بقلق :

-الوقتي ؟

هز أوس رأسه إيجاباً ، ورد عليه بتلهف :

-ايوه .. مش قادر أصبر على بعادها

زم عدي فمه ليقول بإنزعــاج :

-ماشي .. بس انت عارف انه هايكون صعب هنا ، أبوك عامل حراسة امنية رهيبة

صــاح أوس بإصرار وهو يرمقه بتلك النظرات القوية :

-اتصــرف ، هات مرات أخوك !

-حاضر

ثم صمت للحظة ليتسائل بعدها بحذر :

-طب .. وآآ.. ومدام تهاني ؟

نفخ أوس قائلاً بضيق :

-مش وقتها .. أنا عاوز مراتي وبس !

برر عدي ما فعلته قائلاً :

-أوس .. صدقني مدام تهاني كان قلبها بيتقطع عشانك ، انت ماشوفتش كانت عاملة ازاي ، وآآ....

قاطعه أوس بنفاذ صبر :

-مش وقته يا عدي ، خليني في مراتي وبس

رد عليه عدي بإحباط :

-تمام .. اللي تشوفه

ثم تسائل أوس بإهتمام :

-وايه اخبار ليان ؟

أجابه رفيقه بفتور :

-أهوو .. في تحسن شوية في حالتها

هز رأسه قائلاً بنبرة راضية :

-كويس ، والشغل ؟

-شغالين ، اطمن

حك أوس طرف ذقنه ، وأضــاف قائلاً بجدية بالغة :

-عارف يا عدي اللي خطط إنه يقتلني مكنش حد عادي ، لأ ده مراقبني كويس وعارف تحركاتي

أومــأ عدي برأسه موافقاً إياه ، وهتف :

-أهــا .. ده واضح من كلام تقى !

انعقد ما بين حاجبيه في إستغراب ، وتسائل بإهتمام واضح :

-وانت عرفت ازاي ؟

رد عليه عدي بهدوء :

-من تحقيقات النيابة ، أصلهم حققوا معاها في الأول ، والمفروض هياخدوا أقوالك ..

-أها

ثم أكمل قائلاً بجدية :

-كمان أنا موصي المحامي منعم يتابع التفاصيل ويبلغني بالجديد أول بأول !

تابع أوس قائلاً :

-عظيم .. وآآ...

لم يكمل الأخير جملته حيث اقتحم الغرفة الطبيب مؤنس ، وهتف بتوتر رهيب :

-سوري إني بأقاطعكم ، بس في حاجة مهمة لازم تتابعها يا أوس باشا !

إنقبض قلبه للحظة ، وتسائل بتخوف :

-حاجة ايه دي ؟

حدق الطبيب مؤنس فيه ، ورد عليه بإرتباك :

-د. مهاب على الـ TV في برنامج توك شو ، وبيتكلم عنك !

قطب أوس جبينه ، وردد على الفور :

-عني !

هز الطبيب مؤنس رأسه قائلاً :

-أهــا

شرد أوس للحظة فيما يمكن أن يفعله والده ، ثم تسائل بنبرة شبه قلقة بعد أن تجهم وجهه بشدة :

-فين بالظبط ؟

مــد الطبيب مؤنس يده بهاتف محمول ، ورد عليه بحذر :

-حضرتك اتفضل تابع الحلقة على الإستريم المباشر ده

تناوله منه أوس ، ونظر إليه بترقب مريب ..

....

في منزل تقى عوض الله ،،،،

حدقت تقــى بأعين جاحظة أمــام شاشة التلفاز بعد أن رأت وجــه المقيت مهاب ظاهراً عليه في أحد البرامج الحوارية ..

ابتلعت ريقها بتوجس ، وشعرت بخفقات قلبها المتتالية ، فظهوره في الوقت الحالي غير مبشر على الإطلاق ...

نظرت تهاني بإزدراء إليه ، وهتفت بحنق :

-قلبي عمره ماهيصفى ولا يرتاح للانسان ده

ردت عليها تقى بنبرة شبه خائفة :

-أنا.. أنا حاسة انه ناوي على كارثة

هتفت تهاني بفتور وهي تلوح بذراعها :

-ميقدرش ، بلا وجــع دمــاغ !

ثم أوشكت على تغيير المحطفة الفضائية ، فصاحت فيها تقى بتلهف :

-استني يا خالتي .. أنا عاوزة اسمع هايقول ايه

ردت عليها تهاني بضجر :

-يا بنتي ده راجل مش مظبوط ، مش بيجي من وراه إلا وجع القلب والمشاكل

نظرت لها تقى بتوسل وهي تهمس بإستعطاف :

-معلش ، عشان خاطري

ردت عليها تهاني بإستسلام :

-الأمــر لله .. حاضر يا بنتي

في نفس اللحظة فتحت فردوس الباب لتدلف إلى الداخل ووجهها شديد العبوس .. وعينيها تشير إلى غضب جم ..

لم تنبس ببنت شفة ، ولكنها سلطت أنظارها المشتعلة على ابنتها ..

وهتفت بصوت قاتم :

-سلامو عليكم

ردت عليها تهاني بنبرة عادية :

-وعليكم السلام .. تعالي يا فردوس اقعدي جمبي

نظرت فردوس بإحتقار إلى ابنتها ، وأضافت بسخط جلي في نبرتها

-أجي فين ، ماكفاية الهانم مشرفانا !

نظرت لها تهاني بعدم فهم ، وسألتها بتوجس :

-قصدك ايه ؟

صاحت فردوس بصوت محتقن :

-يعني مش عارفة يا تهاني ؟ ولا مطرمخاها مع المحروسة

اعتدلت تهاني في جلستها ، رومقت أختها بنظرات حادة ، وعاتبتها قائلة :

-ايه الكلام الغريب اللي بتقوليه ده ؟ عيب كده يا فردوس

وفجــأة صاحت تقى بنبرة شبه مرتجفة وهي تشير بيدها :

-عَلي صوت التلفزيون شوية يا خالتي ، الراجل ده بـ .. بيتكلم عني !

أدارت فردوس رأسها نحو شاشة التلفاز ، ورددت بتجهم :

-عنك في التلافزيون ؟

ثم حدقت في صورة مهاب الجندي ، وتسائلت بحيرة بادية على تعابير وجهها :

-وده مين ده كمان ؟!

إلتوى فم فردوس بصورة متجهمة لتضيف بسخط :

-ولا هي المشرحة ناقصة قُتلى !

....

في إحدى استديوهات التصوير ،،،

وضــع مهاب الجندي ساقه فوق الأخــرى ، وجلس بكبرياء عجيب وهو يتطلع إلى المذيعة الجالسة قبالته بثبات ..

بينما حاورته الأخيرة بجدية شديدة :

-معنى كده إنك بتنفي تماماً علاقته بتقى عوض ؟

تنحنح مهاب بصوت خشن ، ثم رد عليها بنبرة رزينة :

-زي ما قولت لحضرتك ، ابني أوس معدتش ليه علاقة بالبني آدمة اللي الكل بيتكلم عنها

أضافت المذيعة قائلة بهدوء وهي ترفع رأسها بشموخ :

-بس دي مازلت زوجته يا فندم !

تصلب وجهه ، وأدار رأسه في مواجهة الكاميرا ، وأردف قائلاً بثبات قاتل :

-كانت ! وأنا من عندك هنا في البرنامج بأعلن رسمياً انفصال ابني عنها .... !!!

....

الفصل العاشر (الجزء الأول) :

في السجن النسائي ،،،،

هبت ناريمان واقفة من مقعدها مصدومة في القاعة المخصصة للسجينات لمشاهدة التلفاز ، وفغرت فمها لتصيح بنبرة عالية وغاضبة في آن واحد :

-يا بن الـ *** يا مهاب ، خربتها وأعدت على تلها !

وبختها سجينة أخـرى قائلة بحدة :

-اسكتي يا ولية خلينا نشوف ، مش ناقصين ولولة على المسا

رمقتها ناريمان بنظرات متأففة ، ثم عاودت الجلوس على مقعدها ، وتمتمت مع نفسها بضجر :

-انت ورا أي شر بيحصل يا مهاب

ضيقت عينيها بشدة ، وتابعت بهمس عدواني :

-بس أنا مش هاخليك تتهنى ، والله لأخلي رقبتك تتعلق على حبل المشنقة !

عقدت ساعديها أمـــام صدرها ، وكزت على أسنانها بشراسة لتضيف بوعيد :

-وزي ما رميتني هنا اتبهدل وأتمرمط ، أوعدك إنك هتترمي قريب في المزبلة دي !

....

في مشفى الجندي الخــاص ،،،

إشتعلت عيني أوس بنيران متأججة بعد أن رأى وسمع ما صــرح به والده عبر ذلك البرنامج الحواري .. وسريعاً ما تلون وجهه بحمرة محتقنة للغايـــة .. وبرزت عروقه المتصلبة من جميع أنحاء جسده ، وكاد يعتصر الهاتف المحمول بقبضته ...

نظر عدي نحوه بتوجس رهيب خاصة بعد أن إستمع لتلك النبضات العنيفة التي يبثها جهاز قياس نبضات القلب ، وشعــر بما هو عليه ، وحاول أن يهدئه قائلاً بحذر :

-أوس .. اكيد د. مهاب مايقصدش وآآ.. وده كلام بيقوله عشان يخرس الألسنة !

لم ينطق أوس بكلمة واحدة أو يعقب عليه ، ولم تتبدل ملامح وجهه المنذرة بقنبلة على وشك الإنفجار والإطاحة بالجميع ، بل ظلت نظراته النارية مسلطة على وجه أبيه البارز في شاشة الهاتف ..

وفجــأة قذف بالهاتف بكل عنف ، وأدار رأســـه في إتجاه عدي لينطق بتشنج بادي في نبرته وهو يرمقه بنظرات مظلمة :

-هاتلي رقم منتج البرنامج ده بسرعة

ابتلع عدي ريقه بقلق واضح حتى في نظراته ، ورد عليه بحذر :

-ماشي .. أنا هاتصل بالسكرتارية وهما يتصرفوا ، إهدى انت بس

صرخ فيه بصوت مخيف :

-مش هاهدى قبل ما أرد على مهاب باشا وأكدبه قصاد الناس

-طيب

هاتف عدي مكتب السكرتارية ، وطلب من السكرتيرة البحث فوراً عن رقم منتج هذا البرنامج الشهير .. وبالفعل لم تمر دقائق إلا وكان الرقم معه ..

قـــام عدي بالإتصـــال بمنتج البرنامج وطلب بصوت آمـــر :

-معاك عدي عبد الرحمن مدير مكتب الباشا أوس الجندي ، وهو بنفسه هايكلمك

ثم مـــد يده بالهاتف قائلاً بتوتر :

-اتفضل يا أوس

أمسك أوس بالهاتف ، وضغط على شفتيه لينطق بغلظة شديدة :

-ألو ، معاك أوس الجندي ، ابن الدكتور مهاب ، وأنا عاوز أدخل في مداخلة الوقتي معاه !

لمعت عينيه بوميض شرس وهو يهدر بغضب جلي :

-يعني ايه ممنوع ، انت فاهم انت بتكلم مين ؟

صمت للحظة ليستمع إلى رد المنتج ، ثم هتف بإهتياج وعينيه المشتعلتين تبرزان من محجريهما :

-نعم مهاب الجندي هو اللي مانع بالأمر المباشر أي مداخلة هاتفية .. طب اسمع بقى ، احسنلك تدخلني معاه على الهوا ، وإلا قسماً بالله لهاقفلك القناة والبرنامج وأشردك انت وكل اللي معاك !

راقب عدي ردود فعله بقلق بالغ .. فهو يخشى عليه من تهوره المصحاب لإنفعاله ، وكذلك من تصرفاته الجريئة والغير متوقعة ...

تابع أوس قائلاً بتهديد صريح :

-اتحمل بقى نتيجة رفضك ده

ثم أنهى المكالمة وهو ينظر في إتجاه عدي ، وأردف قائلاً بصوت متصلب :

-تجيبلي مراتي هنا حالاً ، وإلا آآ...

ابتلع عدي ريقه متوتراً وقاطعه بنبرة جادة وهو يشير بيده :

-اعتبرها جت ! أنا رايحلها الوقتي !

ثم أخذ الهاتف ، ودســـه في جيبه ، وأســـرع في خطواته ليتجه نحو الباب وهو يدعو الله في نفسه ألا يتهور أوس ويرتكب أي حماقات أثناء غيابه ، ولكنه تسمر فجــأة في مكانه ، وأدار جسده للخلف ليهتف بنزق :

-أوس أنا عندي فكرة يمكن تخدمك ..!

....

في منزل تقى عوض الله ،،،،

ســـاد على جميع من في المنزل حالة من الصدمة الممزوجة بالرعب بعد تصريح مهاب المميت ..

لم تستطع فردوس الوقوف على قدميها ، وجلست على الأريكة في حالة ذهـــول تــام ، وأخذت تلطم على فخذيها قائلة بخزي :

-يادي الفضايح ، يادي الجرس ، مش بنلحق يا ناس ! يالهوي ، أعمل ايه ، أدراى فين ؟ خلاص .. احنا فضحيتنا بقت على كل لســـان ، يالهوي !!

شهقت تهاني بصوت مرتفع ، ووضعت يدها على فمها ، ونظرت إلى تقى بإشفاق حقيقي ..

هي تعلم مدى دناءة مهاب ، ولكنها لم تتخيل بشاعة وضاعته ، ولا خسته التي لا حدود لها ليفعل هذا دون ذرة ندم واحدة .. ظلت تهز رأسها مستنكرة ما سمعته ابنة اختها البائسة ، ورأت تعابير الإحباط تكسو قسماتها ، وعلامات الإنكســـار تعاود للظهور بكثافة لتنذر بفاجعة قريبة ..

تجمدت نظرات تقى على شاشة التلفــاز .. وبدت مغيبة عمن حولها .. حدقت أمامها بنظرات خاوية من الحياة ..

تلاشى كل شيء حولها ، وحل مكانه ضباب مظلم وعلق بذهنها فقط صورة مهـــاب ونظراته الشيطانية لها .. وإخترق آذانها صوته المهدد بتدميرها ..

إنسابت العبرات الساخنة – عفوياً - على وجهها الشاحب لتحفر طريقها حتى شفتيها المرتجفتين ..

نهضت تهاني بتثاقل من على الأريكة وقلبها يخفق بقوة خوفاً عليها ، وجلست إلى جوارها ، ومدت يدها لتهزها قائلة بصوت مختنق :

-مش هايحصل الكلام ده يا بنتي ، أوس استحالة يعمل كده

ثم لفت ذراعيها حولها لتضمها إلى صدرها ، وأسندت رأسها على كتفها ، وتابعت بصوت شبه باكي وهي تمسد على شعرها بعطف :

-ده راجل مفتري ومش بيهمه حد ، بس أوس غيره ، هو بيحبك واستحالة يسيبك !

-ما خلاص سابها واللي كان كان

قالتها فردوس بصوت محتقن وهي ترمق الاثنتين بنظرات متحسرة

حدجتها تهاني بنظرات محذرة ، وهتفت بتحدي :

-متقوليش كده ، ابني غير ابوه ، هو بيحب تقى وعاوزها ، إنتي ماشوفتيهوش كان عامل ازاي هنا وآآ...

وضعت فردوس يديها على رأسها ، وقاطعتها وهي تندب حظها بيأس :

-معدتش يفرق ، أل جت الحزينة تفرح مالقيتلهاش مطرح !

شعرت تهاني ببرودة تنتاب ابنة اختها ، وبإرتجافة تصيبها ، فتوجست خيفة عليها ، وصاحت بإنفعال :

-فردوس كفاية بقى ، إنتي مش شايفة حال بنتك

رمقتها فردوس بنظرات ساخطة ، وتابعت بحنق :

-حالها ! قولي حالتي أنا .. ليهم حق النسوان يتلمذوا عليا ويتكلموا في سيرتنا .. هو أنا هاقدر أرفع عيني في وش أي حد .. ما البت بقت مطلقة وآآ...

قاطعتها تهاني بصوت محتد :

-لســـه محصلش !

نهضت فردوس عن الأريكة ، وهتفت بنبرة قوية وهي تلوح بذراعيها :

-انتي مصدقة نفسك ، المحروس أبو الباشا قالها وفي التلافازيون لكل الناس ، عاوزة ايه تاني ؟!

ثم اتجهت نحو ابنتها ، وأمسكت بها من ذراعيها لتجبرها على الوقوف ، ونظرت لها شزراً ، وهزتها بعنف وهي توبخها قائلة :

-مبسوطة ياختي ، أديكي الوقتي بقيتي مطلقة ومفضوحة ، كلام الناس عنك طلع صح !

صدمت تهاني من كلمات فردوس اللاذعة ، وهتفت محتجة :

-فـــردوس !

ظلت أنظار فردوس المحتقنة مسلطة على ابنتها ، وردت عليها مبررة موقفها العدائي قائلة بإحباط :

-بس يا تهاني ، سيبني أطلع الغلب اللي جوايا انتي معندكيش حاجة تعيبك ، لكن أنا بنتي بقت في نظر الناس خاطية ومطلقة وآآآ...

قاطعتها تقــى بصراخ متشنج وهي تزيح قبضتي والدتها :

-كفـــــاية .. حرام عليكي ، ليه بتسمعيني كل شوية الكلام ده ؟! أنا معملتش حاجة ! معملتش حاجة !

وضعت تهاني يدها على كتف تقى ، وأدارتها في إتجاهها ، ثم إحتضنت وجهها براحتيها ، ونظرت لها بأسف ، وتوسلتها قائلة :

-اهدي يا تقى ، بلاش تنفعلي

إنتحب صوت تقى أكثر وصرخت بمرارة :

-ليه كل حاجة أنا السبب فيها ؟ ليه أمي مش بتحسي بيا ؟

توسلت لها تهاني برجـــاء أكبر :

-تقى عشان خاطري ، بلاش تكلمي ، اهدي .. ده في خطر عليكي !

صرخت بعصبية مفرطة وهي تهز رأسها مستنكرة بصورة هيسترية :

-حـــرام ، بتعملوا فيا كده ليه ؟ ليـــه !

ثم وضعت قبضتيها على يدي خالتها لتبعدهما عنها ، وأشاحت بوجهها أسفة على حالها ، فأصرت الأخيرة على التمسك بها ، وهتفت بإستعطاف :

-بصيلي يا تقى ، اسمعيني يا بنتي !

تقطع صوتها وزاد أنينها وهي تتابع بنبرة مختنقة :

-ولو هو مش عاوزني مرة ، فأنا .. أنا .. مش عاوزاه مليون مرة !

لاحظت شحوب وجهها ، وإرتجافة أوصالها .. فخفق قلبها بخوف واضح عليها ، وصاحت برجـــاء :

-بس.. اهدي .. الانفعال وحش على حملك

شهقت فردوس مرددة بصدمة وهي تلطم بيديها على صدغيها :

-يا نصيبتي .. هي .. هي حـــبلى كمان !

....

في الاستديو ،،،،

أنهت المذيعة حلقة برنامجها الساخنة والتي أثارت ضجة كبيرة .. ونهضت عن مقعدها ، وسارت نحو مهاب الجندي الذي كان ينتزع المايكروفون عنه ، ومدت يدها لتصافحه قائلة بإمتنان:

-ميرسي يا د. مهاب على الحلقة دي ، أنا مش قادرة أقولك نسبة المشاهدة كانت عاملة ازاي !

رد ببرود قاتل وهو يبادلها المصافحة :

-على ايه .. ده انا اللي المفروض أشكرك على تعبك معايا

ابتسمت له لتضيف برقــة :

-يا ريت يا فندم لو تشرفنا في حلقة تانية بس طبعاً نتكلم فيها عن انجازاتك في المجال الطبي

تقوس ثغره بإبتسامة ماكرة ليجيبها :

-أكيد هايحصل

إنضم إليهما منتج البرنامج ، وهتف بصوت مرتفع وهو يتحرك بجسده المترهل قائلاً بقلق :

-مهاب باشا لو ممكن لحظة

رمقه مهاب بنظرات متفحصة لهيئته البدينة ، ورد بفتور :

-ايوه

أردف المنتج قائلاً بإنزعــاج :

-أنا منتج البرنامج ده

هز مهاب رأسه وهو يقول بخفوت :

-اها

تنحنح بصوت خشن وتابع بنبرة شبه مرتجفة :

-كان جالي أثناء بث الحلقة اتصال من ابن حضرتك ، وآآ.. وأنا رفضته بناءاً على تعليماتك !

ترقب المنتج بتوتر شديد ردة فعله ، ولكنه تفاجيء به يرد عليه بجمود :

-خير ما عملت

أشـــار بيده قائلاً بنبرة متوجسة :

-أتمنى مايكونش في مشكلة

ربت مهاب على كتفه ، وإبتسم ابتسامة باهتة وهو يجيبه :

-لا عادي .. اطمن ، وشرفني التعامل معاك !

تنفس المنتج الصعداء قائلاً بتنهيدة مطولة :

-وأنا كمان يا دكتور مهاب !

....

في مشفى الجندي الخـــاص ،،،،

انتبه أوس إلى عدي الذي حدق فيه بنظرات جادة وهو يتحرك صوبه قائلاً بهدوء :

-ليه مانسجلش فيديو ليك ونرفعه على موقع مشهور تنفي فيه الكلام اللي قاله أبوك

ضيق أوس عينيه فأصبحتا حادتين كالصقر ، بينما أكمل عدي بنبرة ثابتة :

-كده هاتكون انت رديت على كلامه، وفي نفس الوقت لحقت الموقف قبل ما يتطور أكتر

صمت أوس ليفكر ملياً فيما قاله رفيقه ، فربما يكون اقتراحه مفيداً إلى حد ما في رد إعتبار زوجته ، رغم إعتراضه على المساس بما يخصه إعلامياً ...

راقبه عدي بدقـــة ، وتمنى أن يقتنع رفيقه بإقتراحه حتى ينفث القليل عن غضبه دون أن يتهور ..

قطع تفكيره العميق سؤال أوس بصوت قاتم وعينيه محدقتان في الفراغ :

-وده مين هايعمله ؟

رد عليه عدي بتلهف :

-أنا هاصورك ، وهاتصل بأشهر موقع إخباري ، وزي ما اتعمل دعاية لحلقة د. مهاب ، هانعمل دعاية محترمة للفيديو بتاعك ، اطمن

تقوس فم أوس بضيق ، وزفـــر بحرارة حارقة ، فشعر عدي بإنزعــاج رفيقه ، وربما برفضه لإقتراحه ، فحاول أن يبرره قائلاً بهدوء :

-أنا عـــارف إنك مش حابب الظهور في الإعلام ولا غيره ، بس طالما لمصلحة مراتك ، فأكيد إنت مش هتمانع ، وآآآ...

قاطعه أوس بصرامة وهو يرمقه بنظرات جافة :

-سجل الفيديو الوقتي

إندهش عدي من قراره الصــادم والذي خالف توقعاته ، وسأله وهو قاطب جبينه :

-من غير ما تظبط نفسك ؟

رد عليه أوس بجمود وهو يطالعه بنظراته النارية

-مش محتاج ، أنا هاطلع زي ما أنا كده !

ثم صمت لثانية قبل أن يتابع بصوت قاسي يحمل العناد :

-وبعدها هاروح بنفسي أجيب مراتي !

انفرج فم عدي مندهشاً :

-هـــاه .. بنفسك !

....

في مقهى ما ،،،،

فغر أحمد - الحارس الأمني السابق - ثغره مصدوماً بعد مشاهدته لحلقة البرنامج الحواري ، ورمش بعينيه غير ما صدقه هذا الرجل ، وهتف بسباب قوي :

-يخربيتك راجل ، ايه اللي عملته ده !

حك طرف ذقنه بكفه ، وتابع بضجر :

-مش ممكن ، ده كده بياكد الكلام بتاع المحامي إياه انها آآ....

توقف عن إتمام جملته ، وكز على أسنانه بإنزعــاج .. ثم زفر بصوت مسموع ، ونظر حوله بإستنكار ...

ظل صامتاً للحظات وهو يتمتم بكلمات مبهمة ..

وفجــأة أردف قائلاً بإصرار :

-مش لازم اسكت عن الظلم ده !

نهض عن مقعده ، وحدث نفسه بتحدٍ عجيب :

-أنا هابلغ أوس الجندي باللي أعرفه واللي يحصل يحصل !

....

في مقهى الحـــــارة الشعبي ،،،،

فرك منسي ذقنه الحليقة بحنق بادي في قسمات وجهه ، فقد شاهد ذلك البرنامج الحواري ، وحدث نفسه بصوت محتد :

-ست خضرة الشريفة طلعت مأرطسة الحارة كلها ومقضياها .. وأنا المغفل اللي كنت مفكرها بنت ناس وقطة مغمضة !

شعر بالغيظ لأنه كان أبلهاً في ظنه ببراءتها ، وأراد أن ينتقم لرجولته الزائفة منها ، فهتف بصوت مسموع :

-إخصص على الرجالة اللي بشنبات ! هاتسيبوا بنت عوض كده من غير ما آآآ...

قاطعه رجل ما بالمقهى قائلاً بعدم اكتراث :

-يا عم مالناش دعوة

صـــاح منسي بغضب وهو يلوح بذراعه :

-الله مش سمعتها من سمعة الحارة وبناتها

رد عليه أخـــر بفتور :

-تصطفل مع أهلها

هدر منسي بصوت محتقن وهو يرمق من حوله بنظرات حادة :

-دي جابت العار للحتة كلها

أردف أخـــر قائلاً بعدم إهتمام وهو يزفر دخـــان الأرجيلة (الشيشة) :

-مالناش دعوة ، أهلها يربوها

سأله منسي بحنق وعينيه تطلقان شرراً :

-يعني احنا هنسكت ؟؟؟

هــز الشخص كتفيه في عدم مبالاة ، وسأله قائلاً

-هنعملها ايه ؟!

رد عليه منسي بجدية شديدة :

-المفروض يتطردوا من هنا

مسح الرجل بلسانه أسنانه السوداء ، وأكمل محذراً :

-بنقولك ايه انت مش عارف الجدع جوزها ومعارفه ممكن يعمل ايه لو آآ....

قاطعه منسي بصوت حاسم :

-ماهو ابوه قال طلقها على الهوا بعد فضيحتها النجسة !

رد عليه الرجل بجدية :

-يقول اللي عاوزه ، خلينا بعيد أحسن ، بدل ما الراجل القادر ده يودينا ورا الشمس

صـــاح منسي بتحدٍ سافر وهو يشير بيده :

-على نفسه ، هو بس محمي في شوية الرجالة اللي معاه ، غير كده وربنا مايسوى

....

في النادي الشهير ،،،،

قهقه سامي عالياً ، وبدت السعادة العامرة على تعابير وجهه ، وظل يضرب كفاً على كف غير مصدق ما فعله أخيه ..

ارتشف القليل من قهوته السادة ، وأردف قائلاً بإعجاب :

-لازم أكلمه بنفسي أهنيه ، دي ضربة معلم بصحيح !

وبالفعل عبث بهاتفه المحمول ، ثم وضعه على أذنه ، وهتف قائلاً بفرحة :

-والله برافو عليك يا مهاب مالكش حل.. !

قهقه مرة أخــرى بصوت مسموع ، وتابع قائلاً بحماس :

-كده انت قفلتها في وش أي حد يتكلم ..

هز رأسه قليلاً وهو ينصت لأخيه عبر الجانب الأخـر ، وأضاف بإعجاب :

-الصراحة متوقعتش تعمل كده خالص ، حقيقي إنت دماغ !

خرج صوت أخيه من الهاتف قائلاً بثقة :

-عشان تعرف يا سامي

حرك سامي كتفيه ، وإنتصب في جلسته ليكمل بإطراء :

-بجد .. مش لاقي كلام أقوله

رد عليه أخيه مهاب بصوت مغتر :

-ماتقولش حاجة ، أنا بأحب أنفذ على طول !

....

في منزل تقى عوض الله ،،،،

أمسكت فردوس بتقى من ذراعيها ، ورمقتها بنظرات نارية ، وهزتها بعنف وهي تسألها بإهتياج :

-اتكلمي ، انتي حبلى يا بت ؟

نظرت لها ابنتها بأعين باكية .. وإنتحبت بأنين يحمل مرارة الظلم والقهر .. ولم تجبها .. فقد أنهكها الحزن والإنكســـار ..

أشفقت تهاني عليها كثيراً ، وصاحت بعصبية في وجه أختها :

-ايوه .. حامل من جوزها ، ايه العيب في كده ؟!

ثم أبعدت تقى عنها ، وضمتها إلى صدرها ، وظلت ترمق أختها بنظرات يائسة من أسلوبها الفظ والقاسي في التعامل مع ابنتها الوحيدة ...

هزت فردوس جسدها بصورة غريبة ، وأخذت تلطم على صدرها وحجرها قائلة بحسرة :

-يا نصيبتي .. أل كنا ناقصين ، كده الناس هاتقول حبلت في الحرام وآآآ....

قاطعها عوض بصوت متحشرج وقوي رغم عجزه :

-اسكتي يا فردوس ، تقى مش كده !

إلتفتت فردوس برأسها نحوه ، وهتفت بنبرة مخزية :

-عـوض ، شوفت الجرسة اللي بقينا فيها !

صرخت تهاني بنبرة مغلولة وهي تشير بيدها :

-اخرسي بقى ، أنا سامعة من الصبح اللي بتقوليه ومش راضية أتكلم ، كله إلا شرف تقى ، دي متجوزة ومحافظة على نفسها !

وكأن صوت والدها هو الملجأ ، وطوق النجاة لروحها المعذبة ، فرفعت تقى رأسها نحوه ، وهتفت بيأس جلي :

-بـ .. بابا !

ثم تركت خالتها ، وركضت نحوه لترتمي في أحضانه ، فلف الأخير ذراعه حولها ، وأردف قائلاً بحنو أبوي صادق :

-تعالي يا بنتي معايا

انتظرت تهاني على أحر من الجمر إبتعاد تقى وأبيها حتى انفجرت في اختها بغضب واضح في نبرتها ونظراتها :

-ايييه يا فردوس انتي لا بترحمي ولا بتسيبي رحمة ربنا تنزل ، بدل ما تطيبي خاطر بنتك بكلمتين ، عمالة تديها في جنابها وكأنها عملت الحرام .. دي متجوزة وحامل من ابني

لوت فردوس فمها لتقول بسخط وهي تشيح بنظراتها الباردة بعيداً عن اختها :

-مش لما نتأكد !

قبضت تهاني على ذراعي أختها ، وهزتها بعنف وهي تصرخ بإستنكار :

-انتي اللي بتقولي كده ؟ ليه حق الغريب يصدق فينا العيبة طالما انتي بتشجعيهم على ده !

ردت عليها أختها بتهكم :

-عاوزاني أنا أخرس لسان الناس ؟ ولا آآ..

قاطعتها تهاني بنظرات قوية ، ونبرة حـــادة :

-ايوه .. بدفاعك عن بنتك هتخرسيهم للأبد

أبعدت فردوس كفي أختها عنها ، وتابعت بنبرة مستفزة :

-معدتش ينفع ، وهو احنا هايكون لينا عين نتكلم أصلا ولا نوري وشنا للناس بعد اللي اتقال !

استشاطت تهاني غيظاً من ردود أختها ، وهتفت بجموح :

-منك لله يا شيخة ، انتي اللي كسرتي بنتك بنفسك .... !!!

....

الفصل العاشـــر (الجزء الثاني) :

في مشفى الجندي الخـــاص ،،،

لم يتحمل أوس البقاء في المشفى أكثر من هذا ، ودمائه الثائرة تكاد تقتله ...

لذا أزاح كل الأسلاك الموصولة به ، وانتزع الإبر الطبية المغروزة فيه ، ونهض بحذر وتثاقل من على الفراش

في البداية شعر بتنميل في قدميه ، وبآلم فظيع يهاجم صدره ، لكنه لا يقارن بذلك الآلم الذي يعتصر قلبه ...

لقد حدد والده مصير علاقته الزوجية دون الرجوع إليه ، وفرض عليه واقعاً بغيضاً لن يقبل به أبداً ..

حاول عدي إثناء رفيقه عن التحرك ، فإعترض الأخير بإصرار جلي :

-مش هافضل راقد في مكاني وعاجز .. مراتي أنا هاجيبها بنفسي ، حتى لو كنت بأموت !

أمسك به عدي ، وعاونه على الوقوف ، وهتف قائلاً بإعتراض :

-يا أوس مش هاينفع ، ده خطر عليك ، إنت مش قادر والجرح لسه آآآ..

قاطعه أوس بنظرات قاتلة ، وضغط على شفتيه ليسأله بجمود :

-هتساعدني ولا لأ ؟

مط عدي فمه ليجيبه بإستسلام :

-أنا معاك ، بس خايف عليك

-متخافش

قالها أوس وهو يمد يده ناحية خزانة الملابس ليسحب منها ثيابه ...

في نفس اللحظة دلف الطبيب مؤنس لداخل الغرفة ليتفقد أحـــواله ، فصدم حينما رأه يبدل ملابسه ، وضاقت عينيه عندما لمح هاتفه محطماً .. تنهد بحذر ، ورفع رأسه في اتجاهه ، وسأله متوجساً :

-رايح فين يا باشا ؟

رد عليه أوس بإصرار قاتل وهو يغلق زرار السحاب الخاص ببنطاله :

-مش هاقعد هنا ثانية

هتف الطبيب مؤنس بإنزعـــاج وهو يقف قبالته :

-ده في خطر على حياتك

تابع أوس قائلاً بعدم إكتراث وهو يدخل ذراعه في قميصه بحذر :

-حياتي ماتهمنيش السعادي

أردف مؤنس قائلاً بقلق بالغ :

-ماينفعش والله يا باشا ، كده هايحصل مضاعفات وآآآ...

قاطعه أوس بصوت غاضب :

-ابعد عن وشي

توسل له مؤنس برجاء :

-ارجوك ، عشان مصلحتك ، صدقني والله أنا مش هاضرك

دفعه أوس بقبضته بقوة من صدره ليسعل مؤنس ، وهدر فيه بغضب جم :

-بأقولك ابعد عن وشي

أمسك عدي بالطبيب قبل أن يسقط على وجهه ، وهتف بضيق :

-اهدى يا أوس ، برضوه الدكتور مؤنس خايف عليك

أخـذ أوس نفساً عميقاً وحبسه في صدره محاولاً التحكم في أعصابه ، وتابع قائلاً بصوت شبه متشنج :

-شوف يا دكتور مؤنس ، من الأخر كده أنا هامشي يعني هامشي ، فالأفضل إنك تشوف شغلك بعيد عني

أشـــار الطبيب مؤنس بيده وهو يحاول إقناعه قائلاً بحذر :

-يا أوس باشا آآآ...

لم يكمل عبارته لأخرها حيث رن هاتف عدي المحمول ، فتشدق الأخير قائلاً بجدية وهو يخرج هاتفه من جيبه :

-ثانية واحدة

نظر عدي إلى شاشة هاتفه ، ومن ثم سلط أنظاره على أوس ، وهتف بإستغراب وهو رافع حاجبيه للأعلى :

-ده الدكتور مهاب !

تشنج وجـــه أوس ، واحتقن صدغيه سريعاً بحمرة الغضب وتحولت عينيه لجمرات مشتعلة ..

نظر له عدي بتوجس .. ووضع الهاتف على أذنه ليجيبه بصوت قلق :

-ايوه يا دكتور مهاب

هتف مهاب قائلاً بنزق :

-ادي الموبايل لأوس ، أنا عارف انه معاك

ازدرد عدي ريقه بسرعة ، ومـد يده بالهاتف ليعطيه إياه وهو يقول بتوتر :

-هو .. هو عاوزك

تناوله أوس منه ، وقربه من أذنه ولم ينطق بكلمة .. لكن وجهه كان كافياً للتعبير عن النيران المتأججة في كيانه بأكمله ...

قهقه مهاب بنبرة خبيثة ليثير حنق ابنه أكثر ، ثم صمت لثانية ليردف قائلاً بخبث :

-أنا عــــارف إنك سامعني كويس ، ومتأكد إنك شوفت الحلقة كمان

صـــر أوس على أسنانه بشدة ليهتف بشراسة :

-عملت كده ليه ؟

أجابه مهاب بهدوء لئيم :

-عشان أعفيك من الحرج وأريحك من المشاكل

ثم قهقه بتفاخر ، قبل أن يضيف بنبرة مراوغة :

-بس إيه رأيك فيا ؟ متوقعتش أعمل ده ، صح ؟!

هـــدر أوس بصراخ جامح هز صداه أركـــان الغرفة :

-حتى لو طلعت في مليون برنامج وعلى كل القنوات مش هاتمنعني عنها يا مهاب باشا ، تقى مراتي وهاتفضل مراتي غصب عنك وعن الكل !

ســأله مهاب بنبرة لئيمة وهو يتعمد إستفزازه :

-إنت واثق من ده ؟ معتقدش ، يا ابني يا حبيبي أنا عاوزك تتعلم مني اللعب على أصوله !

رد عليه أوس بتحدٍ قاتل :

-هاتشوف يا مهاب باشا ابنك هايعمل ايه !!!

ثم ألقى بالهاتف على الفراش دون أن يضيف كلمة أخـــرى .. فإقترب منه عدي وسأله بحذر :

-في ايه ؟

حدجه أوس بنظرات شرسة ، وهدر بعنف :

-عربيتك جاهزة ؟

هز عدي رأسه ليقول :

-اهـا

تحرك أوس بخطوات شبه بطيئة ، وأسند يده على صدره المتآلم .. ولكن هذا الآلم لا يقارن بالآلم القاتل الذي يعتصر قلبه حزناً وكمداً على ما تعانيه زوجته في غيابه .. فهو أكثر الأشخاص إحساساً بحالتها وبروحها المتهالكة .. ويعلم مدى حاجتها لوجوده ليطمئنها وتستعيد سكونها ..

فأكثر ما يخشـــاه هو إنهيارها تماماً وهي بمفردها ..

اقترب الطبيب مؤنس من عدي ، وتشدق بجدية :

-خلي رقمي معاك يا عدي بيه ، ولو حصل أي تطورات أو مضاعفات في حالته كلمني على طول ، أنا هاكون جاهز

ابتسم له عدي قائلاً بإمتنان :

-شكراً يا دكتور ، وآآ.. وسوري على الموبايل ، أنا هاجيبلك مكانه

بادله إبتسامة مجاملة وهو يتابع :

-ولا يهمك .. تتعوض ، المهم عندنا سلامة الباشا

ربت عدي على ظهر الطبيب ، ثم أسرع في خطواته ليلحق برفيقه ......

....

عند مدخـــل الحارة الشعبية ،،،،

وصلت عدة سيارات للشرطة عند المدخل الرئيسي المؤدي للحارة .. وترجل أفرادها منها ومعهم عدد من العســـاكر

نظر إليهم أهالي الحارة بإندهاش غريب ، وتعالت الهمهمات الجانبية حول سبب قدومهم ..

صـــاح ضابط ما بنبرة رسمية آمــرة :

-فين بيت تقى عوض الله

رد عليه أحد الأشخـــاص وهو يشير بيده نحو بناية قديمة :

-هناك يا باشا

لوح الضابط حسان بيده ،و قائلاً بلهجة قوية :

-يالا بسرعة

تسائلت إحدى السيدات بفضول وهي تراقب الوضع من شرفة منزلها :

-هو في ايه ياختي ؟

ردت عليها أخرى من النافذة المقابلة :

-مش عارفة ، هو بيسألوا عن البت تقى بنت فردوس !

أمسكت الجارة بفكها بإصبعيها ، وتسائلت بغموض :

-تكونش ياختي عملت نصيبة تانية ؟

أجابتها الأخرى بعدم إكتراث :

-جايز ، أهوو يا خبر بفلوس ، بعد شوية يبقى ببلاش !

....

في منزل تقى عوض الله ،،،،

تمددت تقى على الفراش إلى جوار أبيها ، وأسندت رأسها على صدره وهي تجهش بالبكاء المرير ..

مسح والدها على رأسها ، وتنهد قائلاً بحزن :

-أنا عارف إني تايه عن اللي بيحصل حواليا في الدنيا ، ومخي مابقاش زي زمان ، بيفتكر حاجات وبينسى حاجات أكتر .. وآآ..

ابتلع غصة في حلقه ليتابع بأسف :

-ويمكن عاجز مش في ايدي حاجة أعملها ،بس اللي أقدر أقولهولك يا بنتي " قـــل لن يُصيبنا إلا ما كتب الله لنا " !

همست بصوت مختنق قانط:

-اشمعني الحياة جاية عليا أنا ؟ ليه دايماً أنا اللي آآ...

قاطعها والدها بعتاب :

-متقوليش كده يا بنتي ، اوعي تعترضي على حكم ربنا ، ده نصيب ، فاصبري واستحملي

إختنق صوتها أكثر وهي تضيف بأنين :

-بس أنا تعبت .. وآآآ.. ومابقتش قادرة أستحمل ، كتير بتمنى الموت

عاتبها بصوته الدافيء وهو يربت على رأسها :

-متقوليش كده ، خليكي مؤمنة بقضاء الله ، مش يمكن ده فيه الخير ليكي ؟

سـألته بمرارة وهي تمسح عبراتها بأناملها :

-إزاي وكل حاجة جاية عليا

نظر له بحنو ، وهمس بخفوت :

-يا بنتي .. أحسني الظن بالله !

قاطع حديثهما صوت دقـــات عنيفة على باب المنزل ، وكذلك قرع للجرس بصورة متتالية ..

ابتلعت تقى ريقها بخوف ، وإعتدلت من نومتها على الفراش ، وتسائلت بنبرة شبه مرتجفة :

-هو .. هو في ايه ؟

هتف عوض بتوجس وهو ينهض من على الفراش :

-استرها يا رب

....

فتحت فردوس الباب لتتفاجيء برجـــال الشرطة يسدون عليها المدخل ، فتطلعت إليهم بقلق واضح في نظراتها، وإزدردت ريقها وهي تتسائل بتوجس :

-خير .. انتو .. انتو عاوزين مين ؟

فحصها الضابط حســـان بنظرات شبه إحتقارية ، وسألها بجمود :

-ده بيت تقى عوض الله ؟

ردت عليه بتلعثم :

-آآ.. أه هو

صاح بها حسان بقوة وهو يندفع للأمـــام :

-طب وسعي شوية يا ست !

سألته بتخوف وهي تتراجع بجسدها للخلف :

-ليه ؟ انتو عاوزينها في ايه ؟

رد عليها بصلابة وهو يجوب بعينيه صالة المنزل :

-معانا أمـــر ضبط واحضـــار ليها

شهقت بصوت مصدوم وهي تلطم وجهها :

-اييييه ؟

أسرعت تهاني نحوه لتســأله بإستغراب وهي تسلط أنظارها عليه وعلى من معه :

-فـ .. في ايه يا حضرت الظابط ؟

نظر لها الضابط حسان بطريقة مشمئزة ، ثم صــاح في رجاله بصرامة :

-فتشوا البيت ، وهاتوا اللي اسمها تقى !

وقفت تقى على عتبة باب غرفتها وهي متمسكة بأبيها ، وتسائلت بصوت مرتعش :

-انتو .. انتو عاوزين مني ايه ؟

رمقها حسان بنظرات متفحصة ، وأشـــار بيده بصورة مهينة قائلاً بصوت جاف :

-انتي تقى ؟!

ضمها عوض إلى صدره أكثر بذراعه الواهن ليحميها منهم ، وهتف بصوت متحشرج :

-بـ.. بنتي .. عاوزين منها ايه ؟

أشـــار حسان بإصبعيه لرجاله وهو يقول بصوت قـوي :

-هاتوها

تحرك أفراد الشرطة نحوهما ، فإنتفضت تقى مذعورة في مكانها ، وتشبثت بصدر والدها أكثر ، ودفنت رأسها فيه وهي تهمس له بتوسل :

-بابا ، احميني منهم ..!

صرخت فردوس بصوت مرتفع وهي تتجه نحو الضابط :

-عاوزين من بنتي ايه ؟ سيبوها في حالها

هتفت تهاني هي الأخــرى بصدمة وهي تفرد ذراعيها لتسد عليهم الطريق :

-مالكم ومال الغلبانة دي ؟

أمسك بها أحد الضباط ، ودفعها بقسوة للجانب وهو يصيح بجمود :

-ابعدي يا ست

كادت تهاني تسقط على وجهها من إثر الدفعة ، وصرخت مصدومة :

-آآآه .. لأ .. !!

قبض أحد الضباط على ذراع تقى وحــاول إبعاده بشراسة عن حضن والدها المتمسكة به .. فصرخت بإهتياج :

-ابعدوا عني ، معملتش حاجة

ألقى عوض بعصاه التي يتكأ عليها ، ولف ذراعه الأخر حول ابنته ليدافع عنها ويحميها من بطش غيره ، وصرخ بوهن :

-سيبوا بنتي !

صـــاح الضابط حســـــان بقســـوة :

-هاتوها يالا ، مش هانقضي اليوم كله هنا

أمسك فرد أخـــر بعوض ، وحل ذراعيه عنها ، ونجح الاثنين معاً في فصلها عن أبيها ، وقاما بجرها نحو الضابط ...

صرخت تقى بجنون وهي تتلوى بجسدها محاولة تحرير نفسها من قبضتهم المحكمة عليها ..

اعترضت فردوس طريق الضابط ، وصاحت بصوت منفعل :

-انتو واخدينها على فين ؟

رد عليها حسان بتهكم وهو يحدجها بنظرات مهينة :

-على القسم !

ثم لكزها في كتفها وهو يتابع بصوت عدائي :

-يالا وسعي يا ولية بدل ما أعملك محضر إعتراض للسلطات !!!

حاول عوض التدخل ، ولكن لكزه فرد أمن بشدة فسقط على الأرض ، وتأوه صارخاً من الآلم ، فأسرعت فردوس نحوه وصرخت بجنون :

-حرام عليكم ، الراجل هايموت ، انتو مافيش في قلبكم رحمة

وبالفعل سحب أفراد الشرطة تقى خلفهم وهي ترتدي عباءتها المنزلية – ذات النقوش الوردية الزرقاء - وحجاب بسيط وردي يغطي غالبية شعرها .. ودون إمهالها الفرصة لترتدي ملابس أخـرى مناسبة ليزيد هذا من إذلالها وكسرها .....

دلفت تهاني إلى داخــل الغرفة لتجذب عباءتها وترتديها على عجالة في محاولة يائسة منها للحاق بإبنة أختها ، وإلتقطت حافظة نقودها ووضعت بداخلها الهاتف المحمول وبعض النقود ..

ثم ركضت للخارج وهي تلف حجابها على رأسها وصاحت بصوت شبه مبحوح :

-أنا رايحة ورا تقى ، خليكي مع عوض يا فردوس

نظرت لها فردوس ، وهتفت بنبرة قلقة :

-الحقيها يا تهاني ، ماتسيبهاش لوحدها

....

راقب أهـــالي الحارة رجـــال الشرطة وهم يضعون تقى في السيارة المصفحة ، وتنوعت نظراتهم ما بين الفضول والشماتة ..

ولكن لم يعترض أي أحد طريقهم .. وتابعوا ببرود ما تعانيه تلك التعيسة حتى انصرفوا تماماً ، فعاد الجميع إلى أشغالهم وكـأن شيئاً لم يحدث ..

إعتلى ثغر منسي ابتسامة متشفية ، وأردف قائلاً بشماتة :

-يالا في داهية ، خلي الحارة تنضف ..!

....

في مخفر الشرطة ،،،،

وقف المحامي نصيف بجوار باب المخفر ، ووضع هاتفه المحمول على أذنه ، وتابع حديثه المتباهي قائلاً :

-كله تمام يا د. مهاب ، خلاص البوليس اتحرك وزمانتها متجرجرة على النيابة

سـأله مهاب بجدية :

-البلاغ اتعمل ؟

اجابه نصيف بثقة :

-أكيد يا باشا ، ده بلاغ رسمي متوصي عليه ، وبعدين دي جناية تحريض على القتل ، مش جنحة !

رد عليه مهاب بإعجاب :

-برافو يا نصيف ، ومش هاوصيك

أكمل نصيف قائلاً بهدوء :

-اطمن ، حبايبنا كتار في القسم يا باشا وبيحبوا يخدموا ، هيروقوا عليها على الأخـــر !

رد عليه مهاب بهدوء :

-عظيم .. شكراً يا نصيف ، وبلغني لو في جديد

إرتسمت ابتسامة ماكرة على ثغره وهو يرد قائلاً :

-عينيا يا باشا ....!!!

....

الفصل العاشر (الجزء الثالث) :

وصلت سيارات الشرطة إلى المخفر ، وسحب الضابط حسان تقى معه إلى الداخـل ، ثم دفعها بقسوة نحو الحائط ، وأردف قائلاً بصرامة :

-اترزعي هنا

إستندت تقى بكفيها على الحائط ، وتأوهت متألمة بصوت مكتوم ، ونظرت إلى الضابط بحنق .. ولكنها لم تستطع أن تنبس بكلمة واحدة لتعترض على طريقته القاسية في التعامل معها ..

أضـــاف حســـــان قائلاً بغلظة :

-خليك يا عسكري واقف جمب البت دي ، عينك عليها لحد ما أبلغ وكيل النيابة

أدى العسكري التحية العسكرية له ورد بنبرة رسمية :

-تمام يا باشا

اقترب منه ، ومـال عليه برأسه ليهمس له :

-وروقلي عليها

هز العسكري رأســه ليجيبه بجمود :

-حاضر معاليك

نظرت تقى إلى كليهما بتوجس ، وإزدردت ريقها بخوف واضح ومسيطر عليها ..

أشـــار العسكري لزميله ليحضر متهمة أخرى جالسة القرفصاء لتجلس إلى جوار تقى ، وهمس له بكلمات خافتة ، فأومأ الأخير برأسه موافقاً ، واعتلى ثغره ابتسامة لئيمة ، ورد هامساً :

-وماله ، خلينا نتسلى شوية

لكـــز العسكري الأخـــر المتهمة – ذات المظهر الإجرامي الجلي – في ذراعها صائحاً بصرامة وهو يغمز لها :

-انقلي يا متهمة جمب البت دي !

فهمت المتهمة نظراته ، وإلتوى فمها بإبتسامة شيطانية ، وهتفت بخنوع زائف :

-ماشي ، بس متزوءش يا باشا

وبالفعل جلست إلى جوار تقى ، وضربتها بكوعها بقسوة في صدرها ، ثم رمقتها بنظرات حادة وهي تصيح فيها بصوت خشن لا يليق بها :

-ما توسعي شوية يا بت ، أخدة الحتة كلها

نظرت لها تقى بخوف ، وتلاحقت أنفاسها وهي ترد بتلعثم :

-أنا .. أنا آآ..

قاطعتها المتهمة بنبرة عدائية :

-انتي هتموأي ، بصتك مش مريحاني ، لا تكوني متسقرفاني يا بت

حاولت تقى أن تستجمع شجاعتها وتدافع قائلة :

-هو آآ...

قاطعتها مجدداً وهي تشمر ساعديها لتفتك بها :

-لأ باين عليكي متنططة ، وأنا هأعدلك

إعتدت المتهمة بالضرب على تقى ، وجذبتها من حجاب رأسها بشدة لتصرخ الأخيرة مستغيثة :

-إلحقوني ، آآآآه

هتفت المتهمة بصوت غاضب وهي تشدها بعنف من شعرها :

-انتي بتشتميني يا بت ! وربنا لأشرحك

قاومت تقى ضرباتها بقدر المستطاع ، وأكملت متوسلة :

-آآآه .. ابعدوها عني .. آآآه ..

هتف العسكري بهدوء وهو يرمق كلتاهما بنظرات متسلية :

-بس يا متهمة منك ليها

صرخت تقى بصوت شبه مخيف بعد أن سددت المتهمة لكمة قوية في صدرها :

-آآآي.. كفاية ، آآآآآآآآآآآآآآآه

خرج على إثر صوتها وكيل النيابة من غرفته ، وتسائل بصوت شبه محتد وهو يسلط أنظاره على الجميع :

-في ايه اللي بيحصل هنا ؟!

انتصب العسكري في وقفته ، وأدى التحية العسكرية قائلاً بتوتر :

-أسفين يا باشا

أبعد العسكري الأخــر المتهمة عن تقى ، فوقعت عيني وكيل النيابة عليها ، ونظر لها بإشفاق بعد أن رأى حالتها المزرية ، وصاح بغضب :

-دي اسمها مهزلة ،

مسحت تقى بأناملها قطرات الدمــاء المتجمعة على شفتيها ، وكفكفت بكفها عبراتها ..

تسائل وكيل النيابة بإهتمام :

-ومين دي كمان يا عسكري ؟

رد عليه العسكري بنبرة شبه منزعجة :

-دي يا فندم المتهمة اللي جابها الباشا حسان من شوية

اقترب منها وكيل النيابة ، ونظر لها بدقــة متفحصاً إصابتها ، وسألها بجدية :

-انتي تقى عوض ؟

هزت رأسها وهي تجيبه بصوت ضعيف :

-ايوه

تنهد بضيق ، وأشـــار بيده قائلاً بهدوء :

-تعالي جوا ، هاتها يا عسكري

شعرت تقى بالمهانة والإذلال وهي تحاول الوقوف على قدميها ..

تملكها إحســـاس القهر ، وسيطر عليها .. ولم يعد لديها الرغبة في الإستمرار في تلك الدائرة التي لا تنتهي من المعاناة والغلب ...

....

في نفس التوقيت وصلت تهاني إلى المخفر ، وبحثت بعينيها عن تقى بين المتواجدين ، ثم ركضت في إتجاه صـول ما ، وسألته بتلهف :

-الله يكرمك يا شاويش متعرفش تقى عوض الله جت هنا ولا لأ ؟

رد عليها متسائلاً :

-دي مسجونة ولا متهمة ؟

أجابته بصوت قلق وهي تتطلع إليه بنظرات راجية :

-لا دي ولا دي ، هما جوم خدوها من البيت على هنا

مط الصــول فمه ، وأردف قائلاً ببرود :

-يبقى جالها استدعاء من وكيل النيابة

فغرت فمها قائلة بإندهاش :

-هـــه ، استدعى !

تابع الصــول قائلاً بنفاذ صبر

-ايوه ، ده احتمال كبير ، وادينى سكة عشان مش فاضي

تلعثم صوتها ، وتراجعت للخلف قائلة بتوتر :

-شكراً يا شاويش

وقفت تهاني حائرة في مكانها ، تلفتت حولها بقلة حيلة ، فهي لا تعرف سبب إستدعاء تقى للمخفر ، ولا حتى كيفية الوصـول إليها .. وبلا لحظة تردد هتفت بإصرار :

-الموضوع ده مش هايحله إلا عدي ، هو اللي ممكن يعرف يتصرف !

أمسكت بحافظتها لتخرج الهاتف منه ، وتنهدت قائلة :

-الحمد لله إني جبت المحمول معايا !

....

في الحـــارة الشعبية ،،،

وصــل عدي بسيارته لمدخل الحارة ومعه أوس الذي ظل صامتاً طـوال الطريق ولم ينطق بكلمة .. فكل تفكيره منصب على زوجته واستعادتها في أحضانه ..

راقب عدي الطريق من مرآته الجانبية ، وغمغم مع نفسه بتمني :

-يا ريت ماتكونش شافت الحلقة !

ثم نفخ بضيق ، وأوقف المحرك وتابع تفكيره المضطرب مع نفسه بـ :

-على الله تكون مدام تهاني موجودة تساعدني ، أنا محتار ، ومش عارف أفكر كويس !

وما إن أوقف سيارته حتى ترجل منها أوس على الفور ، وسار بخطوات بطيئة ومتألمة نحو مدخل البناية ..

تعلقت أنظاره بالأعلى ، وأغمض عينيه بإشتياق إليها .. وتنهد قائلاً بعمق :

-انتي ليا وبس .. محدش هايقدر يمنعني عنك ، ولا يبعدك عني !

أمسك بالدرابزون ، وأسند يده الأخرى على صدره .. وكز على أسنانه متألماً ، فقد إشتد وجعه ، ولكنه قاومه بأقصى ما يمكن تحمله

لحق به عدي ، ووقف خلفه وسأله متوجساً بعد أن رأى تشنجات وجهه ، والعرق المتجمع على جبينه :

-انت كويس يا أوس

رد عليه بإيجاز دون أن ينظر نحوه :

-ايوه .. !

ثم أكمــل صعوده على الدرج ..

ومع كل خطوة يخطوها للأعلى تزيد خفقات قلبه شوقاً إلى حبيبته ..

شعــر بروحها النقية معلقة في المكان ، بنسمات عطرها تسيطر على جدرانه ، وبتلهف عجيب لرؤيتها أمامه ..

رن هاتف عدي في جيبه ، فأخرجه لينظر إلى شاشته ، فقرأ اسم تهاني ، وتسائل مندهشاً :

-هي بتتصل ليه ؟

....

في منزل تقى عوض الله ،،،،

دثرت فردوس زوجها عوض الذي أصابه الوهــن بعد طرحه أرضاً ، ونفخت بضيق وهي تمط شفتيها للجانبين ..

جلست على طرف الفراش ، وحدقت أمامها ، وأخذت تفكر ملياً فيما صــار مع ابنتها ، ومدى عجزها عن الدفــاع حتى عنها ..

زفرت بإنهاك ، وتمتمت مع نفسها قائلة بهمس :

-طول ما احنا مشبوكين الشبكة السودة دي مش هنرتاح أبداً ، لا هنلاقي مكان يلمنا ، ولا حد يشفق علينا ! وهنفضل كده ملطشة للي يسوى واللي مايسواش !

رفعت بصرها للسماء وتابعت حديث نفسها :

-منكم لله يا بعدة ، خربتوا بيتنا وحياتنا وفضحتونا ! ربنا يهدكم !

سمعت قرع الجرس ، فإنتبهت حواسها له ، وهبت مسرعة وهي تهتف متعشمة :

-تقى ، اكيد تهاني جابتها ، يا رب يا كريم

ســارت بخطوات أقرب إلى الركض في إتجاه باب المنزل ، وفتحته لتتفاجيء بأوس بهيئته المهيبة أمامها ، فإتسعت عينيها بذهــول ،

وشهقت مصدومة وهي تقول :

-إنت !

نظر لها بجمود ، وصـــاح بصوت جاد :

-فين تقى ؟!

لوت فمها لتجيبه بإزدراء :

-مش هنا

أخـــذ نفساً عميقاً ، وحبسه في صدره ليحافظ على ثباته الإنفعالي أمامها ، وصر على أسنانه قائلاً بحذر :

-ناديلي مراتي بالذوق

ردت عليه بحنق وهي تنظر له شزراً :

-قولتلك مش موجودة

كـــان أوس على وشك الإنفعال عليها ، ولكن أوقفه صوت عدي قائلاً بإنزعاج :

-تقى فعلا مش هنا يا أوس

إستدار أوس برأسه ناحيته ، وهتف غاضباً :

-انت بتقول ايه ؟

ابتلع عدي ريقه ليجيبه بصوت لاهث :

-تقى محجوزة في القسم للتحقيق !

إعتلى وجـــه أوس صدمة جلية ، وجحظت عينيه بفزع كبير .. وصـــاح بإندهاش يكسوه الغضب :

-ايييييه !!!!!

....

في مكتب وكيل النيابة بالمخفـــر ،،،،

ارتشفت تقى القليل من المـــاء البارد بعد أن أرسل وكيل النيابة في طلبه رأفةً بحـــال تلك المرأة ..

عقد أصابع كفيه معاً ، ونظر لها بدقة متفحصاً تعابير وجهها ، وسألها بهدوء :

-الوقتي بقيتي أحسن

أومــأت برأسه موافقة وهي تعيد وضــع الكوب الزجاجي على الصينية ..

إلتفت وكيل النيابة برأســـه للكاتب الجالس إلى جواره ، وتابع بجدية :

-افتح المحضر في ساعته ، وتاريخه .. !

نظرت تقى بحيرة إليه ، وظل تفكيرها مشغولاً في تخمين سبب حضورها ..

انتهت هي من الإدلاء ببياناتها الرسمية ، ثم سألها مجدداً بنبرة رسمية :

-ما قولك فيما هو منسوب إليكي من إتهام صريح بالتحريض على قتل أوس الجندي

إتسعت حدقتيها بصدمة كبيرة عقب عبارته الاخيرة ، وخفق قلبها بقوة ..

كما جف حلقها بشدة وهي تحاول إستيعاب ما قاله تواً .. وحاولت ترتيب أفكارها بصورة منطقية ..

هي موجودة في هذا المكان تحديداً بسبب إتهامها بتلك التهمة الباطلة والمجحفة ، وتم إستدعائها بتلك الطريقة المهينة ومعاملتها بعنف فقط للقضــاء على أخــر ما تبقى من كرامتها المهدورة ..

لو هــلة بدت عاجزة عن التنفس ..

فالصدمــات اكثر من قدرتها على مقاومتها ...

عــاود وكيل النيابة تكرار سؤاله بهدوء مراقباً إياها بإهتمام ..

ولكنه إنتبه إلى صوت دقات خافتة على باب مكتبه ، أعقبها دخــول عسكري ما قائلاً بنبرة رسمية :

-أسف يا باشا على الإزعــاج ، بس في واحد برا مصمم إنه يقابل سيادتك !

نهره وكيل النيابة بصوت شبه منزعج :

-في تحقيقات شغالة هنا ، ده مش آآآ...

لم يكمل الأخير جملته حيث إقتحم أوس الغرفة ، وبحث بعينيه عمن خفق لأجلها قلبه ، وبالفعل رأها جالسة تنظر أمامها ..فهتف بصوت متصلب :

-أنا أوس الجندي ..

رفعت تقى رأسها المنكسة للأعلى ، وتجمدت حواسها لوهلة ، وتخيلت أنها تتوهم صوته ..

ثم إستدارت برأسها ببطء نحوه ، وحدقت فيه بنظرات جامدة لتتأكد من وجوده ..

للحظة شعرت بخلو الغرفة ممن فيها ليبقى هو بهيبته التي إعتادتها معها ..

لم تنكر إحساسها الإرتياح لرؤيته كما كان من قبل .. واقفاً على قدميه ، شامخاً بجسده .. قوياً بسيطرته على الجميع ..

سلط أوس عينيه المحتدتين بتلهف بائن على زوجته التي إشتاق قربها ، وإرتخى إلى حد ما وجهه المتصلب بعد رؤيته إياها أمامها .. وشعر بسكون عجيب يتخلل إلى روحه المعذبة ببعدها عنه .. وبسلام داخلي يهديء من ثورته الغاضبة .....

أفاقت تقى من شرودها في ملامحه حينما هدر بصوت جاد يحمل القوة :

-ودي تبقى مراتي تقى !

اقترب منها بخطوات ثابتة ، ولم يحدْ بعينيه عنها ، وتابع قائلاً بصلابة أرجفتها :

-وأي بلاغ متقدم ضد مراتي أنا بأسحبه فوراَ

رد عليه وكيل النيابة بجدية :

-أها .. بس دهماينفعش ، لأن اللي مقدم البلاغ المدعو مهاب الجندي .. والدك !

أدار أوس رأســه في إتجاه وكيل النيابة ، وإحتقن وجهه نوعاً ما وهو يهتف بشراسة :

-والدي يقدم اللي هو عاوزه ، لكن أنا قدامك أهوو بنفسي بنفي أي حاجة عن مراتي ، هي مالهاش دخل بحاجة

أضاف وكيل النيابة قائلاً بهدوء :

-بس في أصابع إتهام بتقول إنها آآآ....

قاطعه أوس بصوت شبه منفعل :

-لو مراتي كانت عاوزة تموتني كان الأولى انها تسيبني مرمي في الصحرا بدل ما تخاطر بحياتها عشان تنقذني

ثم عــاود النظر إلى زوجته ، ورمقها بنظرات والهة وهو يكمل بنبرة هادئة لكنها تحمل مشاعر صادقة :

-تقى استحالة تسيبني ! لأني .. لأني بأحبها !

دلف إلى داخــل الغرفة المحامي منعم ، وأردف قائلاً بهدوء :

-أنا الأستاذ منعم محامي المدام يا فندم ، وده الكارت بتاعي .. اتفضل !

تناول وكيل النيابة البطاقة منه ، وتطلع إليها .. ومط فمه ليقول بهدوء :

-أها .. ماشي يا أستاذ

هتف المحامي منعم قائلاً بجدية :

-تسمحلنا يا فندم ناخد المدام معانا ، اظن ان المشكو في حقه بينفي التهم عن مراته

رد عليه وكيل النيابة بهدوء :

-تمام .. أنا هاخلي سبيلها بضمان محل اقامتها .. بس لازم والدك يجي يتنازل بنفسه عن الشكوى ، ده أفضل !

لم ينتظر أوس اكثر من هذا ، حيث مـد يده ليلتقط كف تقى المسنود على حجرها ، وإحتضنه بقوة ، ثم جذبها من على المقعد ، وسحبها بخطوات حذرة إلى خـــارج الغرفة ، وســارت هي معه مستسلمة ، ولكن عقلها كان يأبى الخنوع للواقع الذي تعيشه جبراً ......

....

وقعت عيني تهاني على ابنها مصادفة .. ورقص قلبها طرباً ورمشت بعينيها غير مصدقة أنه بالفعل على مقربة منها ..

توارت عن أنظاره حتى لا يلمحها ، وحتى تتمكن من التطلع إليه بتمعن ..

غمر روحها فرحة جلية ، ووضعت يدها على فمها لتكتم شهقاتها السعيدة ..

نعم لقد عافاه الله ، وإستعاد صحته بعد أن كان قريباً من الموت ..

أدمعت عينيها غير مصدقة ، وتنهدت بسعادة ، وغمغمت قائلة :

-ألف حمد وشكر ليك يا رب .. الحمدلله إني شوفته حتى لو من بعيد

تركت لعبراتها الأمومية العنان لتنساب على وجهها .. فلا شيء يهم سوى أن يكون ابنها بخير ..

....

على الجانب الأخـــر ،

وما إن خرج أوس وتقى من الغرفة حتى إستدار هو بجسده نحوها ، ووقف قبالتها ، ونظر إليها بعشق بادي في عينيه ، ثم

أرخى قبضته عنها ، ورفع كفيه نحو وجهها ليحتضنه بأصابعه .. ثم تلمس وجنتيها بحذر ليشعر بملمس بشرتها على أنامله الخشنة ، وهمس لها بصوت رخيم :

-يـــاه يا تقى .. أنا مش مصدق إنك قصادي !

رمقته تقى بنظرات فارغة فإستشعر غرابتها ، ووضعت يديها المرتعشتين على كفيه لتبعدهما عن وجهها ، وقاطعته بصوت قاتم :

-متكملش

نظر لها بإندهــاش ، وإنقبض قلبه نوعاً ما من كلمتها المقتضبة ..

بينما تابعت هي متسائلة بنبرتها التي أخافته ودون أن ترمش بعينيها :

-إنت بقيت كويس صح ؟

هــز رأســه موافقاً إياها وهو مستمر في النظر إليها بإستغراب يكسوه القلق ..

أكملت تقى حديثها المريب قائلة :

-يبقى تنفذ وعدك و.. وتطلقني

كان لوقع كلماتها الصـــادمة أثراً قوياً على نفسه .. فإهتز كيانه ، وشحب وجهه ، وأصبحت تعابيره باردة ..

رمقها أوس بنظرات حادة مستنكرة ، ولم ينطق بكلمة من هول المفاجأة .. وكـأن الكلمات قد هربت منه رغماً عنه ..

لقد أهداها عقلها إلى ذلك القرار الحاسم والصـــارم .. تلك الحياة لا تناسبها بالمرة .. هي مهددة في كل وقت .. هي عانت وتعاني وستعاني إن استمرت معه .. لذا لزاماً عليها أن تنهي تلك الدائرة المفرغة للأبد ..

استجمعت شجاعتها لتكمل بصوت جاف :

-احنا استحالة نكمل مع بعض .. كده وصلنا لنهاية الطريق

هتف أوس بعد أن أفـــاق من صدمته بصوت معاند :

-مش هايحصل يا تقى !

إعتقد أن قرارها نابع مما تعرضت له أثناء رقوده في المشفى ، فحاول أن يقنعها بالعكس ، فهتف بحذر وهو يقاوم بكل قوة رغبته في الإنفعال أمامها :

-لو كان على اللي حصل في غيابي ، فأنا هاعوضك .. صدقيني ، أنا مش هاسمح لحد يمسك ولا يأذيكي .. !

تراجعت مبتعدة بظهرها للخلف ، فتقدم عفوياً نحوها ، وهمس بصوت مختنق وقد لمعت عينيه بشدة :

-أنا عارف انهم جوم عليكي ، لكن أنا مصدقتش حاجة من اللي اتقالت ، أنا .. أنا بأحبك ! انتي مصدقاني صح ؟

ثم مد كفيه ليلتقط كفيها ، وضغط عليهما بأصابعه ، وأكمل بنبرة لاهثة وصـــادقة :

-تقى انتي ... انتي الحاجة الوحيدة اللي خليتني أعرف قيمة نفسي ، أنا .. أنا معاكي بأكون آآ...

قاطعته تقى بقسوة شديدة في نبرتها ونظراتها :

-من فضلك ماتكملش ، إحنا مش لبعض

ورمقته بنظرات لا حياة فيها وهي تضيف بجمـــود مخيف :

-صدقني انت يا أوس باشا ، احنا هاننفصل ، ولو محصلش النهاردة هايحصل بكرة أو بعده ، آآ.. احنا مش لبعض !

تعمدت هي أن تضغط في كلماتها على لقبه لتشعره بمدى الفارق الطبقي والمعنوي بينهما .. ونجحت في إيصال هذا الإحساس إليه ...

ثم سحبت كفيها من يديه ، وتراجعت أكثر للخلف ليتسمر مصدوماً في مكانه ..

أضافت بنبرة قاسية لتقضي على أخر ما تبقى لديه من أمل في إستعادتها :

-دي النهاية يا .. يا باشا !

هتف أوس متوسلاً وهو يرمقها بنظرات استعطاف من عينيه الدامعتين :

-انتي .. انتي بكده بتاخدي روحي معاكي

ردت عليه بجفاء واضح في نبرتها ، وبصلابة أعجب في نظراتها :

-وأنا روحي ماتت من كتر القاسية !

زاد آلم صــدره ، ولكنه لم يقـــارن بذلك الآلم القوي الذي يعتصر قلبه ويكاد يقتلعه من مكانه بضراوة ....

شعور بالعجز الكامل تمكن منه .. وأصابه بالوهن

لم تشفع له نظراته الصــادقة في إقناعها بالبقاء معه..

زفـــر العبرات أمامها لعل قلبها يرق إليه .. لكنها قاومت رغبتها في الإستسلام لإحساسه الصادق

ورغم ذلك الشعور الذي يقتلها ويزيد من صعوبة الموقف إلا أنها رفعت رأسها بكبرياء للأعلى .. وودعته قائلة :

-مع السلامة !

....

تابعت تهاني المشهد من على بعد وهي تتحســـــر على حـــال ابنها وابنة أختها ..

شهقت مصدومة ، وبكت بأسف جلي ..

فالإثنين ضحايا الظروف والحياة ..

ودت لو تمكنت من التدخل والحول دون حدوث هذا .. لكن من سيصغي إليها منهما ..

....

تعلقت عيني أوس الباكيتين بتقى التي أولته ظهرها ، وســـارت ببطء نحو الخـــارج لتبتعد عنه ، وترحل للأبد ومعها كل روحـــــه ..

كان على إستعداد تـــام لتحمل كل شيء ، ومواجهة أي شخص فقط لإرضائها وتعويضها عما فات ..

ولكن ما لم يستطع تحمله هو فراقها ..

نعم إلا رحيلها .. إلا خسارتها .. تلك هي الفاجعة الكبرى

كور قبضة يده ، ورفع ذراعه ليسنده على صدره ليشعر بدقات قلبه التي تتسارع من أجلها ..

تغير لون وجهه .. وزاد تعرقه ...

وفجـــأة خـــارت قواه تماماً ، وكـــأن روحه انتزعت نزعاً من جسده ، فسقط على ركبتيه ، وقبض على صدره بأصابعه الغليظة ، وأطلق صرخـــة عنيفة ومتألمة :

-آآآآآآآآآه ...!!!

وتمدد بجسده على الأرضية الصلبة ليدخـل في مرحلة من التشنج العنيف ...

صرخت تهاني صرخة مدوية أفزعت الموجودين وهي تركض نحوه بلهفة أم مفجوعـة على فلذة كبدها :

-أوس ، ابنـــــــــي !!!

تسمرت تقى في مكانها على إثر الصرختين ..

وشعرت بهزة عنيفة تجتاح روحها قبل جسدها ..

تلاحقت أنفاسها بذعــر ، وإستدارت ببطء للخلف ، وعقدت كفيها المرتعشين معاً بعد أن أغمضت عينيها جبراً ...

فتحت عينيها بحذر ، وشهقت مصعوقة حينما رأته مسجى على الأرضية ، وإتسعت حدقتيها بخوف حقيقي عليه ، وهتفت بإسمه :

-أوس ....!!!

ثم ركضت نحوه وهي تصرخ بجنون :

-أوس .. لأ.. ماتسبنيش وتروح ...!!

جثت على ركبتيها أمامه .. ومدت ذراعيها نحوه ، وأمسكت بجسده الذي يهتز بعنف وصاحت بصوت متشنج :

-انت بتعمل فيا كده ليه ؟

امتزجت عبراتها الحارقة بصوتها المختنق وهي ترفعه نحوها لتضمه إلى صدرها :

-ليه رابطني دايماً بيك ؟ ليه كل ما أخد قرار وأبعد بترجعني تاني ؟ ليييييه ؟ رد عليا ليه ؟ قــوم يا أوس وكلمني ! متعملش فيا كده

تمسكت تهاني هي الأخــرى به ، وصاحت بصوتها الباكي :

-الحقوا ابني ، هايروح مني يا ناس

إنقلب المخفر رأســاً على عقب ، وسادت حالة من الهرج في الرواق ..

ركض عدي نحو رفيقه ، ونظر بذهـول لحالته .. وجثى هو الأخر على ركبتيه ، وهتف بإهتياج :

-أوس .. رد عليا ، حصلك ايه ، أنا كنت واقف برا وسايبك كويس ، مالك ؟ أوس .. سامعني !

اخــرج هاتفه المحمول ليهاتف الطبيب مؤنس على الفور ...

هتف وكيل النيابة الذي إنضم للمتواجدين بصوت صـــارم :

-الاسعاف بسرعة هنا !

فزع المحامي منعم من رؤية رب عمله على تلك الحالة ، وأصابته حالة من البلاهة وهو يتطلع إليه ..

مـــرت الدقائق على الجميع كأنها سنوات ..

احتضنت تقى أوس بذراعيها ، وأسندت رأسه على قلبها ، وهمست له بنشيج :

-ماتسبنيش الوقتي !

رمقتها تهاني بنظرات معاتبة ، وحملتها اللوم قائلة بصوت باكي :

-ليه قاسيتي عليه يا تقى ؟ ليه جيتي عليه وهو اتغير عشانك ؟

زاد عتاب خالتها من تأنيب ضميرها ، ومن شدة عبراتها ، ومن الآلم الذي يعذب روحها المنهكة ..

نعم خالتها على حق .. فهي لا تمهله الفرصة لإظهار شخصيته التي تغيرت ، وتصده عنها بقسوة كلما أتيحت لها الفرصة حتى قتلته تلك المرة بنفسها .....

....

بعد لحظات حضرت سيارة الإسعاف ليترجل منها المسعفون على الفور ، وقاموا برفع جسد أوس بحذر ، ووضعه على الرافعة الطبية ، ثم ركضوا به نحو السيارة ..

لحقت بهم تقى ، وهمست بإستعطاف باكي وهي تقف خلفهم :

-خدوني معاه ، أنا .. أنا مراته

نظر لها المسعف بإشفاق ، وأشار بيده قائلاً :

-اركبي يا مدام

ثم عاونها على الصعود على متن السيارة ، وأغلق الباب خلفها ..

ركبت تهاني مع عدي في سيارته الخــاصة ، وأدار الأخير المحرك لينطلق خلف سيارة الإسعاف ، وهاتف في الطريق الطبيب مؤنس ليبلغه بتطور حــالة أوس للأســوأ ...

جلست تقى على المقعد الجلدي الملاصق للتروللي الطبي ..

ومسحت بكفها عبراتها لتنظر إلى أوس بندم واضح من حدقتيها الحمراوتين .. ثم مدت يدها لتمسك بكفه المسنود إلى جانبه ..

نظر لها المسعف بأسف على حالتها ، وتنحنح قائلاً بصوت خشن :

-اهدي يا مدام ، احنا هانعمل اللي علينا !

لم تصغ إليه ، ولم تنتبه إلى حديثه .. فقد كانت محدقة بمن جرحته عمداً ، وقتلته بكلماتها ..

ضغطت بأصابعها المرتجفة على قبضته الباردة ، وهمست بنحيب لعله يسمعها :

-أنا معاك ومش هاسيبك .. خليك معايا ، وآآ...

رفعت كفه البارد إلى وجهها ، وتلمست به وجنتها الملتهبة و المبللة بعبراتها .. وأضافت بصوتها المختنق :

-ومع .. ابننا اللي جــاي .. !!

أغمضت عينيها لتكمل بأنين واضح في نبرتها :

-ايوه ابننا .. أنا .. أنا حامل يا أوس .... !!

....

الفصل الحادي عشر :

كان يصـــارع الأمــواج المتلاطمة بأقصى طاقته ليظل جسده طافياً على السطح ..

ابتلع أوس قدراً كبيراً من المياه ، واختنق حلقه ، ورغم هذا ظل صادماً إلى أن ارتطم جسده بذلك النتوء الصخري ..

فصرخ بصوت مكتوم ، وآلم شديد كاد أن يفتك بصدره .. وتصلب جســده ، وعجز عن الإستمرار ..

وبدأ يستسلم للغرق ..

سمع صوتها يناديه بإسمه في ظلماته الحالكة .. فـأدار رأسه بعصبية بحثاً عنها ..

ناداها بصوته المتحشرج لعلها تنتبه له ، وتدرك مكانه :

-تقى ..تقى !

لكنه لم يراها .. لا شيء ســوى رذاذ الأمواج المالح الذي يلهب عينيه أكثر ، ويعوق إبصاره ..

كلمات أخيرة متقطعة التقطتها أذنيه بوضوح فكانت كالمشكـــاة التي أضاءت ظلمته فرأى قارباً تجثو فيه وممددة لذراعها نحوه ....

((أنـــا.. أنا حامــل .. ماتسبنيش))

قـــوة رهيبة إنتشرت في خلايا جسده ، فزادت من مقاومته للغرق ، وأســـرع سابحاً في إتجاهها ، ليبدأ عقله تدريجياً في العودة إلى أرض الواقـــع .. ولكن شبه واعياً ..

....

تحركت سيارة الإسعـــاف – وصوت صافرتها يعلو بشدة - وسط تكدس السيارات لتشق طريقها في الزحـــام لتصل إلى المشفى في أســـرع وقت ...

ظلت تقـى مسندة لكف أوس على وجنتها ، وهمست له بصوت مختنق يحمل الآســـى :

-هاتسيبنا لمين يا أوس ؟

تطلعت إليه بعينيها المغرورقتين بالعبرات ، وهتفت بصوت متحشرج :

-رد عليا ! أنا حامل في ابنك ، وإنت .. وإنت ساكت كده ، مش هاتقول حاجة

رفعت كفها الأخــر لتمسح عبراتها عنها ، وأكملت بهمس مرير :

-قول أي حاجة ريحني ! ماتسبنيش كده أتعذب !

لهثت وهي تحــاول السيطرة على نوبة بكائها ..

فتح أوس عينيه نوعاً ما ليرى طيف وجهها ، ولكن عــاود غلقهما بإنهاك ..

نظر لها المسعف بأسف ، وتفقد تعابير وجهها بإهتمام ..

ثم قاطع حديثها بجدية :

-مدامماينفعش اللي بتعمليه ، لو حضرتك حامل ده بيأثر على الجنين ، وممكن يعمل مضاعفات

أدارت رأسها ناحيته لتنظر له بإجهاد .. فتابع بهدوء جــاد :

-حضرتك لازم تبقي عارفة إن الحالة النفسية السيئة ممكن آآ... تعمل اجهاض !!!

شهقت مصدومـــة ، ووضعت يدها على فمها لتكتم صرختها .. فحاول تهدئتها قائلاً وهو يشير بكفه :

-أنا مش عاوز أقلقك ، بس لازم تاخدي بالك أكتر من كده ، المريض هايبقى كويس ، احنا عملنا الاسعافات الأولية معاه ، والمستشفى اللي رايحينه هيتعامل مع حالته بحرفية !

....

بداخــل سيارة عدي ،،،،

ظل عدي يضغط بقســوة على بوق السيارة حتى تفسح السيارات العالقة أمامه الطريق ليفتح المجــال لسيارة الاسعاف لتصل في أســرع وقت للمشفى ..

كانت تبكي بلا توقف وهي تهز جسدها بعصبية ، وأكملت نواحها قائلة :

-يا رب مايسمعني عنك حاجة وحشة يا بني ، يا رب يحميك ويشفيك ، يا رب أنا مش هاستحمل اخسره تاني

نظر لها عدي من طرف عينه ، وتنهد بحرقة ليضيف :

-ادعيله يا مدام تهاني

ثم ضغط بشراسة على البوق ليلفت إنتباه السائق الذي يسير أمامه ، وصـــاح بصوت جهور غاضب :

-وســـع ياخي هي مش نقصاك !

رفعت تهاني بصرها للسماء ، وأشارت بسبابتيها للأعلى وهي تدعي بصوت باكي :

-منك لله مهاب ، انت السبب في كل ده .. حسبي الله ونعم الوكيل ، أشوف فيك يوم ، ضيعت ابني وبهدلت مراته !

كـــز عدي على أسنانه بغيظ ، فقد كانت محقة في كل كلمة قالتها .. هو أفســـد كل شيء ، وحوله للأســـوأ ..

تسائلت تهاني وهي تتلفت حولها بحيرة :

-هو .. هو احنا رايحين فين يا بني ؟

تمنى عدي ألا تســـأله هذا السؤال فيضطر أسفاً للإجابة عليه ، فقد كان يتوقع ثورتها إن علمت بوجهتهم .. لذا رد عليها على مضض وهو محدق أمـــامه :

-على مستشفى الجندي !

انفرج فمها مصدوماً ، وشهقت محتجة :

-اييه ! هتاخد ابني على المستشفى دي ؟ لييييه يا بني ؟ هو .. هو آآ....

قاطعها بهدوء زائف رامقاً إياها بنظرات ثابتة :

-مش هاينفع يروح مكان تاني إلا هناك ، دكتور مؤنس مستنينا ، وهما هايعرفوا يتعاملوا معاه

ردت عليه متذمرة وهي تضرب بكفيها حجرها :

-يعني اللي عمل المستشفى دي معملش غيرها

ضغط على شفتيه ، ونفخ وهو يجيبها بضيق :

-أنا عارف ان في مستشفيات تانية ، بس الوقتي لازم نتصرف ونروح على هناك وبعد ما نطمن على أوس نبقى ننقله !

أسندت يدها على مقدمة رأسها ، وتنهدت بإنهاك وهي تدعو قائلة :

-ربنا يسترها عليك يا بني ، ويحفظك من كل سوء ! يــا رب .. يــا رب !

....

في المقر الرئيسي لشركـــات الجندي للصلب ،،،

تطلع الحارس الأمني أحمد للافتة الشركة ، وأخــذ نفساً مطولاً ليسيطر به على توتره .. وحمس نفسه بشجاعة مصطنعة :

-متخافش يا أحمد ، انت بتعمل الصح ، لازم يعرف بالمخطط الوسخ اللي عاملينه عليه ، ويعرف مين حبيبه من عدوه !

ابتلع ريقه ، وســـار بخطوات مترددة نحو البهو الفخم ..

إلتفت بعينيه باحثاً عن مكتب الإستقبال ، فلمحه من على بعد ، وتحرك نحوه وهو يضغط على أصابع يده بإرتباك ..

توقف أمـــام مكتب موظف الاستقبال ، ونظر إليه بنظرات حائرة .. وظل صامتاً للحظات يفكر ملياً فيما هو مقبل عليه ..

تعجب الموظف من صمته المريب ، وسأله بإستغراب يعلو وجهه وهو يتفحص هيئته البسيطة :

-أيوه !

انتبه أحمد إلى صوته ، ورفع رأسه ناحيته ليشرع حديثه بإرتباك :

-أنا .. أنا كنت عاوز آآ... أقابل أوس الجندي

رمقه الموظف بنظرات ساخطة قبل أن يجيبه بتهكم :

-هو حضرتك مش عــارف إنه في المستشفى !

بدى أحمد كالأبله بعد تلك العبارة ، وتابع قائلاً بتلعثم :

-هـــه .. أقصد يعني أقابل أي حد من مكتبه

سلط الموظف أنظاره على بعض الأوراق الموضوعة أمامه ، وسأله بنبرة رسمية :

-مين بالظبط ؟ وهل في ميعاد سابق ؟

ارتبك أحمد ، ولم يعرف بماذا يجيبه .. فكل ما كان يشغل تفكيره وقت مشاهدته لحلقة البرنامج المثيرة للجدل هو الوصــول لأوس وإبلاغه بالمخطط الدنيء الذي يُحـــاك ضده وضد تقى ..

زفــر الموظف قائلاً بنفاذ صبر وهو يشير بيده :

-يا أستاذ لو معندكش حاجة تقولها يا ريت تتفضل !

ضاقت عيني أحمد ، وعقد ما بين حاجبيه ليرد عليه بحنق :

-أنا مش جاي أهزر ، أنا كنت عاوز الباشا في موضوع مهم

تابع الموظف حديثه قائلاً بإمتعاض :

-هو مش موجود ، وعدي باشا ماسك مكانه

همس أحمد بإهتمام :

-هـــاه ! عدي !

أشـــار له الموظف بعينيه قائلاً بجدية :

-يا ريت حضرتك تتفضل تشوف وراك ايه

فكر أحمـــد مع نفسه قائلاً بصوت مسموع :

-مافيش إلا هو .. هايقدر يوصلني ليه

وضـــع أحمد يديه على سطح المكتب ، وهتف بتلهف :

-معلش ممكن تخليني أقابل الباشا عدي

سـأله الموظف ببرود وهو ينظر له شزراً :

-في ميعاد سابق ؟

هز أحمد رأسـه نافياً وهو يجيبه بتوتر :

-لأ .. بس الموضوع مهم

لوى الموظف فمه ليتابع بسخط وهو يضرب بيده سطح المكتب :

-ماينفعش ، بدون ميعاد سابق مقدرش أخليك تقابله

حدق فيه أحمد قائلاً بإصرار :

-الموضوع مسـألة حياة أو موت

تجهم وجـه الموظف مضيفاً ببرود مستفز :

-مش هاينفع ، في تعليمات مشددة بإن محدش يقابل مدير الشركة ولا رئيسها بدون أي مواعيد !

ثم أشـار بذراعه قائلاً بنفاذ صبر :

-واتفضل خليني أشوف شغلي

يأس أحمد من محاولة إقناع موظف الإستقبال بإتاحة الفرصة له لمقابلة عدي .. فتراجع مبتعداً ، وفرك بكفه طرف ذقنه ، ثم تمتم مع نفسه بإصرار أشد :

-لازم أتصرف وأوصلك !

....

في السجن النسائي ،،،

في مكتب مدير السجن ،،،

وقفت ناريمان أمـــام مدير السجن النسائي وهي عاقدة لكفيها معاً ، وصاحت بجدية وهي محدقة به :

-يا فندم أنا محتاجة أقابل هياتم ضروري !

رد عليها بنبرة رسمية وهو يشير بإصبعيه :

-مش هاينفع يا ناريمان ، في مواعيد مخصصة للزيارة

توسلت له برجاء جلي :

-أرجوك يا فندم ، الموضوع مهم ومايحتملش التأجيل

سألها بإهتمام وهو ينظر لها بتمعن :

-بخصوص ايه ؟

إرتبكت من سؤاله ، وتلعثمت وهي تجيبه :

-هـــاه .. حاجة تخص قضيتي !

أخـــذ مدير السجن نفساً عميقاً ، وزفره على مهل ، ثم نـهض عن مقعده ، ودار حـــول مكتبه ليجلس على طـرفه ، وتشدق قائلاً بجدية :

-شوفي يا ناريمان ، انتي هنا في سجن مش في منتجع ولا في نادي الروتاري ، في قوانين وقواعد ماشيين عليها ، لما يجي ميعاد الزيارة تقدري تقابلي اللي انتي عاوزاه !

نظرت له بحدة ، وصاحت بنبرة شبه منفعلة :

-بس أنا مقدرش أستنى لحد ميعاد الزيارة

نظر لها ببرود ، وتابع قائلاً بعدم إكتراث :

-وأنا مش في ايدي حاجة اعملهالك !

ثم أشـــار برأسه للصول الواقفة في الخلف وهو يقول بنبرة رسمية :

-ويالا اتفضلي .. خديها يا شاويش

هزت الصــول رأسها ، وأدت التحية العسكرية وهي تجيبه بنبرة جادة :

-تمام يا باشا !

ثم تحركت نحو ناريمان ، وقبضت على ذراعها ، ودفعتها معها قائلة بحسم :

-اتحركي يا مسجونة !

ســارت معها ناريمان مستسلمة إلى خــارج الغرفة ، وغمغمت مع نفسها بضجر وهي تتحرك في الرواق :

-طب أبلغها ازاي اني عاوزاها !!

مالت عليها الصــول برأسها ، وهمست لها بحذر وهي تتلفت حولها :

-أنا أقدر أساعدك

إلتفتت لها ناريمان برأسها ، وحدقت فيها بعدم تصديق وهي تسألها بإستغراب :

-هـــاه ، إزاي ؟

ردت عليها بخفوت وهي ترمقها بنظرات ذات مغزى

-بالتليفون !

ثم صمتت لتضيف بنبرة ماكرة :

-بس كله بتمنه !

إلتوى فم ناريمان بإبتسامة باهتة وهي تجيبها بنزق ودون تردد :

-ماشي ، وأنا هديكي اللي عاوزاه !

....

في مشفى الجندي الخـــاص ،،،

راقب الطبيب مؤنس الطريق بدقة شديدة ، وظل ينظر في ساعة يده بتوتر واضح ، فبعد أن أبلغه عدي هاتفياً بتدهــور حالة أوس ، أخـذ على عاتقه مسئولية رعايته حتى يستعيد عافيته ..

لمح سيارة الإسعاف من على بعد وهي تقترب من البوابة الرئيسية للمشفى ، فصـاح بصوت جهوري وهو يلوح بذراعه لطاقمه الطبي :

-بسرعة اجهزوا ، الباشا أوس وصــل

وبالفعل ركض الجميع نحوه .. وانتظروا بترقب توقف السيارة حتى يتمكن المسعفون من إنزاله ..

تفاجيء الطبيب مؤنس من وجــود تقى بالداخل .. ونظر لها مندهشاً ..

كانت الأخيرة قابضة على كفه ، ومتعلقة بالترولي الطبي ، فهتف فيها المسعف بصوت جــاد :

-مدام من فضلك ، عاوزين ننزل المريض

أومــأت برأسها موافقة ، وأرخت أصابعها عن كفه .. وتحركت بحذر إلى خــارج السيارة ، ولكنها شعرت بدوار يصيبها ، فكادت أن تتعثر أثناء نزولها ، فــأسرع الطبيب مؤنس بإسنادها من ذراعيها ، وتسائل بإهتمام :

-انتي كويسة ؟

هزت رأسها بخفة وهي تجيبه بصوت مبحوح :

-آآآ.. أيوه ..

حركها الطبيب مؤنس بحذر بعيداً عن الباب وهو يقول بصوت جــاد :

-تمام .. تعالي على جمب !

أســـرع المسعفون في دفــع الترولي الطبي نحو المدخل ، وتولى الفريق الطبي إدخــال أوس إلى غرفة الطوارىء للإشراف على حالته ..

أوقف عدي سيارته بصورة مفاجئة أمــام المدخل ، وترجل منها دون أن يطفيء محركها ليركض خلف رفيقه ..

ترجلت تهاني هي الأخـرى من السيارة ، وســارت بخطوات سريعة وهي تلهث نحو المدخل ..

تسمرت تقى في مكانها لوهــلة .. وازدردت ريقها بخــوف وهي تطالع بعينيها المنتفختين بوابة الإستقبال ....

....

في السجن النسائي ،،،،

راقبت الصــول الممر بحذر شديد ، وإلتفتت برأسها للجانب لتهمس بجدية :

-بسرعة

هزت ناريمان رأسها عدة مرات وهي تضع الهاتف على أذنها ، قائلة بخفوت :

-حاضر

عضت على شفتها السفلى بتوتر ، ووضعت يدها الأخـرى أمــام فمها وهي تكمل بصوت منخفض :

-ايوه يا هياتم ، أنا ناريمان ، عاوزاكي تسمعيني كويس

جاءها صوت هياتم عبر الهاتف قائلاً :

-خير يا مدام ناريمان ! انتي بتكلمني ازاي ؟ هو آآ...

قاطعتها بصوت جــاد وهي عابسة الوجه :

-مش وقته يا هياتم ، ركزي بس معايا الأول

ردت عليها هياتم بإيجاز :

-اتفضلي

همست ناريمان بحذر وهي تضيق عينيها :

-فاكرة الست المجنونة اللي جت الحفلة وكانت تبع دار المسنين ، اللي اسمها تهاني دي !

أجابتها بنبرة هادئة :

-اه فكراها ، مالها ؟

تابعت قائلة بجدية بالغة :

-عاوزاكي تروحيلها ، أنا هادلك على عنوانها

تسائلت هياتم باندهاش كبير يكسو نبرتها :

-أروحلها ؟!

أومـأت برأسها وهي تضيف بنبرة مهتمة :

-أيوه .. ضروري ، بلغيها رسالة مني

ترددت هياتم قائلة :

-بس آآ.. معتقدش انها آآ...

قاطعتها ناريمان بإصرار وقد بدى على قسمات وجهها الإنزعــاج :

-اسمعيني كويس ، قوليلها ناريمان عاوزاكي تجيلها زيارة ، وهي هتساعدك تاخدي عيالك تاني !

تشدقت هياتم قائلة بحيرة :

-أنا مش فاهمة حاجة

ردت عليها ناريمان بغموض :

-قوليلها رسالتي وهي هتفهم

-اوكي

هتفت ناريمان قائلة بتوسل :

-هياتم ، بليز روحيلها في أسرع وقت ، المسألة مهمة جدا

ردت عليها الأخيرة بهدوء :

-حاضر ، اطمني

ثم أضافت ناريمان قائلة بتنهيدة إرتياح :

-اكتبي عندك العنوان

-لحظة

كزت الصــول على أسنانها وهي تردد بضيق :

-بسرعة يا ست ناريمان ، مش ناقصة مشاكل مع حد هنا

أومـــأت ناريمان برأسها قائلة بخنوع :

-أهوو .. خلاص

....

عند مشفى الجندي الخـــاص ،،،،

ظلت تقى متسمرة في مكانها لعدة دقائق ، ومحدقة ببوابة الإستقبال ، وبإسم (الجندي) الذي يعلوها ..

عجزت قدميها عن التحرك خشية مواجهة الأســوأ بالداخل .. ومع هذا كان قلبها معلقاً بأوس .. يتلمس بتلهف معرفة حالته والإطمئنان عليه ..

اقتربت منها ممرضة ما ، ووضعت يدها على كتفها لتنتبه لها ، وأردفت قائلة بصوت هاديء :

-تعالي معايا يا مدام ، دكتور مؤنس باعتني عشانك ، اتفضلي !

هزت رأسها مستسلمة ، وشعرت نوعاً ما بالإرتياح لوجود من يرافقها في طريقها ....

....

مــــر الوقت بطيئاً على الجميع وهو ينتظرون بالخـــارج عودة الطبيب مؤنس ليطمئنهم على حـــال أوس ....

ألصق عدي ظهره بالحائط المجاور لباب غرفة الطواريء ، وظل يفرك أصابعه بتوتر .. ووزع أنظاره ما بين الغرفة ، والتحديق بالرواق ، بينما جلست تهاني إلى جوار تقى ، وتطلعت إليها بنظرات إشفاق .. هي تعلم مدى الحيرة التي تعانيها ، ومدى التخبط في مشاعرها وقراراتها ..

فهي صغيرة ، ساذجة ، خبرتها قليلة ، بل تكاد تنحسر في نطاق عائلتها والحارة التي تمثل عالمها ..

واجهت الكثير ، وتعرضت لصدمات كافية لتدمير أي انسان طبيعي .. ومع هذا تحاول إعادة بناء نفسها ..

مدت يدها لتمسك بكفها المرتجف ، وضغطت عليه بأصابعها .. وتمتمت مع نفسها بأسف:

-ومين هايستحمل ده كله ويبقى بخير !

كانت تقى شـــــاردة في عالم أخـــر خاص بها ، من يراها يظن أنها محدقة في الفراغ ، ولكنها كانت تتطلع إلى خيـــال وجـــه أوس الباكي أمامها ..

لم تره في تلك الحالة إلا حينما كان على وشك الموت في أحضانها ، وأفنى حياته من أجلها ...

كان صادقاً في مشاعره ، في حبه ..

وهي لم تبادله إلا الكره والبغض ..

خشيت من تكرار التجربة مجدداً ، ومن المعاناة التي لا تنتهي ..

غصة مريرة علقت بحلقها ، وآلم قوي إجتاح قلبها ..

نعم فتلك المرة هي الجانية ..

هي من أوصلته لتلك الحالة ..

تطلع عدي بعينيه نحوها ، ومرر نظراته عليها من رأسها لأخمص قدميها ..

لاحظ تلك الإرتجافة التي تسيطر عليها ، وانتبه لجلوسها بقميص منزلي .. فضغط على فمه .. ونفخ من الضيق ، ثم تحرك دون أن ينطق بكلمة ..

نظرت له تهاني بإندهــاش .. وتسائلت مع نفسها بحيرة :

-هو .. هو رايح فين !

جـــاءت ممرضة ما إلى تقى وهي تحمل في يدها عبوة من المشروب ، ومدت يدها بها نحوها وهي تقول بهدوء جدي :

-اتفضلي يا مدام ، اشربي ده

حدقت بها تقى بجمود ، ولم تتحرك قيد أنملة ..

أردفت الممرضة قائلة بإصرار عجيب :

-مدام أنا مش هامشي من هنا غير لما اطمن ان حضرتك شربتي العصير ده ، اتفضلي !

ربتت تهاني على ظهرها بحنو ، ورمقتها بنظرات دافئة وهي تهتف بصوت خافت :

-خديه منها يا بنتي ، انتي مش شايفة وشك مخطوف ازاي ! يالا يا بنتي ربنا يهديكي

تناولتها منها تقى ، وارتشفت منها قدراً قليلاً لتبلل به جوفها الجاف ..

....

ركب عدي سيارته وصفها بعيداً ، ثم أوقفها ، وضرب بيده على المقود بعصبية ، وأدمعت عينيه بشدة حزناً على رفيقه ..

إنتحب بصعوبة وهو يردد بخوف :

-ليه كده يا صاحبي ! لييييه !

أرجع رأسه للخلف ، ووضع يديه على رأسه ليضغط عليها بقـوة ..

ثم أخذ نفساً عميقاً ، وحبسه في صدره ليمنع نفسه من البكاء ..

انتزع منشفة ورقية من تابلوه السيارة ، ومسح بها وجهه ، ثم جذب سترة أوس ، وتنهد بصوت مرتفع ..

ترجل من السيارة وهو يحمل السترة على ذراعه ، ثم عاود أدراجه لداخل المشفى ....

....

في السوق الشعبي بالحــــارة ،،،

أشـــارت إحســـان بيدها نحو قطعة لحم حمراء بعد أن ظلت تتفحص بدقة ما علقه الجزار من لحوم مذبوحة أمــام مدخل محله ، وهتفت بصوت شبه آمــر :

-اقطعلي من هنا

سألها الجزار بصوت متحشرج وخشن للغاية :

-أخـر كلام يا أم عبده

ردت عليه بصوتها الجهوري :

-اه يا بني ، أنا أحب أخد حاجتي مشفية !

لوح لها بسكينه الحاد قائلاً بتحذير :

-بس السعر هايبقى أغلى حبتين

لوت فمها في عدم إكتراث وهي ترد عليه بـ :

-وماله ، أهم حاجة يبقى فيها لحمة مش شغت وقرف

ابتسم لها مجاملاً ، وشرع في قطع اللحم وهو يقول بحماس :

-على البركة !

مرت القابلة أم نجـــاح من جوار إحســـان ، فرأتها وهي تتمعن في أوجه المارين بإشمئزاز ، فإقتربت منها وصاحت بصوت مرتفع :

-الله ، ست إحسان

إلتفتت إحسان بوجهها نحوها ، وهتفت بفتور وهي ترفع حاجبها للأعلى :

-ازيك يا أم نجاح ، عاملة ايه وازي بنتك ؟

ردت عليها الأخيرة بإبتسامة عريضة :

-الحمدلله بخير ، نحمده على كل حـــال ، اخبارك انتي ايه ؟ وأخبار سي عبده ومراته ؟

نفخت بضيق وهي تجيبها :

-أهوو .. زي ما احنا

مط أم نجاح فمها لتقول بحذر :

-ربنا يصلح الحال

فكرت إحســـان في أن تستغل الفرصـــة وتستشف بعض المعلومات منها ، خاصة وأن الشكوك كانت تساورها بشدة خلال الأيام الأخيرة ، لذا ضيقت عينيها بمكر ، وأسندت قبضتها على ذراع أم نجـــاح ، والتصقت بها ، ثم همست لها في أذنها بخبث :

-بأقولك ايه يا أم نجاح ، عاوزاكي في كلمتين

سألتها أم نجاح بإهتمام وقد سيطر عليها الفضول لمعرفة ما تريده :

-قولي يا اختي !

أشارت بعينيها وهي تضيف بخفوت :

-مش هاينفع الكلام هنا ، تعاليلي في البيت

سألتها أم نجـــاح متوجسة وهي تضع إصبعيها على طرف ذقنها :

-هو حصل حاجة لا سمح الله ؟

هزت إحســـان رأسها نافية ، وهتفت بغموض :

-لأ .. بس كنت عاوزة استفهم منك عن حاجة كده

تشدقت نجاح قائلة :

-طيب ياختي ، هابقى اعدي عليكي على أخـر النـهار كده

ربتت على ظهرها وهي تقول بإبتسامة سخيفة :

-هستناكي نشرب الشاي سوا

-بأمر الله ، سلامو عليكم

ردت عليها إحســـان بإيجاز :

-وعليكم .. !!

ثم زاد عبوس وجهها ، وأظلمت نظراتها وهي تتابع بشراسة :

-أمــا أشوف حكاية الولية دي ايه ، ما هو أنا الفار مش هايفضل يلعب في عبي وأنا أموت مفروسة ومش عارفة أوصل لحل !

....

في مشفى الجندي الخـــاص ،،،،

عـــــاد عدي من الخـــارج وهو يحمل السترة ليقف قبالة تقى ، ثم مـد يده بها نحوها ، وأردف قائلاً بصوت هـادئ:

-اتفضلي

نظرت له تقى بعدم فهم ، فأكمل قائلاً بنفس الثبات :

-ده جاكيت أوس البسيه ، مش هاينفع تفضلي كده !

أثـــار ذكر اسمه قلبها ، وزاد من خفقاته .. فمدت يدها المرتجفة لتأخذه منه ..

قربت السترة منها فتسللت رائحته المميزة إلى أنفها ..

فأغمضت عينيها ، وقاومت بصعوبة إنسياب عبراتها ....

ارتدت السترة وبدى جسدها ضئيلاً للغاية بداخلها ..

ولكن نوعاً ما شعرت بالأمـــان فيها ..

خــــرج الطبيب مؤنس من الغرفة وهو ينزع قفازه الطبي من يديه ، فإنتصب عدي في وقفته ، وركض نحوه ، وسأله بتلهف :

-ها يا دكتور مؤنس ! أوس عامل ايه ؟

هبت تهاني واقفة من المقعد ، وسحبت يدها من كف تقى ، وسارت نحوه وهي تضع يدها على صدرها من فرط التوتر ، وحدجت الطبيب بنظرات زائغة وهي تهتف بقلق أمومي :

-ابني !

انتبهت تقى إليهم ، وخفق قلبها بدرجة كبيرة ، وحبست أنفاسها منتظرة ما سيلفظه فمـــه ...

أجابهم مؤنس قائلاً بهدوء :

-اطمنوا يا جماعة ، الحالة بقت مستقرة

تنهدت تهاني بإرتيـــاح ، ورفعت عينيها الدامعتين للأعلى لتقول بإمتنان :

-الحمدلله يا رب ، الحمد لله

تنفس عدي الصعداء ، ووضع يده على رأسه قائلاً بتنهيدة عميقة :

-يــــاه ، الحمدلله !

أغمضت تقى عينيها ، وأرجعت رأسها للخلف ، ثم أطلقت تنهيدة مطـولة من صدرها المشحون بالمشاعر المتأججة :

-آآآه .. !

سلط الطبيب مؤنس أنظاره على تقى ، وصـاح بجدية وهو يتحرك نحوها :

-مش حابة تطمني على جوزك يا مدام تقى !

أخفضت رأسها قليلاً ، وفتحت عينيها لتنظر نحوه ، وهزت رأسها عفوياً وهي تسأله هامسة :

-هو .. هو فــاق ؟

أجابها بهدوء حذر وهو يطالعها بنظرات متمعنة :

-لأ .. بس أنا عارف هو أد ايه متعلق بيكي ، ووجودك معاه هايفيده في اللحظات دي !

سأله عدي بقلق بالغ في نبرته :

-هو حياته في خطر ؟ قول يا د. مؤنس

ابتلعت تقى ريقها وهي تنظر له بخوف منتظرة بترقب جلي إجابة سؤاله ..

أدار الطبيب مؤنس رأسه في إتجاهه عدي ، وأجابه بإحتراز :

-حالياً لأ .. بس العامل النفسي مهم في مراحل الشفاء ، ومن اللي أنا شوفته في حالة الباشا أوس وجود المدام معاه هايفيده !

-قومي يا بنتي ، خليكي جمبه ، انتو الاتنين محتاجين بعض

قالتها تهاني بنبرة صـــادقة وهي تنظر إليها برجاء ..

أضـــاف الطبيب مؤنس قائلاً بثبات :

-هو هايتنقل على العناية ، وأنا هاطلب من الممرضين يحطوا سرير تاني معاه

ظلت تعابير وجه تقى على حالتها الجامدة .. ولكن لاحت إبتسامة باهتة على شفتيها ..

خشي عدي من حدوث أي تطور ، وخاصة فيما يتعلق بمهاب الجندي ،

فأردف قائلاً بنبرة محذرة :

-تمام يا دكتور ، بس يا ريت محدش يعرف بوجود مدام تقى معاه

ابتسم له مؤنس وأضاف بهدوء بعد أن فهم مقصده :

-اطمن !

إستندت تقى بكفيها على جانبي المقعد لتنهض من عليه ، ثم ســـارت ببطء مع الطبيب في إتجاه الممر ...

نظر عدي إلى تهاني ، وتنحنح قائلاً بصوت آجش :

-حضرتك اطمني على أوس وأنا هاوصلك على البيت تاني !

أومــأت برأسها وهي تجيبه بخفوت :

-ماشي يا بني !

....

أدخـــل اثنين من الممرضين سريراً متحركاً إلى داخل غرفة العناية ، وقاموا بإزاحة طاولة صغيرة وأريكة جلدية بيضاء إلى خـــارجها ..

تابعتهما تقى بصمت .. وظلت أنظارها معلقة بالباب في إنتظار دخـــول أوس ..

إنتبهت هي إلى الأصوات الخــارجية التي تقترب من الغرفة ، فجفل جسدها ، وضغطت على شفتيها بتوتر شديد ..

دلف أحد الممرضين بظهره إلى الداخل ساحباً الترولللي الطبي .. وولج معه عدد أخر من الأطباء ، فهتف أحد محذراً :

-بالراحة .. خلوا بالكم

تعلقت أنظارها بالترولللي ، وحاولت إختلاس النظرات إلى وجــه أوس ، ولكن كانت أجســاد الأطباء تحجب عنها رؤيته ..

هتف الطبيب مؤنس بنبرة رسمية :

-عند 3 ترفعوه على السرير

-تمام

-1 ، 2 ، 3

وبالفعل رفــعه الجميع معاً ، وأسندوه على الفراش ليكمل الطبيب مؤنس عمله معه ، وتابع البقية توصيل الأجهزة الطبية به .. وغرزت ممرضة ما أبرة طبية في كفه .. وعلق ممرض أخـر المحلول على الحامل ..

وقفت تقى على بعد منكمشة على نفسها تتابع عملهم في صمت .. ولكن قلبها كان ثائراً من أجله .. خاصة حينما وقعت عينيها على وجهه ، ورأت جموده الذي أذاب قسوتها الزائفة ، وكشف قناع ضعفها أمـــامه ..

تناست في لحظة جريمته النكراء التي تقف دوماً كحائلٍ بينهما ، وإستسلمت لشعورها بصدق توبته .. وبندمه الحقيقي الذي لم يكفْ عن إظهاره لها وسعيه لتعويضها ..

اقترب منها الطبيب مؤنس ، وأردف قائلاً بخفوت بعد أن رأى نظرات الخوف في عينيها ، وحالة الرهبة المسيطرة عليها :

-مش عاوزك تقلقي يا مدام ، اللي بنعمله عادي في حالته

هزت رأسها متفهمة .. فأكمل بهدوء وهو يشير بيده :

-حضرتك تقدري تقعدي معاه ، والسرير ده عشان لو حبيتي تريحي شوية ، وأنا عاوزك تطمني مافيش حد هيزعجكم ، أنا منبه على الكل ، ولو حصل حاجة احنا هنتصرف

ابتسمت له إبتسامة باهتة ، فإلتفت برأســه للخلف ، وهتف بنبرة آمــرة وهو يشير بكفه :

-اتفضلوا يا جماعة !

نظر لها مجدداً ، واضــاف بجدية وهو يمد يده بمشروب ما :

-عاوزك تشرب ده يا مدام

رمقته بنظرات حائرة ، فبرر قائلاً :

-ده هايفيدك حالياً ، اتفضلي .. !

تناولته منه ، وارتشفت قدراً قليلاً منه .. فإبتسم لها مؤنس ، ثم انضم للبقية ..

بعد لحظات انصــرف الجميع من الغرفة ، وبقيت تقى بمفردهــا معه ..

تحركت بخطوات مضطربة نحوه ، وسحبت المقعد إلى جوار فراشــه ..

جلست عليه وعينيها لم تفارقان وجهه ..

نظرت له بأسف .. وأصغت إلى صوت تنفسه المنتظم ..

مدت أصابعها المرتجفة نحو ذراعه ، وتلمست بحذر بشرته الخشنة ..

قشعريرة قوية دبت في جسدها على إثر لمستها له ..

وتنهيدة حــارة أخرجتها من صدرها على ذراعه بعد أن أخفضت رأسها نحوه ..

همست له بصعوبة وهي تحاول ابتلاع تلك الغصة المريرة التي تزيد من إختناقتها :

-أنا هنا معاك .. ولوحدنا ..!

أغمضت عينيها ، وأسندت رأسها على ذراعه لتتابع بنشيج :

-ولأول مرة أحس .. إني.. إني مش خايفة منك بجد !

تلمست بوجنتها ذراعه ، وإختنق صوتها أكثر وهي تكمل بوهن :

-بس مش قادرة أتحمل اللي بيجرى حواليا ، حاسة إني لوحدي ، انت مش معايا ، وأنا .. أنا خايفة أكمل فتروح مني كل حاجة !

رفعت رأسها للأعلى ، ونظرت له بأعينيها الباكية ، وأمسكت بكفه ، ثم نهضت عن المقعد بحذر .. وجلست على طرف الفراش ، وتطلعت إلى كفه ، وأكملت بنبرة مرتعدة :

-وخصوصاً لو عرفوا بده

نظرت إلى بطنها ، ثم حركت يده الممسكة بها في إتجاهها ، ومن ثَمَ أسندتها على بطنها وضغطت على كفه قليلاً بأصابعها المرتجفة لعله يستشعر وجود جنينه في رحمها ..

لم تنتبه إلى عينيه التي كانت ترمشـــان بوهن متأملة إياها بإشتياق حقيقي ..

ولم يحاول الإنفعال فيخرجها من حالة الصدق الشعوري مع نفسها .. فقد أراد الإستمتاع بوجودها معه ، وبقربها منه ..

كانت فرحته الحقيقية حينما شعــر بما تحاول إبلاغه إياه ..

رقص قلبه طرباً ، وجاهد بضراوة للمحافظة على جموده وسكونه الزائف ..

هي تحمل في أحشائها نطفته التي وضعها جبراً داخلها ..

ويراها الآن تشير إليها دون نبذ أو خــــوف منها ...

نعم لقد تقبلتها ، وإرتضت أن تكون أمــاً لابنه القادم ....

كانت من أسعد اللحظات عليه ..

ود لو يخرج عن صمته المصطنع ويعلن عن فرحته العامرة بهذا الخبر الذي لم يتخيل حدوثه ...

لقد استمع إلى صوتها الباكي وهي تخبره بحملها وهو يصـــارع آلامه ، فكـــانت كلماتها كالبلسم الشافي لجراحه الملتهبة .. فسكن وقتها على صوتها ، وإرتاحت روحه ، وإستسلم لذلك الحلم الجميل ...

إرتسم على ثغره شبح ابتسامة حاول إخفائها قدر الإمكان بعد أن ثبتت شكوكه ..

أغمض عينيه ليتذكر اللحظات السابقة حينما ولج إلى داخل غرفة الطواريء .....

....

في وقت سابق ،،،

▫▫▫▫ أسند الأطباء أوس على الفراش الطبي ، وصاح الطبيب مؤنس بتوتر :

-بسرعة ، وصلوا الجهاز بـ آآ...

لم يكمل جملته حيث تفاجيء بأوس يمسك به من ياقته ، ويجذبه نحوه ليقول بصوت ضعيف :

-فين مراتي ؟ عاوزها معايا

حرر مؤنس ياقته من قبضته ، ورد عليه بحذر :

-اهدى عشان حالتك ، المضاعفات نتايجها وحشة !

همس له بتلعثم وهو يصر على أسنانه بشراسة :

-مراتي .. حــ.. حامل !

جحظ مؤنس بعينيه ، وربط سريعاً بما رأه على جسدها من إنهاك ، ومن حالة عدم إتزان أثناء نقل زوجها للداخل ..

قطع تفكيره صوت أوس وهو يأمره :

-ماتسيبهاش لوحدها ، خليها معايا ! اتصــرف !!

هــز مؤنس رأســاً موافقاً ، وتشدق قائلاً بخفوت:

-حاضر .. هاعمل اللي انت عاوزه ! اهدى !

تابع أوس بنفس الصيغة الآمــرة :

-مراتي تبقى جمبي ، هاتها

وبالفعل فكر مؤنس سريعاً في تحضير ترتيبات خاصة من أجل إبقاء تقى مع أوس دون إثارة الشكوك ..... ◘◘◘◘

....

عودة للوقت الحالي ،،،،

إختلس أوس النظرات إليها بحذر ، وتملكه شعوراً عجيباً بالإرتيـــاح ...

أرخت تقى أصابعها عن كفه .. وأسندته إلى جوار جسده بحذر .. وانحنت برأسها على رأسه لتقبله في جبينه ، وهمست له بمشاعر فاجئته :

-أنا جمبك !

شعرت هي بثقل في رأسها ، وبصعوبى في فتح جفنيها ..

لذا نهضت عن فراشه ، وتحركت ببطء نحو الفراش المجاور لها ..

تمددت بجسدها المرهق عليه ، وسلطت أنظارها على أوس ..

زاد ثقل جفنيها .. وإرتخى جسدها نوعاً ما ..وبررت لنفسها أن التعب تمكن من جسدها ، وأنهكتها ضغوطات اليوم .. بالإضافة إلى سيطرة هرمونات الحمل عليها ..

قاومت بشدة لتبقى مستيقظة ، ولكن لسلطان النوم أثر عجيب ..

فبعد دقائق معدودة كانت تغط في سبات عميق ..

فتح أوس عينيه ، وأدار رأسه في إتجاهها ، ورسم على محياه ابتسامة راضية وهو يتأمل وجهها النائم بنظرات رومانسية ..

تنهد بإرتيـــاح لأنها لم تشك فيما فعله الطبيب مؤنس من وضـع مخدر بسيط لها في المشروب ..

وبحذر شديد نهض من نومته ، وإنتزع عن كفه الإبرة الطبية .. وكذلك الأسلاك الموصوله بصدره ، ثم أنزل ساقيه للأسفل ، وتحرك ببطء في إتجاهها ..

جلس أوس على طرف الفراش ، ومرر عينيه ببطء عليها ليمتع نفسه بقربها منه .. ثم مـــد يده ليتلمس وجنتها الناعمة .. وأزاح تلك الخصلة المتمردة الملتصقة بجبينها ..

مـــال برأسه عليها ليهمس لها بنبرة عاشقة في أذنها:

-وأنا مش هاسيبك يا تقى !

تمدد هـــو إلى جوارها ، ولف ذراعه حول ظهرها ، واقترب أكثر منها ليلتصق صدره بجسدها ، ثم رمقها بنظرات والهة ، وأكمل هامساً ومتعهداً بـ :

-ولا هابعد عنك ، ولا عن ... عن ابني .... !!

....

الفصل الثاني عشـــر:

في الحــــارة الشعبية ،،،

أوقف عدي سيارته بالقرب من مدخـل الحارة لكي يوصل السيدة تهاني بعد أن اطمأن كلاهما على حالة أوس الصحية ..

تنهدت تهاني في إرتياح وهي تردد :

-الحمدلله ، عدت على خير

هز عدي رأســه ، ولم يحرك شفتيه .. بينما تابعت هي بقلق :

-الخوف من اللي جاي

رج عليه بجمود وهو ينظر نحوها :

-اطمني ، أوس مش هايعدي أي حاجة حصلت ، أنا عارفه كويس

مطت شفتيها لتضيف بقلق :

-وده اللي مخوفني ، مش هايسيب حقه ولا حق تقى

زفـــر بصوت مسموع ، وتابع قائلاً بنبرة شبه منزعجة :

-انتي عارفة إن اللي حصل مش سهل

أغمضت عينيها لوهلة ، وأخفضت نبرة صوتها قائلة :

-ايوه .. ربنا يلطف باللي جاي .. !

ثم سألته بإهتمام :

-المهم ليان عاملة ايه ؟ طمني عليها يا بني

هز رأسه بخفة وهو يجيبها بجدية :

-تمام .. الجلسات بتجيب نتيجة ، وفي تحسن ملحوظ !

ابتسمت له بسعادة وهي تردد :

-ربنا يجمعكم على بعض قريب !

أطلقت تهاني تنهيدة مطولة لتضيف بحذر :

-نفسي اشوفها

رد عليها عدي بصوت جــاد وهو ينظر لـها :

-هارتب مع الدكتور وأبلغك بالميعاد المناسب

ربتت على كتفه ، وهتفت بإمتنان :

-ربنا يكرمك يا بني ، ويبعد عنك وعن ابني أي سوء

ابتسم لها مجاملة وهو يقول بإيجاز :

-شكراً

أشـــارت بكف يدها للباب قائلة :

-عن اذنك ، هاتوكل أنا على الله

أومــأ بعينيه وهو يرد بهدوء مختصر :

-اتفضلي

ترجلت من السيارة ، وأغلقت الباب خلفها ، فتابعها بنظراته حتى ولجت إلى داخــل بهو البناية ، ثم أدار رأســه للخلف ليستدير عائداً بالسيارة ، ولكنه تفاجيء بوجــود شخص ما يحمل في يده عصا غليظة أو ما يطلق عليه باللغة الدارجة (شـــومة) .. يضرب بها كفه ، ويحدجه بنظرات نارية ..

ضيق عدي عينيه ، وضغط على بوق السيارة صائحاً بنفاذ صبر :

-وســع يا اخ !

رد عليه منسي بنبرة غليظة ، ونظرات عدائية :

-مش قبل ما أعلم على الأنجاس اللي وسخوا الحارة

-نعم !

أوقف عدي محرك السيارة ، وفتح التابلوه ليلتقط منه شيئاً أسود اللون كان يحتفظ به لإستخدامه في حالة الطواريء ، ثم اندفع كالثور الهائج ليترجل منها وقد سيطرت عليه عصبية مقلقة ..

ضرب منسي بعصاه الغليظة على الأرضية الأسفلتية ، وهتف بتحدي :

-تعالوا يا حارة اتفرجوا عليا وأنا بأطهرها من الرجالة القذرة اللي ..آآآ...

لم يكمل منسي عبارته الأخيرة حيث أشهر عدي مسدسه في وجهه ، وحدجه بنظرات مميتة ، وصــــاح به بصوت جهوري مخيف :

-عيد تاني اللي قولته !

ابتلع منسي ريقه ، ونظر له بتوجس شديد ..

وللحظة ارتجف أمامه ، وارتعشت يده الممسكة بالعصا الغليظة .. وبدى منزعجاً من ردة فعله القوية والغير متوقعة ..

لم يهتز عدي للحظة ، وسحب صمام الأمــان للخلف ، فأصبح قاب قوسين أو أدنى من إطلاق النيران عليه ...

....

في مشفى الجندي الخــاص ،،،

منع الطبيب مؤنس كبير الأطباء من الإتصـــال هاتفياً بمهاب الجندي حتى لا يعكر صفو الأجواء الهادئة بينهما ، ولكن اعترض الأخير قائلاً بغلظة :

-اتحمل انت المسئولية كلها ، انت فاهم كويس إن د. مهاب مش بيحب حاجة تحصل من وراه ، ومايكونش عنده علم بيها !

كــز الطبيب مؤنس على أسنانه قائلاً بحنق :

-ده راجل ومراته ، هايفيد بإيه انه يعرف أو مايعرفش ؟

رد عليه كبير الأطباء بإمتعاض :

-لما يكون ده ابنه هتفرق أوي

رمقه مؤنس بنظرات محتقنة وهو يردد بضيق :

-انت غاوي مشاكل

أردف قائلاً بصوت قاتم :

-لأ .. بس مش غاوي وجع دماغ معاه ، وانت عارفه مش بالساهل يسامح حد !!

نفـــخ مؤنس من الضيق ، وحك عنقه بتوتر .. وصمت للحظات يفكر في حل سريع ، ثم هتف قائلاً على مضض :

-طب استنى للصبح ،ده كلها كام ساعة يا سيدي

-ممممم..

أضـــاف بهدوء حذر وهو يشير بيده :

-مش هاتخسر حاجة ، وابقى ساعتها قوله انك مكونتش عارف

تشدق كبير الأطباء قائلاً بإمتعاض :

-اخرك معايا الصبح ، بعد كده هابلغه ، وانت تتحمل المسئولية

تنهد مؤنس بصوت مرتفع ليرد عليه على مضض بـ :

-ماشي !

....

في غرفة العناية ،،،

لم يغمض لأوس أي جفن ، فقد ظل يراقب زوجته التي أحبها بشغف واضح في عينيه ..

كم اشتاق لقربها ، ولوجودها معه .. ولإستكانتها في أحضانه ..

وأراحه نوعاً ما استجابة الطبيب مؤنس لطلبه بتخدير زوجته حتى تحصل على قسط من الراحــة دون الحاجة للجوء لإستخدام القوة معها .. فقد كانت منهكة للغاية .. وتحتاج للنوم ..

راقب انتظـــام أنفاسها بهدوء .. وتلمس بأطراف أنامله وجنتها ، وأرنبة أنفها .. فتشنج وجهها قليلاً مردة فعل طبيعية ، فإعتلى ثغره إبتسامة ناعمة ..

همس لها معاهداً نفسه :

-هاعوضك عن اللي فات كله ، مش هاسمح لحاجة تانية تأذيكي ، حتى .. حتى لو كانوا أقرب الناس ليكي ..!

ثم ضمها أكثر إليه ، وطبع على جبينها قبلة حانية مطولة ..

....

في الحـــارة الشعبية ،،،،

ازدرد منسي ريقه بتوتر جلي .. وأرخى قبضته عن عصاه فسقطت منه ، وهتف بتلعثم :

-أنا .. أنا آآآ...

تجمع أهالي الحـــارة حولهما ، وصاح أحدهما بحذر :

-يا باشا فوكك منه ، ده واحد مش دريان بيقول ايه

أضـــاف أخـــر بنبرة قلقة :

-ايوه ، هو بس الدم كان حامي عنده ، فحب يبعبع بكلمتين

وأكمل أخـــر :

-اعتبره عيل وغلط !

نظر لهم منسي شزراً ، وصاح بصوت منفعل :

-اسكتوا خالص ، أنا ليا لي لسان وأعرف اتكلم !!

ضيق عدي نظراته ليرمقه بشراسة ، وأردف قائلاً بتهديد صريح :

-انت هتندم على كل حرف قولتله ، ولسانك ده هايتقطع !

حـــاول منسي أن يخلق أي عذر يبرر فعلته الهوجـاء ، فهتف بنزق :

-انتو مش خلاص طلقتوا البت بنت عوض ، جـــ... جايين هنا ليه ؟

اقترب منه عدي بشجاعة أشد ، وسلط الفوهـــة على جبينه ، وهتف بنبرة عدائية :

-انا هاخرس لسانك ده خالص

هتف رجل ما بتلهف محاولاً الدفاع عنه :

-يا باشا ده واد لسانه طويل ومش متربي ، وحاشر نفسه في اللي مالهوش فيه !

لم يعبأ عدي بما قاله الرجل ، وإلتوى فمه بإبتسامة خطيرة وهو يردد بتوعد :

-انت هتتحاسب بس مش على ايدي ، هاسيبك للي يربيك صح ! أوس الجندي ، احفظ الاسم ده كويس !

جف حلق منسي تماماً بعد سمـــاع اسم من يعرف شره ، وفغر فمه ليردد بذعر :

-هـــاه .. آآ ..أوس !

مـــال عدي على رأس منسي ، وهمس له بنبرة محذرة تحمل الوعيد :

-أوس الجندي مش بيسيب تاره أبدا ، وخصوصا لو حد قرب من اللي يخصه ، فما بالك بمراته ؟!

جفل منسي لوهلة ، ودبت قشعريرة قوية في جسده .. ولكن باغته عدي بضرب فكه بمقدمة سلاحه بقوة بالغة ، فنزف دماً على الفور ، وصـــاح متأوهاً وهو ينحني للأسفل..

اعتدل عدي في وقفته ، وحدجه بنظرات عدائية ، وتابع بشراسة :

-ده يعلمك كل كلب يلزم حدوده !

ثم ضربه بركبته في أسفل معدته مرتين متتاليتين ، فسبب له آلماً أشد ، ولكمه في صدغه بضراوة أسقطته أرضاً ..

وأكمل مستهزئاً منه :

-ولما تيجي تناطح ناطح على أدك !

لم يجرؤ أحد على التدخـــل ، فقد ظنوا أن عدي رجل ذو سلطة وصلات قوية .. فتركوه يفعل ما يشاء بمنسي حتى طرحه أرضاً ..

نفض عدي يديه ، ودس سلاحه في بنطاله ، ثم أولاه ظهره ، وقبل أن يركب سيارته ، التفت برأسه نصف إلتفاتة ليضيف بإبتسامة قاسية :

-واستلقى وعدك من أوس باشا !

ثم ولـــج إلى داخـــل سيارته ، وقادها وهو يمسح عن كفيه أثـــار دمـــاء ذلك المقيت

....

في منزل تقى عوض الله ،،،

فتحت فردوس الباب لتجد أختها تدلف إلى الداخل ووجهها يكسوه علامات الإجهاد ..

سألتها بتلهف بعد أن بحثت عنها خــارج المنزل :

-البت فين ؟ عملوا فيها ايه ؟ قولي يا تهاني

ردت عليها تهاني بنبرة منهكة :

-اطمني ، هي بخير ، وسابوها

سألتها بنبرة شبه محتدة وهي تقف خلفها :

-اومــال مجتش معاكي ليه ؟

أجابتها تهاني بخفوت :

-مشيت مع جوزها

اتسعت حدقتيها في إندهـــاش ، وهتفت غير مصدقة :

-جوزها ، طب ازاي ؟ مش طلقها وآآآ...

قاطعتها تهاني بصوت شبه منفعل :

-لأ محصلش ، أبوه كدب وقال الكلام ده !

هزت فردوس رأسها في حيرة ، وهتفت بضجر :

-أنا مش فاهمة حاجة

لوحت لها تهاني بذراعها ، وســـارت في إتجاه الغرفة وهي تقول بنبرة متعبة :

-بعدين هافهمك يا فردوس ، سيبني الوقتي أرتاح

لوت فردوس فمها لتقول بإزدراء وهي متجهمة الوجـــه :

-والله ما هيضيع البت دي إلا انتي يا تهاني !

....

عند مشفى الجندي الخــاص ،،،

وصـــل حارس الأمن أحمد عند بوابة الاستقبال ، كان قد حسم رأيه بزيارة أوس الجندي في المشفى ، خاصة بعد أن تعذر عليه مقابلته في الشركة ..

تردد للحظة قبل الدخــول للســؤال عنه ، ولكن لا مجال للتراجع الآن .. فمصير انسانة بريئة على المحك ..

وقبل أن تطــأ قدميه بهو الإستقبال أوقفه حــارس ذو جسد ضخم سائلاً إياه بصرامة وهو يتأمل هيئته :

-رايح فين ؟

نظر له أحمد بهدوء ، واجابه بحذر :

-داخل جوا

فحص الحارس الضخم هيئة أحمد ، ورمقه بنظرات دقيقة وهو يسأله :

-عاوز مين يعني ؟

اضطرب أحمد وهو يجيبه قائلاً :

-أنا .. أنا كنت جاي أقابل أوس باشا الجندي

لوى الحارس الضخم فمه قائلاً بتهكم :

-نعم ! بالساهل كده

ابتلع ريقه وهو يرد عليه ببساطة :

-أيوه ، هو .. هو في مشكلة

رد عليه بنبرة جافة محدقاً إياه بنظرات إزدراء :

-اه طبعاً ، ممنوع أي حد يقابله

هتف فيه أحمد بجدية وهو عابس الوجه :

-بس الموضوع مهم !!

ضربه الحــارس في كتفه بكفه الغليظ ، وصــاح بصوت فيه نبرة عدائية :

-اتمشى من هنا

فغر أحمد فمه مندهشاً ليقول بصدمة :

-نعم ، بتقول ايه ؟!

لكزه في كتفه بحدة ، وأعاد قائلاً على مسامعه بصوت مهدد :

-امشي من هنا بدل ما أعمل معاك اللي يزعلك !

اغتاظ أحمد من طريقه الفظة في التعامل ، وهتف معترضاً وهو قاطب جبينه بشدة :

-في ايه يا أخ ، أنا كنت شغال زيك ، يعني آآ...

قاطعه الحارس الضخم قائلاً بجمود :

-لا زيي ، ولا غيري ، امشي بالذوق أحسنلك !

أدرك أحمد أنه دخـل في جدال لن يفيد مع ذلك الحارس متحجر العقل ، والذي لن يسمح له بالمرور تحت أي ظرف .. لذا تدارك الأمـر ، وقرر التراجع .. وعـاود أدراجه للخلف ليحدث نفسه بضجر :

-برضوه مش هاسكت ، وهاوصلك يا باشا !

....

في السجن النسائي ،،،

عقدت ناريمان كفيها خلف رأسها بعد أن مددت جسدها على الفراش ، وحدقت بالسقف بنظرات فارغة .. وبقيت على وضعيتها الجامدة لفترة مطولة ..

كان من ينظر إليها يظن أنها من الموتى ، ولكن عقلها كان يعمل بلا توقف ..

إعتصرت ذاكرتها بشدة لتتذكر أدق التفاصيل التي تخص مهاب من أجل الإعداد للإنتقـــام منه ، وإيقاعه في شــر أعماله ...

إلتوى فمها بإبتسامة خبيثة ، وإرتخت تعابير وجهها نوعاً ما ، وغمغمت بتوعد :

-بس .. هي دي الطريقة !

أدارت جسدها لتنام على جانبها ، وتابعت بثقة :

-هو أنا ورايا غير إني ادمرك يا مهاب !

....

انقضى الليل بهدوء على الجميع ليبدأ صبـــاح يوم أخـــر مليء بالأحداث الغير متوقعة ...

في مشفى الجندي الخاص ،،،،

هاتف كبير الأطباء مهاب وأبلغه بما حدث مع ابنه بالأمس ، فصـــاح الأخير بغضب جم :

-وانت ساكت ، كنت عاوز تبلغني امتى ؟

رد عليه كبير الأطباء بتردد وهو يحاول إمتصاص غضبه :

-يا دكتور مهاب ، الدكتور مؤنس أصر انه آآ...

قاطعه مهاب بصوت مهتاج :

-مؤنس مين ده عشان يمنعني أعرف اللي يخص ابني ، أنا جاي فوراً المستشفى !

تنحنح بخفوت وهو يكمل بحذر :

-في انتظار حضرتك !

....

في غرفة العناية ،،،،

تململت تقــى في الفراش ، وإستدارت بهدوء لتضع كفها عفوياً على وجــه أوس .. وظلت مغمضة العينين ..

أفــاق هو على حركتها تلك .. فأدار رأسه بحذر ليقبل أصابع يدها بشفتيه ..

شعرت بسخونة على أصابعها ، ففتحت عينيها ببطء ..

استغرقها الأمــر عدة ثوانٍ ليستوعب عقلها ذكريات الأمس ..

فتحت عينيها أكثر ، ونظرت له مندهشة ، فأخر ما تذكره هو نومها بمفردها على الفراش ، وحديثها عن حملها من طفله .. ودخوله في غيبوبة ، فكيف جــاء إلى فراشها ، وكيف أصبحت هي في أحضانه ..

وفجــأة هبت معتدلة في نومها لتتلفت حولها بهلع ، وتسائلت متوجسة :

-هو .. هو انت جيت هنا ازاي ؟ مش .. مش كنت هناك وآآ...

مازحها قائلاً بصوت ناعس وهو يعتدل في جلسته :

-أصلي بأمشي وأنا نايم

ضيقت عينيها بإستغراب أكثر من مرحه الغير معتاد ..

ولاحظت يديه وهي تمتد نحو بطنها لتتلمسها ، وهمس لها معاتباً:

-كنتي عاوزة تبعدي عني وانتي حامل ، هونت عليكي ؟!

ابتلعت ريقها بهدوء ، ورمشت بعينيها ..

لقد ارتبكت وشعرت بخجل شديد من كلماته تلك .. وأسبلت عينيها .. وعضت على شفتها السفلى بتوتر ..

راقبها بشوق واضــح في عينيه ..

ثم أردف متسائلاً بخفوت :

-مالك ؟ خايفة من ايه ؟

احنت رأسها للأسفل متحاشية النظر إليه ، فمال عليها بجسده ليلتصق صدره بكتفها ، ثم أمسك بكفها الرقيق ، واحتضنه بكفه ..

وهمس لها بنعومة وهو يداعب أصابعها :

-أنا مش هاعملك حاجة ! أنا .. أنا اتغيرت يا تقى عشانك !

تنهد تنهيدة مطولة ليضيف بصدق :

-نفسي تحسي بده !

ثم قرب كفه المعقود في أصابع كفها ، وألصقه بصدرها ، وتابع بصوت هامس :

-وتصدقيني بقلبك !

لم تنبس ببنت شفة .. ولكن توردت وجنتيها خجلاً منه ..

أخفض كفه ، وحرر أصابعها .. ثم وضع يده على بطنها ليتحسسه مجدداً ، وأردف قائلاً بنبرة تحمل الحزن :

-وتحبيني أنا وابني ! وماتتخليش عننا

رفعت رأسها لتنظر له بإستغراب يعلو تعابير وجهها ، وسألته مندهشة :

-هو .. هو في أم مش بتحب ابنها ؟

ابتلع تلك الغصة المريرة في حلقه ، وحدق أمامه في الفراغ وأجابها بجمود :

-ايوه في !

فهمت هي المقصد من كلماته المقتضبة .. هو يعني (خالتها تهاني) التي ظن أنها تركته وتخلت عنه ليصبح ضحية قبل أن يتحول إلى أبشع جلاد ...

كانت على وشك الحديث ، ولكن تجمدت الكلمات على شفتيها بعد سماعها لصوت دقـات خافتة على باب الغرفة ..

فأدارت رأسها في اتجاهه ، ونظرت إلى الطارق ..

دلف الطبيب مرنس وهو يرسم على محياه ابتسامة هادئة ، وتشدق قائلاً بحماس وهو يرمق كلاهما بنظرات مرحة :

-واضح إني جيت في وقت مش مناسب

فــرد أوس كتفيه ، ورد عليه بـهدوء :

-تعالى يا دكتور

أردف الطبيب مؤنس قائلاً بإبتسامة هادئة :

-صباح الخير عليكم ، ازيك النهاردة يا باشا ؟

أجابه أوس بإيجاز :

-كويس

أدار رأســه في إتجاه تقى ، وسألها مهتماً :

-اخبارك ايه يا مدام ؟ إن شاء الله تكوني أحسن

ردت عليه بخفوت وهي ترمش بعينيها :

-أنا بخير

رسم ابتسامة عريضة على وجه ، ولوح بيده قائلاً بحماس :

-عظيم .. هستأذنك هاخد الباشا أوس شوية

سأله أوس بإمتعاض وهو يرمقه بنظرات قوية :

-ليه ؟ في حاجة ؟

رد عليه بهدوئه المعتاد :

-هانعمل شوية فحوصــات وأشعة

-ممم..

ثم رسم مؤنس ابتسامة سخيفة على فمه ليقول بمزاح :

-اطمن مش هأخرك على المدام

رمقه أوس بنظرات حــادة قبل أن يشير له بعينيه وهو يقول بصرامة :

-روح وأنا هاحصلك

تنحنح بخفوت قائلاً بإصرار :

-أنا منتظر سيادتك برا ، ومعايا الممرضين ، وماينفعش آآ...

قاطعه بصوت جـــاد للغاية وهو يشير بعينيه الحادتين :

-ماشي ، اسبقني وأنا جاي

هز رأسه موافقاً ليردد بإختصار :

-اوكي

سلط أوس أنظاره عليه حتى خرج من الغرفة ، فإستدار برأسه نحوها ، وابتسم لها قائلاً :

-حبيبتي .. عاوزك تغسلي وشك وتفوقي ، وشوية وراجعلك

بادلته ابتسامة باهتة وهي تفرك أصابع كفيها ، ولم تعقب عليه ..

نهض أوس بحذر من على الفراش .. وسار بخطوات بطيئة إلى حد ما في إتجاه الباب ، ثم أدار وجهه نحوها ، وتابع قائلاً برومانسية لم تعتادها بعد منه :

-على فكرة .. هتوحشيني الشوية دول !

أجفلت عينيها بإرتباك ، ورفعت يدها لتحك جبينها بتوتر .. فإبتسم لها ، وولج إلى الخارج ...

نهضت هي الأخـرى عن الفراش ، ولكن أصابها دوار خفيف ، فترنح جسدها قليلاً .. فتمسكت سريعاً بطرف الفراش ، وأسندت جسدها عليه .. وانتظرت لبرهة حتى يذهب عنها الدوار ، ثم اعتدلت في وقفتها وسارت بحذر ناحية المرحـاض ..

دلفت تقى إلى الداخـل ، وتأملت المكان بإعجاب ..

فرغم كونه مرحاضاً ملحقاً بالمشفى ، إلا أنه كان مصمماً بطريقة تشعرك بالإرتياح

شهقت مصدومة حينما نظرت عفويا نحو المرآة ورأت إنعكاس هيئتها ..

كان شعرها مشعثاً ، يبرز معظمه من أسفل حجابها المنزلي الذي تحرك من مكانه بسبب نومها ..

كذلك كان وجهها باهتاً ومرهقاً للغاية .. والهالات السوداء متجمعة بكثافة أسفل عينيها المنتفخين من أثر البكاء

أما قميصها المنزلي الذي يظهر من أسفل سترة أوس فلا يليق على الإطلاق

دفنت وجهها في راحتي يدها بخجل كبير .. وتمتمت بحرج :

-ده منظر عفريت مش بني آدمة ، يادي الكسوف !

تنهدت بعمق ، ثم رفعت رأسها ، واتجهت نحو الصنبور لتبدأ في غسل وجهها ، وتعديل هيئتها ...

....

في نفس التوقيت وصل مهاب إلى المشفى ، وعصف بكل من قابله في طريقه بسباب لاذع أو بتوبيخ حــاد ..

أســرع كبير الأطباء ليستقبله ، فهتف فيه بصوت غاضب :

-لسه بتفتكر إني موجود !

برر كبير الأطباء موقفه قائلاً :

-يا دكتور مهاب أنا آآآ...

قاطعه مهاب بصوت منفعل :

-بس متقولش حاجة ، هما فين ؟

أشــار بإصبعه للأعلى وهو يجيبه قائلاً :

-فوق في العناية !

لم يضفْ مهاب كلمة أخـرى ، بل إنطلق كالثور الهائج في إتجاه المصعد ..

دلف معه داخله كبير الأطباء ، واختلس النظرات نحوه بحـذر ..

تمنى في نفسه ألا يتسبب ما فعله مؤنس في إلحاق الضرر المادي له ..

كانت تعابير وجــه مهاب توحي بشــرٍ مُستطر ، ونظراته تشير إلى نية لئيمة لإفســاد أي شيء .. فابنه مُصر على عصيانه بلا ندم ، وتحديه بطرق سافرة للغاية .. وهو الآن يضمر له ما يستحقه ..

....

أمسكت تقى بالمنشفة القطنية ، وجففت وجهها وذراعيها ، ثم وضعتها في مكانها ، وأعادت ربط حجاب رأسها .. وسحبت سترة أوس ، وأسندتها على ذراعها ، واستعدت للخروج ..

لم يخطر ببالها حينما وطـأت قدميها الغرفة وجــود مهاب الجندي بوضاعته وخسته أمامها ..

تسمرت في مكانها .. واتسعت مقلتيها لا إرادياً ، وشهقت مذعورة من رؤيته ..

إرتجف جسدها بشدة ، واجتاح كيانها برودة لا تعرف مصدرها ..

نظر لها شزراً ، وصر على أسنانه قائلاً بحنق وهو يتحرك صوبها :

-كويس أوي انك لسه بتخافي !

تلاحقت أنفاسها بخوف ، وتراجعت بسيقانها المرتجفة بهلع للخلف ..

استمر هو في التحرك نحوها .. وحدجها بنظرات مميتة ، وتابع صارخاً بشراسة وهو يلوح بذراعه :

-لأن اللي هاعمله فيكي آآ..

-دكتور مهـــاب !!

قاطعه أوس بصوت جهوري وغاضب للغاية اهتزت على إثر قوته أركان الغرفة ...

إلتفتت تقى نحوه بوجهها الشاحب ، ورمقته بنظرات مستغيثة ، فبادلها بنظرات مطمئنة ، وإقترب منها ، ثم سحبها من ذراعها لتقف خلفه ، ووقف شامخاً بجسده متحدياً أبيه بصلابة عجيبة ..

استشاط مهاب غضباً مما يفعله ابنه ، وهتف فيه بإنفعال متعمداً إهانتها :

-لسه متمسك بالبيئة دي !

تلونت عيني أوس بحمرة الغضب الشديدة ، ورد عليه بصوت محتقن وهو يصر على أسنانه بشراسة :

-اسمها تقى يا د. مهاب ، ولو هي بالنسبالك بيئة ، فعاوزك تعرف إنها أنضف منك مليون مرة !

ثم لف ذراعه للخلف ليلصقها بظهره ، وتابع بنبرة أشـد قوة :

-وشرف ليا إن واحدة زيها تبقى مراتي !

استشاط مهاب غضباً ، وبدت عروقه النابضة بالدماء التي تغلي واضحة للعيان ، وهتف بجنون :

-فكرك أنا هاسمح إنك تكمل معاها ، تبقى بتحلم

لـــوى أوس فمه ليتابع بصوت محتد :

-تسمح أو ماتسمحش مايخصنيش ، مراتي معايا وفي حضني !

ثم ضيق عينيه لتصير نظراته أكثر عدائية ، وأكمل بنبرة تهديد :

-وهاحميها من أي حد بس يفكر يتعرضلها ، حتى لو كنت انت ذات نفسك يا .. يا دكتور مهاب !! ....

...

الفصل الثالث عشـــر (الجزء الأول) :

في مشفى الجندي الخـــاص ،،،

لم يترك أوس المجـــال لأبيه مهاب لكي يضيف كلمة أخـــرى تحمل الإهانة إلى زوجته ، فأولاه ظهره ، وقبض على كف تقى بأصابعه أكثر ليضمن عدم إفلاتها منه ، وتحرك نحو باب الغرفة بخطوات قوية ساحباً إياها خلفه ليترك والده بمفرده في حالة عصبية شديدة يسب ويلعن بسخط جلي ....

ورغم الوخـزات التي تحدث آلماً في صدره ، إلا آلم إهانة زوجته أكبر من أي شيء ..

تحامل على نفسه حتى وصل بها إلى المصعد .. فإلتقى به الطبيب مؤنس وسأله متوجساً :

-رايح فين يا أوس باشا ؟

رمقه بنظرات محتقنة، ولم يجبه ، فعاود سؤاله بصيغة أخـرى :

-ماينفعش تمشي وانت في الحالة دي ، كده ممكن آآآ...

قاطعه بصوت غاضب وهو يجز على أسنانه بقوة :

-ششش .. مش هاستنى لحظة واحدة هنا ، حتى لو كان فيها موتي !

انقبض قلب تقى ، وزادت رجفته عقب تلك العبارة الأخيرة ..

ونظرت له بخوف واضح في عينيها الدامعتين .. ثم أطرقت رأسها للأسفل في خزي ، وابتلعت في حلقها مرارة القهر و الخزي .. فهي دوماً تجد من يشعرها بدونيتها وحقارتها ..

وصل المصعد إلى الطابق ، وفتحت أبوابه على مصرعيها ، فدلف أوس داخله وهو ممسك بتقى التي كانت مستسلمة في حركاتها ..

نظر نحوها فوجدها على حالتها الحزينة تلك ، فأدرك مدى تأثير كلمات والده الموجعة عليها ، فنفخ بتنهيدة حارقة ، وإستدار قليلاً بجسده ليقف قبالتها ، ثم رفع كفه نحو ذقنها ليرفع رأسها نحوه ، وهمس لها قائلاً بحذر :

-انسي اي كلام اتقال جوا ، محدش هايقدر يلمسك طول ما أنا موجود

وكـأن كلماته كانت القشة التي منحتها الفرصة للبكاء أمـامه بقهر أكثر ، وظلت تشهق بأنين موجع ..

شعر بآلمها ، وبروحها التي تحترق من الذل والمهانة ، فلف ذراعه الأخر حولها ، وقربها أكثر إلى أحضانه ، وألصق صدرها في كتفه لتبكي عليه ، ومسح على ظهرها بنعومة .. وهو يحاول السيطرة على أعصابه المشتعلة أمامها ..

قبل كفها قبلة مطولة ، وكـز على أسنانه قائلاً بحرص في محاولة يائسة منه للتهوين عليها :

-ماتعيطيش يا تقى ، متخليش حد يهزك ، انتي مراتي ، وكرامتك دلوقتي من كرامتي ، وأي حد هايتعرضلك كأنه جه عليا !

صمت لثانية ليحدق أمامه بنظرات مميتة ، وتابع بوعيد :

-وأنا مش بأسامح في اللي يخصني !

....

في نفس التوقيت كان عدي يقف أمـــام المصعد الموجود في طابق الإستقبال لكي يصعد للإطمئنان على أوس .. فإذ بـــه يتفاجيء بوجوده بداخله حينما فتحت أبوابه ..

نظر له مدهوشاً وهو يردد بصدمة :

-أوس !

لاحظ إحتضانه لتقى ولبكائه الشديد ، فتسائل متوجساً وهو يوزع أنظاره بينهما :

-حصل ايه ؟

رد عليه أوس متسائلاً بجمود ، ونظراته أدعى للقلق :

-عدي ، معاك العربية ؟

أومـــأ رفيقه برأسه قائلاً بإيجاز :

-ايوه

تابع قائلاً بصوت صـــارم وهو يخرج من المصعد وزوجته مستندة إلى صدره :

-هاتها قدام البوابة ، ووصلنا على بيتي !

تسائل عدي بصوت منزعج رامقاً الاثنين بنظرات غامضة :

-انت .. انت هتسيب المستشفى في حالتك دي ؟

حدجه أوس بنظرات قوية ، وهتف بنفاذ صبر :

-عدي ، أنا مش هارغي كتير ، هات العربية !

ضغط رفيقه على شفتيه ، وتشدق قائلاً :

-اوكي .. اللي انت عاوزه !

ثم أســـــرع في خطواته ليحضر سيارته الخاصة ..

كذلك صُدم معظم المتواجدين في الإستقبال بوجود أوس سائراً على قدميه ، ومحتضناً لزوجته ، وكأنه يحميها منهم .. فصدرت همهمات جانبية عنهما ، ولكن لم يجرؤ أحد على الوقوف في طريقه أو حتى سـؤاله ..

....

بعد أقل من دقيقتين ، كان أوس يجلس في المقعد الأمــامي في سيارة عدي ، وفي الخلف تقى وهي عابسة الوجــه ..

تحرك رفيقه بها نحو وجهته دون أن يضيف أي أسئلة تزيد من توتر الأجواء ..

ضغط أوس على أصابعه بقوة محاولاً التنفيس عن غضبه ..

وتسائل بصوت متحشرج :

-معاك سيجارة ؟

نظر له عدي مصدوماً ، وسأله بإستغراب شديد :

-انت هتدخن الوقتي ؟

زفــر بصوت مسموع وهو يجيبه بنبرة محتدة :

-أنا مش طايق نفسي

مط عدي فمه ليضيف بنبرة منزعجة :

-ما انت لو تفهمني حصل ايه وآآ..

أشـــار له أوس بعينيه بنظرات ذات مغزى نحو تقى ، ففهم الأخير على الفور أن الأمر يخصها .. لذا اقتضب حديثه ، واكتفى بالتعليق بحذر :

-مافيش داعي وانت لسه في حالتك دي

نفخ أوس من الضيق ، وأدار رأسه للجانب لينظر للطريق عبر زجـاج نافذته ..

....

في منزل عبد الحق بالزقـــاق الشعبي ،،،

مدت إحســـان يدها بكوب الشاي الساخن إلى القابلة أم نجـــاح ، وأردفت قائلة بمعاتبة زائفة :

-بقى كده ماتجيش يا ولية ، وتسيبني ملطوعة أستناكي !

تناولته منها ، وأسبلت عينيها لتقول مبررة :

-وحياتك يا ست إحسان مافضيت خالص ، العيال قاطمين وسطي وآآ...

قاطعتها بنبرة جادة وهي محدقة بها :

-سيبك من الكلام اللي لا هيودي ولا هايجيب ، أنا كنت عاوزة أسألك في حاجة كده !

قطبت أم نجاح جبينها ، وتسائلت بهدوء :

-خير يا ستي ؟

ردت عليها بنبرة لئيمة وقد تحولت نظراتها للقتامة :

-البت بطة

ازدردت أم نجاح ريقها ، وتبدلت ملامح وجهها للقلق والإنزعـــاج ، وتسائلت متوجسة :

-مــ... مالها ؟

أخفضت نبرة صوتها لتتابع بخبث :

-مخابيش عليكي ، ابني قالي على كلام كده مفهمتوش ، فقولت اسألك انتي

فغرت فمها مصدومة وهي تردد بقلق :

-هـــاه .. آآ..

سألتها إحســـان بصوت قاتم دون أنترمش بعينيها :

-ايه حكايتها معاكي بالظبط ؟

تلعثمت أم نجاح وبدت مضطربة وهي تحاول إختلاق أي كذبة مقنعة ..

-آآآ..هو .. مش سقطت وآآ..

قاطعتها إحســـان بصوت غليظ :

-بصي من الأخـر كده ، أنا ابني مابيخبيش عني حاجة تخصه حتى لو كانت ايه !

ثم زادت من صلابة نبرتها وهي تتابع بثقة :

-وحكايتك معاها أنا كشفتها

تعرقت أم نجــاح بشدة ، وجف حلقها .. فقد وقعت بسهولة في فخ جارتها التي خدعتها بكلماتها الواثقة .. وهتفت محتجة :

-أنا .. أنا ماليش دعوة ، وحذرتها من الأول !

أدركت إحسـان أن هناك ملعوباً خفياً قد صـار من وراء ظهرها ، فتشنجت قسمات وجهها ، وصرت على أسنانها لتصيح بغضب :

-انطقي يا ولية ، عملتوا ايه سوا ؟

....

عند مشفى الجندي الخــاص ،،،،

استطــاع أحمد أن يدلف بسهولة إلى داخل المشفى دون أن يمنعه أحد ، فشعر بالإرتياح لقرب تحقيق غرضه ..

ولكن سريعاً ما تلاشت أحلامه حينما عرف برحيل أوس المفاجيء ، فأسند كفي يده على السطح الرخامي لمكتب الإستقبال ، وهتف مصدوماً وهو جاحظ العينين :

-مشى !! امتى ؟

ردت عليه الممرضة بهدوء وهي تسند سماعة الهاتف على كتفها :

-من شوية

أكمل قائلاً بذهــول وهو يفرك فروة رأســـه بعصبية :

-كده عادي ، من .. من غير ما حد يمنعه !

رمقته الممرضة بنظرات حادة لتجيبه بصوت شبه منزعج :

-والله هو حر في تصرفاته !

ضرب بقبضته على السطح الرخامي ، وأولاها ظهره ليقول بضجر :

-يادي النحس ، مش عــارف أقابله خالص ! أووف ، مقدميش دلوقتي غير أفضل قدام الشركة لحد ما أوصله ، ده الحل الوحيد اللي قصادي ...!

....

في منزل أوس الجديد ،،،،

أوصــل عدي أوس وتقى إلى البناية الحديثة التي يقطنان بها ، وما إن تأكد من صعودها إلى المنزل حتى استقل سيارته عائداً إلى الشركة ..

بدى التعب والإنهـــاك ظاهراً عليه ، ولكنه تحامل أكثر حتى لا يسبب القلق لتقى التي كانت في حالة يرثى لها ..

مد يده داخل جيبه ليخرج ميدالية مفاتيحه ، ومن ثم دس مفتاح المنزل في موضعه لينفتح الباب ..

تنحى جانباً ، وأشـــار بيده لتقى وهو يقول بهدوء :

-تعالي ..

ترددت في الدخــول .. وإنكمشت على نفسها أكثر ..

شعور بالرهبة يسيطر عليها من الآن ..

لاحظ إرتباكها ، فتابع قائلاً بتنهيدة :

-احنا هنا بُعاد عن أي قلق .. اطمني

مـــد كفه نحوها ، فنظرت له بتوتر ، ثم سلطت أنظارها مدخل المنزل المظلم ..

لم يمهلها الفرصة للتفكير ، فإلتقط كفها بأصابعه ، وسحبها ببطء للداخل ..

جابت تقى بعينيها المكان ، وحبست أنفاسها بترقب ..

تأملها أوس بحذر ، وبحث بأصابعه عن مفتاح الإنارة ليضيء بهو المنزل ..

أُضيئت الصـــالة ، فرمشت هي بعينيها لتعتاد على الإضاءة القوية ..

وابتلعت ريقها بإرتباك بعد أن سمعت صوت غلق الباب من خلفها ....

ألقى أوس بالمفاتيح على الطاولة القريبة ، وتحرك للأمـــام نحو أقرب أريكة ..

ظلت هي متسمرة في مكانها محاولة إستجماع شجاعتها للتحرك خلفه ..

لم يحـــاول الضغط عليها ، أو جبرها على اللحاق به ..

اكتفى فقط بإختلاس النظرات نحوها ليخمن شعورها نحو بقائهما بمفردهما في المنزل ..

جاهدت تقى لصرف تفكيرها عن أي أفكــار مزعجة .. وتنفست بعمق وهي تجوب بعينيها أرجــاء الصالة الخارجية ..

ظلت تطمئن نفسها بأن كل شيء على ما يرام ...

احنى أوس رأســه للأمام ، وأغمض عينيه للحظات .. فقد أنهكته الحركة الزائدة ..

زادت حدة الوخـزات في صدره ، فأسند قبضته المتكورة عليه ، وضغط على شفتيه مقاوماً الآلم به ..

وقعت عينيها عليه ، فخفق قلبها بقوة وهي تراه على حالته تلك ، واقتربت منه بحذر لتسأله بصوت مرتبك :

-انت .. انت كويس

لم يرفع رأســه ، ولم يعلق وظل على وضعيته الصامتة تلك .. فزاد قلقها أكثر عليه ..

اقتربت منه بخطوات بطيئة ، ومع هذا كانت دقــات قلبها في تســارع حتى كادت أن تخترق أذنيها ..

تقلصت المسافة بينهما بدرجة كبيرة حتى أصبحت على بعد إنش منه ..

مدت يدها المرتجفة نحوه ، وأسندتها على كتفه لتضغط عليه برفق .. وسألته بخفوت وهي تبتلع ريقها :

-انت .. انت تعبان ؟

هــــز رأســـه قليلاً وهو يجيبها بهمس :

-شوية

ربتت على كتفه بحنو ، وتابعت قائلة بقلق بادي في نبرتها ونظراتها :

-طب .. طب ادخل ارتــاح جوا

تنهد بعمق ، وأجابها بصوت منخفض وشبه متقطع وهو مغمض العينين :

-أنا .. أنا مش عاوز أسيبك لوحدك

هتفت قائلة بإصرار وهي تتطلع إليه بريبة :

-أنا كويسة ، خش ارتاح انت

هز رأســـه مجدداً ، ثم أنزل قبضته ليستند على مسند الأريكة ، وحاول النهوض بمفرده ، لكنه أخــذ وقتاً مطولاً ليفعل هذا ، فإرتفعت نسبة القلق لديها ..

لذا سألته عفوياً وهي تمد يدها نحوه :

-تحب أساعدك ؟

رفع رأســـه ببطء لينظر نحوها بحنو .. ورسم ابتسامة هادئة على ثغره وهو يجيبها هامساً :

-أنا كويس ، متقلقيش

أخفض رأسه للأسفل ، وكـــز على أسنانه بعد أن تشنجت تعابير وجهه وهو ينهض عن الأريكة ..

أصرت تقى على مساعدته ، وهتفت بجدية استغربها :

-طب هات ايدك ، أنا هاسندك !

ضاقت عينيه بإندهـــاش ، ونظر إلى أصابعها الممدودة نحوه بدقة .. وزادت إبتسامته الهادئة إشراقاً ، وقبل بعرضها ، وأمسك بكفها ..

وضعت تقى كفها الأخــر أسفل مرفقه لتتمكن من إيقافه ، ولكنها لم تتوقع قدر القوة التي تحتاجها لفعل هذا وهي في حالتها الواهنة تلك ، فسقطت عفوياً بجسدها عليه ، فإرتطمت بذراعه وصدره .. فتأوه متألماً من تلك الحركة المباغتة ، ومع هذا أسندها بذراعه الأخـــر .. وتلمس جبينها شفتيه ، فرفعت رأسها لتنظر نحوه ، فرأته عينيه عن قرب شديد تغازلان عينيها بشغف صـــادق ...

توردت وجنتيها حرجاً منه ، وهمست معتذرة بتلعثم وهي تعتدل في وقفتها :

-أسفة .. أنا ..آآ.. مقصدش

مازحها أوس قائلاً بمرح وهو يطالعها بنظراته الشغوفة :

-من أولها كده .. حملك عليا ، أنا مش هاقدر على الحركات دي !

أجفلت عينيها لتتجنب نظراته المحدقة به .. وأمسكت بكفه ، وهمست بجدية زائفة :

-يالا ..!

ابتسم لها متنهداً بشوق :

-ماشي

وبالفعل نهض من على الأريكة ، وظلت هي ممسكة بكفه ، ومسندة إياه وهما يتحركان سوياً نحو غرفة النوم ..

تعمد أوس السير ببطء لينعم بأكثر وقت بقربها وهي لا تهابه أو تخشـــاه ..

شعور طاغي بالسعادة يتخلل كيانه وهو يرى لهفتها الواضحة في تصرفاتها معه ..

تنهد بإرتيـــاح لقراره الصائب بالبعد عن أي مصدر للتوتر في هذا الوقت الحرج ليبدأ معها مرحلة أخرى جديدة تعيد ترميم العلاقة بينهما ....

....

الفصل الثالث عشر (الجزء الثاني) :

في منزل أوس الجديد ،،،

تحرك أوس بخطوات بطيئة وحـــذرة في إتجـــاه غرفة النوم ، وكانت تقـــى تسنده من ذراعه الأيمن ، أو هكذا ظنت ..

تنهد بعمق ، وأردف قائلاً بصوت شبه متحشرج :

-شوية وهاكلم عفاف وأرتب معاها تيجي هنا ، وهابعت لماريا عشان تقعد معاكي وأنا مش موجود

هزت رأسها لتردد بخفوت :

-أهــا ..

فتح أوس باب غرفة النوم .. فترددت تقــى في الدخــول ، وشعر بإرتجافة أصابعها على مرفقه ، فنظر لها بطرف عينه ، فلمح نظرات الخوف في عينيها ، وفهم سريعاً سبب رهبتها تلك .. فعض على شفته السفلى بضيق ، وأخذ نفساً عميقاً ، وحبسه في صدره ليسيطر على هدوئه أمامها .. ثم سحب جسده بهدوء ، وهتف قائلاً بصوت خافت :

-أنا هادخل لوحدي !

ولم ينتظر منها أي رد حيث تحرك فــوراً للأمـــام ، ودلف إلى داخل الغرفة بمفرده ..

أطرقت رأســـها خجلاً منه .. هو فهم مرادها دون الحاجة للتبرير ..

وضمت أصابع يديها معاً لتفركهما في حيرة ..

ثم ضغطت على شفتيها وغمغمت مع نفسها بتوبيخ :

-خشي يا تقى ، مافيش حاجة تخوف جوا !

جلس أوس على الفراش وهو يستند بكفيه عليه ، وتــأوه بصوت خافت وهو يحاول الإنتصاب بظهره ..

فتلك الوخزات لا تزال تسبب له الوجع ..

وضع يده على قميصه ليبدأ في حل أزراره .. وما إن انتهى حتى حــاول إنتزاعه من عليه بحذر ، لكنه لم يتمكن بسبب الآلم الشديد ..

فاحنى رأسه للأمـــام .. وأغمض عينيه مجدداً

شعــر بلمسة رقيقة على كتفه ، ففتح عينيه ببطء ليجدها واقفة أمــامه ، وترمقه بنظرات عادية ..

تفاجيء من حضورها بالغرفة ، واعتلى وجهه نظرات مصدومة ..

أشــارت بإصبعها قائلة بهدوء :

-أنا هساعدك

نظر لها غير مصدق وجودها ، ورد عليها بصوت خافت :

-مش مشكلة ، الوقتي هاقلعه

تابعت قائلة بإصرار :

-انت مش هاتعرف

ابتسم لها ابتسامة باهتة ، واعترض بهدوء :

-متقلقيش ، هاتصرف !

عبست بوجهها ، وأردفت قائلة بجدية :

-خلاص بقى

استسلم أوس لإصرارها الذي فاجئه ، وراقبها في صمت .. بينما مدت تقى كفها ، وأمسكت بمرفقه الأيسر ، ورفعته للأعلى ، وقامت بحل زرار ساعده ، ثم قامت بثني ذراعه لتتمكن من إخــراج كم القميص منه ..

ركزت تقى كل تفكيرها فيما تفعله ، ولم تنتبه لنظراته الممعنة التي تنطق صراحة بحبه الشغوف لها ، وإشتياقه الرهيب للاستمتاع بملمس بشرتها ..

ود لو أخفضت رأسها قليلاً ، وأسندته على صدره ، لتستمع إلى دقــات قلبه التي تهتف بإسمها ، فتتأكد من استعداده التام ليفتاديها بروحه لأجلها ..

بحــذر شديد أزاحت قميصه عن كتفه الأيسر ليبدو أمامها صدره بجراحه المضمدة ، وتلمست دون قصد صدره وكتفه .. فزادت

رغبته فيها .. وشوقه إليها .. وجاهد ليصرف عن تفكيره أي أفكـــار قد تفسد تلك الأجواء المميزة بينهما .. وظل يتنهد بحرارة وهو يتحاشى النظر نحوها حتى لا تكشفه نظراته المتلهفة إليها ......

....

في منزل عبد الحق بالزقـــاق الشعبي ،،،،

شهقت إحســـان مصدومة ، واتسعت حدقتيها بذهــول كبير ولطمت على صدرها بقوة بعد أن سردت لها القابلة أم نجــاح ما اتفقت عليه مع زوجة ابنها بطة ..

نهضت عن الأريكة ، ورمقتها بنظرات مميتة وهي توبخها بعنف :

-بقى انتي يا أم نجاح تسلمي دقنك لحتة بت زي دي

نهضت أم نجاح هي الأخرى من مكانها ، وهتفت مدافعة :

-يا ست أم عبده ، أنا ماليش دعوة هي قالتلي إنـ ..آآ....

قاطعتها بنبرة حـــادة وهي تلوح بذراعها :

-متكمليش ، اشحال مكوناش اكلين عيش وملح مع بعض

بررت لها أم نجـــاح بإصرار :

-هي كان غرضها آآ...

قاطعتها بصوت غاضب وهي توليها ظهرها :

-بس مش عاوزة اسمع حاجة ، كفاية اللي عرفته

وقفت خلفها ، وإستأنفت حديثها بقلق ، خاصة بعد أن أدركت المشكلة التي تسببت في إحداثها :

-اهدي بس يا ست أم عبده ، ماتخديش الأمور كده ، هي عيلة وغلطت ، وإنتي برضك حماتها ، وهتعرفي تربيها

ضاقت عيني إحسان بنظرات شيطانية مخيفة ، وغمغمت بنبرة عدائية :

-ده أنا هوريها على اللي عملته فيا !

ثم أمسكت بخصلة من خصلات شعرها ، وتابعت بتوعد وهي تهزها :

-وحياة مقاصيصي دول لأندمها

ابتلعت أم نجـــاح ريقها بتوتر ، وحركت ثغرها للجانبين بحركة منزعجة ، وهمست لنفسها:

-ربنا يستر من اللي جـاي !

....

في منزل أوس الجديد ،،،،

انتهت تقــى من نزع الجانب الأول من قميصه ، وتحركت خطوتين للخلف لتتمكن من الإستدارة للجانب الأخـر لتكمل عملها معه ..

نظرت إلى أوس الذي تحاشى النظر إليها ، ورأته محدقاً بالأسفل .. فقطبت جبينها في إستغراب منه .. وشعرت بسخونة حارة تنبعث من جسده لتؤثر عليها ، فأصابها القلق ، وسـألته بإهتمام وهي تتطلع إليه :

-انت .. انت كويس ؟

هــز رأســه بخفة ، ولم ينظر نحوها .. فشعرت بالغموض ..

عضت على شفتها السفلى بحيرة ، وسـألته مجدداً بفضول وهي تتحسس جبهته :

-في حاجة تعباك ؟

دبت قشعريرة قوية هزت جســـد أوس بإحســـاس رهيب بعد حركتها المباغتة والعفوية تلك ..

رفع رأسه تلقائياً نحوها ليتأملها عن قرب ، فزادت نظراته العاشقة إليها بريقاً وإشراقاً .. وتأججت مشاعره نحوها بصورة جامحة ..

أكملت حديثها قائلة بنعومة :

-لو حاسس إنك عاوز دكتور قول !

تنهد بصوت مسموع وهو يهز رأسه نافياً ليقول بصعوبة موجزة محاولاً كبت مشاعره بأقصى ما يستطيع :

-لأ ..

أضافت قائلة بهدوء :

-موبايلك وحاجتك عند ماما ، أنا .. هبقى أرجعالك

نظر لها بإستغراب ، وسألها محاولاً فهم ما لفظته تواً :

-حاجتي ؟

هزت رأسها عدة مرات بصورة متتالية وهي تجيبه بلا تردد ومشيرة بيدها :

-ايوه ، يوم الحادثة ، كانوا معايا ، بس أنا سبتهم في البيت ، ومكونتش اعرف اننا هنشوف بعض تاني عشان أجيبهم وأديهوملك

التوى فمه بإبتسامة مغرية لعفويتها في الحديث ..

شعرت تقى بدوار يصيبها نتيجة تلك الحركة الزائدة في رأسها ، فأغمضت عينيها للحظة ، ورفعت إصبعيها للأعلى لتمسك بجبينها .. فتبدلت نظرات أوس للخوف ، وتسائل بتلهف :

-تقى ، مالك ؟

لم تتناول تقى أي شيء منذ الصباح ، وتأثيرات هرمونات الحمل وتغيراتها انعكست بصورة قوية عليها .. فلم تتمكن من الحفاظ على اتزانها ، وبدت على وشك فقدان وعيها ..

نظر لها أوس بهلع ، وأسرع بمد ذراعه ليمسك بها قبل أن تسقط .. فهوت مغشية عليها في أحضـــانه ..

أحاطها أوس بذراعيه ، وكافح ليتغلب على آلمه حتى يتمكن من رفعها على الفراش ..

وبالفعل أسندها بحذر عليه ، وجلس إلى جوارها ، وأمسك بكفها براحته ، وبكفه الأخــر ضرب وجنتها برفق محاولاً إفاقتها وهو يهمس لها بخوف بائن في نبرته :

-تقــى .. تقى ، سمعاني يا حبيبتي .. ردي عليا ، في ايه ؟

أدار رأســه في أنحاء الغرفة محاولاً التفكير في حل سريع ..

وقعت عينيه على التسريحة ، ولمح زجاجات العطر المتراصة عليه ..

فهب واقفاً من على الفراش ، وضغط على شفتيه بقسوة نتيجة تلك الوخــزة القوية التي أصابته بسبب حركته المفاجئة ..

تحامل على نفسه ، وأســرع في خطواته ليمسك بالزجاجة ، وعــاد ليجلس على الفراش ، ثم نزع الغطاء عنها ، ورش العطر على أصابع يده ، ثم قرب كفه من أنفها ، وحاول دفعها لإستنشاقه وهو يرفع رأسها نحوه بيده الأخــرى ..

لحظات عصيبة مرت عليه وهو يُفيقها ..

استجابت له ، وتأوهت بخفوت ، وفتحت عينيها بتثاقل لتجد نفسها ممددة على الفراش ، وهو محني عليها برأسه ، فتسائلت بصوت ضعيف وهي تحاول إستيعاب الموقف :

-هو في ايه ؟

وجدته يتطلع إليها بأعين شبه دامعة ، فإستأنفت قائلة بتلقائية وهي تشير بإصبعها :

-مش انا كنت واقفة هناك ، وانت كنت أعد وآآ..

لم يصغْ إلى بقية حديثها ، بل مــال أكثر على رأسها ، واحتضن وجهها بكفيه ، ثم طبع قبلة مطولة على جبينها ، وهمس لها بحرارة :

-يـــاه ، خضتيني عليكي ! متعمليش فيا ده تاني !

تعجبت مما فعله ومما يقوله ، وتسائلت بحيرة مع نفسها عما حدث ليردد تلك العبارات ..

أرجع رأســه للخلف ، وأوضح لها قائلاً بإبتسامة خفيفة :

-انتي اغمى عليكي ، وأنا كنت بأفَوَقك !

بدت كالبلهاء وهي تستمع إليه ، وفغرت شفتيها قليلاً ، فزادت إبتسامته إشراقاً ، وأخذ نفساً عميقاً ، وزفره مرة واحدة .. ثم مسح بإبهامه على شفتها السفلى ، وتابع قائلاً بمزاح :

-شكل حملك هيطلع عليا أنا ..!

....

في مشفى الأمراض النفسية ،،،

ظل عـدي يهز ساقيه بعصبية واضحة وهو جالس على المقعد المقابل لمكتب الطبيب المعالج لزوجته ليــان ..

تلفت حـوله ليدقق في اللوحات المعلقة على الحوائط ..

دلف الطبيب إلى الداخل ، وهو يرسم على ثغره ابتسامة مصطنعة ، وأردف قائلاً بهدوء وهو يشير بيده :

-اتفضل ، هاتقدر تقابلها الوقتي

انتفض من مقعده ، وتنفس بعمق وهو يسير في إتجاهه ..

تابع الطبيب محذراً :

-اهم حاجة حضرتك ماتنفعلش أو تبين تأثرك لو صدر منـها حاجة عكس اللي انت متوقعه

رد عليه بتلهف واضح في نبرته ونظراته :

-مش مهم اي حاجة تعملها ، أنا عاوز أطمن عليها بس

أومــأ برأســه مكملاً بجدية موجزة وهو يشير بكفه :

-تمام .. اتفضل معايا

....

كانت ليـــان جالسة على المقعد الخشبي في الحديقة المزهـرة عاقدة لساعديها أمام صدرها ، ومحدقة أمامها بنظرات هائمة .. وتاركة لخصلات شعرها العنان ليعبث بها الهواء كيفما يشـــاء ..

رأهـا عدي من على بعد ، فخفق قلبه تلهفاً إليها .. لقد مرت فترة منذ رأهـا عن قرب .. وتلك هي المرة الأولى التي سيجلس فيها معها بعد فترة ليست بقليلة من العلاج النفسي المكثف ..

رفـــع يده ليمسح على فروة رأســـه بتوتر .. وأخـذ نفساً عميقاً حبسه لثوانٍ في صدره ، ثم أطلقه دفعة واحدة وهو يخطو نحوها ...

وقف خلفها .. وتأملها مطولاً دون أن يصدر أي جلبة ..

ثم تحرك بحذر للجانب ليجلس إلى جوارها ..

لم ينبس بكلمة واحدة ، وظل محدقاً بها ..

كم إشتاق إلى رؤية ابتسامتها ، وإشراقة عينيها ..

أدرك اليوم بحماس حقيقي لماذا شقيقها ورفيقه أوس متعلقاً بزوجته بجنون ..

انتبهت ليـــان لوجود شخص ما على مقربة منها ، فأدارت رأسها في اتجاهه لتجده مسلطاً أنظاره عليها ..

كانت نظراتها جافة وتعابير وجهها جامدة ..

ورغم هذا بدت مهتمة للحديث معه ..

سألته بقسوة أرهبته :

-جاي ليه ؟

ورغم كلماتها المقتضبة إليه ، إلا أنها تحمل اللوم والتوبيخ الشديدين له ..

ابتلع غصة مريرة في حلقه ، ورد عليها بحذر :

-عشان اطمن عليكي

إلتوى ثغرها بإبتسامة استخفاف ، وأشاحت بوجهها بعيداً عنه ، وتابع بفتور :

-اطمن ! أنا عايشة لسه ، ومش محتاجة لحد !

آلمته كلماتها ، وتشدق قائلاً بحرص :

-ليــان ! أنا عارف إني .. إني خدعتك وآآ.. وعملت عليكي ملعوب عشان تتجوزيني ، بس أنا .. أنا مكونتش أعرف إنك ضحية فعلاً لشوية الـ ...آآآ

قاطعته بصوت بـــارد وهي تنظر أمامها بنظرات خاوية :

-ششش .. مش عاوزة أسمع حاجة ، أنا رميت كل ده ورا ضهري !

أخـــذ نفساً عميقاً ليسيطر على هدوئه .. وتذكر كلمات طبيبها المحذرة من ردود فعلها الغير متوقعة إن تجاوز في حديثه معها وإنفعل بلا مبرر ..

أطرق رأسه للأسفل ، وفرك أصابع كفيه بعصبية وهو يكمل بخفوت :

-حقك تعملي أكتر من كده .. أنا عاذرك ! وحاسس باللي جواكي ناحيتي

نهضت من على المقعد ، وســارت إلى الأمـــام ، فسلط أنظاره عليها ، ونهض خلفها ليتبعها ..

توقفت أمـــام وردة حمراء تتوسط عدة شجيرات .. وظلت تتأملها بتمعن شديد ..

ثم مدت أصابعها لتلمسها بحذر ..

راقبها عدي بإستغراب .. وقطب جبينه محاولاً فهم ما تفعله ..

وفجـأة إقتلعتها من مكانـها ، وأطبقت عليها بكفها لتتمزق أوراقها المزهرة ، وإستدارت نحوه لتصيح بصوت شبه محتد وهي ترفعها أمامه :

-انا احساسي معاك بالظبط زي الوردة دي !

ثم ألقتها في وجهه ، ورمقته بنظرات قاسية قبل أن تتركه بمفرده وتركض مبتعدة ...

أغمض عدي عينيه نادماً ، واستشعر بقلب حقيقي إحساسها نحوه ..

آنبه ضميره على فعلته .. ومنع نفسه من الإنفعال ..

ثم انحنى بجذعه للأسفل ليلتقط الوردة من على الأرضية العشبية .. ونظر لها بأسف .. وتمتم مع نفسه بغصة مريرة :

-أنا أسف يا ليان ! انا كنت السبب في اللي وصلتيله !

....

في منزل تقى عوض الله ،،،،

اتجهت فردوس إلى باب منزلها لتفتحه بعد أن استمعت إلى قرع الجرس ..

تأملت وجـــه المرأة الأنيقة التي تقف أمام عتبتها ، وسألتها بجمود :

-عاوزة مين ؟

أدارت هياتم عينيها متأملة المنزل من الداخل بإهتمام وهي تجيبها متسائلة بهدوء :

-ده بيت الست تهاني ؟

لوت فردوس فمها وهي تسألها بإمتعاض :

-اه هو ، انتي مين بقى ؟

ردت عليها بتساؤل أخـــر :

-هي موجودة ؟ ينفع أقابلها ؟

أردفت فردوس قائلة بتهكم وهي تنظر لها شزراً :

-هو كل اللي جاي البيت ده يسأل عليها بس ؟ مالكم في ايه ؟

تنحنحت هياتم بخفوت ، وأضافت قائلة بنبرة رقيقة :

-أنا عارفة إني جاية من غير ميعاد ، بس إذا سامحتي ممكن تناديلها اكلمها ضروري

سألتها فردوس بإمتعاض وهي ترمقها بنظرات متفحصة لهيئتها :

-ومين الهانم بقى ؟

ردت عليها بإبتسامة هادئة :

-قوليلها مدام هياتم ، هي هتعرفني !

تنحت فردوس للجانب لتفسح لها المجال لكي تمر ، وأشارت بيدها قائلة :

-اتفضلي

-ميرسي !

دلفت هياتم إلى الداخل ، وجابت بعينيها المكان متأملة الشكل العام له ..

بدت حذرة للغاية وهي تتحرك نحو أقرب أريكة لتجلس عليها ..

غابت فردوس في الداخل عدة دقائق لتخرج بعدها أختها تهاني وعلى ثغرها إبتسامة عريضة وهي تهتف قائلة :

-ازيك يا مدام هياتم ؟ عاش من شاف حضرتك

لمحت هياتم أختها وهي تتحرك خلفها لتراقبهما ، فنهضت من على الأريكة ، وبادلتها المصافحة والتحية ، وأكملت قائلة بجدية :

-ازيك انتي يا ست تهاني ، أنا مش هاعطلك كتير ، بس لو سمحتي محتاجة أتكلم معاكي على انفراد في موضوع مهم

سألتها تهاني متوجسة :

-موضوع ايه ده ؟

ردت عليها بإيجاز وهي تشير بعينيها :

-هاتعرفي ، بس لوحدنا !

تجهم وجـــه فردوس ، وعبست ملامحها ، وهتفت بضجر وهي تتحرك في إتجاه المطبخ :

-هاعملكم شـــاي !

رسمت هياتم ابتسامة سخيفة على ثغرها لتقول بإقتضاب :

-ميرسي

هتفت تهاني بقلق :

-تعالي نتكلم جوا احسن

-أوكي

وبالفعل ولجت الاثنتين لداخل غرفة تقى ، وأوصدت تهاني الباب لتعود بعدها لتجلس إلى جوارها على الأريكة العريضة ، وتسائلت بإنزعاج :

-خير يا مدام هياتم ؟ في حاجة حصلت ؟

ضمت هياتم ساقيها معاً ، وجلست بطريقة رسمية وهي مسندة حقيبة يدها على حجرها ، وردت بجدية بالغة دون أن يهتز لها جفن :

-بصراحة كده وبدون مقدمات ، أنا جاية ابلغك رسالة مهمة !

عقدت تهاني ما بين حاجبيها ، وهتفت بإندهاش :

-رسالة !

أومــأت هياتم برأسها ايجاباً ، وقالت :

-أيوه .. الموضوع خطير ، ومش محتاج التأجيل

سألتها تهاني بتلهف وهي ترمقها بنظرات قلقة :

-ايه هو ؟

أجابتها هياتم بصوت جـــاد وخطير :

-ناريمان هانم عاوزة تقابلك ضروري في السجن

اتسعت حدقتيها مشدوهة ، وصاحت بصدمة بادية عليها :

-بتقولي مين .... ؟؟؟

,..

الفصل الرابع عشـــر :

في منزل تقى عوض الله ،،،

هبت تهاني واقفة من مكانها وعلامات الصدمة جلية على قسمات وجهها .. حدقت أمامها بذهول ، خاصة بعد أن تفوهت

السيدة هياتم بإسم ألد أعدائها (ناريمان) وأبلغتها عن لسانها برغبة الأخيرة في رؤيتها في محبسها بالسجن النسائي ..

لم تفق تهاني بعد من ذهولها حينما أضافت هياتم قائلة :

-هي بتُصر على حضورك ، وبتقولك المسألة خطيرة جداً ، ومش عاوزاكي ترفضي

هتفت تهاني بعدم تصديق :

-مــ.. معقول ! ناريمان ! لألألأ .. طب ازاي وليه ؟!

نهضت هياتم من على الأريكة ، وتمسكت بحقيبتها بكفيها ، وتشدقت قائلة :

-انتي تقدري تسأليها بنفسك ، وعموماً أنا هاجهزلك تصريح الزيارة والمطلوب !

ثم تنحنحت بخفوت لتكمل :

-هستأذن أنا دلوقتي ، وفرصة سعيدة إني شوفت واطمنت عليكي

ابتلعت تهاني ريقها لتقول بحرج :

-انتي .. انتي لسه ماشربتيش حاجة ، وأنا .. وأنا معملتش معاكي الواجب

ابتسمت لها هياتم ابتسامة مصطنعة وهي تقول :

-عادي ، وقت تاني ! عن اذنك !

أشـــارت لها تهاني بكفها قائلة بهدوء :

-اتفضلي ، هاوصلك للباب

....

في نفس اللحظة تراجعت فردوس مبتعدة عن الباب بعد أن تصنت على حوارهما الخاص ، وإستندت بكفيها على أحد مقاعد الطاولة ..

ولجت هياتم للخــارج ونظرت إلى فردوس بنظرات غريبة ، ثم تحركت صوب باب المنزل .. وتهاني من خلفها تودعها قائلة :

-شكراً على تعبك معايا ، كتر خيرك

لوحت لها هياتم بإصبعيها لتقول بخفوت :

-العفو .. باي !

وما إن أغلقت تهاني الباب حتى أسرعت فردوس في سؤالها بفضول :

-كانت جاية ليه الست دي ؟

ردت عليها تهاني بإيجاز وهي تتحرك نحو الغرفة :

-حاجة تخصني !

سألتها فردوس بإهتمام والغموض يكسو نظراتها :

-تخصك ؟ إزاي يعني ؟

هتفت تهاني بتنهيدة مطولة ومرهقة :

-بعدين يا فردوس ، بعدين !

ثم تركتها ودلفت إلى الغرفة لتفكر ملياً في سبب تلك الزيارة الغامضة ....

....

في منزل عبد الحق بالزقـــاق الشعبي ،،،،

جابت إحســـان الصالة ذهاباً وإياباً وهي تعقد يديها خلف ظهرها تحاول التفكير في وسيلة للإنتقــام من تلك المخادعة التي لعبت عليها بمكر فأوهمت الجميع أنها السبب في إجهاضها ..

جلست على الأريكة ، وهزت ساقيها بعصبية .. ثم وقفت مجدداً لتعاود الإلتفاف حول أركان الغرفة ..

وفجـــأة لمعت عينيها ببريق شيطاني مخيف ، ورددت قائلة لنفسها بنبرة وعيدة :

-بس .. هو ده اللي هايجيب من الأخــر معاكي !

زادت عينيها قتامة ، وتابعت بغل :

-وزي ما لابستني الليلة ، أنا هالبسك في الحيطة ، ومش هاتشوفي لا حَبَل ولا خلفة أبداً يا بنت الـ *** ....!!

....

في مكتب الصحفي وفيق ،،،،

أسند وفيق التقارير الخاصة بنسبة المتابعة والولوج إلى موقعه الإلكتروني على سطح مكتبه ، وأرجع ظهره للخلف ليتنهد بإرتيـــاح وهو يحسب الربح المادي الذي عـــاد عليه ..

شبك ساعديه خلف رأسه ، وإنفرج فمه بسعادة لينطق قائلاً :

-كده فل أوي ، موضوعين تلاتة من نوعية عيلة الجندي وهابقى في الـ Save Side

انضم إليه الصحفي بكر ، وجلس على المقعد المقابل لمكتبه بعد أن بادله التحية ، وأردف قائلاً بحماس :

-بصراحة مش عارف أشكرك ازاي على المكافأة السخية دي !

إلتوى فم وفيق بإبتسامة خبيثة وهو يتابع قائلاً :

-انت تعبت معايا ، وأنا بأقدر المجهود !

هز رأسه إيجاباً ليقول بجدية :

-تمام يا ريس

انتصب وفيق في جلسته ، وأرخى ساعديه ، ليضعهما على سطح مكتبه ، وهتف قائلاً بمكر :

-عاوزين الفترة الجاية مانضيعش اللي عملناه ، ونشتغل على المشاهير ونجوم المجتمع ، الفضايح بتجذب الجمهور ، والناس هنا بتموت في الفضايح ، انت فاهمني طبعاً

غمـــز له بكر قائلاً بثقة :

-اعتبره حصل !

تمطع وفيق بكتفيه ، وطقطق عنقه مكملاً بهدوء :

-عظيم .. وكل ما هايكون في شغل ، هايكون في .. Money (تمام) !!

....

في منزل أوس الجديد ،،،،

وقف أوس أمـــــام خزانة الملابس ، وسحب من الضلفة الخاصة بثيابه (تيشيرتاً) رمادياً بدون رقبة ، وبنطالاً قماشياً من نفس اللون ..

ثم إستدار بجسده ناحية تقى ، وأردف قائلاً بهدوء :

-خدي شاور ، وغيري هدومك ، حاجتك زي ما هي في الدولاب ، وأنا هاطلع أقعد برا !

أومــأت برأسها بخفة .. ولم تعلق عليه ..

بينما تحرك بحذر نحو الخــارج تاركاً إياها تفعل ما تريد دون الشعور بالحرج منه ..

راقبته بعينيها الزرقاوتين حتى انصـرف من الغرفة ، فنهضت من على الفراش ، وإتجهت لخزانة الملابس لتبحث عما يناسبها لتبدل ثيابها فيه بعد أن ظلت مرتدية إياها على مدار يومين ..

اتجهت بعدها للمرحــاض لتستحم ، وتنفض عن جسدها أثــار الارهــاق والتعب ..

....

بمجهود ليس بالقليل تمكن أوس من إرتداء ملابسه ، ثم أراح جسده على الأريكة بالخــارج ..

تأوه بخفوت حتى لا يزعج تقى وهو يرفع ساقيه عليها ، وتحسس بحــذر صدره ..

أخــذ نفساً عميقاً ، وزفره مرة واحدة .. ثم تمطع بكتفيه ، وأغمض عينيه ليستريح قليلاً .. ولكنه سمع صوت دقــات ثابة

على باب منزله ، ففتح عينيه ، واعتدل بحذر على الأريكة .. ونهض من مكانه ليتجه نحوه ..

فتح أوي الباب فوجد شخصاً يرتدي ملابساً تحمل الشعـار الخاص بأحد محلات الطعام الشهيرة ، ويحمل في يديه عدة حقائب بلاستيكية ..

قطب أوس جبينه ، وسـألـه بجمود :

-خير !

جاب الرجل بعينيه باب المنزل ، وتسائل بنبرة رسمية :

-ده منزل أوس باشا الجندي ؟

رد عليه أوس متسائلاً بإقتضاب :

-أها ، عاوزه ليه ؟

أجابه الرجل بهدوء :

-معايا أوردر أكل مبعوت ليه من الأستاذ عدي عبد الرحمن

مط أوس شفتيه قليلاً ، ومـد ذراعه ليلتقطه منه وهو يتابع بجدية :

-تمام ، هاته ، حسابك كام ؟

أجابه الرجل بهدوء :

-كله مدفوع يا فندم بالبقشيش !

رفع أوس حاجبه للأعلى مندهشاً ، وهتف قائلاً بإستغراب :

-نعم !

برر الرجل قائلاً بنبرة عادية :

-الحساب اتدفع في المحل ، الأستاذ عدي دفعه كله !

ثم لوح بذراعه ليضيف وهو يستدير نحو المصعد :

-سلام عليكم !

-ممممم ..

إعتلى ثغر أوس ابتسامة هادئة بعد تلك اللفتة الطيبة من رفيقه الذي تكفل بكل شيء حتى الطعام .. ثم التفت عائداً للصالة بعد أن أغلق باب المنزل ، وأسند الطعام الجاهز على الطاولة ، وعـاود الجلوس على الأريكة وسلط أنظـاره على الرواق المؤدي إلى غرفة النوم ..

تنهد قائلاً لنفسه بضجر :

-هو لسه قدامها كتير ولا ايه !

فرك وجهه بكفه ، وتمدد على الأريكة ..

....

تأملت تقى إنعكاس هيئتها أمــام المرآة بعدما انتهت من أخذ حماماً سريعاً ودافئاً لتنعش جسدها قليلاً .. وارتسم على محياها ابتسامة راضية .. فقد كانت تحتاج إليه كثيراً ..

لفت حول شعرها المنشفة القطنية ، وأكملت إرتداء المنامة الحريرية ذات اللون الفيروزي .. وحدثت نفسها قائلة :

-متفكريش في حاجة يا تقى ، مافيش حاجة هاتحصل هو وعدك بده ، انتي زي ما انتي !

عضت على شفتها السفلى ، وأزاحت تلك القطرات المبتلة من على جبينها ، وتابعت بقلق :

-بس .. هو .. هو ممكن آآ....

دار بخلد تقى بعض الهواجس حــول احتمالية إستغلال أوس الفرصة والتقرب منها بصورة حميمية ..

ضمت ساعديها إلى صدرها ، و انكمشت على نفسها ، وهزت رأسها نافية :

-لالالا .. مش هايعمل كده ، مش هاسمحله !

إزدردت ريقها ، وأخذت نفساً عميقاً ، ورفعت رأسها للأعلى ، وفردت كتفيها ، وأنزلت ذراعيها وهمست لنفسها بتشجيع :

-اجمدي .. انتي قدرتي تقفي قصاده ، وهو.. وهو آآ..

شعرت بتخبط في تفكيرها ، فحاولت إقناع نفسها بـ :

-انتي وجودك معاه هنا عشان تساعديه وبس !

أطرقت رأسها للأسفل لتنظر إلى بطنها ، ووضعت كفيها عليه لتتحسه ، وتسائلت بخوف :

-طب .. طب وابني ؟

رفعت رأسها مجدداً لتنظر لنفسها بالمرآة ، وتمتمت بتردد :

-هو وعدني هيحميه ويحمينا ، مش هايسبنا ! هو قـال بيحبني .. بس .. بس أنا آآ..

دفنت وجهها في راحتي يدها ، وظل صامتة تحاول ترتيب أفكارها المضطربة والتي أصابتها بالحيرة ..

تنهدت بإنهاك وأضافت لنفسها :

-مش وقت أي تفكير ، أنا محتاجة أرتاح ، وبعد كده هاشوف هاعمل ايه !

خرجت من المرحـــاض ، وتلفتت حولها بتوتر باحثة عنه في الغرفة فلم تجده ..

تنهدت بإرتيــاح ، واعتلى ثغرها ابتسامة عريضة .. وهمست قائلة بسعادة وهي تصفق بيديها بخفوت :

-كويس انه برا ، كده أقدر أنـــام براحتي

-لأ مش هايحصل يا حبيبتي !

قالها أوس بثقة وهو يستند على عتبة باب الغرفة ، وعاقداً لساعديه أمـــام صدره ..

ثم أكمل بهدوء جـــاد :

-مش قبل ما تاكلي !

إستدارت بجسدها بحركة دائرية مفاجئة نحو مصدر صوته ، فأصابها دوار خفيف ، ولكنها تمالك نفسها ..

إعتدل أوس في وقفته ، ورمقها بنظرات جادة ، وهتف محذراً :

-بالراحة يا تقى !

أشـــارت له بكفها ليظل باقياً في مكانه ، وهتفت بتلهف :

-أنا كويسة ، ماتجييش هنا !

عقد ما بين حاجبيه ، وعبس بوجهه ، وتسائل بنبرة معاتبة وهو يتحرك نحوها :

-انتي لسه خايفة مني ؟

توترت كثيراً ، وارتبكت من حضوره الطاغي عليها .. وتوردت وجنتيها بحمرة باهتة تزيد درجتها تدريجياً بإنفعالها الداخلي ..

حاولت أن تبرر له موقفها ، ولكنها فشلت في إيجاد الحجة المقنعة ، فتلعثمت قائلة :

-آآآ... أنا

اقترب منها بخطوات بطيئة ، وهمس بجدية وهو يرمقها بنظرات مطولة :

-أنا وعدتك مش هاعملك حاجة !

حاولت تقى ألا تتحرك من مكانها ، ولكن جسدها كان يرتجف يحاول الفرار ..

كم تعددت المواجهات بينهما ، وظفرت هي بأغلبهم ، لأنها اعتادت تحميله ذنب جريمته معها ، ولكن اليوم هي تقف لا حـول لها ولا قوة ، في حـالة تخبط ، واضطراب ..

تريد أن تواجهه ، ولكن يعجز لسانها عن النطق ..

الكلمات تتزاحم في رأسها ، ولكن ترفض أياً منها الخروج على شفتيها ..

أفاقت تقى من شرودها على تنهيدات أوس الحارة أمام وجنتها وهو يهمس لها بعذوبة :

-وبعدين .. أنا .. أنا آآ...

مـد كفه ليلتقط كفها براحته ، ورفعه إلى فمه ليقبله ، وتابع بخفوت آسـر :

-بأحبك !

ثم أسند كفها المعقود في كفه على صدره ، وأكمل بهمس :

-ونفسي تحسي بده أوي !

لم ترمش بعينيها ، بل ظلت تطالعه بنظرات غريبة ..

أسند إصبعيه على طرف ذقنها ليرفعه ناحيته ، ومـــال برأسه عليها أكثر ليسألها بنبرة رخيمة :

-مش هناكل مع بعض ؟

هزت رأسها عفوياً لتخرج من تأثيره القوي ، فتراجع بهدوء للخلف ، وابتسم لها مضيفاً بتساؤل :

-هناكل هنا ولا بـــرا ؟

توترت وهي تجيبه بصوت متقطع :

-بـ... بـــرا !

أشـــار لها بإبهامه ، وهو يتجه نحو باب الغرفة :

-تمام ، يالا !

وقبل أن يخرج تماماً ، إستدار بجسده نصف إستدارة ليقول بمزاح :

-بس شيلي الفوطة دي من على دماغك ، مخلياكي شبه الهنود !

ضيقت عينيها ، ورفعت يديها عفوياً لتتلمس المنشفة ، فأكمل بإبتسامة عريضة :

-أيوه هي دي !

ثم تركها وانصــرف إلى الخـــارج وهو لا يقـــاوم الابتسام بسعادة ..

....

في منزل تقى عوض الله ،،،،

إستندت تهاني برأسها على كفها وهي جالسة على الأريكة محاولة التفكير بتعمق في ناريمان ورغبتها في الحديث معها ..

عصرت تفكيرها محاولة تخمين السبب الخفي وراء تلك الزيارة ..

تمتمت مع نفسها بإنزعــاج :

-ناريمان مش بتعمل حاجة ببلاش ، لازم هاتستفيد من وراها ، بس هي هاتكون عاوزاني في ايه يا ترى ؟

دلفت فـــردوس إلى الغرفة ، ورمقت أختها بنظرات حادة ، وسألتها بفضول :

-ها قوليلي بقى ، كانت عاوزاكي الولية دي في ايه ؟

لوت تهاني فمها لتجيبها بإمتعاض :

-مافيش

هتفت فردوس محتجة وهي تلوح بذراعها :

-ازاي مافيش وهي من ساعة ما جت ومشت وانتي أعدة على حالك ده

نفخت تهاني قائلة بنفاذ صبر :

-يووه يا فردوس ، كانت جاية تسأل عليا ، إرتاحي بقى

وقفت فردوس قبالة أختها ، ووضعت يدها في منتصف خصرها ، وهتفت بصوت محتد وهي تلوح بذراعها الأخــر :

-لأ بصى يا تهاني ، شغل الملاوعة والكلام الحلامانتشي ده أنا مافهمش فيه !

ثم صمتت للحظة لتضيف بمكر :

-وبعدين أنا سمعت طراطيش كلام عن آآآ...

قاطعتها تهاني بنبرة مصدومة وهي ترمقها بنظرات إستنكار :

-انتي بتتجسسي عليا ؟

ردت عليها فردوس ببرود وهي تحرك جسدها بطريقة مستفزة :

-لأ ياختي ، أنا بأشوف وضعي ايه في البيت ده ، ماهو في الأخـر البهدلة كلها بتحصل عندي هنا !

كزت تهاني على أسنانها لتصيح بحنق :

-بجد .. انتي آآآ..

قاطعتها فردوس بإصرار مزعج :

-ماتلفيش وتدوري عليا ، كانت جيالك ليه ؟ وزيارة ايه اللي هـ آآ...

لكزتها تهاني من كتفها وهي تتجه نحو الخــارج قائلة بصوت متشنج :

-حاسبي يا فردوس ، انتي ماينفعش يتقعد معاكي ، أنا داخلة الحمام

أمسكت بها فردوس من ذراعها ، وهتفت محتجة :

-ماتهربيش مني

أزاحت تهاني كفها بعيداً عن ذراعها ، وصاحت بتذمر وهي تلج للخــارج :

-روحي شوفي جوزك عوض ، بينده عليكي

رمقتها فردوس بنظرات ساخطة ، وهتفت بإحتجاج :

-بقى كده يا تهاني ، طيب !!

ثم ضيقت عينيها أكثر ، وأضافت بنبرة عنيدة :

-بس برضك مش هاكون طيشة في البيت ده ، وهاعرف كل حاجة !

....

في منزل أوس الجديد ،،،،

انتهى الاثنين من تنــاول بضعة لقيمات من الطعام الذي رصــه أوس على الطاولة ..

لم يكن لدى تقى أي شهية لإبتلاع المزيد .. فقد اكتفت بما سد جوعها .. وغمغمت بخفوت وهي تنفض كفيها :

-الحمدلله

رمقها أوس بنظرات قوية ، وتسائل بهدوء حذر :

-كده بس ؟

هزت رأسها بخفة وهي تجيبه بتوتر :

-اها .. أنا..آآ.. شبعت!

رفع حاجبه للأعلى مستنكراً ، وهتف بجدية :

-بجد ؟! ازاي يعني ؟

أجابته بحذر وهي تتحاشى النظر إليه :

-كده ، ماليش نفس !

تابع قائلاً بمزاح وهو يسند طرف ذقنه على مرفقه :

-هو حد قالك إني عاوز ابني مسلوع ؟

إنفرجت شفتيها لتردد بإندهاش :

-هـــاه !

تابع أوس قائلاً بجدية وهو يغمز لها :

-لازم يطلع زي أبوه !

نظرت له مدهوشة ، وتقطع صوتها وهي تردد :

-ز.. زيك ؟!

هــز رأسه ليجيبها بثقة تامة وهو ينتصب بصدره :

-طبعاً في الشكل والقوة وآآ.. آآآه

تأوه بخفوت بعد تلك الحركة ، وابتسم ليضيف بسخرية :

-يعني وأنا بصحتي !

حركت تقى رأسها معترضة ، وهتفت بإحتجاج :

-بس .. أنا مش عاوزاه زيك !!

تجمدت تعابير وجهه ، وكذلك نظراته ، عقب عبارتها الأخيرة .. في حين أطرقت رأسها للأسفل ، وعبثت بطرف صحنها وهي تتابع بصوت شبه مختنق :

-أنا عاوزاه يكون حنين ، عنده قلب ، مايفتريش على الضعيف ، يكون .. يكون زي بابا في طيبته ، وروحه الحلوة ، وصبره ، مايجيش على الغلبان وآآ...

أغمض أوس عينيه خزياً ، وكور قبضة يده معتصراً أصابه ، فقد أحدثت كلماتها وجعاً في قلبه ..

رفعت تقى عينيها بحذر نحوه لتتأمل ردة فعله ، فوجدته على تلك الحالة ، فتوجس قلبها خيفة أن يكون أصابه مكروه ، فسألته بتلهف وهي تمد يدها نحو كفه :

-حاسس بحاجة ؟

فتح أوس عينيه على إثر لمستها التي أصابت كفه برعشة رهيبة ، ونظر لها بأعين شبه دامعة .. ورسم ابتسامة باهتة على وجهه وهو يقول :

-أنا تمام !

ابتلع غصة مريرة في حلقه ، وتنفس بصوت مسموع وهو يضيف بتريث :

-تعالي نرتاح جوا

اتسعت حدقتيها بصدمة جلية ، وسألته بهلع :

-هـ.. هنام ؟

رد عليها بنبرة عادية :

-ايوه ، مش هانفضل صاحيين !

ارتجفت قليلاً وهي تهمس بإرتباك :

-بس آآ..

أسند أوس كفه على يدها ، وإحتضن أصابعها بأصابعه ، وأردف قائلاً بهدوء :

-تقى ، احنا هنام عادي ، اهدي !

صمت لعدة ثوانٍ ، ثم ابتسم لها بنعومة وهو يضيف :

-ماتحطيش في بالك أي حاجة ، اوكي ؟

ابتلعت ريقها بتوتر ، وأومـــأت برأسها موافقة ..

نهض أوس عن مقعده أولاً ، ولم يحرر كفها من قبضته ، وأجبرها على النهوض معه ، ثم سحبها خلفه بخطوات متمهلة نحو غرفة النوم ......

تعالت دقات قلبها من فــرط التوتر وهي تسير مستسلمة ورائه ..

تكرر المشهد أمـــام عينيها ، مع إختلاف الوضع والظروف ..

في السابق كانت تُحمل جبراً معه إلى مكان مماثل حيث اغتــال برائتها ، واليوم تسير بإرادتها معه لتختبر شجاعتها في مواجهة مخاوفها منه ..

نعم هي لم تعد تهابه كما كان حالها من قبل ، ولكنها مازلت تخشى تكرار تلك التجربة المؤلمة بكل ما فيها من جديد ..

-تحبي تنامي هنا ولا هنا ؟

سألها أوس وهو يتطلع إليها بشغف واضح ..

صمتت ولم تجبه ، فتعجب منها ، ولوح بكفه أمــام وجهها وهو يتسائل بجدية :

-انتي معايا ؟

أفاقت تقــى من أفكارها المتضاربة ، وردت عليه ببلاهة :

-انت كنت بتقول حاجة ؟

ضغط على شفتيه وهو يحك رأســـه ، وهتف قائلاً بتعب :

-انتي مش معايا خالص !

أشـــار بعينيه نحو الجانب الأيمن من الفراش ، وإستأنف حديثه بإنـهاك :

-عموما ، أنا مش قادر أفتح عيني ، فهنام هنا !

أرخى أصابعه عن قبضتها .. واتجه إلى الفراش ليلقي بجسده عليه ..

ثم أولاها ظهره حتى يطمئنها بأنه لا يفكر في شيء مما يدور في بالها ..

راقبته لعدة دقائق وهي متسمرة في مكانها حتى تأكدت من سكونه .. فسارت ببطء نحو الفراش ..

وبحذر شديد تمددت إلى جواره ، وأولته ظهرها .. ثم أغمضت عينيها مستسلمة للنوم ..

فتح أوس عينيه ، وإلتوى ثغره بإبتسامة ماكرة ، ثم أدار جسده ناحيتها ، ومد ذراعه ليلفه حول خصرها ..

شهقت مذعورة من لمسته ، وفتحت عينيها مصدومة ، ثم وضعت يدها على ذراعه محاولة إزاحته عنها ، ولكنه كان كالحجر الثقيل المرابط عليها ، فعجزت عن إبعاده عنها ..

تنهدت يائسة بصوت مسموع ، وأبعدت يدها عنه لتغطي به وجهها .. وهي تتمتم بكلمات مبهمة ...

دقائق لاحقة واستسلمت تقى للنوم ، وشعر أوس بإنتظام تنفسها ، فإقترب أكثر منها ليضمها إلى أحضانه ، واستنشق عبير شعرها المبتل بإنتشــاء قبل أن يغفو هو الأخــر ..

....

••••• فتحت تقـــى عينيها لتتلفت حولها بذعــر كبير بعد أن استشعر قلبها إحساساً بعدم الأمـــان ...

تلاحقت أنفاسها بشدة ، وإرتجفت كل ذرة في كيانها ..

حاولت أن تحرك جسدها ، ولكنها شعرت بعجزها ، فخفق قلبها أكثر ..

ثم رفعت بصرها للأعلى لتجد ذراعيها مقيدين في حافة الفراش بحبل غليظ ...

إتسعت مقلتيها بهــلع ، وشهقت بخوف ، وحاولت الصراخ ، ولكن صوتها كان مبحوحاً متحشرجاً ، عالقاً في حلقها ...

أخفضت عينيها فوجدت ساقيها منفرجتين ، كل منها على حدا ، ومقيدة بطرفي الفراش .. فزاد هذا من رعبها ..

تلوت بجسدها محاولة تحريره ..

ولكن مع كل حركة مقاومة تصدرها ، كانت القيود تزداد إحكاماً عليها فتعتصر رسغيها وقدميها ...

برودة قـــارصة سيطرت على المكان ، وإضاءة خافتة تهتز بصورة مخيفة أكملت هذا المشهد المفزع ..

أدارت رأسها للجانب ، فرأته يقف على مقربة منها ممسكاً بمشرطه الحـــاد ، ومرتدياً لمعطفه الطبي الأبيض .. ولكن هناك بقعاً حمراء كثيفة تفسده ..

دققت النظر في ملامحه ، فرأت عينيه القاسيتين تبرزان بشراسة ، ومحدقة بها .. وإبتسامة خبيثة تبرز من بين أنيابه الحـــادة ..

لقد عرفته على الفــور ، وجهه القاتم ، ونظراته المرعبة كفيلة بقتلها ذعراً .. إنه والده (مهاب الجندي)

كادت عينيها تخرجان من مقلتيهما من فرط الخوف ..

سمعت صوته المرعب يرج أركـــان الغرفة قائلاً بتهديد صريح :

-متحاوليش ! إنتي تحت رحمتي !

أدارت رأسها للجانب الأخـــر لتصرخ مستغيثة بمن ينجدها ، فرأت أوس ممدداً على فراش أخــر مقارب لها ..

ولكن الدمـــاء تنزف بغزارة من صدره ، ووجهه يزداد شحوباً .. وعينيه الباكيتين معلقتين بها .. وكأنه يتوسلها .. أو يحذرها .. لم تفهم نظراته الغامضة نحوها ..

مــد أوس ذراعه محاولاً الوصــول إليها ، ولكن تباعدت الآســرة ، فزدادت المسافات بينهما ، وعجز عن إمساكها ..

صرخ بإسمها وهو يحذرها بصوت متحشرج :

-حاسبي يا تقى ، اهربي منه ! ده شيطان ، شيطـــان !

إلتفتت برأسها مذعــورة إلى حيث أشـــار ، فرأته مقبلاً عليها ، وفجـــأة أطبق على فمها بكفه ليكممها ويحبس أنفاسها ..

اختنقت بشدة ، ولمحت ذراعه الأخـــر الممسك بالمشرط من طرف عينها يرتفع في الهواء ..

حدقت فيه بنظرات مرتعدة ، وجاهدت لتتنفس بالرغم من الآلم الموجع الذي يقتلع صدرها ..

إلتوى فم مهاب بإبتسامة شيطانية ، وأشـــار بعينيه القاتلتين نحو بطنها ، وهتف قائلاً بنبرة مميتة وبريق أسنانه الحادة يلمع في عينيها :

-ماتتحركيش كتير ، أنا بس هاخده منك !

هـــزت رأسها بصورة هيسترية ، وتلوت بجسدها وهي تنتفض بشراسة محاولة إنقاذ جنينها من براثنه ، و...... •••••

....

أصـــدرت تقى صــرخة عنيفة وهي غافلة في نومتها ، فهب أوس مذعوراً من نومــه على إثر صراخها المخيف ، وتوجس قلبه رهبةً عليها ، ونظر إليها بقلق بالغ ، فوجدها ترتعش بشدة ، والعرق يتصبب بغزارة من جبينها .. فإحتضن وجهها بكفيه ، وحــاول تهدئتها قائلاً بهلع :

-تقــى ، فوقي ، ده كابوس ، مش حقيقة ، تقــى ، اصحي !

فتحت عينيها لتحدق بالسقف ، ورددت بنبرة مرتعدة :

-هايقتله ، هايخده مني ، ابعدوه عني ، هو مالوش ذنب

لم يفهم أوس كلماتها المقتضبة ، وأســرع في تهدئتها قائلاً بتوتر :

-ششششش.. تقى ، مافيش حاجة من دي حقيقية ، انتي معايا !

رفعت يديها لتمسك به من كتفيه ، ونظرت له بتوسل من عينيها الدامعتين ، و إستعطفته بشدة :

-هايموته ، ده ابنك ، حفيده ! احميه ، احميــه !

استطــاع أوس أن يستشف من حديثها من تقصد ، ومن رأته في أحلامها فجعلها في تلك الحالة المذعــورة ...

تنهد بإنزعــاج ، وانحنى على جبينها ليقبله ، وهمس لها بحذر :

-متخافيش ، مش هايلمسه !

ثم ضمها إلى صدره ، وربت على ظهرها ، وضيق عينيه لتصبحا حادتين ، وتابع بوعيد :

-مش هاسمح لحد يقرب منه ! ولا منك ، انتو الاتنين ليا وبس !

باغته تقى بدفعه من صدره بكفيها ، فتأوه من الآلم ، وأرخى ذراعيه عنها ، وتراجع للخلف ، فزحفت مبتعدة عنه ، ونـهضت عن الفراش لتهتف بصوت متشنج :

-مش عاوزة أنام هنا

فــرك صدره بكفه ليخفف من وخزات الآلم ، ونظر لها بإشفاق وهو يسألها بإستغراب :

-اهدي بس ، ماله السرير ؟

هزت رأسها معترضة ، وهتفت بعصبية :

-لألألأ .. مش هنام على سراير تاني ، مش هنام خالص !

سألها بهدوء وهو ينهض من على الفراش :

-اومــال هتفضلي صاحية ؟

صاحت بتشنج وهي تضم قبضتيها المتكورتين إلى صدرها

-مش عاوزة أنام ، مش هنــام !

أشـــار لها بكفيه وهو يضيف بحذر :

-خلاص .. خلاص .. هاعمل اللي يريحك !

حـــاول أوس أن يفكر في حـــل سريع للتعامل مع تلك النوبة العصبية المسيطرة عليها ، وهداه تفكيره لحل مؤقت ..

لذا مد يديه ، و أمسك بهما بقبضتيها ، وابتسم لها قائلاً بنعومة :

-ايه رأيك نقعد برا ؟

نظرت له بعدم فهم وهي فاغرة شفتيها :

-هـاه

زادت ابتسامته المطمئنة وهو يفسر لها قائلاً :

-بصي مافيش حاجة برا في الصالة ، هي لسه زي ما هي ، احنا سايبنها على وضعها ، هنقعد فيها ، ها قولتي ايه ؟

بدى حله مقنعاً لها ، فأومـــأت برأسها موافقة وهي تردد بإستسلام :

-ماشي !

رفع كفيها إلى فمه ليقبلهما ، ثم اصطحبها إلى خــارج الغرفة ..

....

تمددت تقى على الأريكة العريضة ، وضمت ساقيها معاً ، وإنكمشت بكتفيها إلى حد ما .. وقاومت بشدة رغبتها في النوم وجاهدت لتفتح عينيها الناعستين وهي تشاهد أحد الأفلام بالتلفاز ..

جلس أوس على الأريكة المجاورة لها ، وظل يهز ساقه بعصبية ، ويزفر في ضيق ، وأدار رأســه في الصالة ليتأمل الأثاث بها وهو يضغط على شفتيه بإمتعاض ..

أسند وجهه على كفه ، ولوى فمه قليلاً ..

كان بين الحين والأخــر يتابعها بنظرات مختلسة إلى لاحظ ثقل رأسها ، وبدء إستسلامها للنوم .. فإنتبهت حواســه ، وسلط أنظاره عليها ..

عدة دقائق بعدها ، وكانت تقى تغط في سبات عميق ..

تنهد أوس بإرتيــاح ، وهمس بسعادة :

-أخيراً .. !

نهض عن الأريكة ، وتوجه نحوها ، ثم مال بجذعه عليها ، وأمسك بحذر برأسها ليعدل من وضعيتها حتى لا تؤلمها نتيجة النوم بشكل خاطيء ..

تفاجيء بها تمسك بكفه ، وتهمس له بصوت ثقيل وناعس :

-ماتسبنيش !

حدق بها مندهشاً ، وتأملها بدقة فوجدها غافية ..

فرك رأسه بحيرة ، ومن ثم وجهه ، وتلفت حوله بتعجب ..

ثم عــاود النظر إلى كفها المتعلق بأصابعه ، فأطبق عليه بخفة ، وتنهد بإنهــاك .. ثم جلس على الأرضية اللامعة بحذر ..

ثنى أوس ركبته قليلاً ، ومط فمه ليهمس بتهكم سـاخر :

-بقى دي أخرتها ، أوس الجندي بهيلمانه كله ينام على البلاط !

اقترب برأسه من وجهها ، وتأملها بعشق حقيقي .. ثم تابع بتنهيدة حــارة على وجنتها :

-وكله عشان خاطرك انتي و بس !.............................. !

....

الفصل الخامس عشـر:

مــــرت عدة أيـــام ، وسكـــون حذر تسلل رويداً رويداً إلى تقى أثناء بقائها مع زوجها .. ومع هذا مازالت هناك بقايا هواجس إجبارها على فعل ما لا تريده تطاردها حينما تختلي بنفسها ، ولكنها تجاهد للتغلب عليها وإقناع عقلها بإستحالة حدوثه .. وساعدها – إلى حد ما – تصرفات أوس الرقيقة معها ..

كما تابعت حالتها الصحية طبيبة نسائية متخصصة تدعى بارسينيا ، ونصحتها بالإهتمام بصحتها أكثر خاصة بعد أن

لاحظت ذبولها وضعفها العام ، وأيضاً بالمواظبة على المتابعة الاسبوعية والشهرية معها في عيادتها الشهيرة لضمان سير باقي شهور حملها بسلاسة ودون وجود أي عقبات ..

كذلك إستعاد أوس عافيته ، وبدء يتماثل كلياً للشفاء بعد مواظبة الطبيب مؤنس على مداوته منزلياً .. وتابع إدارة أعماله عن طريق حاسوبه المحمول وشبكة الإنترنت ، ودائرة اتصالات مكثفة مع مديري مجموعاته ورفيقه عدي ..

حاولت تقى أن تعوض ما فاتها من فـروض خلال الأيام الماضية ، واستغرقت وقتاً في أداء كل صلاة حتى أنها لم تلاحظ مراقبة أوس لها ..

نعم لقد كان شغوفاً بمتابعة كل تفصيلة تخصها دون أن تدري ، وحتى تكون على طبيعتها ..

أسرت عينيه رؤيتها وهي ساجدة تناجي ربها ، تبث إليه همومها ، وتشكوه بعبرات صادقة ما يضيق به صدرها ..

ود لو كان مثلها .. نقياً ، طاهراً ، لم تدنسه الذنوب ، أو تغرقه الآثام حتى النخاع .. فيبوح بما يكنه في قلبه لمولاه وهو على يقين بالفرج القريب ...

أنشـأت تلك التصرفات العفوية صراعاً جديداً بداخله ، وأحدث تخبطاً فكرياً مزعجاً زلزل معتقداته الراسخة عن فعل المحرمات

بلا ذرة ندم واحدة .. فأصبح مذبذباً ، وأدرك – عن إقتناع – فســاد حياته اللاهية ....

عــادت الخادمة ماريا للعمل من جديد في المنزل ، وأشرفت عليها المدبرة عفاف و التي تولت بنفسها مهام إعداد الطعام وطهيه وخاصة لتقى .. وراقبت بسعادة إستقرار العلاقة بين الزوجين ..

أمــا عندما يحين المساء ، فتعود الإثنتين إلى منزليهما ليبقى أوس مع زوجته بمفردهما دون تدخل شخص غريب ..

كانت رهبة تقى تتجســد ليلاً ويزداد فزعها حينما تخلد للنوم في غرفتهما حيث تهاجمها أبشع كوابيسها المتمثلة في هيئة مهاب الجندي المخيفة وما ينتوي فعله بها وبجنينها .. وفي النهاية يضطر أوس إلى قضاء كل ليلة نائماً إما على الأريكة ، أو ممدداً على (لحــاف قطني) موضوع على الأرضية حتى مل ذلك الوضع ، وقرر التصرف بحرفية مع تلك المسألة المزعجة ..

....

اهتم عدي بزيــارة ليان مجدداً على فترات منتظمة لتعتاد على وجوده في حياتها ، واطمئن من تقارير الطبيب المعالج لها عن تحسن حالتها بصورة كبيرة ، وبشره بقرب خروجها من

المشفى .. فرقص قلبه طرباً ، وبدء يعد العدة لتلك المناسبة الهامة ....

....

استعانت إحســـان بجارة لها لتحضر لها من أحد تجار العطارة وصفة مميتة لإستخدامها مع بطة لإيذائها بشراسة .. وإدعت بالباطل رغبتها في الانتقام من امرأة سيئة السمعة تحاول الإيقاع بإبنها وإفساد حياته الزوجية ، فتعاطفت الجارة معها ، ولبت طلبها دون أدنى تأخير ...

....

رتبت هياتم جميع الأوراق والتصاريح الخاصة بزيارة تهاني لناريمان في محبسها بالسجن النسائي ، وتم تحديد يوم اللقاء المرتقب بينهما ، وأبلغت به تهاني لتستعد في الموعد المطلوب ...

....

كلف مهاب أحد أتباعه المخلصين بجمع معلومات هامة والتحري بدقة عن تهاني وعائلتها من أجل تنفيذ مخطط شيطاني قد وضع بذوره في عقله ليضمن التخلص نهائياً من ألد أعدائه دون أن يفعل شيئاً واحداً بيده ....

....

في منزل عبد الحق بالزقاق الشعبي ،،،

إلتوى ثغر إحســـان بإبتسامة خبيثة وهي ترفع ورقة مطوية - على هيئة قرطاس - في يدها أمــــام عينيها الحادتين ..

دققت النظر في تلك الورقة ، ولمعت عينيها ببريق شيطاني وهي تحدث نفسها بتشفي :

-هي دي اللي هاتجيب داغك يا بنت الـ *** .. !

ثنيت ساقها الممتلئة أسفل فخذها ، وتابعت بلؤم :

-ناقص بس أعمل الشويتين بتوعي على الواد عبده ، وأجيبه هنا ، وبعدها آآ....

قهقهت بصورة مخيفة وهي تهز القرطاس في يدها ، ثم أضافت :

-التحويجة هتتكلم !

....

في المقر الرئيسي لشركات الجندي للصلب ،،،

دلفت السكرتيرة إلى غرفة مكتب عدي وهي تحمل في يدها مظروفاً مغلفاً ، واقتربت منه لتردف حديثها بنبرة هادئة :

-عدي باشا ! الطرد ده جاي لحضرتك مخصوص !

رفع عدي رأسه ليرمقها بنظرات جادة قبل يوميء بعينيه لتضع المظروف على سطح مكتبه قائلاً بنبرة رسمية :

-سيبه وشوفي شغلك

-حاضر يا فندم !

قالتها السكرتيرة وهي تعاود أدراجها إلى خـــارج الغرفة ..

أمسك عدي بالمظروف ، وفضه ليتفقد محتوياته بعد أن أرجع ظهره للخلف في مقعده ..

مط فمه وهو يقرأ بإهتمام ما كُتب في الأوراق .. وتقوس فمه بإبتسامة متهكمة وهو يقول :

-ممم.. حلو أوي الكلام ده كله ! اخرتك قربت يا وفيق !

لقد أرســل عدي شخصاً موثوقاً به قبل عدة أيــام لجمع معلومات دقيقة عن كل ما يخص الصحفي وفيق وموقعه

الإخباري في سرية تامة بناءاً على أوامر أوس الجندي شخصياً حتى يطلع عليها حينما يسترد صحته ، فيرد الصاع صاعين لكل من تطاول باللفظ أو الفعل على زوجته ..

ألقى هـــو بالأوراق على سطح مكتبه في عدم إكتراث ، و تابع بتسلية :

-ده انت بنفسك هاتنول شرف مقابلة أوس الجندي ! بس مش هاتكون زي أي مقابلة !

شبك كفيه معاً وراء رأســه ، وأطلق صفيراً خافتاً وهو يدور بمقعده للخلف ...

....

في السجن النسائي ،،،،

جلست تهاني في الغرفة المخصصة لزيارة السجينات وهي تتأمل المكان بنظرات منزعجة ، وحمدت الله في نفسها على حريتها التي تنعم بها ..

لم يتوقف عقلها للحظة عن التفكير في سبب رغبة ناريمان في رؤيتها ، خاصة وأن الأخيرة لم تفعل سوى كل ما هو سيء في حياتها .. فلم تتوقع حسن نيتها ..

رفعت بصرها في إتجاه تلك المقبلة عليها ، وضيقت عينيها لتمعن النظر في ملامحها المألوفة ..

فغرت فمها مدهوشـة وقد تعرفت عليها .. وهتفت بلا وعـي وحاجبيها منتصبان للأعلى :

-نـ.. ناريمان !

لقد تبدل حالها كثيراً ، فلم تعدْ تلك السيدة الجميلة المتباهية برقيها وطبقتها الإجتماعية .. بل بدتْ أكبر عمراً ، وأكثر شحوباً وإرهاقاً ..

نهضت ببطء من على المقعد الخشبي المسطح ، ورمشت بعينيها في عدم تصديق ..

وقفت ناريمان قبالتها ، وحدجتها ببقايا نظرات تحمل الكبرياء والعزة ، وأردفت قائلة بثبات وهي ترفع رأسها للأعلى :

-هاي يا تهاني !

ردت عليها تهاني وهي تبتسم بسخرية :

-لسه زي ما إنتي !

أجابتها ناريمان بهدوء مريب وهي تجلس على المقعد :

-مافيش حاجة هاتغيرني

سألتها تهاني بحدة بعد أن جلست هي الأخرى :

-طلبتي تشوفيني ليه ؟

ردت عليها بثبات وهي شامخة الرأس :

-لأن مصلحتنا واحدة

هتفت بها تهاني بتذمر وهي تلوح بذراعها :

-ازاي واحدة واحنا بينا مصانع الحداد ؟

ابتسمت لها ناريمان بتهكم مجيبة إياها بـ :

-ده كان زمان ، لكن دلوقتي احنا مضطرين نسيب أي خلافات بينا على جنب ، ونتعاون مع بعض !

سألتها بإقتضاب وهي عابسة الوجه :

-عشان ايه ؟

اخــذت ناريمان نفساً عميقاً ، وزفرته على مهل ، وأجابتها بتنهيدة تحمل الحقد :

-مهاب !

جحظت تهاني بعينيها ، وهتفت بصدمة :

-هــاه ! مين ؟

ردت عليها بنبرة مغلولة :

-ايوه ماتستغربيش !

صمتت لثوانٍ عدة قبل أن تفسر لها قائلة :

-احنا الاتنين غرضنا ننتقم من مهاب ، هو استغل كل واحدة فينا عشان مصلحته وبس ، وبعد ما خد اللي عاوزه ، نسفنا ، وزي ما انتي شايفة حالنا الوقتي بقى ازاي !

ردت عليها تهاني بحنق وهي ترمقها بنظرات ساخطة :

-انتي اللي عملتي كده في نفسك !

تشنجت تعابير وجهها المجعدة وهي تادفع عن نفسها قائلة بحدة :

-لأ مش أنا ، هو اللي أجبرني على ده !!

أشــارت تهاني بإصبعها وهي تقول :

-ماتبرريش غلط بغلط ، إنتي آآ....

قاطعتها ناريمان بنبرة قوية وصارمة :

-احنا مش جايين نتحاسب على اللي عملته ومش عملته ، انتي نفسك طالك من أذاه كتير ، وآآ...

-وكفاية إنه حرمك من عيالك

قالت تلك العبارة وهي تتعمد الضغط على كل حرف فيها ليصل مدلولها إلى تهاني التي هتفت بلا وعي :

-انتي كنتي معاه ، وساعدتيه على ده ، يعني شريكته في الجريمة !!!

-ممم..

نهضت فجــأة عن مقعدها ، وتابعت بحنق وهي تحدج ناريمان بنظرات جارحة :

-أنا مش عارفة أصلا ايه اللي جابني هنا اتكلم معاكي ، المفروض كنت آآ...

قاطعتها ناريمان بهدوء حذر وهي ممسكة إياها من ذراعها :

-اقعدي واسمعيني ، ده مش وقت عتاب بينا !

أزاحت تهاني قبضتها عنها ، وهتفت محتجة :

-انتي مفكرة إني جاية هنا عشان أعاتبك ؟! لأ أنا جاية آآ...

قاطعتها مجدداً بنبرة عصبية :

-تهاني اسكتي واسمعيني للأخـر ، أنا أقدر أقولك على الطريقة اللي هاندمر بيها مهاب الجندي ، وتاخدي بإنتقامك منه !

أثارت تلك الكلمات الأخيرة إهتمام تهاني بشدة ، وفغرت شفتيها مشدوهة .. فجذبتها ناريمان من ذراعها لتجلس على المقعد الخشبي ، وأردفت قائلة بمكر :

-ايوه .. أنا أعرف عنه أكتر من حاجة هو مايتخيلش إني عارفاها

إلتوى فمها بإبتسامة خبيثة ، وتابعت بثقة :

-لأ وبالمستندات كمان !

اتسعت حدقتيها أكثر ، وتسائلت بصدمة :

-ايه ؟

أضافت ناريمان قائلة بنبرة متريثة :

-ركزي معايا ، واسمعيني للأخــر ، وأنا هافهمك على كل حاجة !

....

في منزل أوس الجديد ،،،

أعدت المدبرة عفاف صحناً مليئاً بالفواكه الطازجة لتقى لكي تتناوله ، وبالفعل أمسكت به الأخيرة والتقطت بضع قطعٍ منه لتلوكها في فمها وهي تشاهد التلفاز ..

خــرج أوس من غرفة مكتبه وهو يطفيء سيجارته في المنفضة ، وتابع حديثه في هاتفه الموضوع على أذنه قائلاً بجدية :

-5 دقايق بالكتير ! تمام

أنهى المكالمة ، وأشــار إلى عفاف بيده وهو يقول بجدية :

-خلي تقى تدخل الأوضة ، في مندوبين جايين الوقتي هيغيروا الانتريه !

عقدت ما بين حاجبيها في استغراب ، واعترضت قائلة :

-بس ده لسه جديد وآآآ...

قاطعها بصوت صـــارم :

-عفاف ، أنا مابحبش الرغي الكتير !

هزت رأسها موافقة ، ورسمت ابتسامة سخيفة وهي ترد قائلة :

-حاضر .. اللي تؤمر بيه يا باشا !

ابتسم لها ممتناً ، وتابعها بنظراته وهي تتجه إلى تقى وتحدثها بخفوت وهي محنية عليها ، فإستجابت الأخيرة لطلبها ،ونهضت معها في إتجاه غرفة النوم ...

بعد لحظات سمع أوس قرعاً على باب المنزل ، فأمـر خادمته ماريا بصرامة :

-Open (افتحي)

-Yes, sir (حسناً سيدي)

وقفت ماريا أمـــام باب المنزل بعد أن فتحته ، وتنحت جانباً لتفسح المجال لبعض العاملين للدخـــول بعد أن رأت معهم أريكة جديدة ، وغريبة ..

أسند العاملون الأريكة ، وأعادوا تنسيق وضعية الصالة ، وعدلوا من تنظيم غرفة المعيشة وفقاً لمار رأه أوس مناسباً ، ثم تحدث معهم بجدية ، ووقع على إيصـــال ما ، وأشـــار لماريا بيده لتوصلهم للخـــارج بعدما حملوا الأريكة القديمة ..

أمســـك بالهاتف مجدداً ، ووضعه على اذنه ، وانتظر للحظات قبل أن ينطق بجدية :

-ها يا دكتور مؤنس ، عملت ايه ؟

رد عليه مؤنس هاتفياً :

-كل خير ، خلاص أنا حجزتلها معاها ، اطمن

أخفض أوس من نبرة صوته وهو يتابع محذراً :

-مش عاوز حد يعرف الموضوع ده

رد عليه مؤنس بهدوء :

-حضرتك متقلقش ، كله بيتم في سرية تامة زي ما أمرت

هز أوس رأسه مردداً بجدية :

-عظيم ! وانت هتلاقينا في الميعاد هناك

أضــاف مؤنس قائلاً :

-في انتظار سيادتك !

....

رفضت تقى طلب المدبرة عفاف لها بالتمدد على الفراش ، وإكتفت بالجلوس على الأريكة الوثيرة ، وتحاشت النظر نحوه ..

تعجبت عفاف من الموقف الذي إتخذته ، وسألتها بإندهاش ونظراتها الغامضة محدقة بها :

-ليه بس ؟ ده احسنلك يا بنتي

ردت عليها بإصرار وهي تشيح بوجهها للجانب :

-مش برتاح إلا هنا

وقفت عفاف قبالتها ، وابتسمت لها وهي تقول بهدوء :

-المفروض تفردي جسمك عليه ، ده انتي في أول حملك وآآ..

قاطعتها تقى بنبرة شبه منفعلة ، وقد إكتسى وجهها بحمرة شبه غاضبة :

-ست عفاف الله يخليكي ، بلاش تضغطي عليا

أشارت لها بكفها وهي ترمقها بنظرات حانية لتتابع بإهتمام :

-يا بنتي أنا يهمني مصلحتك وعاوزاكي تكوني مرتاحة

زفرت تقى بصوت مسموع ، وعقدت ساعديها أمام صدرها لتردد بنبرة معاندة :

-أنا مبسوطة كده

يئست عفاف من محاولة إقناعها ، فهمست بإحباط :

-ربنا يهديلك حالك ويريح بالك !

-تعالي يا تقى !

قالها أوس وهو يدلف للغرفة ووجهه مكسو بعلامات جــادة للغاية

نظرت له تقى بقلق ، وسألته متوترة :

-فـ .. في ايه ؟

أمسك بكف يدها ، وأجبرها على النهوض ، وأجابها بإبتسامة متسلية :

-متقلقيش ، عاملك مفاجأة

زادت تعابير وجهها إندهاشاً ، ولوت شفتيها لتقول بتعجب :

-مفاجأة !

أومــأ برأسه إيجاباً ومجيباً إياها بسعادة :

-أهــا ، حاجة هتعجبك !

سألتها بإيجاز وهي تحاول تخمين طبيعة المفاجأة التي أعدها لها :

-ليه ؟

سحبها خلفه وهو يجيبها بمرح :

-تعالي شوفي بنفسك

خـــرج الاثنين إلى الصالة الخارجية ، وأشـــار أوس بعينيه نحو أحد الزوايا ، فأمعنت تقى النظر في ذلك الإتجاه ، ثم رفعت حاجبيها للأعلى ، وإنفرجت شفتيها بذهول وهي تهتف قائلة :

-ايه ده ؟ انت وديت الكنبة فين ؟

أجابها بإختصـــار جاد :

-شلتها خالص

أدارت رأسها في إتجاهه ، وسألته بإستفهام :

-طب ليه ؟

رد عليها بمكر وهو يغمز لها :

-دي أحسن لنا احنا الاتنين

فهمت تقى المغزى من حديثه ، وتوردت وجنتيها نوعاً ما بحمرة خافتة ، وإزدردت ريقها بتوتر .. ثم سحبت كفها من قبضته ، وهتفت بإعتراض غريب :

-لالا .. انا عاوزة القديمة !

اقترب أوس من الأريكة العريضة ، وبدء في شرح طريقة التعامل معها وهو يقول بهدوء :

-استتني كده وافهمي ، دي بتتفرد من هنا وبتبقى أعرض ، وكمان آآ....

عقدت تقى ساعديها أمـــام صدرها ، ومطت شفتيها للأمـــام وهي تتابع حديثه بإهتمام ...

نظرت إليهما عفاف بإستغراب ، ولم تستطع حديثها الغامض هذا ، فهزت كتفيها في عدم مبالاة ، ورددت بخفوت :

-أنا مش فاهمة هما بيتكلموا عن ايه ، هاسيبهم على راحتهم وأروح اشوف ورايا ايه !

إستأنف أوس حديثه قائلاً بتمهل :

-وطبعاً زي ما بأدور على راحتك هادور برضوه على راحتي

أرخت تقى ساعديها ، وردت عليه بتذمر وهي عابسة الوجه ومشيرة بيدها :

-انت تعبان في ايه ؟ عندك السرير جوا نام عليه براحتك ، وانا بأنام هنا !

لوى فمه بإزدراء ، وهتف بتجهم :

-يا سلام ! أنام جوا !

هزت رأسها بإصرار ، ورددت بثبات :

-ايوه !

انفعل أوس نوعاً ما من طريقتها الباردة وعدم المكترثة به ، وصـاح بصوت غاضب :

-وكوابيس كل يوم والحالة اللي بتكوني فيها ، انتي مبتشوفيش نفسك ساعتها وآآ..

إرتجفت تقى على إثر صوته .. وتوترت نظراتها ، وبدأت تتراجع للخلف ، فتوقف عن إكمـال حديثه بعد أن أدرك خطئه ، واقترب منها بحذر وهو يعاتب نفسه قائلاً :

-أنا مقصدش ، بس صدقيني يا تقى ، أنا خايف عليكي ، ومش عاوز حاجة تضايقك ولا آآ..

قاطعته بنبرة مرتجفة وهي تشير بيدها :

-أنا ..آآ.. د.. داخلة الحمام !

ثم أولته ظهرها ، وأسرعت في خطواتها لتبتعد عنه ، فضغط على شفتيه بقسوة ، وركض خلفها ، ليمسك بها من ذراعها ، وهو يهتف بندم :

-تقى استني !

إرتعشت من لمسته ، وظلت محدقة أمامها وهي تتنهد بصورة شبه متوترة ..

أدارها أوس في إتجاهه ، وإحتضن وجهها بكفيه ، وهمس لها بإبتسامة عذبة :

-متزعليش ، أنا مقصدش أعلي صوتي !

أجفلت عينيها للأسفل ، ولم تطالع وجهه المحدق بها ، ورفعت يديها لتزيح راحتيه عن وجهها بضيق ،وهتفت بصت شبه مختنق :

-خلاص ، أنا عاوزة أخش الحمام

زادت إبتسامته العابثة إتساعاً ، وهمس لها :

-مش وإنتي زعلانة كده

ظل وجهها عابساً وهي تهتف بضجر :

-مش زعلانة !

ثم أدارت ظهرها لتتحرك ، ولكنها تفاجئت به يمسك ذراعها ، ويجذبها نحو صدره ليضمها إليه ، ثم إحتضنها بذراعيه ، وأطبق عليها بشدة .. وأسند طرف ذقنه على رأسها ، وتابع قائلاً بغصة :

-مش عاوزك تخافي مني ، لسه الإحساس ده بأحسه منك يا تقى ، أنا اتغيرت كتير ، ولسه بأتغير عشانك

ردت عليه بتلعثم :

-أنا .. أنا مش خايفة منك !

تنهد بحرارة وهو يضيف بعتاب :

-لأ يا تقى ، مش بالكلام ، أنا حاسس بيكي ، ونظراتك ليا لما بأعلي صوتي أو انفعل بتأكد شعوري ده

ابتلعت ريقها بإرتباك واضح من حديثه الصادق ، فقد إستشعر إحساسها الذي ينتابها حينما يهتاج ، أو تبدو عليه بوادر الغضب ..

أغمضت عينيها ، وتنفست ببطء لتسيطر على خوفها المبرر ...

أرجع أوس رأســه للخلف ، وأسند إصبعيه على طرف ذقنها ليرفع وجهها نحوه ، ونظر لها بأسف ، وهو يقول بحذر :

-نفسي تثبتيلي إنك مش خايفة مني !

حدقت فيه بعدم فهمت ، وهمست متسائلة بإرتباك :

-ازاي ؟

أثارته عينيها النقيتان للتمتع بهما ، وأغرته شفتيها المرتعشتين لتقبيلهما .. وما أجج شعوره هو سكونها في أحضانه ..

فلم يدرْ بنفسه وهو ينحني عليها ليتلمس بفمه شفتيها ، ويطبع أول قبلة رقيقة عليهما بعد كل ما مرا به سوياً ..

تفكير جامح دفعه لفعل هذا ليثبت لها أنه لم يعد كما كان ..

ثم أعــاد رأسه بحذر للخلف وهو يراقب ردة فعلها بعد أن أبعد كفيه عنها ..

تسمرت تقى في مكانها مصدومة ، ورمشت بعينيها في عدم تصديق ..

وتسائلت بإضطراب واضح في تفكيرها ، هل توهمت ما فعله تواً .. وأنه حقاً قبلها ؟ والأدهى من هذا أنها لم تصرخ كالمعتاد أو تقاومه ، أو حتى تستنكر فعلته ..

عاتبت نفسها بشدة لإستسلامها الغريب والغامض لذلك الإحساس الجامح الذي تخللها فجـأة ، وإستعمر كيانها ..

اضطراب رهيب أصــاب معدتها ، وزادها توتراً ..

حـــاول أوس ألا يترك لها فرصة للتفكير ، فأمسك بكفيها ، وفركهما بأصابعه ، ثم أكمل حديثه بهدوء وكأنه لم يفعل شيء يخجل منه :

-على فكرة احنا عندنا ميعاد مهم النهاردة ، ويهمني أوي إنك تروحيه

إزدردت ريقها ، وسألته بنبرة مرتبكة :

-ميعاد ايه ؟

ابتسم لها وهو يجيبها بحماس :

-أنا عاوزك تقابلي واحدة زيك كده هتحبيها أوي أول ما تشوفيها

رددت بصوت متقطع وهي ترمش بعينيها :

-واحدة

أومــأ برأسه بخفة ، وأطلق تنهيدة مطولة وهو يجيبها بتمهل :

-أيوه ، ليــان ! أختي ..!

....

في المقر الرئيسي لشركات الجندي للصلب ،،،

عـــادت السكرتيرة مجدداً لغرفة مكتب عدي ، ووقفت قبالته لتردف حديثها بهدوء :

-سوري على الإزعــاج يا فندم ، بس في واحد مُصر يقابل سيادتك أو الباشا أوس ، وجــه لأكتر من مرة الشركة

عقد عدي ما بين حاجبيه ، وسألها بإهتمام :

-مين ده ؟ وعاوز ايه ؟

أجابته بنبرة دبلوماسية :

-هو بيقول إنه كان شغال عند أوس باشا في الأمن ، واسمه أحمد !

انتصب عدي في جلسته ، وفـرد كتفيه وهو يردد بصلابة :

-أحمـد ! جاي ليه ؟!

-اتصرف معاه ازاي يا فندم ؟

قالتها السكرتيرة وهي تطالعه بجدية

أشــار لها بإصبعه قائلاً بصرامة :

-طلعيه يقابلني ، بس يتفتش كويس قبل ما يجي هنا

هزت رأسها ممتثلة لأوامره ومجيبه إياه بإيجاز بـ :

-حاضر !

انصرفت السكرتيرة من الغرفة ، فنفخ عدي من الضيق ، وتسائل مع نفسه بفضول :

-ايه اللي جايبه هنا ؟ وهايكون عاوز ايه من أوس ؟

....

في منزل تقى عوض الله ،،،

اعتصرت فردوس الخرقة البالية بعد أن مسحت بها الصــالة ، فلمحت بطرف عينها زوجها وهو يتجه نحو باب المنزل ، فإعتدلت في وقفتها ، وتسائلت بإندهاش :

-رايح فين يا عوض ؟

إتكأ على عصاه وتابع سيره بخطواته البطيئة ، وأجابها بضجر :

-زهقت من أعدة البيت ، فنازل الجامع شوية

مسحت فردوس كفيها المبتلين في جانبيها ، وهتفت معترضة :

-نــازل ، ليه يا راجل ؟ ما انت قاعد هنا !

زفــر عوض بضيق ، وأكمل قائلاً بإحباط :

-تعبان وزهقان ، عاوز اشوف وشوش جديدة

تحركت فردوس ناحية باب المنزل ، وتجهمت بوجهها وهي تصيح بتذمر :

-ايه التخاريف دي ، انت عاوزني أسيبك تنزل تتوه ولا يجرالك حاجة ومعرفش اوصلك ، لأ ياخويا خليك أعد أحسن !!

نظر لها عوض بإستغراب ، وهتف بصوت متحشرج :

-اتوه ، انا رايح بيت ربنا يا ستي !

هزت رأسها محتجة :

-لأ .. مش لوحدك !

-لا حول ولا قوة إلا بالله

قالها عوض وهو يزفر بيأس ..

وضعت فردوس يدها على كتفه ، وأردفت قائلة بهدوء زائف :

-يا عوض اسمعني ، أنا خايفة عليك ، انت بتنسى ، وبتعرج وآآآ..

قاطعها عوض بإصرار وهو يبعد يدها عنه :

-حاسبي ، بردك مش هاقعد

نفخت فردوس بنفاذ صبر ، وأيقنت أن زوجها لن يثنيه عن رأيه أي شيء ، لذا سألته بهدوء مصطنع :

-طب قولي هاتعمل ايه في الجامع ؟

رد عليها بإمتعاض :

-هاصلي وأرجع على طول

زمت فمها لتقول على مضض :

-طيب ، بس سايقة عليك النبي تاخد بالك من نفسك

-ربنا يسهل ، تُوكلنا عليك يا رب

قالها عوض وهو يفتح باب المنزل ليلج إلى الخـــارج ..

راقبته فردوس وهو ينزل على الدرج بحذر ، وغمغمت بتذمر وهي ترفع حاجبيها للأعلى :

-الراجل خرف ولا ايه ، هي ناقصة قلق عليه هو التاني !!

ثم عـــادت للداخل مجدداً ، وإستأنفت باقي أعمـــال المنزل من تنظيف وترتيب وكنس ..

دقائق مرت ، وإستمعت إلى دقات قوية وثابتة على باب منزلها ، فمسحت كفيها في ثيابها ، واتجهت نحوه لتفتحه وهي تردد لنفسها بضجر :

-يكونش الراجل رجع في كلامه ، وقال يقعد في البيت !

لوت فمها بتهكم وهي تضيف :

-هو عقله فيه أصلاً ، يا مهون يا رب !

رفعت فردوس نبرة صوتها وهي تمسك بالمقبض :

-أيوه يا عوض ، أنا جاية أهوو !

شهقت مصدومة حينما فتحت الباب ورأت ذلك الرجل المهيب – والبغيض - أمامها .. وكانت على وشـك الصراخ مستغيثة بجيرانـها حينما ظنت أنه قد جـاء للتعدي عليها .. ولكن أوقفها صوت مهاب الغليظ متسائلاً بـجمود بعد أن حدجها بنظراته الحادة :

-انتي فردوس ؟

....

في منزل عبد الحق بالزقــاق الشعبي ،،،،

إنتحبت إحســان بدموع زائفة وهي تمسح أنفها في طرف كمها ، وأخذت تشهق بصوت مكتوم لتثير عطف ابنها الجالس إلى جوارها ..

إمتعض وجه عبد الحق ، وربت على ظهرها بحنو ، وهتف قائلاً بإستعطاف :

-الله يكرمك يامه ، كفاية قطعتي قلبي !

هتفت بصوت مختنق وهي تكفكف عبراتها :

-أل يعني تمر فيك ، ما إنت قاطع بيا وسايبني !

رد عليها بتعجب من تصرفاتها الغامضة :

-ليه بس ؟ ده أنا يوم بعد يوم عندك !

ضيقت عينيها قليلاً ، وأخفضت نبرة صوتها لتقول بمكر :

-طب يا ضنايا ماتجي تقضي يومين هنا مع مراتك

هتف بها بصوت محتد :

-تاني يامه ، مش فضيناه الموال ده ، وكل واحد بقى في حاله !

صاحت فيه بصوت شبه منفعل وهي تلكزه في كتفه :

-يا باي ، ما اني أعدة لوحدي ، ومحدش سائل فيا

رد عليها بضجر :

-هابقى اجيلك كل يوم

لوت فمها لتضيف بعتاب :

-هو انت بتحسب عليا الشوية دول ؟

ثم هزت حاجبها لتقول بتهكم :

-ولا تلاقي المحروسة مراتك موصياك !

هتف عبد الحق بنفاذ صبر وهو يشير بذراعيه :

-يامه أنا مش عاوز مشاكل !

أسندت وجهها على مرفقها وهي تقول بتنهيدة :

-لا مشاكل ولا دياوله ، تعالى قضي اليوم هنا وهاتها ، وأنا ياخويا مش هاكلمها !

عبس وجهه قائلاً بإعتراض:

-مافيش داعي يامه ، انا كده مرتاح !

سـألته بخبث وهي ترمقه بنظرات غريبة :

-طيب هافرح بعوضك امتى ؟

نفخ بصوت مسموع وهو يجيبها بضيق :

-لسه بدري يامه

ردت عليه بتهكم وهي تحرك فمها للجانبين :

-بدري ايه بس ، ده اللي زيك مراته حبلى في التاني ولا التالت !

تنهد قائلاً بضجر :

-ادعيلنا ربنا يسهل الحال

لمعت عيني إحسان ببريق شيطاني ، وإلتوى فمها وهي تهمس قائلة :

-طب انا عندي تحويجة حلوة قالتلي عليها الولية أم نجاح

قطب جبينه مردداً بإستغراب :

-تحويجة ؟!

إرتسمت إبتسامة ماكرة على ثغرها وهي تضيف بثقة :

-ايوه ، دي بتجيب من الأخـــر !

ضاقت عيني عبد الحق ، وزم فمه ليقول بسخط :

-هو أنا بتاع الحاجات دي يا أم عبده

لكزته في ذراعه ، وهتفت بجموح :

-ياض ده أنا عجناك وخبزاك ، اسمع مني للأخر !

رد عليها بنفاذ صبر وهو يحك رأســـه بضجر :

-قولي يامه ، أما أشوف أخرتها معاكي ايه !!! ....

....

الفصل السـادس عشـر (الجزء الأول) :

في منزل عبد الحق بالزقـاق الشعبي ،،،

دست إحســان يدها في جانب الأريكة ، وسحبت منه عبوة بلاستيكية صغيرة مجهولة الهوية وغير متضح معالمها ، ومدت بها يدها نحو ابنها وهي تقول بلؤم :

-خد الوصفة دي ياض

تناولها منها عبد الحق ، ونظر لها متفحصاً إياها وهو يديرها بأصابعه ، وتسائل بفضول :

-وصفة إيه دي ؟!

أجابته بنبرة واثقة وعينيها تلمعان ببريق مخيف :

-دي ياخويا كريم أبصر ايه معمول من الأعشاب الطبيعية ، حاجة لزوم السعادة الزوجية

فغر فمه بإستغراب :

-هــاه !

بينما تابعت بجدية وهي تربت على فخذه :

-وكل اللي جربها ربنا كرمه !

سألها مستفهماً وهي قاطب جبينه :

-ودي مين قالك عليها ؟

أجابته بمكر وهي تضيق عينيها :

-الولية أم نجاح الداية ، وجايبها من واحد مخصوص بيعملها بس للي عاوز !

إزدرد ريقه وهو يسألها بإهتمام :

-هـــاه ، ودي .. دي آآ.. مضمونة ؟

لوحت بيدها وهي تجيبه بتفاخر :

-إلا مضمونة ، دي متجربة ، وجابت نتيجة مع نسوان كتار

حك طرف ذقنه ، وتسائل بفضول أكبر وهو يدقق النظر في العبوة :

-وآآ.. ودي استخدمها ازاي ؟

إلتوى ثغرها وهي تردد بهمس :

-انت تدعك بيها ايدك كويس قبل ما تخش على مراتك ، والمحروسة تدهن بيه جسمها من تحت ، وآآ.. وهتدعيلي !

مسح عبد الحق طرف أنفه ، وفكر للحظة في محتويات تلك العبوة ، وما قد تسببه من أضرار لزوجته .. خاصة أنه يتوقع سوء نية والدته ، لذا ضيق عينيه بشدة متسائلاً بقلق :

-انتي متأكدة يامه إنها مش بتعمل مشاكل ؟

صاحت به إحســـان بصوت شبه متعصب :

-يا واد بأقولك وصفة طبيعية من الأعشاب ، ومن الطب النبوي

ثم مدت يدها لتختطف منه العبوة وهي تضيف بضيق زائف :

-ولو مش مصدق هاتها ، خسارة فيك وفيها

أبعدها عن يد والدته ، وهتف بإصرار :

-خلاص يامه ، هاخدها !

تقوس فمها بإبتسامة مخيفة ، وهمست بشماتة :

-جربها ، وأنا أوعدك مش هاتندم

ابتلع ريقه وهو يرد عليها بإيجاز :

-ربنا يستر !

....

في منزل تقى عوض الله ،،،،

حدج مهاب الجندي فردوس بنظرات جـــارجة وهو يقف على عتبة منزلها مردداً بصلابة :

-انتي فردوس ؟

أجابته بتلعثم وهي تهز رأسها إيجاباً :

-اه ، أنا ! إنت .. إنت بقى مين ؟

أكمل مهاب حديثه بغموض دون أن تطرف عينيه القاسيتين :

-أنا مهاب الجندي ، طليق تهاني أختك ، أكيد سمعتي عني !

شهقت بصدمة وهي جاحظة العينين :

-هـــاه ، إنت أبو آآ...

قاطعها بصوت قاسي ونظراته القاتمة تتأملها بإحتقار :

-أيوه ، وأبو أوس الجندي ، غني عن التعريف طبعاً !

توقف للحظة ليكمل بعدها بصوت جــاد يحمل الغموض :

-و جايلك انتي وبس ، ولمصلحتك تسمعيني ، ده لو عاوزة تستفيدي !

أثارت تلك الكلمات المقتضبة إهتمامها ، وبدت غير معترضة ، فتابع قائلاً بهدوء :

-ها ينفع نتكلم هنا ولا ..آآ

إشــرأب بعنقه للأعلى ليضيف بحذر :

-ولا في حد تاني معاكي ؟

إزدردت ريقها بتوتر وهي تهز رأسها نافية ..

لا إرادياً تنحت جانباً .. وأفسحت له المجــال ليمر ، فقد إستشعرت وجود شيء ما سوف تستفيد منه ، خاصة وأنه يقصدها هي فقط ...

خطى مهاب للداخل وهو ينظر حوله بإحتقار ، فالمكان لا يليق بمستواه الراقي ، ولا بمكانته المرموقة في المجتمع .. فبالنسبة له هذا المنزل المتواضع ما هو إلا بالوعة تجتمع فيها القاذورات .. ولكنه كان مضطراً للمجيء إلى هنا من أجل إنهــاء كل المشاكل العالقة كما إعتاد أن يفعل بنفسه ..

أغلقت فردوس الباب بهدوء بعد أن تطلعت بعينيها للخــارج بتتأكد من عدم متابعة أي أحد لها من الجيران .. ثم إستدارت لتنظر ناحيته وتسائلت بتوتر :

-إنت .. انت عاوز مني ايه ؟

زم فمـــه ليبدو التأفف واضحاً على تعابيره الجامدة ، وأجابها بتريث :

-مليون جنية ليكي انتي وبس لو نفذتي اللي هاطلبه منك بالحرف !

إنفرجت شفتيها في عدم تصديق وهي تردد بتلعثم :

-هـــاه .. مليون جنية

أومـــأ برأســـه وهو يجيبها بثقة موجزة :

-ايوه

تداخلت أفكارها ، واضطربت بعد سمـــاع هذا المبلغ الضخم .. فســألته مستفهمة :

-بتوع ايه دول ؟ وعشان ايه ؟ واشمعنى أنا وآآ...

رفع يده أمام وجهها ليخرسها عمداً ، وقائلاً بصرامة :

-ششش .. هافهمك كل حاجة ، بس بشرط ، لو وافقتي هتتفتحلك أبواب السعادة والهنا ، وهاتشوفي اللي عمرك ماشوفتيه معايا

اقترب منها خطوة واحدة ليضيف بتهديد جامح :

-أما إذا رفضتي ، وده حقك طبعاً ، إستعدي للجحيم اللي عيلتك هاتشوفه !

ابتلعت ريقها بخوف ،ورمشت بعينيها وهي تردد :

-هــاه ، إنت آ..

أردف قائلاً بشراســـة وهو يحدجها بنظراته الجارحة :

-انتي بإيدك تختاري !

اضطربت وهي تســألـه بحيرة :

-وطلباتك دي ايه ؟

تقوس فمه بإبتسامة شيطانية وهو يجيبها :

-هو طلب واحد بس !

سألته بقلق وهي محدقة به :

-ايه هو ؟

صمت لبرهـــة ، ومن ثم أجابها بصوت قاتم :

-بنتك تجهض اللي في بطنها

إتسعت عينيها رعبت ، وشهقت بإسمها بفزع :

-تقـــى !!

إستأنف حديثه بمكر وقد برقت عينيه ببريق شرس :

-ايوه ، وهتاخدي مليون جنية لو نفذتي ده .. شوفي بقى لما يكون معاكي الفلوس دي كلها هاتعملي ايه بيها !

تقطع صوتها وهي ترد عليه :

-بس .. بس ده ضناها وآآ..

أولاها ظهره ، ودس يده في جيب بنطاله ، وقاطعها ببرود قاسي :

-كده كده هي مش هتولد أصلاً ، فتجهض على ايدك انتي أحسن ما تجهض على ايدي وتخسري بنتك خالص ، والفلوس وكل حاجة !!!

سألته بحدة زائفة وهي تتابعه بنظراته المرتعدة :

-ده تهديد ؟

أدار رأســه في إتجاهها ، وأجابها بعدم إكتراث وهو يهز كتفيه :

-سميه تهديد ، إتفاق ، مش هاتفرق ، المهم تفكري وتختاري !

زادت حيرتها وخوفها على حياة ابنتها ، وأدركت مدى الخطر المحدق بها ، فحاولت أن تستفهم أكثر منه ، ولكن عجزت الكلمات عن الخروج من فمها .. فمن يقف أمامها ليس بشخص عادي، وإنما شيطان تجسد في هيئة بشري ..

جف حلقها وهي تجاهد للحديث بـ :

-أنا .. أنا

إتجه ناحية الباب ، وأشـــار بيده وهو يضيف بهدوء قاتل :

-أنا لو خرجت برا باب البيت ده هاعتبر الإتفاق لاغي ، فقرري الوقتي ، بس اعملي حسابك بنتك مش هايطلع عليها نهار ، هي تحت رحمتي !

-آآ..

راقبها مهاب بتلذذ ، فقد أصـــاب رأيه فيها ، هي امرأة هشة ، لن تتحمل أي ضغط ، وستنهار أمــام تهديداته القوية ..

أخــذ نفساً عميقاً ، وزفره بهدوء وهو يتابع بعدم إكتراث :

-واضح كده إنك مش عاوزة تتفقي ، اعتبري اللي قولناه لاغي ، وآآ...

قاطعته بصوت لاهث وبلا أدني تفكير :

-ماشي .. أنا موافقة !

إلتوى فمه بشدة ، وهتف بإيجاز :

-تمـــام !

ازدردت ريقها بندم ، فقد قايضت جنين ابنتها بحياتها ، وقبلت بالثمن الباهظ الذي عرضه عليها ..

هي وقعت بين خيارين ، واختارت أقلهما ضرراً من وجهة نظرها ، وما سيعود عليها بالنفع في النهاية .. فتلك الزيجة لم يأتي من ورائها إلا المصائب .. والأفضل أن تنتهي أي روابط مع تلك العائلة المتسلطة حتى لو كان الأمــر على حساب إبنتها ..

خشيت فردوس أن يكون ذلك الرجل يستغل جهلها ، ويدبر لها مكيدة ، فتسائلت بقلق :

-بس .. بس إيه اللي يضمني إنك آآ.. إنك هاتدفع ومش نصباية منك ؟

دس مهاب يده في جيب سترته الداخلي ، وأخـرج ورقاً مطوية منه ، ثم مد ذراعه نحوها ، وتشدق قائلاً :

-ده شيك بنص المبلغ معاكي ، تقدري تصرفيه من النهاردة لو عاوزة !

اختطفت فردوس (الشيك) منه ، وحدقت فيه بنظرات مذهولة وهي تعد تلك الأصفار التي تملأ الفراغ به ..

غمغمت بعدم تصديق وهي تقرأ ما دون فيه .. ولكن قطع فرحتها صوت مهاب المهدد :

-بس لو خالفتي الإتفاق يبقى استحملي انتي وبنتك وجوزك اللي هيجرالكم

إرتسم على ثغرها ابتسامة راضية وهي تردد :

-اطمن .. أنا .. أنا عند كلمتي !

سيطرت حالة من الثقة على مهاب بعد أن عقد مع تلك المرأة (اتفاق الشيطان) من أجل التخلص ممن أفسـدت حياة ابنه ، وأبعدته عنه ..

....

في سيارة أوس الجندي ،،،

جلست تقى في المقعد الخلفي ، وحدقت بالنافذة الملاصقة لها ..

وعلى قدر الإمكان تحاشت النظر إلى أوس الجالس إلى جوارها ، وإستندت بطرف ذقنها على مرفقها ..

كانت السيارة قد تحركت بهما قبل قليل نحو وجهتها .. وتبعت السيارة سيارة حراسة خـاصة لتأمين الحماية لهما ..

تجسد أمـــام مخيلة تقى تلك اللحظة العابرة التي اختطف فيها قبلة منها ..

أغمضت عينيها لتبعد المشهد عن تفكيرها ..

توردت وجنتيها خجلاً .. ودت لو قاومته وإستنكرت فعلته تلك حتى لا يظن بها الظنون ..

لكن ذلك التخبط الذي يشوب مشاعرها يجعلها حائرة ما بين القبول والرفض ..

تنهدت بصوت مسموع ، ومطت شفتيها وهي تضغط عليهما ..

كما تردد في عقلها صدى كلماته الأخيرة عن مقابلة أخته .. تلك الصغيرة التي لم ترها من قبل ، واليوم تلتقي بها كزوجته ..

هي لم تعرف عنها إلا من حديث عفاف عنها حينما أخبرتها بإيجاز بـ ....

....

▫▫▫▫▫ وقفت تقى حائرة أمـــام خزانة ملابسها محاولة إنتقاء ما ترتديه ، فعاونتها المدبرة عفاف في إختيار كنزة طويلة من اللون القرمزي ، وبنطال من الجينز لترتديهما ..

سألتها تقى بإرتباك وهي تنزع ثيابها المنزلية :

-هي.. هي ليان دي حلوة ؟

أجابتها بإبتسامة مشرقة :

-زي القمر

سألتها تقى بإهتمام وهي تعيد رأسها للخلف :

-طب .. طب هي عاملة إزاي ؟ يعني هي بتتعامل مع الناس بأنهي اسلوب وآآ...

قاطعتها عفاف بنبرة مطمئنة :

-متقلقيش منها ، دي دلوعة ، وفرفوشة ، وتتحط على الجرح يطيب !

ثم تنهدت بحزن وهي تتابع بأسف :

-بس حظها وحش ، الدنيا جنت أوي عليها ، وخيبت آمالها ، ربنا يعوض عليها ، ويعينها في اللي هي فيه !

أصغت تقى لما قالته ، وشعرت أنها مرت بمأســاة ما ، ولكنها لم تحاول التطرق إلى تفاصيل أكثر دقــة ، فما يشغل تفكيرها الآن هو ردة فعلها حول هذه المقابلة الغير متوقعة ..

أغلقت سحاب بنطالها الجينز ، وجلست على طرف الفراش لترتدي حذائها ، وتسائلت بحذر :

-هو احنا هانشوفها فين ؟ أصل آآ.. أوس مقاليش !

ردت عليها عفاف بجدية :

-أكيد في المستشفى

قطبت تقى جبينها بإندهاش ، وحدقت فيها بنظرات حائرة ، وتسائلت بعدم فهم :

-مستشفى ! هي عيانة ؟!

زفرت عفاف بصوت مسموع مكملة بـ :

-يعني .. حاجة زي كده ، ربنا يزيح عنها ◘◘◘◘

....

تنهدت مجدداً بحرارة ، والتوتر يسيطر على تفكيرها بالكامل ، هي تخشى من تلك المقابلة ، فكلتاهما سترى الأخرى لأول مرة .. وبغض النظر عن كونها شقيقة زوجها ، إلا أنها في نفس الوقت ابنة خالتها التي تحبها .. فهل هي الأخرى تعرف تلك الحقيقة أم أنها ستتفاجيء بها ؟

لاحظ أوس شــرودها ، فإبتسم إبتسامة عذبة وقد خمن إلى حد كبير سببه ..

فإيماءاتها العفوية ، وحركة أصابع كفها المتوترة أكدت له إحساسه .. قربها منها ينعكس عليها بشدة ، ويحد أثراً في نفسها ..

حــاول أن يخفف حدة إرتباكها بتقديم هدية لها ..

-اتفضلي

قالها أوس وهو يمد يده بعلبة بيضاء مغلفة بشريط ستان أحمــر ..

نظرت تقى إلى العلبة بإندهاش ، وتسائلت وهي ترفع رأسها في إتجاهه :

-ايه دي ؟

أجابها بإيجاز :

-عشانك !

عضت على شفتها السفلي وهي تهز رأسها معترضة لتقول :

-بس أنا .. أنا مش عاوزة حاجة

إبتسم لها إبتسامة باهتة وهو يرد بجدية :

-مش لازم تعوزي عشان أجيبلك ، دي ليكي !!

-أنا آآ..

تجمدت تعابير وجهه قليلاً ، وبرقت عينيه وهو يقاطعها بصوت آمــر رغم هدوئه :

-خديها ، دي بالأمر !

إزدردت ريقها بخوف ، وأخذت منه العلبة بيد مرتعشة لتتفقدها ..

كانت العلبة تحتوي على هاتف محمول على أحدث طـراز ..

أخرجته من وضعه ، ورفعته للأعلى لتهتف بإندهاش وهي تتأمله :

-ده ليا ؟

أومـــأ بعينيه وهو يراقبها بإهتمام ، وأجابها بإيجاز :

-أكيد

تدلى كتفيها للأسفل ، وسألته بنزق :

-بس أنا هاعمل بيه ايه ؟

رد عليها بجدية وهو محدق بها :

-تكلمني وأكلمك

فغرت ثغرها ، ورمقته بنظرات متعجبة ، فتابع قائلاً بنبرة متريثة :

-مستغربة ليه ؟ ده الطبيعي ! المفروض يكون معاكي موبايل عشان أما أعوزك أكلمك ، وانتي برضوه كده

بررت موقفها قائلة بفتور :

-بس انا معرفش حد عشان أكلمه عليه ، ومافيش حد في عيلتي معاه موبايل إلا آآ...

خشيت أن تنطق بإسم خالتها فتثير حنق أوس ، فإقتضبت حديثها .. وضغطت على شفتيها بإرتباك ...

جذب أوس المحمول من يدها ، وأدار جسده في إتجاهها ليضيف بجدية مفرطة :

-بصي يا تقى في حاجات كتير لازم تتعودي عليها معايا ، من ضمنها وجود موبايل ، ممكن مايفرقش معاكي ، ولا مع عيلتك ، بس معايا هو مهم ، لما أحب أطمن عليكي هاكلمك عليه ، وانتي كمان !

تلعثمت قائلة وهي ترمش بعينيها بتوتر :

-بس .. بس أنا مش بأعرف أستخدمه

تقوس فمــه بإبتسامة خطيرة ، وغمز لها وهو يتابع بثقة:

-هاعلمك عليه ، وده سهل جداً على فكرة

أمعنت تقى النظر في شاشة الهاتف ، واقترب أوس أكثر منها حتى إلتصق كتفه بظهرها ، فبدى أنه يحتويها أكثر من محاولته شرح طريقة إستخدامه ..

لم تنتبه إلى ذراعه الذي إلتف حول كتفيها ليضمها إليه ، و أكمل قائلاً بتسلية :

-هو مش متسجل عليه أي أرقام إلا اسمي ، وبتجيبه من القايمة دي !

هزت رأسها وهي تردد بخفوت :

-أها

ابتسم أوس أكثر .. هي لا تهابه كما كان .. تتصرف بصورة أكثر طبيعية .. فزادت سعادته ..

أشـــار بإصبعه على شاشة الهاتف مضيفاً بمزاح :

-مكتوب عليه اسمي ، أوس .. شايفاه

هزت رأسها بخفة وهي تهمس :

-اها

إستأنف قائلاً بمكر :

-اسمي متسجل أوس بالعربي

ردت بإيجاز وهي تنظر له بإندهاش :

-طيب

ضغط بأصابع كفه على ذراعها ، وهمس لها بتسلية أكبر :

-طب أ ، و ، س تبقى ايه ؟

أجابته بنفاذ صبر :

-عرفت إنه أوس !

انحنى برأســه عليها لتتقلص المسافات بينهما ، وهمس لها معاتباً إياها

-طب ما انتي بتعرفي تنطقيه أهوو ، ليه بخلانة عليا بيه ؟!

تلون صدغيها بحمرة ملتهبة بعد أن شعرت بحرارة أنفاسه القريبة عليها ، وحاولت التراجع مبتعدة لكنها أدركت أنها محاصرة بذراعه ، فتوترت بشدة ..

بينما إلتوى فمه بإبتسامة مغرية وهو يتأمل سكونها معه بسعادة ..

لم يردْ أن يفسد تلك اللحظة الأخـرى المميزة بينهما ، فأرخى ذراعه عنها حتى تتحرر منه ، وإكتفى بالإستمتاع بتأثيره عليها وهو يدير رأســه في إتجاه النافذة الملاصقة له ..

....

في منزل تقى عوض الله ،،،،

جلست فردوس على الأريكة دون أن تنهي أعمـال المنزل ، وفكرت بتريث شديد في كل كلمة قالها مهاب ..

إنتابها حالة من الندم لتسرعها في قرارها ، ولكنها عاودت تذكير نفسها بأنها اتخذت القرار الصائب من أجل حماية عائلتها وخاصة ابنتها ، وتحسين مستواهم المعيشي ..

نفخت بضيق وهي تبرر لنفسها :

-دول مليون جنية برضك ، يعني مش مبلغ هين ، ده .. ده هاينقلنا لحياة تانية خالص ، هاقدر أعالج الراجل ، وأعزل من الحارة الفقر دي ، وأرتاح من الغلب اللي شيلاه على كتافي بقالي سنين !

إستندت برأسها على مرفقها ، وفكرت بصوت مسموع :

-بس .. بس تقى ، وجوزها ممكن آآآ..

تجهم وجهها وهي تقول بسخط :

-جوزها !! هي دي أصلاً جوازة ، ده احنا ماشوفناش منها إلا تعب القلب والقهر والمرار الطافح !

نهضت عن الأريكة ، ووضعت يديها على رأسها ، ودارت في الصالة وهي تتابع بحيرة :

-طب .. طب أنا هاخلي البت تسقط إزاي وهي مع جوزها ، يوووه .. لازم أركز كده وأفكر في طريقة أجرجرها بيها هنا .. بس قبلة لازم أشوف فين المكان اللي هايعمل ده ، ماهو انا مش هاعملها هنا ! ايوه مش ناقصة فضايح !!!

دارت حول نفسها في الصالة ، وظلت تلوح بيديها بحركات غير مفهومة ، ثم شهقت بصوت مرتفع وهي تصيح فجــأة :

-بس .. هي الولية أم نجــاح ، دي بتعرف الكُفت وهاتفيدني ! أنا هانزل أشوفها الوقتي !

....

في مشفى الأمراض النفسية ،،،

أمسك أوس بكف تقى وهو يسير معها إلى داخــل المشفى ..

رهبة غريبة سيطرت عليها وهي تخطو نحو أحد الأروقة ..

كان المكان منظماً ، ونظيفاً ، وألوان جدرانه مريحة للعين بدرجة كبيرة .. ولكن توترها من ذلك اللقاء حــال دون تذكرها لتفاصيله بدقــة ..

اعترض طريقهما ذلك الطبيب يتولى رعاية أوس في المنزل ..

حدقت فيه بتمعن ، وظلت صامتة وهي تتابع حديثه الجاد مع أوس ..

أردف مؤنس قائلاً بإبتسامة باهتة :

-في ميعاد مظبوط يا باشا

رد عليه أوس بإيجاز جـــاد :

-انت عارفني

إلتفت مؤنس برأســـه نحو تقى ، وسألها متحمساً :

-أخبارك ايه يا مدام ؟

أجابته بخجل وهي مطرقة الرأس :

-كويسة

أردف قائلاً بنبرة رسمية وهو يشير بيده :

-يا رب دايماً ، الدكتور عزت سليمان منتظرنا جوا ، اتفضلوا

ضغط بأصابعه على كف تقى ، وصــاح بجدية :

-اوكي .. تعالي يا تقى

تسائلت تقى مع نفسها عن هوية ذلك الطبيب الذي سيقابله كليهما الآن ، فما تعرفه مسبقاً أنـها على موعد مع شقيقته .. وليس مع طبيب ما ..

لم ترهق عقلها بالتفكير في تلك المسألة ، وإنساقت وراء أوس في خطواته ...

....

طرق مؤنس على أحد الأبواب قبل أن يفتحه ويشير بيده وهو يقول بجدية :

-اتفضلوا .. دكتور عزت ، ده أوس باشا الجندي ، وحرمه مدام تقى !

نهض الطبيب من على مقعده ، ودار حول مكتبه ليصافح أوس ، وهتف قائلاً وهو يرسم على وجهه إبتسامة مجاملة :

-أهلاً وسهلاً بيكم

بادله أوس المصافحة وهو يردد بإقتضاب :

-أهلا يا دكتور

تسائل الطبيب عزت وهو ينظر في إتجاه تقى :

-ازيك يا مدام تقى ؟

أجابته بإختصار وهي تنظر له بحذر :

-بخير

أدار عزت رأسـه في إتجاه أوس ، وأردف قائلاً بجدية :

-تسمحلي يا أوس باشا أقعد مع المدام شوية ؟

اتسعت حدقتيها بإندهاش ، ونظرت إلى أوس بنظرات زائغة ، فطمئنها بإبتسامة واثقة قبل أن ينطق بهدوء :

-اطمني ، الدكتور عزت من أشطر الدكاترة النفسيين

عقدت ما بين حاجبيها بغرابة .. ونظرت بغموض له ، ورددت في نفسها كلمة (طبيب نفسي) ، وحاولت تخمين سبب تلك المقابلة ..

تسارعت دقات قلبها نوعاً ما .. ودبت في أوصالها رجفة خفيفة ..

تشدق الطبيب عزت قائلاً بحماس :

-مدام تقى ، أنا مش عاوزك تقلقي من حاجة ، أنا موجود هنا عشان أساعدك !

سألته بتلعثم وهي تحاول السيطرة على خوفها :

-تـ.. تساعدني ؟

هز رأسه وهو يجيبها بهدوء تـــــام :

-ايوه ، أي واحد فينا بيتعرض لضغوط ومشاكل بتخلي أعصابه مشدودة وبتأثر عليه وعلى تصرفاته

إستدار أوس بجسده ليقف قبالة زوجته ، ثم احتضن كفها براحتيه ليبث إليها الثقة ، وابتسم لها قائلاً :

-شوفي يا تقى ، دكتور عزت هيتابع معاكي من أول النهاردة حالتك النفسية ، وهيساعدك بجد !

سألته بإرتباك وهي تطالعه بنظرات شبه خائفة :

-طب و.. وليان أختك وآآ...

قاطعها بثبات وهو يمسح طرف ذقنها بإصبعيه :

-هانقابلها بعد ما تخلصي معاه ، أوكي ؟

أومــأت برأسها قائلة بإستسلام :

-ماشي

تركها أوس بمفردها مع الطبيب وانصرف بصحبة مؤنس لتبدأ هي معه رحلة علاجها الجدية حتى تتخطى تلك الأزمات التي عصفت بحياتها فتعود كما كانت من جديد ...

أشـــــار لها عزت لتجلس على تلك الأريكة ، وتمدد جسدها عليه ، ولكنها رفضت ، وأثرت الجلوس على المقعد المعدني ..

لم يعارضها ، وترك لها حرية الإختيار ..

فركت تقى أصابعها بتوتر .. وتدلى كتفيها بقلق بالغ ..

طـأطأت رأسها للأسفل لتنظر إلى حجرها .. وأغمضت عينيها هلعاً ..

نعم هي على وشــك خوض تلك التجربة المؤلمة من جديد ، والعيش فيها لحظة بلحظة ..

تجربة جاهدت لتناسيها ، والمضي قدماً دون العودة إليها ..

كانت تخشى إستعادة ذكريات أبشع لحظات حياتها ، وأســوأ لياليها ..

بدت أنفاسها غير منتظمة .. ورعشـــة خفيفة تمكنت من ساقيها ..

تأملها الطبيب عزت بدقــة مدركاً بوضوح مدى الصراع النفسي بداخلها ...

هي تكافح للصمود ، ولكنها مدمرة داخلياً .. ودوره الآن أن يعيد بناء جســور الثقة مع نفسها ، ومع من تسبب في أذيتها ..

أردف عزت قائلاً بهمس :

-مدام تقى ، عاوزك تتنفسي بهدوء .. مافيش داعي للخوف ده كله ، انتي هنا في أمـــان

احتضنت نفسها بذراعيها ، وإنكمشت على نفسها أكثر ..

أخذ عزت نفساً مطولاً ، وزفره على مهل وهو يتابع بنبرة رزينة وثابتة :

-الخوف موجود بس في عقلك ، وأنا هساعدك تتغلبي عليه !

....

في الخـــارج ،،،

تشجع مؤنس قائلاً بجدية وهو يسير بجوار أوس في الرواق :

-بأحيك يا باشا على الخطوة دي ، فعلاً هاتفرق كتير مع المدام

رد عليه بتنهيدة مطولة :

-هي محتاجة ده اوي

أكمل مؤنس قائلاً بثقة :

-دكتور عزت من كبار أخصائي الأمراض النفسية ، وهيتعامل مع المدام بمهارة

حدق أوس أمامه وهو يردد بجدية :

-يهمني إنه يجيب نتيجة معاها !

رد عليه مؤنس بحماس :

-هايحصل إن شاء الله

إلتفت أوس برأســـه نصف إلتفاتة ، وتسائل بصوت قاتم :

-قولي هو دكتور فهمي في مكتبه ؟

هز رأســه وهو يجيبه بإختصار :

-ايوه !!

أشـــار له أوس بكفه ليكف عن السير معه وهو يتابع بحسم :

-طيب أنا هاروح أشوفه لوحدي

ابتسم له مؤنس إبتسامة باهتة وهو يقول :

-اوكي يا باشا ، وأنا موجود هنا لشوية كمان ، فلو عوزت حاجة اطلبني هتلاقيني فوراً !

-تمام

-عن اذن سيادتك

تحــرك أوس في إتجاه الدرج ليصعد للطابق الأعلى حيث توجد غرفة الطبيب النفسي الشهير (فهمي محفوظ) ، ودلف إلى الغرفة ليقابله حيث الميعاد المتفق بينهما مسبقاً

....

....

الفصل السادس عشـــر (الجزء الثاني) :

في مشفى الأمراض النفسية ،،،

نهض الطبيب فهمي من على مقعده فور رؤيته لأوس الجندي ، واستقبله بإبتسامة مرحبة وهو يمد يده ليصافحه ، وهتف قائلاً بسعادة :

-حمدلله على سلامتك يا أوس باشا

صافحه بقوة وهو يجيبه بجدية :

-الله يسلمك

سألها فهمي وهو يشير له بالجلوس :

-ازي صحتك دلوقتي ؟

رد عليه أوس بإقتضاب وهو يجلس على المقعد المواجه له :

-أحسن !

زم فهمي فمـــه ليضيف بعتاب زائف :

-أنا بأعاتب على حضرتك عدم انتظامك في جلسات علاجنا السرية ، خصوصاً الفترة الأخيرة !

إلتوى فم أوس بإبتسامة متهكمة :

-هو كان بإيدي ! ما إنت عارف اللي حصلي !

تنحنح بحـرج وهو يكمل بحذر :

-أيوه ، وأتمنى إننا نواظب خلال الفترة الجاية

ضغط على شفتيه قائلاً بتنهيدة :

-هحاول

تشدق فهمي قائلاً وهو يعتدل في جلسته :

-أنا فاهم إن سيادتك يا باشا عندك مشغوليات ، وإلتزامات ، بس ده مهم جداً ، إحنا بدأنا في مشوار ، وعاوزين نكمله للأخــر !

زفــر أوس قائلاً بنفاذ صبر وهو يشيح بذراعه :

-أنا بأعمل كل اللي طلبته مني ، بس لسه في حاجز بينا !

نفخ مجدداً وهو يتابع بنبرة شبه محتدة :

-حاسس إني هافشل ومش هاقدر أكمل

انحنى فهمي بجسده للأمـــام قليلاً ، ورد عليه بهدوء محاولاً إمتصاص غضبه :

-أوس باشا ، كون إن حضرتك جيت هنا عشان تتعالج ، ده في حد ذاته أكبر خطوة للنجاح .. اعتراف الشخص بمرضه هو الخطوة الأولى في مراحل العلاج الصح ، وزي ما فهمت حضرتك طبيعة المرض اللي عندك ايه ، وطرق علاجه إزاي ، وأنا معاك لحد نهاية المشوار

تنهد أوس بعمق وهو يعيد رأســـه للخلف متذكراً ذلك اليوم الذي قرر فيه أن يواجه أكبر مخــاوفه ، ويغير من نفسه كلياً عن طريق اللجوء للعلاج النفسي بعد حادثة تقى الشهيرة ...

نعم لقد نجح في إخفاء الأمــر بالتعاون مع طبيبه النفسي المعالج له حتى يمتثل للشفاء ...

....

▫▫▫▫ ولج أوس الجندي إلى غرفة مكتب أحد الأطباء النفسيين المعروفين بكفاءتهم وحرفيتهم في مجال عملهم ..

نظر له فهمي بإستغراب ، وهتف محتجاً على طريقة إقتحامه لمكتبه :

-انت ازاي تدخل عليا كده ؟

سأله أوس بصوت صـــارم وهو يحدجه بنظرات قاسية :

-انت فهمي محفوظ ؟

أجابه فهمي بغيظ وهو يبادله النظرات الحادة :

-ايوه ، وانت بقى مين ؟

لوى أوس فمه متابعاً بفظاظة :

-مش مهم أنا مين !

أمسك بياقة الطبيب ، وربت على كتفه قليلاً ، فشعر الأخير بنوع من الإستفزاز له ، وكان على وشك الحديث لكن منعه صوت أوس الحازم بـ :

-أنا عاوزك في موضوع مهم

أزاح فهمي يد أوس بعيداً عنه ، ورمقه بنظرات محتقنة وهو يهتف بضيق :

-أنا ماقبلش بالأسلوب ده في الحوار معايا !!

أشـــار بإصبعه وهو يكمل بوعيد :

-وحسابي هايكون مع اللي سمحلك تدخل هنا !

تقوس فم أوس بإبتسامة متهكمة وهو يرد عليه :

-العيادة مافيهاش حد برا غير أنا وأنت و... وبس !

جحظ فهمي بعينيه ، وهتف متسائلاً بإستغراب :

-هــاه ! يعني ايه ؟

لكــزه أوس في كتفه وهو يدور حولـــه ، وأمره بهدوء :

-اقعد كده يا دكتور واسمعني كويس

رمقه فهمي بنظرات غاضبة ، وسأله بصوت محتد :

-انت عاوز ايه ؟

أخــذ أوس نفساً عميقاً ، حبسه للحظات في صدره ، ثم أطلقه دفعة واحدة وهو يجيبه :

-أنا عندي مشكلة ، وسألت وعرفت إنك من أشطر الدكاترة

رد عليه فهمي بسخط ، وقد ظهرت عروقه المتشنجة بوضوح في جيبنه وعنقه :

-ولما حضرتك سألت عني ، مجتش ليه زي بقية الناس الطبيعين تحجز كشف عادي وآآآ...

قاطعه أوس بصرامة ، ونظراته الجامدة مسلطة عليه :

-ماهو ده اللي عملته ، أنا حاجز العيادة كلها ليا النهاردة

توتر فهمي قليلاً وهو يهتف بصدمة :

-انت ؟ هو .. هو إنت آآ.. حضرتك أوس الجندي

-ايوه !

ازدرد ريقه بهدوء ، وأشـــار له قائلاً بحرج :

-اتفضل يا باشا ، أنا أسف ، مكنتش أعرف إنه حضرتك

تحرك أوس خطوتين ليقف قبالة فهمي ، وحدجه بنظرات عدائية ، ثم كز على أسنانه قائلاً بتحذير :

-قبل ما أبدأ أتكلم معاك ، لو كلمة واحدة اتقالت برا الأوضة دي ، صدقني هاتندم على ده ! ومش هاقولك ردي عليك هايكون ازاي ، هاسيبك لخيالك !!!

ابتلع فهمي ريقه بصعوبة .. فكلمات أوس لوحدها كفيلة بدب الرعب في قلب أي شخص عاقل .. ونظراته تؤكد صدق تهديداته الصريحة .. لذا هتف بنزق :

-يا فندم من غير ما تقول ، حضرتك أي حوارات بين الدكتور والحالة المتابعة معاه بتكون في سرية تامة ، ومافيش مخلوق بيعرف عنها

مط أوس فمه ليقول بإختصار :

-تمام

أشـــــار فهمي بيده نحو المقعد الوثير وهو يضيف بتريث :

-اتفضل حضرتك ارتاح هنا ، وآآ..

قاطعه أوس بصلابة وهو يسحب المقعد ليجلس عليه :

-أنا كويس كده !

انتصب أوس في جلسته ، وأسند ساقه فوق الأخــري ، ثم أمــال رأسه للجانب ، وظل يتطلع لفهمي بنظرات تحمل الكثير ..

تنحنح فهمي بخفوت ، وإدعــى السعــال ، وأردف قائلاً بحذر :

-تمام يا فندم .. وقت ما تكون مستعد ابدأ

طـــال صمت أوس .. وظل محدقاً في الفراغ أمامه لوهلة .. ولم يحاول الطبيب مقاطعته ، ترك له الفرصة ليستعيد شتات أمــره ..

استجمع أوس شجاعته ، وأخذ نفساً عميقاً ليسيطر على ثباته الإنفعالي أمامه ، ثم بدأ حديثه قائلاً بجمود :

-أنا .. أنا عندي مشكلة

هــز فهمي رأســـه متفهماً ، في حين تابع أوس بصعوبة :

-أنا .. عنيف في علاقاتي ، وآآ..

توقف عن إتمـــام جملته ، وضغط على أسنانه بقوة .. وكور قبضته المستندة إلى فخذه ..

اضطربت ضربات قلبه ، وجاهد ليحافظ على ثبات إنتظام أنفاسه رغم تسارعها ..

راقب فهمي ردود فعله ، وهمس له بهدوء :

-كمل حضرتك ، أنا سامعك !

بدأ أوس في شرح حالته بكلمات منتقاة بعناية وحِـرص حتى يتمكن الطبيب من معرفة طبيعة مرضه ..

كان في البداية غامضاً ، وأكثر تحفظاً ، وإجتهد الطبيب في إخراج ما يكنه في صدره حتى استشف تماماً بعد عدة جلسات متعاقبة نوع المرض الذي يعاني منه ، ودرجـة إصابته ، ولكنه لم يعلق عليه حتى يتأكد من شكوكه ..

كذلك ترك له الحرية للتحدث بعشوائية دون أن يعقب عليه أو يقاطعه .. واكتفى بتدوين ملحوظات عامة ..

بدى أوس مشتتاً وهو يسرد تفاصيل حرجة من طفولته ، ومن مرحلة شبابه ..

كان يحاول ألا يتحدث بتعمق عن أدق تفاصيله ، واكتفى بطرح الخطوط العريضة لها ..

ولكن مع تكرار جلسات التداعي الحر السرية بينهما وشعوره بالأمـان بدأ رويدا رويداً في الإستفاضة والاسترسـال في

الحديث معه .. وذكر كل ما يخص معاناته النفسية ، فيما عدا ما حدث مع تقى ...

فسر الطبيب فهمي حالته قائلاً بهدوء :

-المرض اللي حضرتك بتعاني منه ، بيطلق عليه علمياً (السادية) ، وده درجــات مختلفة ، أخطرها السادية الإجرامية ..

أما طبيعة الإصابة بيه فبتكون أما بالاستعداد الوراثي ، أو في اضطراب هرموني ، أو وجود علاقات مرضية غير سوية ، وطبعاً وجود تاريخ للاستغلال الجنسي !

ابتلع أوس ريقه وهو يصغي بإنصات لما قاله الطبيب ، وبدى مهتماً بكل كلمة يقولها ...

إستأنف فهمي حديثه بهدوء رزين :

-ومن كلام سيادتك ، فالطفولة الـ آآ.. يعني اللي مريت بيها ، ووجود علاقات مرضية عند أفراد العائلة إنعكست عليك ، وأوجدت نوع من القوة المفرطة والعنف في علاقاتك بالغير عشان تداري ضعفك .!!!

تشنجت تعابير وجــه أوس نوعاً ما .. فقد كشفه الطبيب فهمي أمــام نفسه ..

كــور قبضتي يده ، وضغط على أصابعه بقسوة ..

حاول فهمي أن يخفف وطـأة الحديث ، فأردف قائلاً بحذر :

-دور الطب النفسي هنا يعالج المشكلة دي بجدية ، بس لازم المريض يتعاون مع الدكتور ، وإلا كل ده هيضيع هباء

ظل أوس صامتاً ، واكتفى بالتحديق أمامه في الفراغ ...

دقق فهمي النظر إليه ، وسأله بصوت جاد :

-تسمحلي أسأل سيادتك في حاجة ؟

قطب أوس جبينه ، ورد عليه متسائلاً بصوت جامد :

-ايه هي ؟

هتف الطبيب فهمي دون تردد :

-انت متجوز ؟!

إتسعت حدقتي أوس قليلاً ، ورمقه بنظرات حــادة للغاية .. فحاول فهمي أن يوضح سؤاله قائلاً بحذر :

-أقصد يعني لو حضرتك متجوز ، فإيه هي طبيعة العلاقة الحميمية مع مراتك ؟

ازدرد أوس ريقه بتوتر شديد ، وزاد تشنجات وجهه للغاية .. حتى أن عينيه إحتقنتا للغاية .. لقد تجسد نصب عينيه واقعة مضاجعة تقى رغماً عنها وهي مقيدة بالفراش .. ورغم توسلاتها وبكائها الصـــارخ إلا أنه نـهش بلا رحمة عذريتـها ليسقط مع فعلته قناع قوته الزائف .. ويتعرى أمـــام نفسه مع إنهيارها فينكشف ضعفه الحقيقي .....

أدرك فهمي من صمته الذي طـــال أن هناك مشكلة ما قد حدثت مع زوجته .. ففكر في طريقة علمية تدفعه بلا ضغط للبوح بما صـــار معها ، فربما تكون هي إحدى ضحايا عنفه ، وعانت من ساديته مثلما يعاني الآن من ماضيه .. فإجتهد في حثه على الحديث ، واستغرق وقتاً في إكتساب ثقته ليقر بما فعله في حقها .... ■■■■

....

أفـــاق أوس من ذكرياته على صوت فهمي المألوف وهو يردد بجدية :

-أنا عامل لحضرتك برنامج مكثف هايفيد إن شاء الله في الفترة الجاية ، أهم حاجة بس الانتظام ، وزي ما عملنا الخطوات السابقة هانقدر نكمل اللي جاي

رد عليه الأخير بإيجاز :

-اوكي ..

....

في الحـــارة الشعبية ،،،،

نزلت فردوس من منزلها بعد أن عــاد زوجها عوض ، وتحججت بنقص بعض المواد التموينية وذهابها لإحضارها من الجمعية التعاونية القريبة ..

لم يهتم بما تفعله ، ودلف إلى غرفته ليرتاح ..

في حين إتجهت هي نحو البناية التي تقطن بها القابلة أم نجــاح ، ولحسن حظها قابلتها وهي تتمازح أمام المدخل مع إحدى الجارات ..

هتفت فردوس بصوت مرتفع وهي عابسة الوجه :

-أم نجاح ، إنتي يا ولية

استدارت أم نجاح برأسها نحو مصدر الصوت ، فرأت فردوس مقبلة عليها ، فلوت فمها قليلاً وهي تجيبها :

-خير يا أم تقى ؟

وقفت إلى جوارها وهتفت بجمود مريب :

-عاوزاكي شوية

لوحت لها بيدها وهي تقول بفتور :

-طب تعالي ، محدش غريب

إحتقن وجـه فردوس قليلاً ، وصرت على أسنانها لتقول بصوت شبه محتد :

-بأقولك يا ولية عاوزاكي في موضوع مهم ، تقوليلي تعالي مافيش حد غريب

لوت ثغرها ، وردت بإيجاز :

-طيب .. جاية معاكي !

ســـارت الاثنتين معاً في أزقــة الحارة حتى أصبحت كلتيهما بعيداً عن أعين الناس ، فسألتها أم نجــاح بإستفهام وهي تنظر لها من طرف عينها :

-خير ؟ عاوزاني في ايه ؟؟

ردت عليها فردوس بضيق بعد أن توقفت عن الحركة :

-بصي ، من غير لف ولا دوران ، واحدة من حبايبي بنتها واقعة في نصيبة

رسمت فردوس في عقلها خطــة محكمة من أجل استدراج ما تريد معرفته من تلك القابلة دون أن تلفت الأنظـــار إليها ..

لطمت أم نجاح على صدرها ، وتسائلت بتلهف وهي ترفع حاجبها للأعلى :

-خير في ايه ؟

عبست فردوس بوجهها ، وأجابتها بصوت قاتم :

-لأ مش خير خالص ، واد ابن حرام لاف على البت ، وآآ..

اتسعت عيني أم نجــاح بصدمة وهي تستمع إلى الجزء الأول من جملتها ، وإنتبهت حواسها لفردوس وهي تكمل بسخط :

-وغواها ، والبت حبلت منه !

حركت أم نجاح شفتيها للجانبين ، وغمغمت بحسرة :

-يادي النصيبة !

تنهدت فردوس بضجر وهي تكمل :

-وبعدها خلع ولا عاوز يتنيل يكتب عليها ولا حتى يتجوزها عرفي !

شهقت أم نجــاح بصوت مرتفع وهي تتسائل بـ :

-يا نصيبتي ! وأمها كانت فين ؟؟

لوت فردوس فمها لتجيبها بتهكم :

-نايمة على ودانها

بصقت أم نجــاح إلى جوارها وهي تتمتم بسخط :

-نسوان أخـر زمن !

تابعت فردوس حديثها بهمس :

-الولية أمها عاوزة تستر على البت ، وتخليها تسقط ، وجات تستنجد بيا ، وأنا مش عارفة أعملها ايه !!

رفعت أم نجــاح كفيها للأعلى ، وأردفت قائلة بإعتراض جلي وهي تهز رأسها مستنكرة :

-ياختي أنا ماليش في الحاجات دي !

أمسكت فردوس بكفها ، وضغطت على أسنانها وهي تقول بحذر :

-ما أنا عارفة !

ضيقت عينيها أكثر لتتسائل بمكر :

-بس ماتعرفيش حد كده يكون ليه في الليلة يخلصهالنا من بعيد لبعيد ؟؟

وتنهدت بأسف زائف وهي تكمل :

-بردك دي أعراض وشرف

فركت أم نجــاح ذقنها ، وأشاحت بوجهها للجانب وهي تفكر ملياً فيما قالته ..

زمت فردوس شفتيها لتضيف بخبث وهي تدعي حسرتها على ما حدث لتلك الفتاة :

-استري على البت يا أم نجاح

نفخت أم نجــاح بضيق وهي ترد عليها بـ :

-يا أم تقى انتي عارفة أنا أخري أولد ، لكن تسقيط وترقيع ، والأفلام دي ماليش فيها وآآآ...

قاطعتها فردوس بإستعطاف وهي ترمقها بنظرات شبه متوسلة :

-يعني انتي يرضيكي أكسر بخاطر الولية ، دي متعشمة جامد فيا !

صمتت أم نجـــاح مجدداً .. وأخذت تفكر في حل لتلك المعضلة العويصة بجدية ..

فإلتوى ثغر فردوس قليلاً لإستجابة الأخيرة لها .. ونجحت في جعل وجهها خالياً من أي تعابير تكشف خدعتها ..

بعد عدة دقائق ، تشدق أم نجاح قائلة بإمتعاض :

-بصي .. هو اللي أنا أعرفه إن في مستوصف كده في حتة مدارية قريبة من هنا ، الضاكتور اللي فيه بيخلص حاجات زي كده

سألتها فردوس بإهتمام وهي مضيقة لعينيها بشدة :

-وده مكانه فين ده ؟

أجابتها الأخيرة بهدوء وهي تشير بيدها :

-هو عند آآ ((...........))

..

في مسكن عبد الحق المتواضع ،،،

إستلقى عبد الحق على الفراش بعد أن دعك يديه جيداً من الكريم الموضوع العبوة التي أعطتها له والدته ، وتمدد عليه مرتدياً فقط سرواله الداخلي ..

تحمس بشدة وهو يصيح :

-يالا يا بطة ، كل ده بتعملي ايه

ردت عليه بصوت مرتفع من الخـــارج

-مش بأشطف المواعين

هــدر عبد الحق بسباب لاذع وهو يوبخها قائلاً :

-سيبكم من أمهم دلوقتي ، وتعالي بدل ما أجيلك

ولجت بطة إلى داخل الغرفة وهي ترتدي قميصاً قصيراً من اللون القرمزي الفاتح يبرز مفاتنها الأنثوية بدرجة مثيرة للغاية ..

وضعت يدها المبتلة في منتصف خصرها ، وتغنجت بجسدها وهي تجيبه بدلال :

-ماتصبر يا عبده شوية ، هي الدنيا هتطير !

عض عبد الحق على شفته السفلى ، ونظر لها بنظرات جريئة متفحصة لمعالم جسدها بالكامل ، وهتف بتنهيدة حارة :

-ده أنا اللي عقلي هايطير ، تعالي بقى !

اقتربت منه بطة وتعمدت أن تتمايل بجسدها أكثر لتزيد من إثارته ، وما إن أصبحت على مسافة قصيرة حتى إنتفض من مكانه ليجذبها من رسغها ، فلم تستطع أن تحافظ على إتزانها بسبب حركته المباغتة ، وسقطت عليه ، وعاتبته بنبرة رقيقة :

-آآآآي ، ما بالراحة يا عبده !

رد عليه بنظرات أكثر جراءة وهو يهمس لها :

-وحياتك كله بشويش بشويش

إلتقط أنف بطة رائحة غريبة ، فتسائلت وهي عابسة الوجه :

-ايه الريحة دي ؟

رد عليها بخفوت وهو يشير بيده :

-ده .. ده ريحة الكريم

عقدت ما بين حاجبيها مندهشة ، ورددت بعدم فهم :

-كريم !

أجابها مازحاً وهو يتحسس عنقها :

-ايوه ، حاجة كده نظام لهاليبو يا وله

حركت فمها قائلة بإستنكار :

-مش فاهماك ياخويا

تلمس عبد الحق خصلات شعرها ، ولفها على إصبعيه ، وأجابها بهدوء :

-شوفي يا بطوطتي ، الكريم ده فيه الخلاصة

مــال على فروة رأسها ليتنشق عبير شعرها ، وهمس لها بتنهيدة حارة :

-سيبلي نفسك وانتي هاتعرفي

نظرت له بإستغراب ، وهمست بنعومة :

-ناوي على ايه ؟ مش مرتحالك

ســال لعابه وهو يفتح غطاء العبوة ليغمس أصابعه فيها ، وهمس لها عابثاً :

-نــاوي على كل خير

أمسك عبد الحق بذراع زوجته ، ومرر أصابعه عليه برقــة ليرتعش جسدها من لمساته على بشرتها الناعمة ..

قــرب وجهه من وجهها ، ومن ثم مـــال عليها برأسه ، وإنهــال عليها بقبلات عميقة ، ومطولة ليؤجج مشاعرها في أنحــاء متفرقة من جسدها ..

أغمضت عينيها لتستمتع بكل لحظة مع زوجها ، وبادلته قبلات حـــارة .. ومسحت على رأسه بأصابعها ، وتمسكت أكثر به ، وضغطت على كتفه ..

تذكــر هو حديث والدته بأن يفرك ما بين ساقيها بهذا الكريم العجيب قبل أن يشرع في علاقتهما الزوجية حتى يضمن نجـاحها ..

وبالفعل فعل هذا ، جثى عليها بجسده ، ومد يده ليتحسسها ، فشعرت بطة بلمسته المداعبة لها ، ثم برطوبة شديدة بالأسفل ، وأعقبها وخزات حــادة ألهبتها ..

بدت منزعجة للغاية ، وتلوت بجسدها بطريقة غير مريحة .. وإكتسى وجهها بحمرة شديدة ..

نعم هناك شيء غير طبيعي بالمرة .. وكـأن جسدها السفلي قد تحول لكتلة من اللهب ، أو جمرة مشتعلة على النيران ..

استشعر عبد الحق تلك السخونة المنبعثة منها ، فإعتقد أن الكريم قد أتى بمفعوله معها ، فزدات حماسته ، وشرع في فرك سَوءَتِها أكثر ليزيد من إثارتها ..

ولكن جاءت النتيجة بالعكس ، حيث صرخت بطة بإهتياج :

-بــس ، كفاية

إستمر عبد الحق في فرك جسدها مكملاً بعدم فهم :

-ليه يا بطوطتي ، ده احنا بنسخن لسه !!

دفعته بطة بقبضتيها من صدره العاري بعيداً عنها وهي تصرخ بألم :

-مش قــادرة ، نـــار فيا ، آآآآه

مسح عبد الحق بلسانه على أسنانه ، وهمس بإنتشـاء وهو يحاوطها أكثر بذراعيه :

-ما أنا حاسس بده ، آآآآه !!

ثم غمغم بخفوت :

-يالهوي عليكي يامه ، بركاتك ، الكريم جاب نتيجة !

سألته بتوجس وأسفل جسدها يحترق من الآلم :

-انت بتبرطم بتقول ايه ؟

لاحظ عبد الحق عدم إستجابتها له ، ونفورها منه ، ومحاولتها الإبتعاد منه ، فضغط على كتفيها بقبضتيه ليثبتها ، وصـاح بضجر :

-في ايه يا بت ، ما تظبطي أدائك معايا

أغمضت عينيها ، وتأوهت من الآلم وهي تصرخ مستغيثة :

-آآآه ، انت مش حاسس بيا ، آآآه !

تراجع قليلاً للخلف ، فهبت من على الفراش ، وصرخت بصوت متشنج :

-آآآآه .. نـــار ، أنا والعة ، في حاجة مش مظبوطة

نظر لها بغموض ، وسألها متوجساً :

-استني ، رايحة فين ؟

وضعت بطة يديها أسفل جسدها ، وضغطت على أسنانها وهي تجيبه بصوتها المختنق :

-هـاروح أبرد نفسي بالمياه

ثم ركضت خـــارج الغرفة ، وهي تتأوه بصوت مرتفع ..

صـــاح بها عبد الحق مندهشاً :

-يا بت !

زفـــر بغضب وهو يسب قائلاً :

-يخربيتك ! ضيعتي الليلة أونطة !

سمعت صوته من الداخل ، فتمتمت مع نفسها بخوف :

-ده انا اللي بأضيع !

ولجت بطة إلى داخل المرحــاض ، واغلقت الباب خلفها ، ثم إنتزعت عنها قميصها ، وألقته على الأرضية ، ومدت يدها لتفتح الصنبور وتملأ ذلك الدورق الصغير بالمياه لتغسل به جسدها وتطفيء النيران المشتعلة به .. ولكن زاد الأمــر سوءاً ، حيث أحرقتها المياه ، وألهبت عضوها الأنثوي بشــدة .. فصرخت متألمة ..

هب عبد الحق مذعوراً من على الفراش ، وركض ناحية المرحــاض وهو يصيح بقلق :

-في ايه يا بطة ؟ بتصوتي ليه كده ؟

أمسكت بجسدها وهي تتلوى بقسوة ، وصرخت ببكاء واضح بعد أن سقطت على الأرضية :

-الحقني يا عبده ، هامـــوت ، آآآآه !

ثم أطلقت صرخـــة مخيفة إهتزت لها جدران المرحاض القديم ....!!

....

الفصل السادس عشــر (الجزء الثالث) :

ســـــارت فردوس بعد أن تركت القابلة أم نجــاح عبر عدة أزقــة ضيقة ، وحواري متفرعة لتصل إلى مكان شبه مقفر .. يحتوي على مساكن متهالكة للغاية ، يجلس قاطنيها على درجاتها المتدنية ..

خطت على الطريق الغير ممهد وهي تتفحص المكان بنظرات دقيقة متأملة معالمه ..

سيطرت رائحة عفنة على المكان بأكمله بسبب قرب مفرغ النفايات من المنطقة ..

أشخاص أشكالهم مريبة كانوا يجلسون على قارعة الطريق يدخنون السجائر وما بها من مواد مخدرة ومحظورة ..

وسيدات هيئتهن غير مريحة بالمرة يتبادلن الغمزات واللمزات ..

ابتلعت فردوس ريقها بتوجس ، ورفعت رأسها بتعالٍ زائف وهي تتجه للأمـــام ..

وقعت عينيها على لافتة بالية (بُهتت) أحرفها ، وقرأتها بهمس :

-مـ.. مستوصف !

إلتوى ثغرها بإبتسامة شبه راضية ، فقد أوشكت على تحقيق غرضها ..

وقفت على بعد من تلك البناية القديمة .. لتتفحصها بدقـــة ..

فرأت عدة سيدات يقفن في مجموعات ، ومعهن أطفال من الجنسين .. بالإضافة إلى عدة كهـول تمكن المرض منهم يقفون في الخـــارج ويدخنون السجائر بشراهة لا تتناسب مع وضعهم الصحي ..

ألقت بطرف حجابها خلف ظهرها ، وشدت كتفيها ، وســارت في إتجاه المدخل ..

مرت هي من جوار سيدة مسنة ، يخرج من صدرها سعـــال متواصل ، فنظرت لها بتأفف وهي تسد فمها بطرف حجابها حتى لا تلتقط أي عدوى منها ..

تأملت المكان بنظرات أكثر تمعناً لتتحفر معالمه في ذاكرتها ..

كان المستوصف يقع في قبو البناية ، ولاحظت أن أغلب رواده من المسنات والنســاء والفتيات الصغيرات ..

تعجبت من هذا ، ولكنها لم تكترث كثيراً .. فهي قد جاءت لغرض معين ، وتسعى للتأكد منه ...

بحثت بعينيها عن الممرضة المسئولة عن حجز الكشوفات الطبية هنا ، فوجدت امرأة سمراء البشرة تجلس على مكتب خشبي قديم ، وإلى أمامها عدة أوراق ..

اقتربت منها ، وانحنت بجسدها عليها لتسألها بهمس :

-هو ده ياختي مستوصف الشعب ؟

رمقتها الممرضة السمراء بنظرات إحتقارية وهي تجيبها بتهكم :

-ايوه يا ستي ، هــو !

ترددت في سؤالها أمــام الجالسات عن عملية الإجهاض ، فدارت حول المكتب ، ومالت عليها لتهمس لها بحذر وهي تتلفت حولها :

-طب أنا كنت عاوزة أســأل عن آآآ... آآ..

قاطعتها الممرضة بنفاذ صبر :

-قولي يا ست ، انا مش ورايا اليوم بطوله عشان تتهتهي !

دست فردوس يدها في فتحة صدر عباءتها السوداء ، وأخرجت منها نقدية طوتها في راحتها .. ثم وضعتها في كف الممرضة وغمزت لها وهي تقول بخفوت :

-تعالي على نفسك ياختي شوية

تنحنحت الممرضة بإحراج زائف ، وأوصدت درج مكتبها، وغمغمت بصوت مرتفع وهي تنهض عن مقعدها الخشبي :

-تعالى مكاني يا مدبولي

إلتفت ممرض ما بجسده ناحيتها ، ورد قائلاً بحنق :

-رايحة فين يا ولية ؟

ردت عليه بإزدراء وهي مكفهرة الوجــه :

-هاتنيل أخش الحمام ، هو أنا مش بني آدمة

نفخ بغيظ ، ثم هتف بحدة :

-طب ماتعوقيش !

أشــارت له بعينها وهي تحذره بجدية :

-خد بالك بس من الدرج ، ده في المعلوم

سألها بضجر وهو يحدجها بنظرات مشمئزة :

-انتي مش قافلة عليه ؟

ردت عليه بعصبية وهي تشير بإصبعها أمام حاجبها بحركة متهكمة :

-ايوه ، بس الحرص واجب يا إدلعدي !

كز على أسنانه قائلاً بإيجاز :

-ماشي !

-تعالي ورايا

قالتها الممرضة بخفوت وهي تدفع فردوس من كتفها للجانب .. فإستجابت الأخيرة لها ، ولحقت بها ..

وقفت الممرضة السمراء في زاوية ما ، وضيقت عينيها نوعاً ما ، ثم سألتها بجدية :

-كنتي عاوزة ايه بقى ؟

تلعثمت فردوس وهي تجيبها بهمس :

-بـ.. بنتي غلطت ، واد ابن حرام لعب على عقلها ، وآآ..

عبست الممرضة بوجهها ، وقاطعتها بصوت غير مكترث :

-فهمت ماتلوكيش كتير !

ثم ضيقت عينيها فأصبحتا حادتين ، وسألتها بخبث :

-وانتي عاوزة ايه ؟ ترجع بكرتونتها ؟

هزت فردوس رأسها نافية ، وصاحت بتوتر وهي تشير بكفيها في الهواء :

-لالالا .. مش كده ، هي حبلت منه

مطت الممرضة شفتيها للجانبين ، وغمغمت بسخط :

-قطيعة

إزدردت فردوس ريقها ، وتنهدت بصعوبة وهي تضيف :

-أنا .. أنا عاوزاها تسقط الحبل ده

-ممممم..

ثم تابعت بلؤم وهي تتأمل هيئتها :

-وأنا تحت أمرك في أي طلبات تعوزيها

لوحت الممرضة بذراعها ، وهتفت مستنكرة :

-ياختي أنا مش باخد حاجة ليا ، كله للضاكتور بدران !

ضغطت فردوس على رسغ الممرضة ، وهمست بلؤم :

-بردك ليكي الحلاوة لو الحكاية تمت على ايدك

سألتها الممرضة مستفهمة وقد لمعت عينيها بشراهة :

-هي حبلى في كام شهر ؟

حكت فردوس مقدمة رأسها ، وفكرت ملياً في المدة التي أعقبت زواج ابنتها ، ورددت بحيرة :

-هـــاه .. آآ.. تقريبا شهر ولا اتنين .. مش عارفة بالظبط !

زمت الممرضة ثغرها ، وعلقت بتهكم :

-وسابت نفسها كل ده ؟!!

كزت فردوس على أسنانها بشراسة لتجيبها بحزن زائف :

-ماهو ابن الكلب استغفلها ، لعب عليها بالبيضة والحجر !

أضافت الممرضة بإستهزاء :

-مالكيش حق ، كنتي خدي بالك ! ولا إنتي آآآ..

قاطعتها فردوس بحدة :

-انتي هاتبكتيني ؟ أنا جاية هنا عشان أشوف حل

فغرت الممرضة فمها لتصيح بإحتجاج وهي تشير بيدها :

-نعم ! أبكتك ؟ ليه يا إدلعدي ، ده كل اللي جايين هنا محتاجينا ، مش احنا اللي عاوزينهم !

نفخت فردوس من الضيق بسبب تفوهها بتلك العبارة ، ورأت امتعاض وجه الممرضة ، فتوسلتها قائلة :

-حق عليا ، أنا مقصدش ، بس آآ...

قاطعتها الممرضة بتجهم وهي ترمقها بنظرات إحتقارية :

-تقصدي ولا لأ ، القصد أنا هابلغ الضاكتور بدران باللي قولتيه وابقي تعالي اسألي !

سألتها فردوس بجدية :

-هو ماينفعش تسأليه الوقتي ؟

ردت عليها بتهكم ســـاخر :

-لأ .. عنده عملية ختان عقبال عنك !

غمغمت فردوس بنبرة محتقنة مع نفسها :

-ولية لسانها عاوز حَشُه

ثم ضغطت على شفتيها لتسألها بهدوء مصطنع :

-طب هو بيخلص امتى ؟

هزت كتفيها بإستهزاء ، وأجابتها بفتور :

-براحته ، مالوش مواعيد

تنهدت فردوس بإنهاك وهي تتابع :

-خلاص أنا هاعد أستناه لحد ما تسأليه !

دفعتها الممرضة السمراء من كتفها ، وصاحت بقسوة :

-انتي حرة ، وحاسبي بقى خليني أشوف النسوان المرقعة اللي هنا !

ثم تحركت مبتعدة عنها لتعاود الجلوس عند مكتبها في الإستقبال ..

بصقت فردوس على جانبها ، وتمتمت بسخط :

-يخربيتك مَــرَة سو !

....

في مشفى الجندي الخـــاص ،،،،

وقف مهاب أمـــام المرآة المعلقة في المرحـــاض الملحق بمكتبه ، وعدل من ياقة زية الطبي ، وإرتدى فـــوق رأســـه غطاء

الحماية .. ثم إلتوى فمــه بإبتسامة ماكرة وهو يرد على كبير الأطباء :

-انت فعلاً من أكتر الناس المخلصة عندي هنا

ابتسم كبير الأطباء مجاملاً وهو يقول :

-احم .. شكراً يا دكتور مهاب ، ده احنا عِشرة سنين ، ومصلحتك تهمني !

بادله مهاب إبتسامة باهتة ، وغمغم مع نفسه بخفوت وهو يكز على أسنانه :

-مش زي مؤنس وعينته ، أنا مش عارف ايه اللي مخليني سايبه شغال هنا لحد الوقتي ، واحد بالمباديء اللي عفا عليها الذنب ده لازم يطرد ، وإلا هايبوظ كل اللي بأعمله !

لم يفهم كبير الأطباء تلك الكلمات المبهمة ، وسـأله بفضول :

-بتقول حاجة يا دكتور ؟

سأله مهاب بجدية :

-وصلتك المكافأة ؟

أومـــأ برأســـه إيجاباً وهو يجيبه بغبطة :

-ايوه .. مكنش فيه داعي للتعب ده ، كفاية أفضالك السابقة وآآ...

قاطعه مهاب بجدية وهو يرمقه بنظرات ذات مغزى :

-دي حاجة بسيطة ، أنا بأحب أكافيء الرجالة المخلصين بتوعي !!

أكمل كبير الأطباء حديثه بهدوء :

-أكيد ، احنا كلنا هنا يهمنا مصلحة أوس باشا ، وصحته !

تابع مهاب قائلاً بصوت شبه منزعج :

-طبعاً ، انت لو مكونتش قولتلي عن موضوع حمل البت دي أنا .. أنا مكونتش هالحق أتصرف !

رد عليه كبير الأطباء مؤيداً إياه :

-أكيد ، الأشكال دي مش سهلة ، بس الممرضة كانت أمينة معانا ، وجت بلغتني بإن دكتور مؤنس طلب منها تتابع البنت دي عشانها حامل ، وتهتم بيها طول ما هي هنا !!

سبه مهاب قائلاً بصوت محتد :

-أهـا ، غبي !!

ثم رفع وجهه في وجـــه كبير الأطباء ، وأشـــار له بيده قائلاً بجدية :

-عاوزك تصرف مكافأة مجزية للبنت دي !

أومــأ الأخير بعينيه وهو يردد بصوت حاسم :

-اعتبره حصل يا دكتور

إرتدى مهاب القفاز الطبي في يديه ، وكز على أسنانه قائلاً بشراسة :

-لولا كده كان زماني نايم على وداني ، وبنت الـ *** بتتهب في مالي ومال ابني من بعدي !

لمعت عينيه بقسوة ، وغمغم مع نفسه بصوت عدائي :

-بس مش هاتلحق تتهنى ، أنا نفذت خطتي ، وهامسحها من على وش الدنيا ! لأ ومش بإيدي ، بإيد أقرب حد ليها .. أمها !!!!

راقب كبير الأطباء تصرفـــات مهاب بهدوء ، وهمس لنفسه :

-ده انت داهية .. مش أي حد يقدر عليك ! بس اللي يجي منك مصلحة !

....

في المقر الرئيسي لشركات الجندي للصلب ،،،

طـــرق عدي بأصابعه على سطح مكتبه وهو يطالع أحمد الواقف قبالته بنظرات جارحة .. في حين أطرق الأخير رأسه ، وبدى متوتراً للغاية .. فمنزلة هذا الرجل لا تقل أهمية عن أوس الجندي .. ووصوله إليه تعني تمكنه من تحقيق هدفـــه ..

قطع الصمت السائد بينهما صوت عدي وهو يســـأله بغلظة :

-جاي هنا ليه ؟

ارتبك أحمد نوعاً ما ، وأجابه بصوت مضطرب :

-كنت .. كنت عاوز الباشا أوس

رمقه عدي بنظرات مهينة وهو يتابع ببرود :

-انت مش حكايتك خلصت معاه ، ولا انت عاوز تقع تاني في طريقه ؟

رد عليه أحمد بتوتر وهو يرمش بعينيه :

-أنا.. أنا مش عاوز منه حاجة ، أنا جاي أحذره وبس

انتبه عدي لكلماته الأخيرة ، وردد بإستهزاء :

-تحذره ! إنت ؟!!

هز أحمد رأسه وهو يجيبه بحذر :

-ايوه ، ماتستقلش بيا يا باشا ، أنا برضوه كنت في يوم شغال مع الباشا ، وأعرف مراته

نهض عدي من على مقعده ، وهتف فيه بصوت صــــارم وهو يشير بإصبعه :

-امسك لسانك أحسنلك ، وإياك تفكر تجيب سيرتها ولا آآآ....

قاطعه أحمد بنبرة مرتبكة :

-أنا مقصدش ، بس هما ناويين يلبسوها الليلة ، وياخدوني في السكة معاها !

اتسعت حدقتي عدي بإهتمام واضح ، وســـأله مستفهماً :

-مش فاهم ، وضح أكتر!

ابتلع أحمد ريقه ، وتابع بقلق :

-قريب الباشا ، سامي الجندي ، كان بيخطط لحاجة كبيرة أوي مع المحامي بتاعه

صرخ فيه عدي بصوت هــادر وهو يدور حول مكتبه غير مصدقٍ ما لفظه للتو :

-ايييه ؟ انت اتجننت ، انت عارف ده يبقى مين ؟

نظر له أحمد بثبات عجيب ، وهتف مبرراً :

-ايوه ، هو عمــه ، بس للأسف نسى ان الباشا ابن أخوه ، وان تقى تبقى مراته !

سأله عدي بجدية أشد وهو يحدجه بنظرات نارية :

-وضح كلامك أكتــر !!!!

....

في مشفى الأمراض النفسية ،،،،

بدت تقــى في حــالة صدمة بعد أن إسترسلت في الحديث عن أسوأ لحظاتها ، وعن تجربتها المدمرة التي أفسدت حياتها ، وعن مخاوفها التي تتجسد يومياً أمامها فتزيد من هلعها ...

ربت الطبيب عزت على كتفها مطمئناً إياها وهو يتحدث بنبرة هادئة :

-اهدي يا مدام تقى ، كل ده هيتعالج مع الوقت ، أنا مش عاوزك تفكري في حاجة من اللي حصلت

لم تجبه تقى بل ظلت على وضعها الخائف ..

في نفس التوقيت اقتحم أوس الغرفة ليطمئن على زوجته ، فوجدتها على تلك الحالة ، فإحتقنت عينيه بشراسة ، وركض نحوها ، ثم جثى على ركبته أمــام مقعدها ، وأمسك بكفيها فوجدهما باردين ، فسلط أنظاره على الطبيب ، وحدجه بنظرات مميتة وهو يصرخ فيه :

-إنت عملت فيها ايه ؟

أجابه عزت ببرود استفزه :

-اهدى يا أوس باشا ! ده طبيعي في حالتها

نهض أوس من على الأرضية بعد أن ترك كفيها ، وإنقض على الطبيب ليمسك به من ياقته ، وهزه بعنف وهو يتوعده :

-مش هارحمك لو أذيتها !

حـــاول عزت تهدئته ، وإزاحته يديه عنه ، وهتف بصوت متحشرج :

-يا باشا إهدى ، هي هاتبقى كويسة

هدر فيه أوس بصوت عنيف :

-انت أعمى مش شايف منظرها ، ده غير إنـها حامل !

توسل له عزت برجاء :

-اسمعني بس وأنا هافهمك

دفعه أوس بقوة للخلف ، وهو يصيح بغضب :

-اوعــى ..!

ثم اقترب من مقعد زوجته ، واحنى جذعه عليها ، ثم مد ذراعيه أسفل جسدها ليحملها ..

ضمها إلى صدره ، ونظر إلى وجهها الشاحب بفزع .. وأدار رأسه في إتجاه الطبيب ، وصرخ فيه بنبرة عدائية :

-لو جرالها حاجة مش هارحمك ، مش هاسيبك !

وقف عزت خلفه ، وهتف موضحاً :

-يا باشا ، صدقني هاتبقى كويسة ، ده طبيعي جدا وآآآ...

قاطعه أوس بصوت غليظ وهـــادر وهو يحدجه بنظرات شرسة :

-اخـــرس !!!

ثم اتجه بعدها إلى خـــارج الغرفة حاملاً إياها ...

كانت نظراته وتعابير وجهه تدل على رعبه عليها ..

ســار بخطوات أقرب إلى الركض ناحية مخرج المشفى ..

تسارعت دقات قلبه مع أنفاسه بصورة مقلقة ..

كان يود أن يزور شقيقته ، وتتعرف هي على زوجته ، وتتقارب الاثنتين معاً .. وتصبح بينهما علاقة ودية .. ولكن أتت الرياح بما لا تشتهي السفن ..

فصحة زوجته ، وابنه الذي لم يرْ الحياة بعد ، أهم ما يشغل باله الآن ....

رأة أفـــراد حراسته الخاصة فأسروع بفتح باب سيارته ، وأسند هو تقى بحرص على المقعد الخلفي .. ثم دار حول السيارة ليركب إلى جوارها ، وأمـــر سائقه بصوت غليظ وهو يصفق الباب بقوة :

-اطلع على عيادة الدكتورة بارسينيا !

هــز السائق رأسه ، وأجابه بخنوع :

-أوامرك يا باشا

....

في المستوصف الشعبي ،،،،

جلست فردوس إلى جوار بعض السيدات ذوي الأعمـــار المختلفة .. وتأملتهن بحذر .. وإستمعت بلا قصــد إلى همهمات دائرة بينهن ، ولكنها كانت حوارات مثيرة للإهتمام ..

ضيقت عينيها أكثر ، وأصغت إلى إحداهن وهي تتابع بخفوت :

-وعنها ياختي ، كل ما ربك يعدلهالي ، أجي هنا ، والضاكتور بدران يقوم بالمطلوب معايا ، وأرجع صاغ سليم

سألتها السيدة الجالسة إلى جوارها بفضول :

-انتي مش خايفة تكشفي ؟

ردت عليه ثالثة بسخرية :

-يباركله الصيني ، بيحل كل حاجة

أضافت الأولى قائلة بمزاح :

-على رأيك ، وأهوو كله بتمنه ، والزبون اللي عاوز يدفع !

ثم قهقهت السيدات بضحكات رقيعة ، في حين إبتلعت فردوس ريقها بإنزعــاج ، وشعرت بمغصة في أسفل معدتها .. فقد أدركت أن تلك السيدة ما هي إلا ساقطة ، تتاجر بشرفها ، وتخدع فرائسها بلا ضمير في مقابل المـــال السريع ..

اضطرب تفكيرها .. فهي ربما تكون مثلها ، ولكن مع فارق أنها تتاجر بإبنتها وبجنينها ..

شعرت بتأنيب الضمير ، وحاولت أن تقاوم تلك الفكرة التي تراودها .. ونـهضت عن المقعد لتجلس على أخــر بعيد في إحدى الزوايا ..

لطمت سيدة أخـرى على صدغها بحركات خفيفة ، ثم مسحت أنفها بمنشفة ورقية مهترأة وهي تتمتم بصوت شبه باكي مع ابنتها الجالسة إلى جوارها :

-تفتكري اللي عملانه صح ؟

ربتت المرأة على فخذ والدتها ، وأجابتها بثقة :

-ايوه يامه ، كده أحسنلها

نظرت لها والدتها بأعين دامعة ، ورددت بخوف :

-بس أنا سمعت إنهم بيقولوا ده مالوش لازمة !

هتفت المرأة بصوت قاتم :

-يامه هما بيفهموا في الدين ؟ لأ طبعاً ، وبعدين ما احنا جايبنها عند دكاترة فاهمين !

إهتز جسد الوالدة وهي تهمس بتحسر :

-ربك يسترها ، هي بردك لسه صغيرة

لوت المرأة فمها لتقول بسخط وهي تحدج والدتها بنظرات خاوية :

-صغيرة ايه ، دي عندها 14 سنة ، وسنة كمان بالكتير وهنجوزها

إعترضت الوالدة قائلة بصوت مختنق :

-بس بردك ، مكنش ليه لزمة نعمل ده !

أضافت المرأة بصوت جامد يحمل القسوة :

-انتي عاوزة حد يضحك عليها ، ولا يستعبطها وساعتها نندب حظنا !! استهدي بالله يامه ، وادعيلها

تنهدت الأم بصوت حزين وهي تهمس برجاء :

-ربنا يسترها معاكي يا بنتي !

....

بداخل إحدى الغرف المظلمة بالمستوصف ،،،

جلست فتاة صغيرة – لا تتخطى الخامسة عشر من عمرها - على فراش يتوسط غرفة ما إضاءتها خافتة ، ونظرت حولها

بذعــر قليل .. فرأت أجهزة طبية متعددة ، وطــاولة موضوع عليها عدة ألات وأدوات تستخدم في العمليات الجراحية ..

إرتعاشة خفيفة دبت في جسدها المغطى بقميص بلاستيكي من اللون الأخضر .. ونظرت إلى طرف الفراش حيث يتفرع منه مسندين للأعلى ..

شبكت أصابع يديها معاً وأمعنت النظر في الإبرة الطبية المغروزة في كفها ، وحاولت أن تبلل حلقها الذي جف تماماً من فرط التوتر ..

هزت ساقيها المتدليتين من أعلى الفراش بحركة خفيفة ثابتة ، وإستدارت برأسها للجانب حينما سمعت صوتاً رجولياً آجشاً يأمرها بصلابة :

-افردي ضهرك على السرير

هزت الفتاة رأسها ممتثلة لأوامره ، وتمددت على الفراش

اقترب منها طبيب ما ، يغطي معظم وجهه بقناع أبيض ، وغرز وصلة بلاستيكة في الإبرة الطبية ليبدأ محلول ما في التسرب إلى عروقها ..

نظرت له الفتاة بقلق ، وبدأت تشعر بثقل في جفنيها حتى غابت عن الوعي تماماً ..

انضم إليه طبيب أخــر كاشفاً وجهه ، فكانت ملامحه متجهمة للغاية ، وله ذقن كثيفة ، ونظرات حادة ..

حدج تلك النائمة بقوة قبل أن ينطق بصوت خشن :

-انت خدرتها ببنج كلي ؟

أجابه بعدم أكتراث :

-ايوه

إحتج الطبيب بدران قائلاً وهو يحك ذقنه :

-مالوش لازمة ، كان كفاية جزئي ، ده ختان !

برر الطبيب شــامل فعلته قائلاً بمكر :

-ما أنا عارف إنه ختان ، بس أنا غرضي اعمل حاجة تانية

حدجه بدران بنظرات حــادة وهو يردد بضيق :

-برضوه ، انت مش ناوي تبطل العادة الوسخة بتاعتك دي

إلتوى فم شــامل بإبتسامة وضيعة وهو يجيبه مبرراً :

-ده داء فيا ، أبطله ليه ؟

ثم تحسس ذراع الفتاة المغيبة عن الوعي بأصابعه ، وقبله بشراهةٍ وهو يضيف بنبرة شيطانية :

-وبعدين أنا بأموت في الوظاويظ الصغيرة ، أحب أكون أول واحد يلمسهم !

نهره بدران محذراً :

-يا شامل ممكن حد من البنات دول يقول لأهاليهم وتتكشف !!!

اقترب منه شامل ، غمز له بمكر وهو يجيبه بخبث :

-وهاتكشف إزاي ، هما زي ما هما ، وأنا بأعمل اللي عاوزه في حتة تانية !

نظر له بدران بتأفف ، وهتف بإشمئزاز بعد أصابه الغثيان من تخيل ما يمكن أن يفعله :

-ده حرام ونجاسة !

برر شـــامل فعلته المشينة قائلاً بجدية :

-أل يعني احنا بنعمل الحلال أوي ، ما إنت فاهم كل شغلنا هنا عبارة عن ايه ؟

زفـــر بدران بصوت مرتفع ، وأردف قائلاً بإنزعاج :

-بكرة نشطب العيادة ونسيب أم المخروبة دي ، ونبدأ على نضيف !

هتف شـــامل بنبرة غير مكترثة :

-ولحد ما ده يجي ، ونتوب ، أنا هافضل كده !!!!

أدرك بدران أن زميله وشريكه في العمل لن يكف عن أفعاله المخجلة والتي يندى لها الجبين ، فأولاه ظهره ، وتابع قائلاً بقرف :

-أووف ، اما تخلص ابقى ناديني أعملها الـ آآ...

قاطعه بحماس وهو يمسح على صدره :

-ماتتعبش نفسك ، أنا هاخلص كله

لوح له بدران بذراعه وهو يقول محذراً :

-اعمل اللي يريحك ، بس اقفل الباب كويس ، وشغل لمبة العمليات عشان الواد مدبولي التمرجي !

رد عليه شامل بثقة :

-عامل حسابي

إلتوى فم بدران ليضيف بتهكم :

-اه صحيح ، ما انت قديم في الوساخة ، ودي مش اول مرة !

-بالظبط

تابع شامل بنظرات وضيعة الطبيب بدران وهو ينصرف من باب أخــر جانبي من الغرفة ، ثم سلط أنظاره على جسد الفتاة المسجى أمامه .. وتلمس ساقيها بإنتشاء مريض ...

تقوس فمـــه بإبتسامة خبيثة وهو يتحسس مواضع حرجة من جسدها ، ثم بدأ في نزع القميص الطبي عنها لتظهر أمامه عارية .. فســـال لعابه بغزارة ..

احتضنها بذراعيه ، وقبلها بشراهة ..

إثارة جامحة سيطرت عليه وهو يعبث كما يريد بتلك التي لا حول لها ولا قوة ..

مد ذراعيه أسفل جسدها ليتمكن من إدارتها للجانب ، ومن ثم أنامها على بطنها ، وسحب ساقيها للأسفل ..

لمعت عينيه ببريق خسيس ، وبدأ في نزع حزام بنطاله ، وكذلك السحاب .. ثم ألصق نفسه بها ، ووضع يديه على ظهرها

ليضغط عليه بقوة .. واستمتع بدناءة وحقارة في إرتكاب المحرمات بها

كانت الفتاة الصغيرة مغيبة ، لا تدري ما الذي يفعله بها .. لكن ملامح وجهها متشنجة ، وحركات لا إرادية عصبية تسيطر على جفنيها ...

دقائق مرت عليه وهو يتصبب عرقاً ، ويعثو بنشوة مريضة معها حتى شعر بإرتخاء جسده ، فتركها على وضعها كالبهيمة ، وتراجع للخلف ليضبط أنفاسه اللاهثة ..

مسح وجهه بكفه ، وأخـذ نفساً عميقاً ، ثم أدار رأســه ناحية الطاولة الموضوع عليها الأدوات الطبية الحادة ، وإلتقط مشرطاً منه ، وردد بصوت لاهث :

-الوقتي بقى نشوف شغلنا اللي بجد .... !!!!

....

الفصل السابع عشـــر :

في العيادة النسائية ،،،

انتهت الطبيبة بارسينيا من توقيع الكشف الطبي على تقى الممددة أمامها ، والتي كانت في حالة يرثى لها ، بداخل الغرفة المخصصة للكشف ..

دار أوس في غرفة مكتب الطبيبة ذهاباً وإياباً وهو يفرك وجهه وذقنه بعصبية ..

ظل ينفخ لأكثر من مرة وهو يحاول السيطرة على هدوئه ..

فتحت بارسينيا الباب ، ودلفت للداخل ووجهها خالي من أي تعابير ..

إستدار أوس ناحيتها ، ووقف قبالتها وسألها بتلهف :

-تقى مالها ؟

أجابته بجدية وهي تتجه نحو مكتبها الخشبي :

-مش عارفة أقول لحضرتك ايه ، بس أنا لأكتر من مرة نبهت انها تبعد عن أي ضغوط نفسية خلال الفترة الأولى من الحمل ، ده بيأثر جامد على الجنين !!

سألها بهلع ونظراته معلقة بها :

-يعني ايه؟

ردت عليه بصوت منهك وهي تسحب مقعدها لتجلس عليه :

-هي الوقتي كويسة ، بس محتاجة لهدوء نفسي ، وراحة ، مافيش داعي نتعب أعصابها كل شوية ، لأن ده ممكن يجي بالعكس !!

خفق قلبه خوفاً ، وتسارعت دقاته .. وبدى على وشك الإنهيار وهو يخمن الأسـوأ ...

انحنى بجذعه للأمــام ، وأسند كفيه على سطح مكتبها ، وسألها برجفة خفيفة في نبرته :

-طب .. طب والجنين ؟

أجابته بهدوء وهي تشير بكفها :

-وضعه مستقر ، لكن هي عندها حالة ضعف عام ، وعاوزة تغذية واهتمام أكتر من كده

تنهد بإرتياح .. ثم أضــاف قائلاً بجدية بالغة :

-شوفي ايه اللي تحتاجه وأنا هانفذه كله

ردت بإبتسامة هادئة وهي تشبك كفيها معاً :

-زي ما قولت لحضرتك من شوية ، الراحة والتغذية ، والبعد عن أي ضغوط !

سألها مجدداً بإندفاع :

-طب أقدر اشوفها ؟

أجابته بنفس الإبتسامة الهادئة :

-ايوه ، هي الممرضة معاها ، وهاتجيبها وتيجي على هنا !

أومـــأ برأســـه في سعادة ، وإعتدل في وقفته ، ومرر أصابع يده في فروته ...

في نفس التوقيت اهتز هاتفه الموضوع في جيبه ، فأخرجه لينظر إلى اسم المتصل ، فوجده عدي ، فزم فمــه ، وضغط على زر الإيجاب ، وهتف بضجر :

-ايوه يا عدي

سأله عدي هاتفياً بجدية :

-أوس انت فين ؟

أجابه بإيجاز :

-مع تقي

سـأله عدي بإهتمام واضح :

-حصل حاجة ؟

رد عليه بتنهيدة منهكة :

-تعبت شوية

سأله مجدداً بقلق :

-طب هي كويسة الوقتي ؟

أجابه بإقتضاب وهو يدس يده في جيبه :

-يعني

أضـاف عدي قائلاً بحذر :

-تمام .. طيب ينفع تيجي الشركة شوية

ضاقت عيني أوس قليلاً ، وسأله بغموض :

-ليه ؟

رد عليه عدي بنبرة شبه منزعجة :

-في حاجة مهمةماينفعش تتقال في التليفون !!!

تابع أوس قائلاً بجدية :

-وأنا مش هاينفع أسيب تقى لوحدها !!

أردف عدي قائلاً بنزق :

-ماهو الموضوع يخصها برضوه

اتسعت عيني أوس بإرتياب ، وهتف بصوت قاتم :

-اييه ؟!

....

في المشفى الحكومي ،،،

ظل عبد الحق يجــوب الممر ذهابا وإياباً وهو في حالة قلق شديدة مفركاً كفه بالأخر .. وتمتم بتلهف وهو يضرب الحائط الرمـــادي :

-استرها يارب ، جيب العواقب سليمة !

لقد نقل زوجته بطة لهذا المشفى الحكومي بعد أن عاونها في إرتداء عباءتها السوداء ليتعامل الأطباء مع حالتها ..

لم يعرف ما الذي أصابها ، ولكنها كانت في حالة بائسة ..

لم تتوقف عن الصراخ أو البكاء بسبب الآلم الذي إجتاح أسفل جسدها ..

بعد برهـــة خرجت إحدى الطبيبات من غرفة الطواريء ، فركض نحوها ، ولوح بذراعيه وهو يسألها بتوتر :

-طمنيني يا ضاكتورة ! البت بطة مالها ؟

رمقته بنظرات متفحصة وهي تسأله بجمود :

-إنت جوزها ؟

هز رأسها بصورة هيسترية ، وهتف بضجر :

-ايوه ، هي كويسة ؟؟ قوليلي بس ! دي .. دي كانت بتصوت وقلبت نافوخي وأنا مش عارف إيه اللي جرالها !!!

لوت فمها وهي تردد بهدوء :

-طب هستأذنك تيجي ورايا على المكتب !

جحظت عينيه بقلق ، وسألها متلعثماً :

-هي .. هي كويسة ؟

أجابته بهدوء مستفز وهي تتحرك للأمـــام :

-هاحكيلك عن حالتها هناك

ابتلع ريقه ، وغمغم برجـــاء :

-استر يا اللي بتستر !

....

بداخـــل عنبر المرضى الخاص بالسيدات بالمشفى ،،

رفعت بطة صوتها بالبكاء والصياح والولوعة وهي تلطم على صدغيها قائلة بإهتياج :

-آآآه ، منه لله ، عملها فيا هو وأمــــه ، أكيد هي اللي وزته عليا ، آآآآه ، ضيعوني الله ينتقم منهم

أمسكت الممرضة بذراعها ، وهتفت فيها بحدة :

-اهدي يا مدام !

صرخت فيها بصوت هـــادر :

-اهدى ، عاوزاني أهدى بعد اللي عرفته !

أضافت الممرضة بصوت شبه محتد :

-احمدي ربنا إنها جت على أد كده

أمسكت بطة بياقة عباءتها ، وهزتها بعنف وهي تواصل عويلها :

-منكم لله يا بُعدة ، تتشووا في نـــار جهنم قريب !

....

في غرفة مكتب الطبيبة ،،،،

جلس عبد الحق على المقعد المقابل لمكتب الطبيبة ، وأدار جسده ناحيتها ، وسألها مستفهماً :

-أنا مش فاهم حاجة من اللي قولتيه ده كله

زفـــرت الطبيبة بإنهـــاك ، وأسبلت عينيها وهي ترد عليه بهدوء :

-شوف يا أخ عبده ، مراتك اتحطلها مادة حارة في منطقة حساسة للغاية من جسمها ، دي أدت لتدمير الشعيرات الدموية المغزية للمنطقة بشكل كبير ، وده طبعاً تأثيره بينعكس على قنوات فالوب والرحم

نظر لها ببلاهة ، وبدى ساذجاً وهو يسألها بحيرة :

-يعني ايه ؟

أجابته بنبرة عادية ووجهها خالي من أي تعابير :

-ببساطة كده ، المدام عندها صعوبة إنها تبقى حامل بعد كده !

هب من مقعده مصدوماً ، وردد بتلعثم :

-هـــاه .. يعني .. يعني آآ...

قاطعته الطبيبة مضيفة بجدية وهي تشير بيدها :

-احنا بنعتبر ده جريمة ، وآآ..

قاطعها عبد الحق متسائلاً بصوت مشدوه :

-يعني بطة مش هاتخلف ؟!!

تنهدت بعمق وهي تجيبه بصوت شبه حزين :

-للأسف هايبقى صعب !

رفعت رأسها للأعلى ، وتابعت بأمل زائف :

-لكن ده مش معناه إنه مستحيل ، ممكن بـ آآآ...

قاطعها عبد الحق بصراخ شبه باكي وهو يضع يديه على رأسه :

-عملتي فيها ايه يامه ، حــرام عليكي ، خربتي بيتي ، وضيعتي البت ..!!!

....

في المقر الرئيسي لشركات الجندي للصلب ،،،

صعد أوس لمكتبه بعد أن أوصـل تقى إلى منزلهما ، وأوصـى المديرة عفاف برعايتها ريثما يعـود إليها ..

دلف إلى داخـل المكتب ووجهه متشنج للغاية ..

جحظت عينيه بشراسة مخيفة حينما رأى الحارس أحمـد أمامه ، فبلا وعـي أسـرع نحوه ليفتك به ، وانقض عليه ، وأمسك به من ياقته ، وهزه بعنف وهو يصيح بغلظة :

-انت جيتلي برجليك !!!

ثم أطبق على عنقه محاولاً خنقه ، فصـرخ أحمد مستغيثاً :

-آآآه ، انا .. آآآ..

-سيبوه يا أوس ، هايموت في ايدك

قالها عدي وهو يركض نحوه محاولاً إبعاد قبضتيه عن أحمد ..

كـز أوس على أسنانه قائلاً بنبرة عدائية صريحة :

-مش هاسيبه إلا لما روحه تطلع !!

كانت أصابعه قابضة بشراسة على عنق أحمد ، فتمكن عدي بصعوبة من تحرير الأخير منه ، ودفعه للخلف ، ومن ثم وقف بجسده حائلاً بينهما ...

سعل أحمد سعـــال شديد وهو يكافح لإلتقاط أنفاســـه ..

نهره عدي بضيق :

-ايه يا أوس ، مش تستنى لما تفهم الأول

لوح أوس بذراعه بغضب ، وهدر بصوت عنيف وهو يحدج أحمد بنظرات مهينة :

-عاوزني أفهم من الـ *** ده إيه ؟

رد عليه أحمد بحذر وهو يضبط أنفاسه :

-كح ..كح .. أنا غرضي مصلحتك يا باشا ، كـح .. فهمه يا عدي بيه ، كح !

أضـــاف عدي وهو يسحب أوس من ذراعه للخلف بهدوء :

-اهدى بس ، واسمع مني للأخـــر

....

في المستوصف الشعبي ،،،،

خـــرج الطبيب شــامل للإستقبال وهو ينزع قفازيه ، نظر في أوجــه الجالسين بإشمئزاز .. ثم صــاح بصوت هـــادر :

-مدبولي

ركضت ناحيته الممرض ، وأطرق رأســـه للأسفل وأجابه بخفوت :

-ايوه يا ضاكتور

سأله بتأفف وهو يحك ذقنه :

-فين أهل البت اللي عملت ختان ؟

أشـــــار له مدبولي بعينيه وهو يجيبه هامساً :

-هناك يا ضاكتور شامل

حرك شــامل أنفه للجانبين ليتنفس بصوت مسموع وهو يتابع بنبرة مزدرية :

-طيب ، هي خمساية وهتفوق ، خليهم يخشوا ياخدوها

هز رأســه موافقاً وهو يتمتم بـ :

-ماشي يا ضاكتور

ومــا إن رأته فردوس حتى أسـرعت نحوه ، وهتفت بإصرار :

-يا حالضاكتور ، لو سمحت !

إستدار شامل برأســـه نحوها ، ورمقها بنظرات جارحة إلى حد ما ، وسألها ببرود :

-عاوزة ايه ؟

تلعثمت وهي تجيبه قائلة :

-أنا .. انا كان عندي مشكلة وآآ...

قاطعها بنبرة غير مكترثة وهو يوليها ظهره :

-اتكلمي مع الممرضة ، وهي آآ...

قاطعته بنبرة ملحة ، وهي تنظر له بتوسل :

-ما انا اتكلمت معاها ، وقالتلي هاتسألك ، وأنا هنا من بدري ، ومحدش إداني عُــقاد نافع !

لوى فمه وهو يســألها بفتور :

-والمطلوب مني ايه ؟

أخفضت نبرة صوتها لتجيبه بحذر :

-بنتي آآ.. عاوزة تسقط !

بدى مهتماً عقب جملتها الأخيرة ، ومط فمه للأمــام :

-مممم..

تابعت هي بصوت جــاد رغم همسه :

-وأنا تحت أمرك في اللي تطلبه ، بس ريحنا من الهم ده !

فــرك جبهته بفضول ، ولمعت عينيه بتسلية ، فهناك فريسة أخــرى قادمة إلى عرينه ، سوف يستمتع معها سراً قبل أن يتركها لغيره .. لذا بعد لحظات من الصمت المتعمد ، أردف قائلاً بصوت آمــر :

-تعالي ورايا ، هانتكلم في مكتبي

تنهدت بإرتياح وهي تردد :

-ماشي !

ثم تبعته بخطوات سريعة وهي تتوسم خيراً أن تنطلي خدعتها ، وينجح مخططتها ، وتظفر في النهاية بكل شيء ..

....

في المقر الرئيسي لشركــات الجندي للصلب ،،،،

ســـرد عدي على أوس ما قصــه الحارس الأمني أحمد من تخطيط عمه ومحاميه للإيقــاع بزوجته ، وتدمير سمعتها ، وإيهام الجميع بأنها على علاقة آثمة بحارسه الأسبق ، ومن ثم التخلص منهما ..

أصغى أوس بهدوء عجيب ، ولكن احتقنت عينيه بصورة مخيفة .. وبدت تعبيرات وجهه على وشــك الإنفجــار ...

انتظر عدي أن يعلق عليه رفيقه ، وحدق به ، ولكن أدار الأخير رأســه في إتجاه أحمد وصــاح به ببرود قاتل :

-إحمد ربنا إن انكتبلك عمر جديد ، لأني مش هارحم أي حد يمس مراتي ولو بكلمة !

ضاقت عينيه أكثر ليبرز منهما شرر مخيف ، وتابع بقســوة وهو يشير بإصبعه :

-بـــــرا !

اتسعت مقلتي عدي في ذهــول ، وانفرج فمــه ليهتف بصدمة :

-استنى يا أوس ، انت بتطرده قبل ما آآآ...

قاطعه أوس مهدداً وهو يحدجه بقوة :

-ده أحسنله ، بدل ما أقتله !!

ثم تركه وإتجه ناحية الحائط الزجاجي ، وضرب عليه بقبضته المتكورة بعنف ، وظل محدقاً أمامه بنظرات قاتمة ..

ابتلع عدي ريقه بتوجس ، فما سمعه رفيقه ليس بالأمــر الهين ، فهناك مكيدة حيكت ضد زوجته تقى ، ومدبرها هو عمــه .. نفخ بإنزعــاج ، وأشــاح بوجهه ناحية سطح مكتبه ، فرأى المظروف المغلف عليه .. فزفــر مجدداً بضيق ..

فما يحتويه هذا المغلف هو جزء أخـر من منظومة الفضائح الغير أخلاقية .. وعليه أن يبلغ أوس بما عرفه تواً ..

بحرص شديد اقترب من أوس ، ووقف إلى جواره ، ثم وضع يده على طرف كتفه ، وضغط عليه قليلاً وهو يردف بحذر :

-في حاجة تانية عاوز أقولك عليها !

لم يلتفت له أوس ، بل ظلت نظراته معلقة بحركة السير أمـــامه ..

ضغط عدي على شفتيه متابعاً بإمتعاض :

-أنا .. أنا جبتلك كل التفاصيل عن اللي نشر عن .. آآ.. عن مراتك الكلام اياه

إستدار أوس برأســـه ناحيته ، وحدجه بنظرات مميتة ، فدب الرعب في قلب عدي ..

نعم .. هو يعرف تلك النظرات الشرسة جيداً .. إنها لا تظهر بقسوتها تلك إلا حينما ينتوي أن يفعل أمراً خطيراً ..

إزدرد ريقه وهو يسأله متوجساً :

-انت ناوي تعمل ايه ؟

لمعت عيني أوس بقـــوة مخيفة وهو يجيبه بنبرة عدائية بحتة :

-هاتعرف ....!!!!

....

الفصل الثامن عشـر:

في منزل أوس الجديد ،،،،

ظلت تقـى على وضعيتها المستكينة رافضـة للحديث مع أي أحـد .. وشـاردة معظم الوقت ..

أشفق أوس على حالتها بشدة .. هو لم يردْ أن تخوض تلك التجربة الذهنية من جديد ، ولكنه كان يعلم أنها السبيل الأول للعلاج الفعـال ..

أخـذ نفساً عميقاً ، وحاول أن يضبط إنفعالاته حتى لا يؤثر عليها ، فيكفيه أنها لم تنبذ بعد وجوده بقربها ..

بحذر شديد جلس إلى جوارها على الأريكة العريضة ، ثم مد يده ليتلقط كفها ، وإحتضنه بين راحتيه ، وهمس لها متوسلاً :

-انسي يا تقى ، وماتفكريش في اللي فات ، اللي مرينا بيه كان غصب عني وعنك ، وأنا بأقولهالك تاني ، أنا استحالة أذيكي تاني ، أو أخلي حد يأذيكي ..!!

نظر إليها بعشق ، وتأمل سكونها بتفحص دقيق .. ثم رفع كفها إلى فمه ، وطبع قبلة صغيرة عليه ، وتابع بهدوء :

-أنا عارف مين اللي هايقدر يخرجك من اللي انتي فيه ! وبكرة هاتكون معاكي .. هي زيك وروحها حلوة ، وإنتو الاتنين محتاجين بعض !

ربت على كفها قبل أن يتركه ، وينهض ليتحرك نحو غرفة مكتبه ....

تابعته تقى بنظراتها الحزينة ، ثم همست لنفسها برجـــاء واضح :

-يا ريت أقدر أنسى عشان أكمل اللي جاي وأنا ... وأنا مش خايفة من حياتي معاك !

....

في صبـــاح اليوم التالي ،،،

في منزل الجـــارة أم بطة ،،،

إرتسمت إبتســـامة عريضة على ثغر أم بطة حينما رأت ابنتها واقفة أمــام عتبة منزلها بعد أن فتحت الباب لها ..

مدت لها ذراعيها لتحتضنها وهي تردد بسعادة :

-وحشتني يا بت ، كل دي غيبة ، تعالي في حضن أمك

كانت بطة كالصنم معها ، بدت متجهمة الوجـــه ، عينيها حمراوتين ومنتفختين من كثرة البكاء

حينما أمعنت والدتها النظر في ملامحها ، سألتها بتوجس :

-في ايه يا بطة ؟ ايه اللي حصل ؟

إشرأبت بعنقها ، ونظرت للخلف وأضافت بقلق :

-والواد عبده فين ؟

-وسعي يامه ، سيبني في البلوى اللي أنا فيها

قالتها بطة بصوت مختنق وهي تندفع بخطوات متعرجة إلى داخل المنزل ..

نظرت لها والدتها بحيرة ، وسألتها بهلع :

-حصل ايه يا بت ، انطقي ؟!

ألقت بطة بجسدها على أقرب أريكة ، ولطمت على فخذيها ، وهي تنتحب بحسرة :

-اللي حصل مايتقالش يامه ، آآآآه .. ضعت واللي كان كان

صاحت فيها بصوت محتد وهي تلوح بيدها في الهواء :

-يا بت انطقي ، وغوشتيني عليكي !!!

أطلقت بطــة تنهيدة حــارة من صدرها لتجهشــأ بعدها ببكاء حــار متأسفة على حالها وعلى أنوثتها التي أغتيلت بلا ذنب ...

....

في منزل عبد الحق بالزقـــاق الشعبي ،،،،

جلست إحســان على الأريكة وهي تثني ركبتها أسفل منها وعلى وجهها علامات البرود جلية ..

بينما صــرخ عبد الحق بغضب فيها قائلاً :

-ليه يامه عملتي فيها كده ؟؟ ليييه ؟ مفكرتيش في ابنك ولا اللي هيجراله ؟!

نظرت له بعدم إكتراث ، وأجابته بقسوة وهي تستند بمرفقها على ركبتها المثنية :

-أومـــال مفكرني هاسيب بنت الحرام دي تفلت بعملتها مني ، دي جرستني في وسط الحتة ، وأنا عملت معاها السليمة !!

هـــدر فيها بإنفعال وعينيها تنطقان بالشرر المتطاير :

-حـــرام عليكي يامه ، دي مش هاتخلف تاني !

لوت ثغرها بإبتسامة قاسية وهي تردد :

-عــز الطلب ، خليها كده زي الأرض البور ، وبكرة أجوزك ست ستها !

وضـــع عبد الحق يديه على رأســـه ، وضغط عليها بعصبية وهو يهتف بحنق :

-منك لله يامه ، خربتي بيتي !

اعتدلت في جلستها ، ورمقته بنظرات حـــادة وهي تضيف ببرود :

-ياواد ده أنا ريحتك من بنت الأبلسة دي !

أصـــدر هو أنيناً خافتاً حزناً وقهراً عليها ، ثم نظر لوالدته بأعين دامعة ، وردد بعتاب شديد :

-أنا مش مسامحك يامه .. انتي ضحكتي عليا وخلتيني أصدق إن قلبك عليا ، وإنتي .. إنتي كانت نيتك وحشة !

حدجته بإزدراء ، وتابعت بغلظة قاسية :

-إنت اللي عبيط ، مفكرني هسامح واحدة زيها !

إلتمعت عينيها ببريق مخيف وهي تكمل بشراسة :

-ده أقل حاجة تستحقها مني ، لو كانت تحت ايدي ، كنت حطيت رقبتها تحت جزمتي ، وهرستها ! كده هاتفضل فكراني طول عمرها ، وتعرف مين هي إحســـان !!!!!

ضغط عبد الحق على شفتيه بغل ، ومسح بجانب كفه عبراته ، ثم هتف بصوت عصبي :

-أنا مش عارف أقولك ايه ، بس أنا خلاص معدتش ليا قعاد هنا معاكي ، ولا كلام تاني !!

نهضت عن الأريكة عقب عبارته الأخيرة ، وضيقت عينيها بقسوة ، ثم هتفت فيه بإنفعال :

-هتقاطعني يا عبده عشانها ؟؟

رد عليها بصوت متشنج وهو يلوح بذراعه :

-لأ عشان الظلم والافترى اللي عملتيه فيها ، هتقابلي ربنا ازاي وانتي آآ....

قاطعته قائلة بتهكم وهي تشير بيديها بحركات مهينة :

-حوش حوش إنت اللي مقطع سجادة الصلاة ، والتقى والإيمان بيشروا منك ! ده انت صايع وضايع وفيك كل العِبر !

رد عليها بقوة وهو يرمقها بنظرات جارحة :

-بس مش مفتري وبأجي على الغلبان !

صاحت فيه بعصبية شديدة :

-قصدك ايه ؟

-حسبي الله ونعم الوكيل

قالها عبد الحق بغضب وهو يتجه نحو باب المنزل ، ثم ولج للخـــارج وصفقه خلفه بعنف ..

إنتفضت إحســـان بجسدها قليلاً على إثر الصفعة ، وبصقت خلفه قائلة بإهتيـــاج :

-روح داهية تاخدك إنت وهيا !!

...

في مشفى الأمــراض النفسية ،،،،

وقف أوس مع رفيقه عــدي في الحديقة الواسعة بالمشفى ، ونظر الإثنين حولهما بإنتباه شديد ، وتعلقت أنظارهما بالباب الواسع المتصل بها ..

أردف عدي متسائلاً بهدوء :

-إنت متأكد إنك عـاوزها تكون معاها ؟

لم تطرف عينيه وهو يجيبه بإقتضاب :

-ايوه

تردد عدي وهو يســأله بضيق :

-بس .. بس انا كنت حابب إن ليان تبقى عندي الفترة دي ، وخصوصاً إنها اتحسنت وآآ...

قاطعه أوس بثبات وهو يدس يده في جيب بنطاله :

-تقى محتاجة حد يكون معاها ، وليان حالها ميختلفش عنها كتير !

تابع عدي قائلاً بإصرار :

-بس هي مراتي ، وأنا عاوز أعوضها عن اللي حصل وآآ..

قاطعه أوس مجدداً وهو يضع يده على كتف رفيقه :

-أنا عارف ومتأكد من ده ، بس استحمل شوية عشانها

-ممم ..

ثم ضغط على كتفه قليلاً بأصابعه ، وأشـــار له بعينيه وهو يقول بجدية :

-بص ،هي جاية أهي !

إلتفت عدي نحو المدخــل لتلتقط نظراته ليـــان وهي تخطو برشـــاقة نحوهما ..

كانت مختلفة عن أخـــر مرة رأها فيها .. هي أكثر إشراقاً ، أكثر حيوية ، وأكثر إقبالاً على الحياة ..

تحرك الاثنين نحوهما حتى صـــار ثلاثتهم في مواجهة البعض ..

إرتسمت إبتسامة عذبة على وجه عدي ، بينما تقوس فم أوس بإبتسامة هادئة وهو يهتف بخفوت :

-ليـــان

نظرت له بعينين ضاحكتين ، فتنهد بإرتيــاح لرؤيتها على تلك الحالة المنتعشة .. ثم لف ذراعه حول كتفها ، وسحبها نحوه ليضمها إليه ، وإحتضنته هي بذراعيها ، وهمست له بنعومة :

-وحشتني !

ضغط على ظهرها بقبضته ليبث إليها الآمــان ، وأردف قائلاً بهدوء :

-وانتي كمان يا حبيبتي

أرجعت جسدها للخلف ، ورفعت رأسها لتنظر إليه بتمعن ، فإستأنف حديثه بجدية :

-مش هاتسلمي على عدي .. جـوزك

أدارت رأسها في إتجاه الأخير ، ورمقته بنظرات قوية ، وهتفت بإقتضاب :

-هـــاي !

سألها بتلهف وهو يرمقها بنظرات حانية :

-ازيك يا ليو ؟ عاملة ايه ؟ طمنيني عليكي !

ردت عليه بفتور وهي تشيح بوجهها بعيداً عنه :

-Fine (بخير)

لم يتعجب من تصرفها البـــارد معه ، فقد أخبره طبيبها المعالج بأنها ستحتاج إلى وقت لتتقبل وجوده في حياتها مرة أخرى ، وعليه أن يبذل مجهوداً من ناحيته ليكتسب ثقتها من جديد ..

وضــع أوس إصبعيه على طرف ذقن شقيقته ، ورمقها بنظرات دافئة لم تعتدها منه ، وهمس متسائلاً بحماس:

-مستعدية تيجي البيت عندي ؟

ردت عليه برقــة :

-طالما مش هاروح القصر ، It's okay (مافيش مشكلة)

أكمل قائلاً بجدية وقد ضاقت نظراته :

-انسي القصر بكل اللي فيه ، انتي هتعيشي معايا لفترة وبعدها آآ...

اقتضب جملته الأخيرة حتى لا يثير ضجرها ، وصمت للحظة ليطالع عدي بنظرات ذات مغزى ، ثم إستأنف حديثه بـ :

-تعرفي إن مراتي كان نفسها تشوفك !

قطبت جبينها بإندهـــاش ، وسألته متعجبة :

-مراتك ! هو .. هو إنت اتجوزت ؟

رد عليها بإبتسامة باهتة :

-ايوه ، من كام شهر

سألته مستفهمة وهي ترمقه بنظرات مستغربة :

-من غير ما تقول لحد ؟

تنهد بعمق وهو يجيبها بحذر :

-بصي .. هو موضوع يطول شرحه ، لكن اللي عاوزك تعرفيه ، إنك لما هتشوفيها هتحبيها

هزت كتفيها بصورة عادية وهي تردد بإيجاز :

-اوكي ..

رسم عدي إبتسامة مصطنعة على ثغره ، وأشــار بكفه للأمــام وهو يردد بحماس :

-مش يالا بينا ! ولا انتو عاوزين تفضلوا هنا

أحــاط أوس شقيقته بذراعه ، وقال مبتسماً :

-يالا ، زمانت الشنط بتاعتك اتحطت في العربية

سألها عدي بإهتمام ، وهو يرمقها بنظرات ناعمة :

-انتي مش ناسية حاجة يا ليو ؟

ردت عليه بعبوس :

-لأ

ضغط عدي على شفتيه وهو يردد بحذر :

-تمام !

ثم تحرك ثلاثتهم في إتجاه الممر المؤدي إلى موقف السيارات ..

....

في منزل الجـــارة أم بطة ،،،

لطمت أم بطة على صدغيها بعنف وهي تصرخ متحسرة على إبنتها بعدما عرفت ما الذي حدث معه ، ثم صـــاحت بمرارة :

-حبيبتي يا بنتي ! عملتها فيكي العقربة دي !

نشج صـوت بطة بأسف وهي تضيف :

-آآآه يامه ، خلاص .. مبقاش فيا حاجة تنفع !

هتفت والدتها بتوعد وقد إحتقنت نظراتها بشدة :

-والله ما سيباها ، هـــ آآآ..

قاطعتها بطة بصوت يائس وهي تمسح أنفها بمنشفة ورقية :

-مالوش لازمة يامه ، خلاص ، اللي راح راح ، معدتش في حاجة يتبكي عليها إلا أنا

رددت والدتها بنبرة مواسية :

-منها لله ، ربنا ياخدها !

ثم رفعت يديها للأعلى ، وكذلك أنظارها ، وهتفت بغل : أشوفك محروقة كده ولا لاقية حد يطفيها ، بقى تعمل فيكي كده ، يخربيتها !!

ظلت تهز جسدها بعصبية ، ثم أضافت بنفاذ صبر :

-لالالالا .. مش قادرة أسكت

هتفت بطة بصوت مختنق وهي ترمق والدتها بنظرات معاتبة :

-انتي السبب يامه ، جوزتني لواحد أمه بالشكل ده !

أجابتها والدتها بندم :

-يا بتي أنا كان غرضي أسترك ، والحمدلله الحال بينكم اتصلح !

حركت بطة رأسها مستنكرة ، وهتفت بنزق :

-بس هي يامه لأ .. كانت بترقدلي

تنهدت والدتها بصوت مرتفع ، وصاحت بمرارة :

-آآآه يا ضنايا !

ثم إحتضنت ابنتها ، وربتت على ظهرها بقوة ، وقبلتها من رأسها ، وأضافت قائلة بأسف :

-حقك عليا يا غالية !!

بكت بطة أكثر ، وتعالت شهقاتها .. فزاد شعور والدتها بالغضب ، وهتفت بنبرة عدائية :

-بس ورحمة الغاليين كلهم مش هاسيبها ، وربنا لأحيل عليها نسوان يجيبوا داغها ، دي مش عارفاني ، كله إلا بنتي !

رفعت بطة عينيها المتورمتين للأعلى ، وإنتحبت بألم جلي :

-ربنا ينتقم منك ، أشــوف فيكي يوم يا أم عبده ، يـــا رب إنت على الظالم والمفتري ، آآآه ، يا رب انتقم منها ، وخلص ذنبي !!

....

في المستوصف الشعبي ،،،،

دلفت المرأة التي أحضرت أختها الصغرى إلى داخل ذلك المكان الغير آدمي ، ونظرت حولها بحقد ..

كانت تعابير وجهها مكفهرة للغاية ، ونظراتها مشتعلة ..

كزت على أسنانها بغيظ وهي تتجه نحو مكتب الممرضة الخشبي ...

رفعت الممرضة السمراء وجهها لتنظر إليها وهي تقول ببرود :

-انتي تاني ؟ خير في حد عندك عاوز ختان ولا آآآ...

قاطعتها بصوت شبه غاضب وهي تطرق بيدها على سطح مكتبها القديم :

-فين الضاكتور اللي عملها العملية ؟

ردت عليها متسألة بفضول :

-بتسألي ليه ؟

ردت عليها متلعثمة وهي تحاول الحفاظ على إنفعالها :

-البت عندها نزيف من امبارح في آآ... في حتة كده آآ... آآ..

صاحت بها الممرضة بنفاذ صبر وهي تهز حاجبها :

-ماتقولي يا ستي مالها ، انتي هاتكلميني بالألغاز !!!

مالت عليها المرأة بجسدها لتهمس لها في أذنها بموضع الجرح الجديد بالجرح الموجود في جسدها غير الخاص بالعملية ..

فعقدت الممرضة السمراء ما بين حاجبيها مندهشة ، وإنفرج فمها لتقول بإستنكار :

-وده مين ايه ياختي ؟

ردت عليها المرأة بصوت جــاد ومحتد :

-ماهو أنا جاية هنا عشان أسأل ، البت بتصوت من امبارح ، والدنيا مبهدلة عندها على الأخــر !

-شوفي ياختي هو الضاكتور شامل بيجهز لعملية الوقتي ، لما يخلص هـ..آآآ....

قاطعتها بصوت مهدد وهي تلوح بذراعيها :

-هو أنا لسه هستناه أما يخلص ، ناديه الوقتي ، بدل ما أدخل عليه وأعملها فضيحة ، وساعتها اللي ما هيشتري يتفرج ، البت داخلة عندكم سليمة ، تطلعي بـ آآآ.. لألأ .. مش أنا اللي هاحط جزمة في بؤي وأسكت !!!

أشـــارت لها الممرضة السمراء بكفها وهي تقول بسخط :

-وعلى ايه ، استني هنا !

ثم لوت فمها لتغمغم بهمس وهي تتحرك نحو الرواق المؤدي للغرف الداخلية في المستوصف :

-ولية شلأ ، وبومـــة !!!

ظلت المرأة تفرك كفيها بعصبية واضحة وهي محدقة في الرواق ..

وما إن رأت الطبيب شـــامل مقبلاً عليه حتى أسرعت إليه ، وهتفت بنزق :

-عملت ايه في اختي يا ضاكتور ؟

حـــافظ الطبيب شامل على هدوء أعصابه أمامها ، وتعمد أن يرسم قناع الجمود .. فهو على يقين تام بما إرتكبه مع تلك القاصر من محرمات يندى لها الجبين ..

رفع رأســه للأعلى ، وحدجها بنظرات إحتقارية وهو يجيبها ببرود مستفز :

-اختك مين ؟ هو أنا اعرفك أصلاً لما أعرف اختك !

صاحت فيه بصوت محتد وهي تحدجه بنظرات مميتة :

-اختي يا ضاكتور ، اللي ختنتها امبارح !

رد عليها بجفاء أكثر وهو يعقد ساعديه أمـــام صدره :

-أنا بيورد عليا قليل وكتير ، هافتكر مين ولا مين !

هدرت بصوت مغلول وهي تكز على أسنانها :

-يا ضاكتور ، ده مكانش في إلا هي

زم فمه للأمـــام ، وحل ساعديه ليدسهما في جيبي معطفه الأبيض .. وتابع بعدم إكتراث :

-مش فاكر ، أنا بأركز في اللي بأعمله وبس !!

ســـألته بصوت محتقن وهو تلوح بكف يدها :

-يعني يا ضاكتور الالتهاب والنزيف اللي جالها من الباب للطاق

أجابها بإقتضاب وهو يرمقها بنظرات باردة :

-معرفش !!

هتفت مصدومة من رده :

-نعم !

أخــرج يده من جيبه ، وأردف قائلاً بجمود :

-بصي ممكن يكون عندها بواسير ولا حاجة

صاحت فيه بعدم تصديق ونظراتـها تزداد إشتعالاً :

-ايه الكلام ده يا ضاكتور ، اختي جيالك زي الفل ، وانت بتقولي عندها أبصر ايه !

رمقها بنظرات مهينة وهو يهتف بعنجهية :

-بأقولك ايه يا ست انتي ، أنا مش فايق للعك ده ، أنا عندي عيانين وعمليات غيرك ، مش فاضيلك !!

ثم أولاها ظهره ، ونـهر الممرضة السمراء قائلاً بغلظة :

-وانتي تاني مرة ماتندهليش أشوف الأشكال دي

هـــدرت المرأة بصوت غاضب يحمل التهديد :

-وأني مش هاسكت يا ضاكتور ، وهاعرف إيه اللي حصل لأختي ، وساعتـها بس هاتعرف إن الله حق يا ضاكترة !!!!

....

في منزل عبد الحق بالزقـــاق الشعبي ،،،،

بصقت إحســـان بقايا قشـــر اللب الذي إلتهمته على الأرضية أمامها ، وزمت فمها للأمـــام وهي تتابع المشهد السينمائي المعروض على شاشة التلفاز ..

تنهدت بعمق وهي تتمتم مع نفسها بغرور :

-يا سلام يا إحســـان ، مالكيش أد ولا زي ، عمر ما حد قدر أبداً يقف قصـــادك !

حركت جسدها على الأريكة لتتمطع بساقيها بعد أن شعرت بتنميل في إحداهما ، ولكنها أحست بإهتزازة خفيفة تصيبها ، فظنت أن رأسها يدور .. لذا وضعت راحتيها على جانبي رأسها ، وغمغمت بسخط :

-مالها دماغي ، هو اللب على الضغط عندي ولا ايه ؟

زادت حـــدة الإهتزازة ، فنظرت حولها بذعـــر ، وهتفت بهلع :

-هو في ايه بيحصل ؟؟

سمعت أصواتاً خـــارجية تصــرخ بفزع :

-العمارة بتقع يا نـــاس ، اهربوا بســـرعة

وأعقبها صوت دقـــات قوية على باب منزلها لتنتبه ..

صرخت إحســــان قائلة بهلع أقوى وهي تلطم على صدرها :

-يالهوي ، الحقونا يا نـــاس !!!

ثم هبت مسرعها بجسدها الممتليء من على الأريكة لتركض بخطوات متثاقلة ناحية الباب ، ولكنها تسمرت لحظة في مكانها لتشهق بصدمة :

-الدهب والفلوس ، هاجيبهم الأول ..!

أســـرعت ناحية غرفة نومها ، ثم دفعت الباب بقبضتها بعنف لتدلف للداخل ، ومن ثم فتحت ضلفة خزانة ملابسها ، وانحنت بجسدها للأسفل لتبحث عن صندوق خشبي قديم تخبيء فيه مصوغاتها الذهبية وبعض النقود ..

إلتقطته على عجـــالة ، وإعتدلت في وقفتها ، وتنهدت بسعادة :

-تحويشة عمري كلها ، مش هاسيبها تروح تحت التراب !!

ثم ســـارت بخطى راكضة ناحية الباب ، ولكن كانت البناية تهتز بعنف أشــد فلم تتحمل أساساته القديمة تلك الإهتزازات القوية ، فإنهــار سقف غرفة الصـــالة على رأس إحســـان التي صرخت بصوت مخيف قبل أن يخبو صوتها تماماً ، ويهوى جسدها على الأرضية لتتراكم فوقه أطنان من الأسمنت والحديد الصدأ ..

وأعقبها إنهيـــار البناية القديمة بالكامل لتتحول في أقل من عدة ثوانٍ إلى رُكـــام ....

....

الفصل التاسع عشـر :

انتقل خبر إنهــيار تلك البناية القديمة ـ على رأس معظم سكانها في ذلك الزقــاق الجانبي ـ كالنــار في الهشيم ، وركض الجميع في اتجاهها ..

وكان من بين الراكضين عبد الحق الذي تلقى الخبر كالصاعقة .. فهو كان مع والدته قبلها بقليل ..

تسمر في مكانه أمــام ركــام البناية وعينيه جاحظتان من هــول الصدمة ..

صرخ بإهتياج :

-أَمَــه !

إلتف حــوله بعض الجيران ، وربت أحدهم على ظهره وهو يقول مواسياً إياه :

-ادعيلها بالرحمة

صرخ والدمعــات تتسابق لتغرق وجهه :

-لألألأ .. أمي عايشة ، أمي مامتتش !

أردف أخــر قائلاً بحزن :

-لا حول ولا قوة إلا بالله ، الأعمــار بيد الله يا بني ، وفي شوية من السكان راحوا في الحكاية دي !

صـــاح رجل ما بصوت غاضب وهو ينفض الأتربة عن كتفه :

-احنا مش لازم نسكت ، الحكومة لازم تعوضنا ، ده احنا روحنا كانت هاتضيع

بينما أضافت سيدة أخـرى بنبرة منفعلة :

-أنا لولا لحقت العيال وصحيت أبوهم كان زمانكم بتقروا الفاتحة على روحنا

هتف شخص ما بضجر وهو يلوح بذراعه :

-احمدوا ربنا ، في غيركم مايعرفوش مصير أهاليـهم !

تدخل رجل ما في الحوار قائلاً بجدية :

-اتفائلوا خير ، مش يمكن يكون في حد لسه عايش تحت الأنقاض

هتفت السيدة بصياح :

-ايوه ، كلموا النجدة والمطافي والاسعاف وآآ...

قاطعها الرجل بجدية وهو متجهم الوجه :

-كلمناهم من بدري ، بس دي الحكومة ، ويومها بسنة

-لطفك يا رب

شعر عبد الحق أنه منفصلاً عما يحدث حوله من حوارات حـادة وساخطة على الوضع الإجتماعي البائس لتلك الطبقة المعدمة

من المجتمع .. وظل يتردد في عقله صدى ما اقترفته والدته في حق زوجته .. ونواياها الخبيثة تجاهها ، وما تبعها من تدمير علاقتهما الزوجية ..

فإنتحب بأنين خافت وهو يضغط على رأسه بكفيه :

-ليييه يامه ، ليييه ؟ هاتقبلي ربنا الوقتي ازاي ؟ آآآآه ...

وضع شخص ما يده على كتفه ، وربت عليه وهو يقول بحزن :

-ربنا معاك يا عبده !

ثم إلتفت برأسه للجانب وصاح بنبرة مرتفعة :

-هـات كرسي للجدع من القهوة ، مش شايفين حالته

بعد برهـــة وصلت سيارات الشرطة والإسعاف ، وقوات الحماية المدنية والإنقـاذ من أجل انتشـــال الضحايا المدفونين أسفل تلك الأنقاض الثقيلة ....

....

في منزل أوس الجديد ،،،

عـــاونت المدبرة عفاف تقى في تبديل ثيابها المنزلية وإرتداء فستاناً طويلاً من خامة الجينز ، ويتوسط منطقة الخصر حزاماً من الجلد ذي اللون الماهوجني ..

ثم لفت حول رأسها حجاباً من نفس لون الحزام ، ومشطت حاجبيها بإصبعها ..

نظرت لها عفاف بإعجاب ، وأردفت قائلة :

-بسم الله ماشاء الله ، زي القمر

ابتسمت لها تقى إبتسامة مجاملة ، ولم تعقب ، فتابعت الأخيرة بحماس :

-ليان هانم ماتتخيرش عنك ، في نفس جمالك وبراءتك ، وأنا واثقة انكو هاتكونوا أكتر من أصحاب !

أخــذت تقى نفساً مطولاً لتسيطر على توترها الذي بدأت تزيد حدته مع اقتراب وصــول ليان ..

استمعت عفاف لصوت فتح باب المنزل فهتفت بتلهف :

-أكيد وصلوا ، يالا يا بنتي !

....

ولجت ليـــان إلى داخل منزل أوس وهي تتفحصه بنظرات دقيقة ..
لوت شفتيها في إعجاب واضح بالتصميم العام للصــالة ومدى تناسق الأثاث معها ....

لف أوس ذراعه حول كتفها ،وأردف متسائلاً بصوت آجش :
-ايه رأيك في المكان ؟

رفعت رأسها لتنظر في إتجاهه ، وأجابته بخفوت :
-حلوة

وضع إصبعيه على طرف ذقنها ، وابتسم لها وهو يتابع :
-ولسه لما تتفرجي على بقتها !

-أهلاً وسهلاً ليان هانم ، نورتي البيت ، وحمدلله على سلامتك
قالتها عفاف بنبرة متحمسة وحنونة وعلامات السعادة متجلية على تعابير وجهها

ابتسمت لها ليان ، ورمقتها بنظرات دافئة ، فقد اشتاقت إلى وجودها ..

ولكن لمحت عينيها طيف شخص ما يقترب من الخلف ، فدقق النظر في ملامحه ، فرأتها بوضوح .. إنها فتاة شابة ، يكسو وجهها علامات الخجل ، و مطرقة لرأسها وهي تسير ببطء نحوها ..

زاد شوق أوس وتأججت مشاعره وهو يراها تقترب منهما ..

عاودت ليان النظر إليه، ورمقته بنظرات متسائلة دون أن تنطق بكلمة ، فهمس لها مجيباً إياها بحب :

-دي تقى ! مراتي !

ابتسمت له مجاملة ، وسلطت أنظارها مرة أخـرى عليها ..

وقفت تقى على بعد خطوات منهما ، وشبكت أصابع كفيها معاً ، وفركتهما وهي تحاول الحفاظ على هدوئها الزائف ..

دفع أوس شقيقته للأمـــام وهو يردد بصوت خشن :

-تعالي يا ليان !

ســارت الأخيرة معه حتى وقفت في مواجهة تقى ، وحدجتها بنظرات قريبة ومطولة .. في حين تحاشت تقى النظر إليها ، وظلت أنظارها معلقة بأصابعها المرتجفة ..

وقف أوس بينهما مراقباً بتمعن لردة فعلهما ..

ابتسمت ليان قائلة بنعومة :

-هـــاي ، أنا ليان

تحشرج صوت تقى وهي ترحب بها قائلة بإرتباك :

-ازيك ؟ أنا .. أنا تقى

مطت فمها لتسألها بفضول :

-ممممم.. **Why you look shy** (لماذا أنتي خجولة) ؟

رفعت تقى عينيها نحوها لتراها عن كثب .. ولم تعرف بماذا تجيبها ، فقد تعذر عليها فهمها .. ولكن من تأملها لملامحها الواضحة ، فقد أدركت الشبه الواضح بينها وبين خالتها تهاني ..

رمشت عدة مرات لتتأكد من أنها لا تتوهم هذا الشبه العجيب .. لقد كانت نسخة مصغرة من خالتها في شبابها ..

ابتسم أوس لعفويتها .. ولف ذراعيه حول كلتاهما ، فالإثنين هما عالمه الخاص ..

ثم تشدق قائلاً وهو ينظر بحنو نحو زوجته :

-ماتتكسفيش يا تقى ، ليان هاتبقى اختك

ازدردت ريقها .. وضغطت على شفتيها .. فأضــاف بجدية وهو ينظر لشقيقته :

-وانتي هاتكوني عمة قريب

شهقت ليـــان مصدومة ، ووضعت يديها على فمها وهي تردد بعدم تصديق :

-مش معقول ، هي .. هي حامل ؟

أومــأ برأســه وهو يضم بذراعه تقى إلى صدره ، في حين أسرعت ليان بمد يديها للإمساك بكفي تقى وهتفت بحماس :

-واو ، يعني أنا هاكون أنطي

أجابها بإيجاز :

-اكيد

قفزت من السعادة وهي تردد بنبرة مرحة :

-أنا مش مصدقة ، دي حاجة حلوة أوي

وبدأت تثرثر بصورة غير طبيعية وهي متحمسة لكونها ستصبح عمــة ..

اندهشت تقى من ردة فعلها العجيبة ، والغير متوقعة على الإطلاق ...

كانت تخشى أن تواجه العكس أو الأسوأ معها ، ولكن تحولت مخاوفها إلى سراب .. وأصبحت مطمئنة إلى حد ما من وجودها معها ..

بينما غمرت الغبطة قلب أوس .. لقد أوشك على تحقيق حلمه في لم شمل عائلته بعيداً عن كل تلك الصراعات ..

....

في منزل الجارة أم بطة ،،،،

أوصدت أم بطة الشرفة بعد أن انتهت من حديثها مع الجيران ، وسارت بخطوات سريعة نحو غرفة ابنتها وهي تهتف بصوت مرتفع :

-بت يا بطة ، الحقي

نظرت الأخيرة إلى والدتها بعدم إهتمام وهي تثني ركبتها أسفل منها ، وتنهدت بفتور وهي تسألها :

-في ايه يامه ؟

هتفت أمها بإنفعال وهي تلوح بكفيها :

-انتي يا بت مش سامعة الدوشة اللي برا ، ولا الهيجان اللي في الحارة ؟!

لوت بطة فمها ، وإستندت بطرف ذقنها على مرفقها ، وأجابتها بعدم إكتراث :

-لأ .. ومش عاوزة أعرف !

أمسكت بها والدتها من ذراعها ، وتابعت بنبرة سعيدة :

-يا بت اتعدلي كده ، وصحصحي معايا ، ده بيقولوا ان بيت الحيزبونة حماتك اتهد

اتسعت مقلتيها في صدمة واضحة ،وهتفت بشهقة :

-ايه يامه ؟!!!

ردت عليها بتنهيدة إرتياح

-اللي سمعتيه ، اتهد على دماغها ، والحارة مالهاش سيرة إلا ده

أدمعت عيني بطة غير مصدقة ما لفظته والدتها ، وهتفت بصوت شبه مختنق وهي ترفع رأسها للسماء :

-الله أكبر ، انت المنتقم يا رب ، خلص منها بذنب اللي عملته فيا !!

زمت والدتها ثغرها ، وضغطت على شفتيها وهي تردد بسعادة :

-سبحانه ، دايما جابر بخاطر المظلوم

ثم أشـــارت بكفها للخلف وهي تضيف بجدية :

-أنا هالبس الإسدال وأنزل أطأس وأعرف الأخبار وأجي أبشرك

هزت بطة رأسها قائلة بخفوت :

-ماشي يامه

أسرعت أم بطة خـــارج الغرفة وهي تردد بشماتة :

-إلـهي يجلي خبرك يا بعيدة !

....

في منزل تقى عوض الله ،،،

مالت فردوس بجسدها للجانب بعد أن استلقت على الفراش ، وظلت تفكر بتعمق شديد في خطة ماكرة لإستدراج ابنتها لتنفيذ مخطط إجهاضها ..

كانت شبه مترددة في البداية ، ولكن بعد انهيار تلك البناية القديمة ، باتت شبه حاسمة لقرارها ..

فهي لا تريد أن تنتهي حياتها راقدة تحت أكوام التراب ، ولا تتمنى أن تصبح عاجزة فتتسول الطعام من غيرها ..

أظلمت عينيها بشرر مخيف وهي تتمتم مع نفسها بنبرة خاوية :

-مابدهاش ، حياتنا كلنا معتمدة عليها ، وأنا .. وأنا مش هاستنى أما نروح بلاش ! والبيت ده يتهد على دماغنا كلنا ! بناقص من العيل ده ، وتبقى تجيب غيره !!!

نهضت فردوس عن الفراش ، ورمقت زوجها الغافل بنظرات جافة ، ثم انتصبت بكتفيها ، وسارت إلى خارج الغرفة وهي عاقدة العزم على تنفيذ إتفاق الشيطان فوراً ..

....

على الجانب الأخر ، إرتسمت إبتسامة عريضة على ثغر تهاني وهي تهاتف عدي قائلة بنبرة حنونة :

-كتر خيرك يا بني ، أنا مش هانسى اللي عملته معايا ولا مع بنتي

أتاها صوته من الهاتف قائلاً بهدوء :

-ماتقوليش كده ، أنا اللي نفسي أعوض ليان عن كل لحظة ظلمتها فيها !

ردت عليه بصوت دافيء وهي تمسح عبرات الفرحة من على وجنتها :

-إن شاء الله هايحصل ، فرحتني ، ربنا يفرح قلبك ويطمنك

-شكراً ليكي

أضافت قائلة بتنهيدة :

-هاستنى منك تليفون تطمني عليها تاني

رد عليه بصوت هاديء وموجز :

-أكيد .. مع السلامة

تابعت بخفوت :

-في حفظ الله

ثم إحتضنت الهاتف بكفيها ، وقبلت شاشته وهي تهمس بنبرة مشتاقة :

-ألف حمد وشكر ليك يا رب ، ربنا يهدي سركم ويريح بالكم يا ولادي !

دلفت فردوس إلى داخــل الغرفة ، وتعجبت من حالة أختها الغريبة ، وحدقت فيها بغموض وهي تسألها :

-في ايه تهاني ؟ انتي كنتي بتكلمي حد ؟

استدارت الأخيرة في إتجاهها ، وعبس وجهها لرؤيتها ، وتلاشت الإبتسامة من على محياها وهي تجيبها بجمود :

-لأ !

تقوس فم فردوس قليلاً لتهتف بسخط :

-أومال النوبايل بيعمل ايه في ايدك

سألتها تهاني بصوت شبه محتد وهي تضع الهاتف في جيب قميصها المنزلي :

-عاوزة ايه يا فردوس ؟

أسبلت فردوس عينيها ، وأرخت كتفيها ، وتعمدت إخفاض نبرة صوتها وهي تجيبها :

-آآ.. البت تقى وحشتني

هزت تهاني رأسها بعدم إقتناع قائلة بإيجاز :

-اها

أضافت فردوس قائلة بحزن زائف وهي تشير بكفها :

-نفسي أشوفها وأقعد معاها واعرف أحوالها

ردت عليها تهاني بجمود :

-اطمني هي كويسة مع جوزها ، ومبسوطة !

هتفت فردوس بعصبية وهي تحدج اختها بنظرات قوية :

-بأقولك عاوزة اشوفها ، تقوليلي هي مبسوطة

لم تقتنع تهاني بما تدعيه أختها ، فتجاربها السابقة تؤكد نيتها السيئة معها ، وهي لم تكنْ يوماً أماً حنوناً فيتلهف قلبها شوقاً لإبتعاد ابنتها .. لذا هتفت بنزق :

-ماتسيبها في حالها !

ردت عليها فردوس بعتاب زائف وهي تنتحب :

-هو أنا مش أمها ومن حقي أسأل عليها واطمن

زفرت تهاني وهي تجيبها :

-ايوه انتي أمها ، مقولناش حاجة !

هتفت فردوس بنشيج وهي تتعمد إخفاء وجهها بكفها :

-يا تهاني قلبي واكلني عليها ، بقالي كتير ماشوفتهاش ، نفسي أخدها في حضني وأطمن عليها !

ضيقت تهاني عينيها وهي تمط ثغرها :

-ممممم..

فركت فردوس وجهها بكفيها ، وأضافت بتوسل :

-ما تكلمي ابنك يجبها هنا يومين

ردت عليها تهاني بتهكن وهي تعقد ساعديها أمام صدرها :

-هو أوس بيكلمني أصلاً عشان أطلب منه ده ؟!

صاحت فيها فردوس بعصبية :

-أهوو اتصرفي ، وهاتيهالي يوم ولا اتنين

ثم أجهشت بالبكاء وظلت تتمتم بكلمات مختنقة عن اشتياقها لإبنتها ..

نفخت تهاني مجدداً ، وردت بنفاذ صبر :

-ربنا يسهل

وضعت فردوس يدها على كتف أختها ، وهتفت بإستعطاف وهي محدقة بها :

-أمانة عليكي يا تهاني ، انتي أم زيي ، وعارفة إن الضنا غالي !

تنهدت تهاني وهي تجيبها مستسلمة من توسلاتها المتواصلة :

-حاضر ، هحاول أتصرف

احتضنتها بقوة وقد لمعت عينيها ببريق مخيف ، وتشدقت قائلة بإمتنـان :

-حبيبتي ياختي !!

ثم تركتها وإنصرفت إلى الخـارج ، ووجهها يكسوه إبتسامة ماكرة ، فقد نجحت بدهـاء في دفع أختها لتلبية رغبتها ..

حكت تهاني جبينها ، وفكرت ملياً في الإستعانة بعدي لإبلاغ ابنها أوس برغبة والدة تقى في رؤيتها وتمضية يوم في منزلها بصحبة عائلتها .. وإقناعه بالموافقة على طلبها ...

....

في الزقاق الشعبي ،،،،

تم انتشـال جثمان إحسـان من بين الركـام ، وقام المسعف بإنتزاع ذلك الصندوق الخشبي القديم من بين ذراعيها المتيبسين حوله ... وسلمه لضابط الشرطة الواقف إلى جواره

إنفجـر عبد الحق بالبكاء الشديد حينما رأى جثتها مسجاة أمامه ..

قام مسعف أخــر بتغطيتها ، وربت على كتف ابنها قائلاً بنبرة معزية :

-شد حيلك ، هي راحت عند الأحسن مننا

شهق عبد الحق بحسرة علىٍ نهايتها المأساوية ، وجلس على ركبتيه أمامها ، وأردف قائلاً بشجن وهو يمسك بكفها البارد :

-آآآه يامـــــه ! يا ريتك ما عملتي اللي عملتيه قبل ما تقابلي وجه كريم ، آآآه !

كفكف عبراته بظهر يده وهو يكمل بصوت مختنق يحمل الأسف :

-أنا زعلان على حالك ، ومش عارف .. مش عارف مصيرك ايه ، آآآآه ، جيتي على الغلبانة دي ، وربنا خلص ذنبها منك يامه !!

ربت على فخذيه بقوة ، وهز جسده بعصبية وهو يردد بإستنكار : آآه لو كنت أعرف باللي هايحصل مكونتش جيت ولا زورتك من الأساس ، آآآه .. !!

....

في منزل أوس الجديد ،،،

انضمت ليان إلى عفاف في المطبخ وتحمست لإعداد الطعام معها .. فقد إشتاقت لتلك الأجواء الدافئة في حياتها ..

إختلست عفاف النظرات إليها من طرف عينها ، ورأت مدى السعادة البادية على تصرفاتها وهي تقطع الخضروات بالسكين ، فتنهدت بإرتياح ..

هتفت ليان وهي تمص إصبعها :

-عفاف ، بليز ناوليني الطبق ده

ردت عليها عفاف بإبتسامة ناعمة :

-حاضر !

تسائلت ليان بفضول وهي قاطبة لجبينها :

-تفتكري تقى حامل في بوي ولا جيرل ؟

هزت عفاف كتفها وهي تجيبها :

-مش عارفة

استغربت ليان من ردها ، وسألتها بإهتمام :

-ازاي ، هي حامل في كام شهر ؟

أجابتها بعد لحظات من الصمت :

-شهرين باين

زمت ليان ثغرها للأمـــام ، وتابعت بحماس :

-ممممم.. يعني لسه شوية ونعرف نوع البيبي ، تمام ، أكون فكرت هاجيبله ايه

....

انتهت تقى من طي الملابس النظيفة ، ثم حملتهم بذراعيها ، وولجت إلى داخل غرفة النوم ، وأسندتهم على طرف الأريكة ، ثم تحركت في اتجاه خزانة الملابس ، وفتحت الضلفة الخاصة بثياب أوس لتعيد وضع ما يخصه بها ..

كانت مندمجة بكل تفكيرها فيما تفعله ، ولم تنتبه لحضوره ..

وقف هو على عتبة الباب يراقبها بنظرات رومانسية ، ثم إستند على الحائط ليتطلع إليها بشغف ..

عقد لساعديه أمــام صدره ، وإلتوى فمه بإبتسامة إعجاب بسبب حرصها الشديد على وضع ثيابه بترتيب ثابت ..

استشعرت تقى وجوده بالقرب منها وهي محدقة بضلفته ، فأدارت رأسها للخلف ، وشهقت مصدومة حينما رأته يطالعها بنظراته التي تربكها ..

إرتجفت قليلاً ، ولكنها سريعاً ما حافظت على هدوئها الزائف ..

ظلت إبتسامة أوس الصافية مطبوعة على وجهه وهو يرخي ساعديه ..

تحرك نحوها بخطوات بطيئة ، فضغطت على شفتيها بتوجس ، وإدعت إنشغالها بترتيب بقية الثياب ..

وقف أوس قبالتها فسد عليها الطريق للخزانة ، فهتفت فيه بتلعثم :

-آآآ.. لو سمحت !

رمقها بنظرات شغوفة ، وأردف قائلاً بنبرة خافتة :

-ما تكملي ، أنا سايبك على راحتك

عقدت ما بين حاجبيها ، وصاحت بضجر وهي تشيح بوجهها بعيداً عنه :

-مش بأحب حد يراقبني

ابتسم لها متسائلاً بتسلية وهو يضع يده على كتفها :

-أها .. وايه كمان ؟

أزاحت يده بعيداً عنها ، وتابعت بضيق زائف :

-لو سمحت وسع ، أنا .. أنا آآ...

قاطعها بجدية وهو يمسك بقبضتها :

-ششش .. أنا عاوز أوريكي حاجة

ابتلعت ريقها بتوتر ، وطالعته بنظرات حائرة ، فطمأنها قائلاً بإبتسامته الغير معهودة :

-يا رب بس تعجبك

ثم سحبها خلفه ليجلسها على الأريكة ، فنظرت له بغموض ..

جثى أوس على ركبته أمامها ، وأجفل عينيه ، ثم أمسك بكف يدها ، ومسح على باطنه بأنامله الخشنة ..

تعجبت هي من تصرفاته الغير مفهومة ..

ولكن إرتعش جسدها مع لمساته الرقيقة لراحة يدها ..

شعور غريب يتصارع بداخلها ما بين القبول والرفض له .. ما بين الإستسلام والمقاومة لمشاعرها التي تتمكن رويداً رويداً

منـها .. ولكنـها أفاقت من شرودها على صوته وهو يردد بـهمس :

-أنا مكونتش عارف أجيب ايه هدية ليكي تفضل معاكي ومعايا حتى لو مكونـاش جمب بعض !

خفق قلبها للحظة من كلماته ، وضاقت عينيها بقلق ، كما تشنجت قسمات وجهها نوعاً ما

أضـــاف قائلاً بحنو وهو يطالعها بنظراته العاشقة :

-بس يمكن تقربنا أكتر من بعض !

زاد فضولـها لمعرفة تلك الـهدية الـغامضة التي يتحدث عنـها ..

دس أوس يده في جيب سترته ، وأخــرج منها حذائاً صغيراً للغاية يخص طفل رضيع من اللون الأزرق السماوي ، ملمسه ناعم للغاية ، و مطرز عليه رسمة مبهجة لـ (أرنب) صغير ..

فغرت تقى شفتيها مصدومة وهي تراه يضع فردتي الحذاء في كفها ، وإقشعر بدنها بشدة ..

ابتسم لـها أوس وهو يتابع بصوت خافت :

-انتي هايكون معاكي فردة !

ثم سحب فردة أخــرى ، وتابع بإبتسامة جادة :

-وأنا هايكون معايا التانية .. وهايحافظ كل واحد فينا على اللي يخصه لحد ما تولدي وتقومي بالسلامة ونلبسها لإبننا !

كانت في حالة ذهــول وهي تطالع بعينين دامعتين ذلك الحذاء الصغير ...

لم تعرف ما الذي أصابعها ، فترقرقت العبرات في مقلتيها .. ولكن ذلك الإحساس الرهيب الذي عبر عنه أوس في تلك الهدية المميزة جعلتها تبكي متأثرة ..

أغلق أوس أصابعها على فردة الحذاء الناعمة بأنامله القوية بعد أن أعــاد وضع فردته في جيبه ، ثم رفع كفها إلى فمه وقبله بحرارة وهو مغمض العينين ..

أخــذ نفساً عميقاً ليسيطر على إنفعالاته ، وقاوم بشراسة عبراته التي تتحداه لتخرج من عينيه ..

ثم أسند صدغه على كفها القابض عليه ، وهمس لها متعهداً :

-انتو الوقتي كل حياتي ، وأنا هحافظ عليكم وهاحميكم ، وآآ...

صمت للحظة ليكمل بنبرة شبه مختنقة بعد أن أخفض جفنيه :

-ومش هاتخلى أبداً عنكم !

استشعرت بإحســـاس مرهف مشاعره الصادقة نحوها ونحو جنينها الذي لم يرْ الحياة بعد ..

وإنهمرت العبرات لا إرادياً منها لتبلل شعره ..

رفع أوس رأســـه نحوها ، ومد يده ليمسح عن وجنتها تلك الدمعات الدافئة .. ومازحها قائلاً بإبتسامة :

-أجيب منديل لمناخيرك ؟ أنا مش معايا في جيبي ، ولا انتي بتمسحي في الكُم عادي ؟

ضحكت لا إرادياً على طرفته .. فزادت إبتسامته من وســـامته ..

وأسندت إصبعها على طرف أنفها وهي حائرة بين الضحك والبكاء ....

....

الفصل العشــرون :

في ســرادق للعزاء بالحارة الشعبية ،،،

وقف عبد الحق في مقدمة سرادق العزاء المقام على أرواح ضحايا البناية التي إنهارت لتلقي واجب العزاء في والدته ..

حضر غالبية قاطني المنطقة من أجل مواســاة أهالي المتوفين ..

شعر عبد الحق بخواء داخــل روحــه .. وكــأن تلك الفاجعة المباغتة قد زادت من عمره عشر سنوات ..

صافحه أحد الأشخاص قائلاً بجدية :

-شيد حيلك يا عبده ، إنت أدها وأدود

رد عليه بصوت حزين :

-الشدة على الله

صافحه أخــر وهو يهتف بنبرة خافتة :

-البقاء والدوام لله يا عبد الحق

تنهد قائلاً بحزن :

-الدوام لله وحده

انتبه الجميع إلى صوت صافرات سيارات النجدة والشرطة ، وتعلقت أنظار الجميع بذلك الضابط الذي جاء بصحبة عساكره ، ورمق الجميع بنظرات حــادة قبل أن يهتف متسائلاً :

-مين فيكم عبد الحق شلبي ؟

ازدرد ريقه ، وأجابه متوجساً وهو يرمش بعينيه :

-أنا .. أنا يا سعات البيه !

أشـــار له الضابط بكف يده وهو يتابع بصرامة :

-تعالى معايا القسم ، المأمور عاوزك !

تلعثم عبد الحق وبدى مصدوماً وهو يسأله :

-ليه ؟ هو .. هو أنا عملت حاجة ؟!

أجابه بجمود وهو يحدجه بنظرات جادة :

-معرفش ، الأوامر اللي عندي انك تيجي معايا

أردف أخــر قائلاً بإستعطاف :

-يا باشا ده واقف بياخد العزا في أمه ، حرام والله آآ..

قاطعه الضابط بصرامة :

-شوية وهيرجع تاني ، اتفضل معايا

اضطر عبد الحق أن يسير بصحبة الضابط دون أي مقاومة من أجل معرفة سبب ذلك الإستدعاء المفاجيء .. في حين أبدى أهالي الحارة تذمرهم وإعتراضهم مما يحدث ..

....

عند مخزن قديم تابع لشركات الجندي ،،،

راقب عدي تلك السيارات المصفحة السوداء وهي تقترب منه ، وأشـــار بإصبعه للحراسة المرابطة خلفه قائلاً بصرامة :

-دخلوا الأمانة جوا ، ويتروق عليهم ، ويتظبطوا قبل ما يجي الباشا

رد عليه أحدهم بإيجاز وهو يهز رأسه إيجابا :

-أوامرك يا عدي باشا

توقفت السيارات المصفحة ، وترجل منها عدة رجــال أشداء وهم يحملون أجولة سوداء يصدر من داخلها أصوات مكتومة ..

ثم انطلقوا بهم إلى داخــل المخزن ، وأغلق الباب خلفهم ..

مط عدي فمه في إعجاب ، وتابع بصوت صــارم :

-المكان يتأمن كويس ، ومحدش يتحرك من هنا إلا بأوامر مني أو من الباشا أوس شخصياً !

ثم تحرك في إتجاه سيارته وهو يضغط على زر الإتصال برفيقه الوحيد ليبلغه بإتمام المهمة ...

....

في منزل أوس الجديد ،،،،

أنهى أوس المكالمة الموجزة مع عدي وهو يتجه نحو خزانة ملابسه ليرتدي حلته السوداء ..

إلتوى فمه بإبتسامة قاسية وهو يحدث نفسه بتوعد :

-وجـــه وقت الحساب !

عَدَل من هيئته أمـــام المرآة ، ثم خرج من الغرفة ليجد ليان تعترض طريقه ، فإبتسم لها برقة ، بينما ارتمست علامات الإندهاس على وجهها ، وسألته بفضول :

-هو انت خارج الوقتي ؟

أجابها بهدوء حذر :

-اهــا ، عندي شغل

سألته مستفهمة وهي محدقة به بإندهاش :

-شغل السعادي ، طب هتتأخر ؟

رد عليها بإيجاز :

-مش أوي !

ثم وضع يده على طرف ذقنها ، وتابع بجدية :

-المهم خليكي انتي مع تقى ، وخدي بالك منها

ابتسمت قائلة بحماس :

-اطمن !

لف أوس ذراعه حول ظهر شقيقته ، وضمها إلى صدره ، ثم قبلها في رأسها ، وهمس لها بحنو :

-ربنا يخليكي ليا

تعجبت ليان من تصرفاته الغريبة والغير مفهومة بالنسبة لها ، فهو لم يكنْ حنوناً من قبل معها ، ولم تظهر عليه علامات الإهتمام بأي شخص سوى نفسه ..

لكنها ترى الآن أمــامها شخصاً جديداً مختلفاً في كل شيء .. حتى في إنسانيته .. وكأنه وُلد من جديد ...

....

في السجن النسائي ،،،،

ضربت ناريمان كفاً على الأخــر وهي تدور في العنبر النسائي محدثة نفسها بإنزعــاج :

-ولا حس ولا خبر من تهاني !

زفرت بصوت مسموع وهي تتابع بحنق :

-أوووف ! أنا مش معقول هافضل كده على أعصابي لحد ما يجيلي خبر منها ، الأيام هنا مش بتعدي أبداً ..!

جلست على طرف فراشها السفلي ، وأمسكت بالحامل المعدني الذي يربطه بالفراش العلوي ، وكزت على أسنانها لتضيف بهمس :

-لازم أفكر في بديل لو خطتي فشلت !

....

في المخفر التابع للحارة الشعبية ،،،

دلف عبد الحق إلى داخل مكتب المأمور وقلبه يرتجف من سبب طلب رؤيته ..

أشـــار له الأخير بيده ليجلس قائلاً بهدوء :

-اتفضل اقعد يا عبد الحق

ابتلع ريقه بخوف ، وسأله بحذر :

-خير يا باشا ؟ هو .. هو حضرتك كنت عاوزني في ايه ؟

-الصندوق ده بتاعك ؟

قالها المأمور وهو يوميء بعينيه نحو صندوق خشبي قديم

دقق عبد الحق النظر فيه ، وهتف بلا تردد:

-ايوه ، ده بتاع أمي الله يرحمها ، كانت بتحط فيه حاجاتها ، والصيغة بتاعتها وفيه قسيمة الجواز من أبويا ، وشوية صور قديمة وآآ..

هز رأسه بحركة خفيفة ، وقاطعه بنبرة رسمية :

-تمام ..تمام المسعف سلم الصندوق ده لواحد من الظباط ، وأدلى بمواصفات المرحومة صاحبته ، واللي كانت تنطبق مع والدتك ، وأنا كان لازم أتأكد من محتوياته منك قبل ما أسلمهولك

أمسك المأمور بالصندوق ، وناوله إياه قائلاً بجدية :

-اتفضل يا عبد الحق ، وادعي للمرحومة

أخذه منه عبد الحق ، ورد قائلاً بابتسامة باهتة :

-كتر خيرك يا باشا

....

في منزل أوس الجديد ،،،،

ضمت تقى ركبتيها إلى صدرها ، وطالعت بعينين حالمتين ذلك الحذاء الصغير ..

تشكلت ابتسامة عفوية على ثغرها وهي تتحسس ملمسه الناعم .. ودار بخلدها كلمات أوس الرقيقة لها مع إحساسه المرهف الذي لامس قلبها ..

قبضت هي عليه لتخبئه في راحتها حينما سمعت صوت ليان يأتي من خلفها بـ :

-أنا عملت بوبكورن (فشار) ، تاكلي معايا

ابتلعت ريقها ، وأجابتها بحرج وقد توردت وجنتيها قليلاً :

-ماشي

جلست ليان إلى جوارها على الأريكة العريضة ، وأسندت الصحن المليء بالفشـار وأمسكت بالريموت لتنتقي فيلماً جيداً لتتابعه الاثنتين .. واختلست النظرات إلى تقى وهي تسألها بحذر :

-في حاجة معينة بتابعيها ؟

ترددت وهي تجيبها بخفوت :

-آآ.. لأ

ابتلعت ليان بضعة حبات من الفشار ، وإعتدلت في جلستها ، وتسائلت بفضول :

-هو أنا ممكن أسألك في حاجة كده ؟

هزت تقى رأسها بخفة وهي تجيبها بهمس :

-أها .. ماشي

حدقت ليان فيها لتتبين ردة فعلها ، وسألتها بإستغراب وهي ترفع حاجبها للأعلى :

-انتي اتجوزتي أوس ازاي ؟ يعني ايه اللي خلاه بهيلمانه ده كله يتجوزك انتي تحديداً ومش أي واحدة تانية ؟!

اتسعت عيني تقى في صدمة ، وجفلت لوهلة وهي تتذكر ومضات من تلك اللحظات الحرجة في حياتها الماضية وما تضمنته من مآسي نفسية وبدنية ، وإنتهاك وحشي ، وتعذيب مضني لروحها ..

تعجبت ليان من صمتها الذي طـال ، ومن تعبيرات وجهها الغير مفهومة .. فهتفت بتهكم وهي تغمز لها :

-واضح انه سر بينكم !

ثم نظرت أمامها ، وحدقت في شاشة التلفاز بنظرات فارغة ، وأضافت بنبرة تحمل المرارة :

-بس .. بس مهما كان اللي بينكم ، مش هايكون زي اللي حصل معايا ، والكدب اللي اتعرضتله ، وآآ.. وحياتي ومستقبلي اللي راحوا مع آآ..

توقفت عن إكمال جملتها للحظة لتسيطر على حالها ، فقد ترقرقت العبرات في عينيها ، وتنهدت بحرقـــة وهي تقاوم تلك الرغبة العارمة في البكاء .. ثم تابعت بنشيج أسف :

-تخيلي أنا .. آآ... يضحك عليا من أقرب ناس حبتهم و..آآ.. ويطلعوا آآ... ، وأتخدع في آآ....

عجزت ليان عن إستئناف حديثها المخزي ، وأجهشت بالبكاء المرير ، ودفنت وجهها بين راحتي يدها .. وظلت تشهق بصوت مكتوم يعبر عن مدى الآلم الذي اضطرت أن تتجرعه قسراً ..

راقبتها تقى باندهـــاش عجيب .. فلم تتخيل أن تلك الصغيرة تحمل في قلبها أوجاعاً مؤلمة مثلها ..

أشفقت عليها ، ورق قلبها نحوها ، فمدت يدها إليها ، وربتت على كتفها بخفة ، فمـــالت عليها ليـــان لترتمي في أحضانها ، فضمتها تقى بذراعيها ، وأغمضت عينيها أسفاً على حالها .. وأسندت رأسها على جبينها ، وقبلتها بحنو ..

نعم .. فكلتاهما عانت ، وبشدة ..

....

في منزل عبد الحق المتواضع ،،،

وضـــع عبد الحق الصندوق الخشبي على طاولة الطعام ، ثم سحب المقعد للخلف ليجلس عليه ، وإستند بوجهه على مرفقه ، وأخـــرج تنهيدة مكتومة من صدره ..

حدق في ذلك الصندوق بنظرات خاوية ، وظل يعبث بقفله الصغير المحطم وهو يردد بحسرة :

-هايفيد بإيه الدهب والفلوس من غير راحة ولا سعادة

نظر حوله بإحباط شديد ، فالسكون الذي يسيطر على مكان يكاد يصيبه بالجنون ..

وقعت عينيه على مدخل المطبخ ، ورن في أذنيه ضحكات زوجته وهي تطهو الطعام له وتتدلل عليه فيغازلها بكلماته المعسولة ..

أدمعت عينيه ، وزفـــر بصوت مختنق وهو يشيح بوجهه ناحية باب غرفة النوم حيث وقعت بها المأســاة التي انتهت حياتهما البسيطة ..

لطم على رأسه المطرقة في خزي بكفيه ، وصاح مستنكراً :

-آآآه ، يا ريتني أقدر أرجع بالزمن لورا وآآ...

توقف عن إتمام جملته ، ورفع رأسه في اتجاه الصندوق ليحدق به بجمود ...

ثم هب من مكانه ، وهتف بنزق :

-هو .. هو ده الحل لكل مشاكلي ، أيوه ، بس أتأكد الأول !!

....

في المخزن القديم التابع لشركات الجندي ،،،

حل رجال الحراسة الخاصة الأجولة السوداء لينكشف ما بداخلها ..

برزت رؤوس الصحفي وفيق ، وبكر ، وكذلك حمدي عصفورة ..

أزاح حارس أخر الشريط اللاصق عن فم وفيق ليبدأ بالصياح والصراخ مستغيثاً بمن ينجده ، ولكن أخرسه صوت أوس الصادح وهو يشهر فوهة مسدس ما أمام رأسه:

-نفس واحد كمان وهتلاقوا مخكم طاير في الهوا !

ابتلعت وفيق ريقه بذعــر واضح ، فقد عرف هوية ذلك الرجل المخيف .. وسأله متوجساً :

-انت .. انت خطفنا ليه ؟

تبادل كلاً من بكر وحمدي النظرات المذعورة ، وارتعشا جسديهما بخوف كبير ؟؟

حدج أوس وفيق بنظرات مميتة ،وأجابه بنبرة قاسية وهو يكز على أسنانه :

-مش في وقت للحساب يا .. يا أستاذ يا صحفي يا كبير !!

هتف وفيق بنبرة مرتجفة :

-أنا .. أنا هابلغ البوليس وهاتهمك بإنك خطفتني وآآآ...

قاطعه أوس بشراسة وعينيه تكادا تخرجان من محجريهما :

-هات أخر ما عندك ، بلغ الدنيا كلها ، بس ده مش هايعفيك من الحساب

ارتعد جسد وفيق ، وزاد خوفه ، وبدى وجهه أكثر شحوباً ، فهو قد وقع في براثن أشرس الذئاب .. ذئب لا يرحم ولا يغفر لمن تعدى على ما يخصه ...

اقترب أوس منه ، وحدجه بنظرات أكثر شراسة ، ثم رفع يده عالياً ، وهوى بها على صدغه ، ليصفعه بقوة آلمته بشدة ..

صرخ وفيق من تلك الصفعة المباغتة ، بينما أكمل أوس قائلاً بنبرة مميتة :

-ده عشان لسانك الـ **** ميجبش في سيرة مراتي تاني

صفعه مرة أخــرى بقوة أفظع وهو يتابع بنبرة منفعلة :

-وده عشان إتجرأت وكتبت كلام إنت مش أده

تأوه وفيق من الآلم ، وصرخ مستغيثاً ، فصفعه أوس بعنف أشرس وهو يكمل بإهتياج :

-وده عشان تعرف إن حياة أوس الجندي خط أحمر

نزف وفيق الدمــاء بغزارة من فمه وأنفه .. وبكى متوسلاً :

-آآآه ، ماتموتنيش يا باشا ، حقك عليا ، أنا .. أنا مكونتش أعرف !

توقف عن الحديث ليتلقط أنفاسه اللاهثة ، وتابع بصوت مختنق وهو يشير بعينيه نحو حمدي عصفورة :

-الواد .. الواد عصفورة هو اللي كان بينقلي الأخبار وآآ...

إتسعت حدقتي حمدي بذعـــر واضح حتى كاد قلبه أن يتوقف رعباً بعد أن حمله الصحفي وفيق اللوم كله ، وصرخ بصوت مكتوم محاولاً الدفـــاع عن نفسه ...

أضـــاف وفيق قائلاً بهوس :

-أنا .. أنا مشوفتش حاجة ، كنت .. كنت بأخد اللي بيبعتهولي ، وهو .. وهو قبض التمن ، وساومني على آآ....

قاطعه أوس بصوت قاتل دب الرعب في قلبه :

-كل واحد وهياخد دوره معايا ، وبعد ما أخلص معاكو .. استلقوا وعدكم من حبايبكم

ازدرد وفيق ريقه وسأله بتلعثم :

-آآ.. قصدك ايه ؟

إلتوى فمه ليجيبه ببرود مميت :

-نسيت أقولك ، كل اللي كان على الهــارد بتاعك من ملفات أصلية اتبعت لأصحابهم ، وهما بنفسهم هيصفوا حسابهم معاك ، وأنا إن رحمتك ، فغيري هيدفنك بالحياة

صــرخ وفيق بهلع كبير وقد شَخِصَت أبصاره :

-لألألألألأ .....!!

....

في منزل أوس الجديد ،،،،

بعد نوبة من البكاء الممزوج بالمشاعر الرقيقة ، اتفقت كلاً من تقى وليان على مشاهدة فيلم كارتوني لتخفيف حدة الأجــواء ..

وما إن انتهت أحداثه حتى نهضت ليان عن الأريكة ، وتمطعت بذراعيها وهي تهتف بصوت شبه ناعس :

-أنا هادخل أنام ، مش قادرة خلاص

ابتسمت لها تقى برقة وهي ترد عليها :

-طيب

سألتها ليان مندهشة وهي عاقدة ما بين حاجبيها :

-ايه مش هتنامي انتي كمان ؟

ارتبكت تقى للحظة ، وأجابتها بتلعثم :

-هــه .. أنا هاريح هنا شوية !

أشــــارت ليان بإصبعها للخلف وهي تتابع بإستغراب :

-طب ما تنامي جوا في الأوضة ، ليه تفضلي هنا ؟!

زاد إرتباكها وهي تجيبها بصوت شبه متقطع :

-آآ.. لأ .. أنا .. أنا لسه هاشوف حتة من آآ.. الفيلم ده

هزت ليان كتفيها في عدم مبالاة وهي تقول :

-اوكي ، As you like (كما تحبين) !

ثم بادلتها بإبتسامة ناعمة وهي تقول ومشيرة بيدها :

-Good night (تصبحي على خير)

ظلت تقى باقية بمفردها في الصــالة ، وتنـهدت بعمق وهي تحاول البقاء مستيقظة .. ولكن لا أحد يستطيع الصمود أمام سلطان النوم ..

إستندت برأسها للخلف ، وشعرت بثقل في جفنيها ، وسريعاً استسلمت له ، وغطت في سبات عميق ...

....

في المخزن القديم التابع لشركات الجندي ،،،،

انتهى أوس من تلقين هــؤلاء الذين تطاولوا على زوجته درساً قاسياً أوجعهم .. وأكمل رجال حراسته البقية ..

مسح بمنشفة مبللة جانبي كفيه من تلك الدمــاء العالقة بهما ..

ثم إستدار بجسده نحو باب المخزن وهتف بصوت صــارم :

-بعد ما تخلصوا مهمتكم ، يتسلموا زي ماهما للبهوات اللي طالبينهم ، كل واحد ياخد حقه منهم براحته

رد عليه حــارس ما بجدية :

-تمام معاليك

ربت عدي على كتف رفيقه بإعجاب ، وهتف قائلاً بمزاح :

-الصراحة الواحد يخاف يزعل أختك لأحسن تجيبه في شوال وتدفنه ومحدش يعرفله طريق جرة

نظر له أوس بنظرات حادة وهو يجيبه بجمود :

-ده مع اللي يجي عليا وعلى اللي يخصني يا عدي !

ضغط على شفتيه وهو يتابع بحذر :

-تمام .. المهم كان في حاجة كده كنت عاوز اقولك عليها

سأله بإقتضاب وملامح وجهه متشنجة للغاية

-ايه ؟

أجابه عدي في نفس واحد :

-شوف ، من غير ما أزوق الكلام ، الست فردوس مامت تقى عاوزة تشوف بنتها !

ضاقت عينيه أكثر ، وسأله بغموض :

-وإنت عرفت منين ؟

رد عليه عدي بتلعثم قليل وهو يتحاشى النظر إليه :

-من آآ... من مدام تهاني !

زاد قسمات وجه أوس تشنجاً .. وبدت بشرته محتقنة .. ورغم هذا لم يعقب .. فحاول عدي أن يلطف الأجواء قليلاً ، فأكمل بهدوء حذر :

-أنا عارف إنك مش بتحب حد يجيب سيرتها قصادك ، بس .. بس هي خالة مراتك ومامت ليان ، ومن حقها ، قصدي يعني من حق فردوس تشوف بنتها وتطمن عليها !

حدق أوس أمامه وكز على أسنانه ليقول بشراسة مختصرة :

-نتكلم بعدين

هتف عدي بإصرار :

-لأ الوقتي !

سلط أوس نظراته المحتقنة عليه ، فتابع عدي مبرراً بجرأة :

-أوس ، انت عندك حاجات كتير بتعملها ، وحسابات عاوز تخلصها ، مش معقول هاتفضل مركز في كل ده وسايب مراتك وليان لوحدهم ..!

ضغط عدي على كتف أوس أكثر ، وأضاف بهدوء :

-خليهم يوم ولا اتنين مع أهلهم ، صدقني ده هايفرق كتير معاهم !

نفخ أوس بصوت مسموع ، وركل الأرضية بقدمه وهو يتحرك للأمام ليفكر ملياً فيما قاله رفيقه ..

راقبه عدي بحرص .. ولم يردْ أن يزيد في الحديث معه .. لكنه في قرارة نفسه كان شبه متأكداً من إقتناعه بهذا الإقتراح ..

هتف أوس بصوت متصلب :

-ماشي ، أنا هوديهم عندهم ، بس مش اكتر من يومين ، أصفي بقية حساباتي وبعدها يرجعوا !

ابتسم عدي إبتسامة عريضة ، وهتف بسعادة :

-طبعاً !

....

في مشفى الجندي الخاص ،،،،

طــرق مهاب بأصابعه على سطح مكتبه بحركات عصبية وهو يتطلع أمامه بوجه مكفهر ...

زم ثغره للأمـــام ، وأخــذ نفساً عميقاً ، وزفره ببطء وهو يعتدل في جلسته ..

أردف قائلاً بتوتر :

-مافيش لا حس ولا خبر من أم البت دي لحد الوقتي ! لازم أحط بديل لو هي خافت ومرضتش تنفذ اللي اتفقنا عليه !

أمسك مهاب بذلك السكين الصغير الذي يفتح به المظروفات المغلقة ، وحك به سطح المكتب ، ثم حدق أمامه بنظرات مظلمة ، وتابع قائلاً بوعيد :

-بس قبل ما أعمل ده ، محتاج أعملها زيارة أخيرة .... !!!!

...

الفصل الحادي والعشرون :

في منزل أوس الجديد ،،،،

عـــاد أوس إلى منزله مرهقاً بعد أن قضى معظم الليل في تصفية بعض الحسابات العالقة مع من تجرأ على زوجته ، واتهمها في عرضها ، وأطلق الشائعات عنها ....

شعر بإرتياح مؤقت .. ومع هذا مازال أمامه الكثير ..

نزع سترته عنه ، وفرك وجهه براحته ، وســـار في إتجاه الصالة ..

إنتبه هو إلى صوت التلفاز الخافت .. فحدق في شاشته ، فوجده يعرض فيلماً كرتونياً ، فقطب جبينه مندهشاً ..

وألقى بالسترة على طرف الأريكة ..

أدار رأســه في اتجاه تقى فوجدها نائمة بعمق ..

ابتسم لها بنعومة .. ودار حول الأريكة ليجلس إلى جوارها ..

نظر إلى الصحن شبه الفارغ والمليء بالفشار المسنود إلى جوارها ، وتسائل بفضول :

-هما كانوا بيعملوا ايه بالظبط ؟

أبعد أوس الصحن ، ووضعه على الطاولة المنخفضة ، ثم أخـذ نفساً عميقاً ، وإستند برأســه على الأريكة ليتطلع إلى تقى بقرب شديد ..

شعر بأنفاسها المنتظمة تلفح وجهه ، فزاد شوقه ورغبته إليها .. وهمس لها بشغف :

-وحشتيني أوي ! النهاردة أنا خدت حقك من اللي آذاكي ، وزي ما وعدتك مافيش حاجة هتضايقك بعد كده !

أخفض عينيه للأسفل فوجدها قابضة على ذلك الحذاء الصغير ، فإلتوى ثغره بإبتسامة راضية .. ثم بحذر شديد رفع كفها إلى فمه ، وقبله بإشتياق ، وأضاف بصوت هامس للغاية :

-وقريب أوي هانرجع طبيعيين ، ومافيش حاجة هتمنعنا من .. من حضن بعض !

مرر أوس أصابع كفه الأخــر في فروة رأســه ، وتطلع بنظرات شغوفة إلى تعابير وجهها المرتخية ..

ظل على تلك الوضعية لفترة .. ثم تمطع بعنقه للجانبين ، وزفــر بتعب وهو يتلفت حوله بريبة ..

حدث نفسه بتوتر وهو يزم فمه :

-الوقتي ليان هنا ، ولو في أي وقت صحيت من النومٍ وشافتنا واحنا كده ممكن تفكر إن في مشاكل بينا ، وهي أصلاً متعرفش حاجة عن اللي عملته مع تقى !!!

فرك طرف ذقنه بحيرة ، وتابع حديث نفسه بجدية :

-مش قدامي غير إني أخد تقى على أوضتنا ، وأحاول بدري أرجعها تاني هنا !

وبالفعل ضم أوس كفي تقى إلى صدرها ، ثم مرر ذراعيه أسفل جسدها ، وقام بحملها بحرص شديد من على الأريكة ، وسـار ببطء نحو غرفة نومهما .. ثم ولج للداخل ، وأسندها على الفراش ، ودثرها جيداً ..

بدل أوس ثيابه ، وعـاد للتمدد إلى جوار تقى ، وبخفة لف ذراعه حول كتفيها ، وحرك رأسها قليلاً لتنام على صدره فتستمع إلى دقـات قلبه وهي تنبض بإسمها ...

حركت هي رسغها لا إرادياً ، وأسندته على صدر أوس ، فنظر لها مدهوشاً ، وتنهد بحرارة ثم أغمض عينيه وعلى وجهه إبتسامة عابثة ..

....

في صباح اليوم التالي ،،،

تململت تقى وهي شبه غافية على جسد أوس ، و تأوهت بصوت خافت .. ثم بتثاقل جاهدت لتفتح عينيها الناعستين ..

شعرت بنعومة غريبة أسفل منها ، وبأن الأريكة التي إعتادت أن تكون شبه صلبة باتت مريحة للغاية ..

استغرقها الأمر بضعة للحظات لتدرك أنها ليست نائمة في الصالة ..

فتحت عينيها مصدومة ، وشهقت بذهـول وهي ترفع رأسها للأعلى ..

نظرت حولها بخوف ، وصاحت بذعر جلي وهي تهب من على الفراش :

-أنا ايه اللي جابني هنا ؟ ازاي جيت على السرير !!

انتفض أوس مذعوراً من نومته على إثر صوتها ، ونظر لها بإستغراب ، بينما ضمت هي كفيها إلى صدرها ، وبدت مرتجفة وهي تطالع الفراش بنظرات زائغة ...

تثاءب أوس بهدوء ، وفرك عينيه ، ثم أردف قائلاً بنبرة شبه ناعسة :

-انتي اللي طلبتي تيجي هنا

فغرت شفتيها مصدومة ، واتسعت عينيها بإندهــاش واضح .. وهزت رأسها نافية وهي تقول :

-محصلش ، أنا مش فاكرة حاجة !

تابع هو بثقة وهو يعاود التمدد على الفراش :

-انا رجعت بالليل لاقيتلك بتقوليلي بردانة وعاوزة تنامي هنا

صاحت مصدومة وهي ترمش بعينيها :

-أنا ؟!

هز رأسه قليلاً ، وأجابها بصوت ثقيل بعد أن أغمض عينيه :

-أيوه ، بصراحة أنا استغربت من طلبك ده ، بس إنتي صممتي تيجي هنا !

حركت رأسها نافية ، وهتفت بإستنكار :

-مش ممكن ، أنا استحالة أطلب كده !

تصنع التثاؤب وهو يكمل :

-مش عارف ، بس يمكن تكوني بتمشي وانتي نايمة

هتفت بعدم تصديق :

-أنا ؟

رد بصوت خافت :

-جايز .. الحاجات دي بتحصل ! ودي مش أول مرة ، إنتي عملتيها قبل كده !!

-هـــاه

أولته ظهرها ، وحكت جبينها وهي تتسائل بعدم تصديق :

-أنا بأمشي وأنا نايمة ؟ طب .. طب ازاي ؟!!!

جاهد أوس ليخفي إبتسامته المتسلية من على ثغره بعد أن إنطلت عليها خدعته ، ودفن وجهه في الوســـادة .. بينما ظلت تقى على حالتها المصدومة محاولة إستيعاب فكرة كونها تسير وهي غافية ....

لكنها أيقنت شيئاً هاماً مما حدث ، أنها لم تعد تعاني من تلك الرهبة الجلية من ذلك الفراش مثلما كان يحدث مسبقاً ..

هي تحتفظ ببوادر من الخوف ، ولكنه لا يقارن بفزعها السابق منه ..

....

في المشفى الحكومي ،،،،

وصــل عبد الحق إلى المشفى الحكومي الذي أخذ زوجته بطة إليه قبل سابق ، ثم ســـار في إتجاه غرفة مكتب الطبيبة التي تحدث معها عن حالتها ، وطلب من الممرضة مقابلتها ، فحددت له ميعاد بعد عدة كشوف نسائية ..

انتظر دوره حتى سمحت له الممرضة بالدخــول ..

أشــارت له الطبيبة بالجلوس ، ففعل هذا .. ثم أردفت قائلة بجدية :

-مراتك انسانة طيبة ، ونيتها صافية ، واحدة غيرها كانت أصرت انها تعمل محضر ، وتوديك في داهية ، دي جناية !

ابتلع ريقه ، ونظر لها وهو يتابع بتلهف :

-ما هو .. عشان كده انا عاوز .. آآ.. اعوضها عن اللي حصل !

هزت رأسها بخفوت وهي تصغي إليه بإهتمام :

-اها

فرك عبد الحق فكه ، وأكمل قائلاً بإستفهام :

-انتي كنتي قولتي ان في أمل انـها تخلف ، صح ولا .. ولا أنا فهمت غلط ؟

أجابته بثقة وهي شابكة لكفيـها :

-ده حقيقي ، هو مش أكيد بس الأمل موجود !

سألها بإستفسار :

-ازاي ؟

ردت عليه بنبرة هادئة :

-عن طريق الحقن المجهري ، هو مكلف لكن ممكن يجيب نتيجة فعالة

ضرب بيده على سطح مكتبها وهو يصيح بتلهف :

-ماشي ، أنا عاوز ده ، اعمليه !

نظرت له بإستغراب ، وتابعت بصوت جاد :

-الموضوع مش بالشكل ده ، هو محتاج فحوصات للزوجين والتأكد من آآ...

قاطعه بنبرة متحمسة رغم ارتفاعها :

-أنا يا ضاكتورة مش بأفهم اللي بتقوليه ، بس أنا مستعد أدفع كل اللي ورثته عشان مراتي تخلف وترجع زي الأول

ابتسمت له مجاملة وهي تقول :

-ربنا يسهل ، أنا هاشرحلك المطلوب ، وانت اعمل ده

....

في منزل أوس الجديد ،،،

أصـــاب تقى الغثيان الشديد بعد تناولها لوجبة الإفطـــار ، وتقيأت معظمه .. فأعدت لها عفاف مشروباً ساخناً لتهديء به معدتها ..

خـــرج أوس من غرفة النوم وعلى ثغره ابتسامة صافية ، ونظر إلى زوجته متعجباً من حالة الوهن المسيطرة عليها ، فأسرع نحوها ، وسألها بقلق :

-مالك ؟

ثم جلس إلى جوارها .. وتناول كفها بين راحتيه ، ورمقها بنظرات قلقة للغاية ..

أجابته بفتور وهي خافضة لرأسها :

-أنا كويسة !

استطردت عفاف قائلة :

-اطمن يا باشا ، ده العادي في الحمل

هتف أوس بنبرة جادة وهو محدق بها :

-لو تعبانة اخدك عند الدكتورة بارسينيا

هزت رأسها نافية وهي تقول :

-لأ .. أنا هابقى احسن

أضافت عفاف بهدوء :

-أنا معاها يا باشا ، لو في حاجة هابلغك على طول

أومــأ برأسه قليلاً ، ثم داعب أصابع تقى ، ورسم على ثغره ابتسامة ناعمة وهو يردد بحنو :

-طب يا حبيبتي ، أنا عاملك مفاجأة

إنعقد ما بين حاجبيها في استغراب ، وسألته بإيجاز :

-ايه ؟

زادت ابتسامته إشراقاً وهو يجيبها :

-ايه رأيك لو قضيتي اليوم النهاردة عند أهلك

اتسعت مقلتيها بإندهــاش ، وهتف بعدم تصديق :

-انت .. انت بتكلم جد؟

هــز رأسه إيجاباً وهو يتابع بهدوء :

-ايوه ، وليان هتروح معاكي

هتفت بتلهف ، وقد بدى الحماس واضحاً على تعابير وجهها :

-يعني .. يعني هاشوف بابا وماما وآآ..

قاطعها بصوت رخيم :

-ايوه

بدت الفرحة جلية في عينيها ، وتنهدت بسعــادة ، وعفوياً أحتضنته ممتنة .. ثم تداركت سريعاً ما فعلته ، فتوردت وجنتيها خجلاً منه .. وتراجعت مبتعدة للخلف ..

فإلتوى ثغره بشبح إبتسامة متحمسة ، ولكنه لم يردْ إظهارها أمامها .. وتنحنح بصوت خشن ليضيف :

-جهزي نفسك ، وأنا هاوصلك قبل ما هاروح شغلي

-ماشي

قالتها تقى وهي تنهض من على الأريكة ، وتسير على استحياء في اتجاه غرفة النوم ..

راقبتهما عفاف بنظرات حانية ، وتمتمت مع نفسها برجاء :

-ربنا يهدي سركم ، ويكرمك يا رب !

نهض أوس هو الأخــر من مكانه ، واستطرد قائلاً بجدية :

-شوفي ليان صحت ولا لأ ، وخليها هي كمان تجهز ، هاتروح مع تقى

أومــأت برأسها بخفة وهي تجيبه بإيجاز :

-حاضر

....

في منزل تقى عوض الله ،،،،

ولجت تهاني إلى داخل المرحــاض لتغتسل ، بينما شرعت فردوس في ترتيب الصالة الخارجية ، وتلميع أثاثها القديم قبل أن تتجه للمطبخ لإعداد الإفطــار ..

استمعت هي إلى صوت دقات ثابتة على باب المنزل ، فسارت نحوه ، ثم فتحته ، وشهقت مصدومة حينما رأت مهاب أمامها ..

وضعت يدها على ثغرها ، وإندفعت خــارج المنزل ، وواربت الباب خلفها ، وهتفت بهمس وهي جاحظة العينين :

-ايه اللي جابك هنا ؟

رد عليه بنبرة شرسة وهو يحدجها بنظرات قاتلة :

-جاي أفكرك بالاتفاق اللي بينا

ارتعدت من رؤيته ، وهمست بتلعثم :

-مـ... ما أنا قولتلك هانفذه

سألها بجمود :

-امتى ؟

رد بإيجاز وهي تتلفت حولها برعب :

-قريب

أشــار لها بإصبعها وهو يحذرها يصوت قاتم :

-معاكي لأخر الاسبوع وإلا آآ..... !!!

قاطعته بتوتر جلي :

-من غير ما تكمل ، أنا هاتصرف

تابع مهاب قائلاً بنبرة شبه مهددة

-اوكي .. بس خليكي فاكرة إني نفذت اللي يخصني ! ولو خالفتي اتفاقك ، فإنتي الجانية على نفسك وعلى بنتك !

هزت رأسها بفزع وهي تهتف بخفوت :

-حاضر يا بيه ، أنا هاتصرف ، يالا الله يكرمك من هنا قبل ما حد يشوفك وتحصل مشكلة

مط فمه ليضيف بإيجاز :

-تمام ..

راقبته فردوس وهو يوليها ظهره ليتجه نحو الدرج ، فولجت داخل منزلها ، وتنفست الصعداء بعد رحيله ، ثم أوصدت الباب بهدوء ، وأخذت نفساً عميقاً لتسيطر على حالة التوتر الرهيبة التي إجتاحتها ...

-انتي كنتي بتكلمي مين ؟

سألتها تهاني بإستغراب وهي تجفف يدها بالمنشفة القطنية

إستدارت فردوس فجـأة للخلف ، وبدى على وجهها وكأنها قد رأت شبحاً للتو ..

رمقتها بنظرات شبه زائغة ، وعجزت للحظة عن الإجابة عن سؤالها ..

اقتربت منها تهاني وسألتها بإندهاش :

-هو في حد كان على الباب ولا انتي كنتي بتطلعي الزبالة !

ازدردت فردوس ريقها ، وعبست بوجهها بزيف ، وهتفت بتذمر :

-في ايه يا تهاني ؟ هو انتي بتراقبيني ولا ايه ؟ أيوه كنت بأشوف بتاع الزبالة جه ولا لأ !

ضاقت عيني تهاني ، وتشدق قائلة :

-طيب الموضوع مش مستاهل العصبية دي كلها !

أسـرعت فردوس في خطواتها نحو المطبخ حتى تضمن عدم ملاحظة أختها لحالة الإرتباك البادية عليها .. بينما عادت أختها للغرفة الخاصة بها لترتبها ..

....

في سيارة أوس الجندي ،،،،

جلست ليان في منتصف المقعد الخلفي بين أوس وتقى ، ومالت بجسدها ناحية الأخيرة وسألتها بحماس :

-انتي شوفتي البيبي في السونار ؟

فركت تقى أصابع كفيها ، وتلعثمت وهي تجيبها بخجل :

-هــه .. آآ.. لأ

عاوت النظر إلى شقيقها ، وهتفت بنبرة شبه ساخرة :

-و Sure (طبعاً) إنت لأ يا أوس

أجابها بإستغراب يكسو قسماته :

-تصدقي أنا.. أنا مفكرتش أشوفه

أشارت ليان بكفيها ، وهتفت بحماس :

-يبقى لازم الزيارة الجاية كلنا نشوف البيبي سوا

هزت أوس رأسه قائلاً بجدية :

-تمام

أشاحت تقى بوجهها لتنظر عبر النافذة الملاصقة لها ويديها موضوعة على بطنها تتحسسه بحذر ، وشبح إبتسامة مطمئنة تلوح على ثغرها ....

....

في منزل الجارة أم بطة ،،،،

أفرغت أم بطة الشـــاي الساخن في الأكواب الزجاجية المتراصة على الصينية ، ثم حملتها إلى خــارج المطبخ ، وهتفت بصوت مرتفع :

-تعالي يا بطة اشربي الشاي قبل ما يبرد

أتاها صوتها من الداخل قائلاً :

-حاضر يامه !

انتبهت أم بطة إلى صوت قرع الجرس ، فإلتقطت الحجاب المسنود على المقعد ، ولفته حول رأسها ، وســارت نحو الباب وهي تصيح :

-ايوه يا اللي بتخبط ، أنا جاية أهوو

فتحت الباب لتجد عبد الحق يقف منكساً لرأسه أمامها ، فنظرت له مندهشة ، وهتفت مصدومة :

-عبده !

رفع رأســـه تدريجياً للأعلى ، واستطرد قائلاً بنبرة حزينة :

-ازيك يا حماتي ؟

لوت فمها بإمتعاض وهي تجيبه :

-كويسة !

ثم لوحت بذراعها وهي تضيف بتهكم :

-متأخذنيش ، معرفتش أجي أعزي في أمك ، كفاية النصيبة اللي عندي

ضغط على شفتيه وهو يتنهد بخفوت :

-معلش ..!

ثم إشرأب بعنقه للأعلى ، وتسائل بحذر :

-هي .. هي بطة موجودة ؟

ردت عليه والدتها بصوت شبه محتد وهي ترفع حاجبها مستنكرة :

-عاوز ايه منها يا عبده ؟ مش كفاية اللي حصلها على ايدك انت وأمك ! جاي تكمل على بقيتها ؟!!!

ضرب على صدره بكفه ، وأجابها بأسف وقد لمعت عينيه بشدة :

-حقكم عليا ، وأنا جاي النهاردة أصلح اللي عملته

لوت ثغرها لتقول متهكمة :

-هو اللي راح بيرجع !!

هتف متوسلاً وهو يشير بيده :

-أدوني بس فرصة

-مين يامه اللي واقفة ترغي معاه ؟

تسائلت بطة من الداخل وهي تلوك لقمة من الخبز في فمها

تحول وجهها سريعاً للقتامة ، وأظلمت عينيها بشدة حينما رأته أمامها .. فقد لاحت ذكرى واقعة تدمير أنوثتها نصب عينيها ..

توقفت عن إبتلاع الطعام ، وضغطت على شفتيها بقسوة ، وهتفت بصوت مختنق :

-اقفلي يامه الباب ، العالم دي ماتستهلش حد يعبرها

نهرتها والدتها بصوت شبه منخفض :

-عيب يا بت ، الراجل جاي لحد عندنا ، نقوم نقفل الباب في وشه ونطرده ، ده حتى مايصحش !

صاحت بصوت محتد ، وقد تحولت نظراتها للشراسة :

-اييييه يامه ، نسيتي عمل فيا ايه هو وأمه !

صمتت للحظة قبل أن تتابع بنبرة متشفية :

-وأهوو ربنا انتقملي منها

هتف عبد الحق مستعطفاً إياها :

-اسمعيني يابطة ، أنا جاي عشان أعوضك عن اللي هي عملته فيكي ، صدقيني أنا ماليش ذنب ، اضحك عليا منها

لوحت بذراعها وهي تصرخ بإهتياج :

-هتعوضني ازاي وانت .. وانتو حرمتوني من أغلى حاجة في الدنيا ، حرمتوني أكون أم وآآ...

قاطعها بصوت شبه مختنق وهي ينظر لها بتوسل :

-لألألأ .. في أمل ، الضاكتورة قالتلي كده

ضاقت عينيها الحادتين ، ورددت مندهشة :

-ضاكتورة !!

هز رأســه إيجاباً وهو يقول :

-أيوه ، أنا روحت عندها وقالتلي في عملية كده بتتعمل بتخلي المرة تحبل

تسائلت أم بطة بفضول وهي تضع اصبعيها على طرف ذقنها :

-عملية ايه دي ؟

أجابها بصوت جاد :

-أنا مش فاكر اسمها !

ثم استدار برأسه ناحية زوجته ، وتابع بنبرة متفائلة :

-بس .. بس انتي هاتعمليها يابطة وهتحبلي

تقوس فمها لتقول بإزدراء :

-هـه ، وهي العمليات دي بتتعمل ببلاش ؟!

رد عليها بجدية :

-لأ بفلوس ، وأني هادفع كل ما أملك فيها إن شاء الله أبيع آآ.....

قاطعته بتهكم ساخر :

-هو من امتى الحداية بتحدف كتاكيت ، ولا انت ورثت وأنا معرفش ؟!

أجابها بثقة :

-أيوه ، ربك مخلف معوض !

حكت أم بطة رأسها وهي تتسائل بحيرة :

-أنا مش فاهمة حاجة يا عبده !

وزع نظراته ما بين الإثنتين وهو يجيبهما بهدوء :

-أنا هفهمكم .... !!

....

الفصل الثاني والعشـرون :

في منزل تقى عوض الله ،،،

فتحت تهاني النافذة لتتسلل أشعة الشمس للغرفة ، فتفاجئت بوجود سيارة فارهــة على مقربة من بنايتهم ، والتي لم تكنْ بعيدة عن ذاكرتها .. دققت النظر محاولة تبين هوية من يقودها ، ولكنها لم تستطعْ رؤيته بوضــوح .. ولكن إنقباضة قوية في قلبها أصابتها بالرجفة حينما ظنت أنه مهاب الجندي .. وهمست لنفسها مستنكرة :

-وده ايه اللي هايجيبه هنا ؟ لألألأ .. أكيد أنا بيتهيألي الكلام ده !

نفضت عن عقلها تلك الأفكار ، وابتعدت عن النافذة ...

....

عند مدخل الحـــارة الشعبية ،،،

لمح أوس بطرف عينه سيارة شبيهة بدرجة كبيرة لتلك التي يمتلكها أبيه تنحرف من عند مدخل الحارة ، فحاول تدقيق النظر نحوها ولكنها اختفت في الزحـــام ...

أوقف السائق السيارة أمـــام مدخل البناية المتواجد بها منزل تقى .. ووقفت خلفها سيارة الحراسة الخاصة ..

نظرت ليـــان بتفحص للمكان من حولها وهي داخل السيارة .. ومطت شفتيها بتعجب واضح من هيئة قاطني تلك المنطقة ذوي الملابس الشعبية والبسيطة ومن مبانيها القديمة وشبه المتهالكة ..

ارتسمت علامات الفرحة على وجه تقى وهي محدقة بالأعلى حيث يوجد منزلها .. وتمنت لو رأت والدتها بالشرفة .. ولكن كانت النوافذ شبه مغلقة ..

راقبها أوس بدقـــة ، واستشعر تلك الغبطة البادية عليها .. فإستطرد مازحاً :

-هاتقضوا اليوم في العربية ولا ايه ؟

هتفت ليان بحماس :

-المكان شكله فوتوجونيك خالص

حذرها أوس بهدوء :

-بلاش تريقة !

بررت ليان موقفها بـ :

-مش قصدي ، بس أنا بأسمع عن الأماكن دي ، لكن أول مرة أشوفها

ثم وضعت يدها على كتف تقى ، وسألتها بجدية :

-انتي عايشة هنا ؟

ردت بحرج وهي مطرقة الرأس :

-ايوه

ترجل أوس من السيارة بعد أن فتح له الباب أحد رجـــال حراسته ، وقـــام بغلق زرار سترته ، ثم مــد يده ليساعده شقيقته على النزول .. بينما فتح حارس أخــر الباب لتقى لتترجل هي الأخــرى منها ..

أردف أوس قائلاً بهدوء :

-هاوصلكم لفوق وهاروح شغلي !

أشـــارت له ليان بإبهامها قائلة :

-اوكي

التفتت هي نحو زوجة أخيها ، وسألتها بفضول :

-تقى ! هو احنا المفروض هنشوف مين ؟ مامتك وباباكي صح ؟

أجابتها الأخيرة بحذر وقد بدت أكثر تلعثماً :

-أهــا وآآ.. وآآ.. خالتي !

ضغط أوس على شفتيه بقوة ، وعبس وجهه نوعاً ما .. ثم أشــار لكلتاهما بيده ليتحركا للداخـــل ...

....

لم تختفْ علامات الدهشة والتعجب من على وجـــه ليان وهي تتفحص ذلك المكان بنظرات دقيقة ..

صعد الجميع على الدرج إلى أن وصلت تقى إلى الطابق المتواجد به منزلها ، فأخذت نفساً عميقاً ، وزفــرته على مهل ، ثم قرعت الجرس ، وانتظرت من يفتح لها الباب ..

وقفت ليان خلفها ، وترقبت بحماس خوض تلك التجربة الجديدة والمثيرة من وجهة نظرها في تمضية يوم مع أناس مختلفين عنها ..

في حين فضل أوس البقاء في المؤخــرة ليتحاشى تلك المواجهة التي ينبذها مع والدته ..

فتحت فردوس الباب وهي شبه مصدومة من رؤية ابنتها أمامها ، فلم تتوقع حضورها بتلك السرعة .. ونظرت لها بذهــول ..

ألجمت المفاجأة لسانها ، فإستغربت تقى من تصرفها الغير طبيعي ، واستطردت قائلة برقــة :

-وحشتيني يا ماما

أفاقت فردوس من شرودها ، ورسمت قناع السعادة على وجهها ، وهتفت بتلهف :

-بنتي حبيبتي ، وحشتيني يا ضنايا ، تعالي في حضن أمك يا غالية !!

ثم فتحت لها ذراعيها لترتمي تقى في أحضانها ، وقبلتها بعاطفة قوية ..

ابتسمت ليان بسعادة لذلك اللقاء الجميل ، وتنهدت بحزن وهي تُمني نفسها بتجربة تلك المشاعر الأمومية مع من تحبها بصدق ..

ركضت تهاني على إثر صوت فردوس ، وشهقت مصدومة حينما رأت تقى على عتبة المنزل ، وصاحت بسعادة :

-تقى ، يا حبيبتي يا بنتي

ثم أسرعت في خطواتها نحو الباب ، ولكنها تسمرت في مكانها مصدومة حينما رأت ابنتها الصغيرة ليــان تقف خلف تقى وعلى وجهها ابتسامة ناعمة .. رمشت بعينيها عدة مرات لتتأكد من أنها لا تتوهم ذلك ..

لمعت مقلتيها بشدة ، واحتقن أنفها ، وهمست بصوت شبه مختنق :

-بـ .. بنتي !

لم تتمكن تهاني من السيطرة على مشاعرها كأم تحترق شوقاً لإحتضان فلذات أكبادها .. فإنهمرت العبرات منها ، وهتفت بتلهف :

-ليـــان

نظرت لها ليان بذهــول إلى حد كبير .. وانفرجت شفتيها بصدمة ، فقد تفاجئت بوجودها هنا ..

أفسحت تقى المجــال لخالتها لكي تمر وتقف قبالة ابنتها الوحيدة ..

رفعت تهاني كفها المرتجف لتتلمس وجنة ليان بإشتياق ، وتابعت بصوت باكي :

-آآآه ... بنتي

ثم جذبتها إلى حضنها لتضمها بشدة ، وأغمضت عينيها وهي تهمس لها :

-واحشني حضنك يا بنتي ، يـــاه ، أنا مش مصدقة إنك هنا !

إحتضنتها ليان هي الأخـرى وقد لمس قلبها تلك المشاعر التي تمنتها ..

فتحت تهاني عينيها فتفاجئت بوجود أوس في الخلف ، فإعتدلت برأسها ، ونظرت له مصدومة ، وهمست بنزق :

-أوس !

أشـــاح بوجهه للجانب متعمداً تجاهلها بعد أن رمقها بتلك النظرات الجامدة ، وضغط على شفتيه بقوة وهو يزفر بصوت مسموع

ابتلعت تهاني تلك الغصة المريرة في حلقها .. فإبنها قلبه لا يزال معبئاً بالكره نحوها .. ولم يصفو لها بعد أو حتى يصفح عن أخطائها ..

ترددت وهي تسـألـه بصوت ذليل :

-آآ.. ازيك يا بني ؟

نظر لها من طرف عينه بإحتقار ، ونفخ بصوت مرتفع وهو مستمر في التحديق أمامه متعمداً إهانتها ..

أطرقت رأسها خزياً منه .. ولم تعاتبه ..

نعم فهي تلتمس له العذر .. وتدرك أنه لن يتقبلها في حياته إلا بعد مجهود مضني ..

ســـاد صمت مشحون بين الجميع ، فقطعته فردوس بحماس زائف وهي تشير بيدها :

-هو احنا هنفضل واقفين كده ، اتفضلوا جوا !

ثم ربتت على صدر ابنتها ، وأضافت بسعادة :

-ده أبوكي يا تقى هايفرح أوي لما يشوفك ! استني أما أناديه

رفعت فردوس من نبرة صوتها وهي تصيح قائلة :

-يا عـوض ، تعالى شوف من هنا ! عـــوض !

خـــرج عوض من الغرفة وهو متكئاً على عكازه الخشبي ، وتهللت أساريره حينما رأى ابنته النقية أمامه ، فهتف بإسمها :

-تـ.. تقى !

-بابا

قالتها تقى وهي تركض ناحية أبيها لتحتضنه بشغف كبير ..

ربت والدها على ظهرها ، واحنى رأسه ليقبلها من جبينها .. بينما مالت هي على كفه لتقبله بحنان ..

استغربت فردوس من إرتداء زوجها لجلباب نظيف يضعه عليه حينما ينتوي الخروج ، فســألته على مضض :

-انت لابس كده ورايح فين ؟

أجابها بصوت منخفض :

-أنا .. كنت نازل الجامع شوية

لوت فردوس فمها لتضيف بتهكم :

-جامع ايه الوقتي ، مش تشوف بنتك وتقعد معاها ، وابقى روحه أخر النهار !!!

سـألته تقى برقة وهي تطالعه بنظرات دافئة :

-انت رايح تصلي يا بابا ؟

أجابها بصوته الأبوي الحنون وهو يمسد على رأسها :

-ايوه يا بنتي

هتفت فردوس بتهكم صريح وهي تهز حاجبيها :

-يا راجل مالوش لازمة ، خلاص التوقى مقطعة بعضيها !

نظرت تقى إلى والدتها بعتاب ، ثم قالت بهدوء وهي تحتضن كف أبيها :

-روح يا بابا براحتك ، ولما تخلص هتلاقيني مستنياك هنا

مسح عوض على صدغها بيده المجعدة ، وردد بخفوت :

-ربنا يباركلك يا بنتي !

ثم انحنت مجدداً لتقبله في كفه ، فسحب يده منها ، وتركها وعلى وجهه ابتسامة راضية ...

....

في نفس التوقيت ، لم يبرحْ أوس مكانه ، فسألته ليان بإستغراب :

-مش هاتجي معانا ؟

رد عليها بإمتعاض موجز :

-لأ ..!

تلعثمت تهاني وهي تتوسله :

-تعالي يا ابني شوية ، أنا آآ....

إلتفت أوس برأســـه نحوها ليحدجها بنظرات قاسية ، ثم سلط أنظاره على ليان ، وهتف بصرامة متجاهلاً إياها :

-هاكلمكم أخـــر اليوم عشان تجهزوا قبل ما أجي هنا !

ابتلعت تهاني تلك المرارة العالقة بجوفها ، وإستعطفته قائلة :

-يا أوس يا ابني أنا عارفة إنك مش هاتسامحني بالساهل ، بس .. بس والله العظيم كان غصب عني ، إنت مش عارف أنا بأحبك أد ايه و.. آآآ...

زادت تعابير وجه أوس قساوة وهو يضغط على شفتيه ليقول بنبرة عدائية :

-متقوليش ابنك ! أنا ماليش أم ، ومش معنى إني جيت هنا أبقى نسيت اللي فات !

صدمت ليـــان مما يقوله شقيقها ، وبدت كالقادمة من كوكب أخـــر وهي ترى ذلك الغضب الجم منه على تلك السيدة الرقيقة ..

هتفت تهاني مدافعة برجـــاء :

-محدش يا بني معصوم من الغلط ، بس آآآ...

قاطعها بصوت حـــاد ومنفعل وهو يشير بإصبعه نحوها :

-إلا انتي !!

خـــرج عــوض من منزله ليتفاجيء بالجدال المحتدم بين ذلك الرجل الذي عهده عنيفاً ، وتهاني .. فقاطعهما بصوت واهن :

-صلوا على النبي كده ، واذكروا الله .. خشي الوقتي يا ست تهاني ، مايصحش العتاب على الباب

إلتوى فم أوس بتهكم ، وهتف بصوت متشنج :

-أنا ماشي !

إنتحبت تهاني بحسرة وهي تجر أذيال الخيبة ورائها ..

بينما تابعتها ليان بصدمة جلية .. فهي تحاول ربط ما استمعت إليه من كلمات مقتضبة لتفسر تلك المسألة الغامضة التي جعلت أوس يثور كالبركان لمجرد رؤية تهاني أمامه ..

أشـــار عوض لتلك الغريبة بيده لتدلف للداخل ، فإبتسمت له ابتسامة مهذبة وهي تلج لمنزله ..

ثم هتف بصوت شبه مرتفع وهو يشير بعكازه لأوس :

-استنى يا بني ، اسندني وأنا نازل

توقف أوس على الدرج على مضض ، وضرب بيده الدرابزون بعنف ..

نظر إليه عوض بأسف .. وأضاف بصوت هاديء :

-معلش يا بني ، اعتبرني زي أبوك ، وخد بإيدي لحد تحت !

إلتفت أوس نحوه ، ورمقه بنظرات ساخرة ، وغمغم مع نفسه بسخط :

-بلاش زي أبويا !

....

خــرج الاثنين من مدخــل البناية ، فأسرع رجال الحراسة الخاصة نحو أوس ، ولكنه أوقفهم بإشارة من يده ، فإبتسم عوض قائلاً بمزاح :

-يا بني أنا مش هأذيك ، أنا مافيش فيا حيل حتى أمشي خطوتين من غير ما أتسند على حد !

رد عليه أوس بجمود :

-رجالتي واخدين على آآآ...

قاطعه عوض بهدوء رغم وهن صوته :

-ينفع أطلب منك حاجة أخيرة

رد عليه أوس بنفاذ صبر :

-ايه

أشـــــار له عوض بعينيه المرهقتين وهو يجيبه بهدوء مشروط :

-توصلني بس لحد باب الجامع ، وآآ.. ولوحدك

عقد أوس ما بين حاجبيه بشدة ، وهتف بصدمة :

-نعم ؟!

ابتسم له ابتسامة ودودة وهو يردد بهدوء :

-متقلقش ده هنا

ضغط أوس على شفتيه قائلاً بتبرم :

-بس آآ..

قاطعه عوض بإصرار دون أن تتلاشى تلك الإبتسامة من على ثغره :

-خد ثواب مساعدة العاجز

زفر أوس عالياً ، وتابع بإمتعاض :

-ماشي

همس له عوض بنبرة ممتنة :

-ربنا يهديك ويصلح حالك

إلتفت أوس برأســه لحراسته الخاصة ، وردد بصوت آمــر :

-خليكوا واقفين هنا لحد ما أرجع

أردف أحد رجاله قائلاً بجدية واضحة :

-بس يا باشا احنا مهمتنا آآآ..

قاطعه أوس بصرامة وقد عبس بوجهه :

-هي كلمة ومش بأعيدها

هز الحارس الخاص رأســه قائلاً بـهدوء :

-تمام معاليك

وبالفعل ســـــار الاثنين سوياً في إتجاه الطريق المؤدي للمسجد الموجود في منتصف الحارة ..

ظلت ابتسامة عوض الراضية مرسومة على وجهه حتى وصل إلى باب الجامع .. فأردف قائلاً بهدوء :

-معلش يا بني ، أخـر حاجة تدخلني جوا

نفخ أوس مجدداً وهو يتأمل المكان من حوله ، ثم مد يده دون أن ينطق بكلمة

أضــاف عوض قائلاً بصوت ودي وهو يشير إلى قدمي أوس :

-بس اخلع آآ.. لامؤاخذة .. جزمتك

بدى وجـــــه الأخير ممتعضاً للغاية .. فهو يعلم مدى قدسية المكان المقبل عليه .. وهو ليس بذلك القدر من النقاوة لكي يدلف إليه بسهولة ..

-قولي هو انت متوضي ؟

سأله عوض بإبتسامة مهذبة وهو يتفرس تعابير وجهه ..

رد عليه أوس بتهكم :

-لأ .. مستحمي بس !

هز عوض رأســه وتابع بهدوء :

-كلها طهارة يا بني

دلف الاثنين إلى داخل المسجد .. فشعر أوس برهبة شديدة تجتاحه رغم تلك الصلابة الزائفة التي يدعيها .. ولكن هناك هيبة كبيرة في ذلك المكان جعلت بدنه يقشعر ..

إزدرد ريقــه بصعوبة .. وتسارعت دقات قلبه نوعاً ما ..

نعم .. فهذا المكان أطهر من أن يدنسه بكل تلك الحقارات والأفعال المشينة التي إرتكبها في حياته السابقة ..

وجوده هنا لا يصح .. هو لا يصلح لأن يكون وسط هؤلاء الأنقياء ..

اقتحم ذاكرته سيل جــارف من تلك الذكريات الماجنة التي فعلها مع الساقطات ومثيلاتهن .. ومدى العبث واللهو الذي كان منغمساً فيه حتى أخمص قدميه فأدرك مدى وضاعته التي تلوث طهارة المسجد .. وأنه لا يستحق التواجد هنا ..

استجمع رباطة جأشــه وســار بحذر إلى الداخل وهو يتأمل المتواجدين به ، والذين كانوا قلة تُعد على أصابع اليد ، وراقبهم بنظرات حذرة وكأنه يرى في أعينهم حقيقته العارية متجلية ..

اخترق أذنيه صوت رجل عذب وشجي يتلو آيــات الذكر الحكيم .. فزاد هذا من رجفته .. ومن توتره

-عم عـــوض ، ازيك يا راجل يا طيب

قالها الشيخ أحمد بنبرة متحمسة وهو يتحرك صوبهما ..

استدار أوس برأســه في إتجاه ذلك الشيخ ، ونظر له بجمود ..

هتف عوض بنبرة راضية :

-في نعمة والحمدلله

هــز الشيخ أحمد رأسه وهو يربت على ذراع عوض قائلاً بهدوء :

-يستاهل الحمد .. !

ثم أدار عينيه في إتجاه أوس ، وابتسم له متسائلاً بهدوء :

-سلامو عليكم يا ابني ، أنا أول مرة أشوفك هنا ، إنت .. إنت قريب الراجل البركة ده ؟

رمقه أوس بنظرات حادة ، وشعر بعدم رغبته في الحديث مع أي أحد ، وأن الوقت قد حــان للرحيل ، لذا إلتفت ليحدث عوض قائلاً بنبرة جافة :

-أنا وصلتك ، مهمتي خلصتك !

ثم إستدار مسرعاً ، وكان على وشــك التحرك ، ولكن أوقفه صوت الشيخ أحمد معاتباً :

-يعني ينفع تيجي بيت ربنا من غير حتى ما تصلي ركعتين تحية المسجد !!

تسمـــر أوس في مكانه وكأنه أصيب بشلل مفاجيء منعه عن الحركة ..

وقف الشيخ أحمد قبالته ، وأدار مسبحته بحركات هادئة ، وتابع بنبرة بشوشة :

-ده حتى مافضلش كتير على صلاة الضهر ، استنى وصليها معانا !

إرتباك كبير بدى واضحاً على تعابير وجــهه .. واضطربت نظراته وهو يحاول إختلاق مبرر سريع ، فهتف بصوت شبه حاد :

-مش فاضي !

استطرد الشيخ أحمد حديثه بهدوء محاولاً إقناعه بالبقاء قائلاً :

-مش فاضي ولا مش عاوز تصلي معانا ؟ إكمن الجامع مش على المستوى !

فغر أوس فمه مندهشاً ، وابتلع ريقه بصعوبة وهو يقول :

-هـــاه ، لأ .. بس آآ..

أشـــار الشيخ أحمد بيده وهو يكمل بـ :

-على فكرة السجاد هنا نضيف وبيتكنس يومياً ، مايغركش إنه بسيط وقديم ، بس بفضل الله احنا محافظين عليه ، وكله بثوابه

كز أوس على أسنانه بشراسة وهو يضيف بنبرة شبه منزعجة :

-انت مش فاهم حاجة !

تعجب العم عوض من حالة العناد المسيطرة عليه ، ولكن أدرك الشيخ أحمد بفراسته المعهودة سبب امتناعه عن البقاء ، فسأله بهدوء محاولاً سبر أغوار عقله المشتت أمام نفسه ليكشفه :

-طب قولي ايه المانع ؟ فهمني السبب ، أنا كلي آذان صاغية !

أغمض أوس عينيه ليقاوم تلك الومضات المشينة التي تضيء ذاكرته بشدة وتذكره بذنوبه اللا متناهية وآثامه ..

فأخـذ نفساً عميقاً وحبسه في صدره المتأجج ليسيطر على تلك الحالة من التخبط والصراع ، ثم كور قبضة يده ، وهتف بصرامة وهو يتحرك للأمـــام :

-أنا ماشي

-((أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ))

رتلها الشيخ أحمد بصوت شجي جعلت بدن أوس يهتز بالكامل فإنهارت مقاومته ، وتسمر في مكانه عاجزاً عن المضي قدماً ..

وقف خلفه الشيخ أحمد وتابع بنبرة ودية :

-لو فاكر إن ربنا بيقفل بابه قدام أي حد تبقى غلطان ، إنت هنا في بيت من بيوت الله العامرة بذكره

ابتلع أوس غصة مريرة وهو يهتف بصعوبة :

-انت متعرفش حاجة ، أنا .. أنا ماينفعش أكون هنا !!!

ســأله الشيخ أحمد بنفس النبرة الهادئة :

-ليه يا بني ؟

ضغط أوس على شفتيه بشدة وهو يجيبه :

-أنا .. أنا ماستهلش أكون هنا وخلاص

هتف الشيخ أحمد بجدية وهو يشير بيده :

-بس إنت جيت !

نكس أوس رأسه خزياً ، ورد عليه بضيق :

-غلطة

أضاف الشيخ أحمد بهدوء محاولاً كشف تلك الغمامة عن عقله :

-ليه بتقول كده ؟ مش يمكن ربنا سبب الأسباب عشان تيجي هنا

احتقن وجــه أوس بشدة ، وبرزت عروقه النابضة بصورة واضحة ، ورد عليه وهو يجز على أسنانه :

-يا شيخ ، أنا كلي .. كلي ذنوب صعب .. صعب أقولها أو تفهمها !!!

ابتسم له إبتسامة عذبة وهو يربت على كتفه ليقول :

-ومين فينا يا ابني معملش اللي يندم عليه ، بس ربنا غفور رحيم

تنهد أوس بحرقة وهو يرد عليه :

-يا شيخ .. إنت مش عارفني !

هز رأســـه موافقاً إياه ، وبرر قائلاً وهو يضع إصبعه على قلبه :

-أيوه أنا مش عارفك ، بس ربنا عارف ومطلع على اللي في قلبك !

إلتوى فم أوس وهو يضيف بتهكم :

-الجامع ده معمول ليك وللي زيك ، أمثالي مكانهم مش هنا

رد عليه الشيخ أحمد بجدية واضحة :

-بيت ربنا مفتوح لأي حد يمد ايده ويقول يا رب حتى لو كان عاصى وآثم !

وكـأنه ضغط بكلماته البسيطة على جراح أوس الغائرة .. فزاد من شعوره بالخزي ..

ربت الشيخ أحمد على ظهره ، وأضــاف بهمس شجي :

-ربنا يا ابني بيقبل بتوبة أي حد من عباده ، سبحانه هو القائل ((وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أُوْلَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ)) ..!

لمعت عيني أوس بصورة غريبة ، وتهدل كتفيه ، وبدى عليه التأثر جلياً ..

وضع الشيخ أحمد يده على كتف أوس ، وضغط عليه قليلاً بأصابعه ، وأضاف بصوت منخفض ومطمئن :

-توب يا بني لو كنت مخطيء ، وخليك واثق إن ربك كريم بيعفو وبيصفح عن ذنوب عباده مهما كانت !

رفع أوس رأســه للأعلى ، وأدارها في إتجاه الشيخ ، وحدق فيه بعينين ترقرقت فيهما عبرات الأسف والندم ، وتسائل بصوت شبه مختنق يحمل التهكم :

-وتفتكر اللي زيي ليه توبة ؟

ابتسم له الأخير بإبتسامة مطمئنة وهو يجيبه بثقة :

-ايوه .. ربنا رحمته كبيرة ، ((وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ))

إنتـــاب أوس شعوراً غريباً ملأ قلبه بالسكينة والراحـة بعد تلك المصارحة الحقيقية لنفسه العابثة وتعريتها بلا زيف ، ودون الحاجة لأن ينطق بما يعجز عن البوح به ..

نعم شعوراً أخراً تمنى أن يعيشه منذ سنوات .. فيهديء روحه الملتاعة التي لم تجد إلا الصراعات والمعاناة ..

للحظة شعر بأن هناك سلاماً داخلياً يتخلل إليه ،

وباب جديد مليء بالأمل والتوبة يُفتح أمامه ..

مـــد الشيخ أحمد يده أمامه ، وأردف قائلاً بإبتسامة عذبة :

-هاتقبل بإيدي الممدودلك ، وتيجي معايا ؟

أخفض أوس عينيه لينظر إلى كفه الممدود بنظرات عميقة ..

رجفة كبيرة مسيطرة عليه .. تردد واضح في تعابير وجهه ..

.. تخبطت أفكاره ، وتزلزل شيطان رأســـه ، ووصلت نفسه الثائرة إلى ذروتها ..

هو أمـــام خيار جدي سيحدد مصير حياته القادمة ..

للحظة رأى شبح تقى متجسداً على راحة الشيخ ..

إبتسامتها الناعمة ، نظراتها المشرقة وهي مقبلة على فعل ما تحب .. صوتها الهامس وهي تناجي المولى في صلاتها .. إيماءات وجهها البشوش

فسقط أخـــر حصونه المقاومة ، وإنهمرت معها عبراته النادمة .. وببطء حذر إستجاب لندائه مستسلماً ، وأمسك بكفه ، فإعتلى ثغر الأخير إبتسامة مطمئنة ، وهــز رأســـه ممتناً ، وسحبه معه بهدوء ليرشده إلى أول طريق الإستقامة والصلاح .... !!!

....

الفصل الثالث والعشرون :

في منزل تقى عوض الله ،،،

جلست ليان على إستحياء على الأريكة الموجودة بالصالة الخــارجية .. وتأملت المكان حولها بنظرات متفحصة ..

ورغم البساطة الشديدة – وربما الفقر المدقع البادي على غالبية الأثاث – إلا أنها شعرت بألفة عجيبة بــه ..

خــرجت تهاني من المرحــاض بعد أن غسلت وجهها ، وريمت على ثغرها إبتسامة بشوشة ، وهمست بسعادة :

-نورتي بيتك يا بنتي

هزت ليان رأسها دون أن تنبس ببنت شفة ، وإكتفت بإبتسامة مهذبة ..

جلست تهاني على الأريكة المجاورة لها .. ورمقتها بنظرات أمومية حانية ، واستطردت حديثها قائلة :

-أنا عارفة إنك مش فاهمة حاجات كتير من اللي بتحصل حواليكي

ردت عليها ليان وهي تفرك أصابعها بتوتر :

-أنا بس آآ... حاسة إني تايهة !

أخــذت تهاني نفساً مطولاً ، وزفرته على مهل ، ثم تابعت بهدوء نسبي :

-شوفي يا بنتي حكايتي بدأت من زمان ، مش من النهاردة ، واللي حصل قدامك وشوفتيه بعينيكي مايجيش نقطة في بحر من اللي أنا فيه

عضت ليان على شفتها السفلى وهي تحاول التعبير قائلة :

-أنا .. آآ...

رفعت تهاني كفها أمــام وجه ابنتها ، وقاطعتها بجدية :

-اسمعيني للأخــر وهاتفهمي كل حاجة !

هــزت ليان رأسها إيجاباً ، وتطلعت إليها بإهتمام ، في حين بدأت تهاني في ســـرد ذكريات ماضيها بكل ما فيه من مـــرارة وظلم وخـــداع وقهر حتى تتضح الصورة كاملة أمـــام ابنتها ...

....

في غرفة تقى ،،،

ربتت فردوس على ظهر ابنتها ، ورسمت ابتسامة زائفة على ثغرها وهي تهتف بعتاب :

-بقى كده يا بت ، أهون عليكي ! ماوحشتكيش امك

أمسكت تقى بكف يدها ، ورفعته إلى فمها لتقبله ، وأجابتها بنعومة :

-غصب عني يا ماما !

زمت فردوس شفتيها ، وتابعت بتنهيدة :

-يالا ، أديكي أعدة هنا معايا

حركت تقى رأسها بخفة ، فسألت والدتها بجدية وهي ترمقها بنظرات متفحصة :

-أخبار الحَبَل ايه ؟

ردت عليها تقى بهدوء :

-الحمدلله !

ثم إشرأبت بعنقها للأعلى ، وأضافت متسائلة بإستغراب :

-أومـال احنا ليه مش أعدين مع خالتي ؟

لوت فردوس فمها لتجيبها بتهكم صريح :

-ياختي ، يعني هاتقعدي مع الأمَلَة ، خليكي مع أمك حبيبتك

إنزعجت تقى من رد والدتها الفظ ، وبدت شبه مستنكرة لهذا ، فغيرت مجرى الحوار ، وتسائلت بهدوء :

-وبابا عامل ايه ؟ بياخد علاجه ولا لأ ؟

أصدرت فردوس صوتاً ممتعضاً من إحتكاك شفتيها معاً ، وأجابتها بتذمر :

-يعني .. أديها ماشية بالستر !

ابتسمت تقى إبتسامة راضية وهي تهمس شاكرة :

-الحمدلله ..

رفعت فردوس حاجبها للأعلى ، وهتفت بتشفي :

-صحيح شوفتي اللي جرى مع الولية حماة البت بطة !

قطبت تقى جبينها بإهتمام وهي تتسائل قائلة :

-مالها ؟

أشـــارت بكفي يدها وهي تجيبها بجدية :

-البيت وقع عليها وماتت

وضعت تقى يديها على فمها ، وشهقت مصدومة :

-يا ساتر يا رب

أضافت فردوس قائلة بتبرم :

-ياخوفي البيت يقع على دماغنا احنا كمان

هزت تقى رأسها معترضة وهي تهمس برجاء :

-ربنا مايجيب حاجة وحشة

تنهدت فردوس وهي تقول بإمتعاض :

-ايوه ..!

ثم صمتت للحظة قبل أن تضيف بجدية :

-المهم أنا عاوزاكي معايا أخر النهار في مشوار كده

رددت تقى قائلة بإستغراب يكسو ملامح وجهها :

-مشوار !!!

أجابتها والدتها بهدوء مصطنع :

-ايوه ، واحدة ست غلبانة كانت معايا في المصنع حالتها صعب أوي راقدة في المستوصف هنا جمبنا !

-هــاه

تابعت بنبرة حزن زائفة :

-أنا بأروح أشأر عليها ، هي يا حبت عيني مالهاش حد يسأل عليها ، شكلها يصعب على الكافر !

أومـــأت تقى برأسها موافقة ، ورددت بنعومة :

-حاضر يا ماما !

برزت ابتسامة خبيثة من بين أسنانها وهي تربت على كتف ابنتها ، ثم هتفت بحماس :

-يباركلي فيكي يا رب !

ظلت ابتسامة تقى الصافية تعلو ثغرها وهي تطالع والدتها بنظرات حنونة للغاية ...

....

في المسجد الموجود بالحارة ،،،،

دفن أوس وجهه بين راحتي يده بعد أن أجهش بالبكاء وهو منزوي في أحد أركـــان المسجد بعيداً عن أعين المصلين ..

كانت تلك هي المرة الثانية التي يترك فيها العنان لنفسه ليبكي بلا مقــاومة ....

نعم ، بكى ليستريح ..

بكى ليتطهر ..

بكى ليبدأ من جديد ...

جلس الشيخ أحمد إلى جواره ، وتركه يخرج ما يكنه صدره حتى هدأ تماماً ، فربت على فخذه ، وشرع حديثه قائلاً بصوت هــادىء :

-مهما كان عظم الذنب مش هايكون حاجة جمب رحمة ربنا

غمغم أوس مع نفسه بتحسر وهو يرمق الشيخ أحمد بنظرات بائسة :

-يا ريتني لاقيت اللي ياخد بإيدي من زمان

أكمل الشيخ أحمد حديثه قائلاً بنفس النبرة الرخيمة التي تبعث الهدوء على النفس :

-يمكن تمر عليك لحظات تحس فيها بالضعف ، ونفسك تخذلك وتخليك ترتكب المعصية تاني والشيطان يسد طريق التوبة قدامك ، فأوعى تيأس ، وتستسلم ، ارجع تاني وتوب وجدد إيمانك !

إلتوى فم أوس ليستطرد جملته قائلاً بسخط :

-عارف يا شيخ ، أنا عمري ما صليت ، أصلاً .. مافيش حد في عيلتي يعرف يعني ايه صلاة ولا آآ...

قاطعه الشيخ أحمد بهدوء وهو يهز رأســـه متفهماً :

-((إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ)) ، ربنا فتحلك باب للهداية وللتوبة ، أوعى ترده ، وامشي فيه لأخره .. وصدقني هتلاقي احساس بالبركة والنعمة في حياتك كلها

حرك أوس رأســـه موافقاً إياه ، فتابع الشيخ أحمد بصوت هاديء ورزين :

-تعالى يا بني أنا هاعلمك إزاي تصلي ، بس قبلها نجدد وضوءنا سوا

صُدم أوس من اقتراحه ، واعترض قائلاً :

-بس آآ...

قاطعه الشيخ أحمد قائلاً وإبتسامة ودودة تلوح على وجهه :

-متقلقش ، الحمامات نضيفة وزي الفل ، وفي واحد خصوصي جوا في مكتبي

ثم إستند على مرفقه لينهض عن الأرضية وهو يردد بنبرة سَمِحة :

-بسم الله ، يا قوي يا رب !

وبالفعل اصطحب الشيخ أحمد أوس إلى غرفة المكتب الجانبية و الخاصة بإمام المسجد حيث يوجد بها مرحاضاً صغيراً ، وبدأ يُريه كيفية إسباغ الوضــوء ، وراقبه وهو يحاكيه حتى انتهى الاثنين منه ، فأعطاه مناشف ورقية ليجفف بها نفسه ..

ثم خطى كليهما عائدين إلى محراب الصلاة ، واسترسل الشيخ أحمد في شرح طريقة أدائها بصورة مبسطة ، وإجتهد في

إيصال فكرة أن يكون المرء في حالة تضرع وخشوع حينما يتحدث مع ربه بكلماته المقدسة حتى يحقق من صلاته الغاية المنشودة ..

استوعب أوس ما قاله بحماس واضح ، وأقبل على أدائها بروح جديدة ، ووقف خلف الشيخ أحمد .. واختبر بخوف كيف يكون المرء ذليلاً لرب العباد وليس لشخص فاني ، وفَهِم الآن لماذا لم تهابه تقى وهي في أضعف حالاتها وأكثرها إحتياجاً للحماية من بطشه .. ولماذا كانت لديها صلابة وعزيمة غريبة وهي تواجهه وتتحدى جبروته ..

نعم .. لقد كانت تلك هي لحظة ميلاده الفارقة ..

لحظة بَعثْ روحــه النقية من جديد ..

لحظة أدرك فيها أنه فوت الكثير على نفسه بإبتعاده عن طريق الصواب ...

بعد دقائق انتهى الاثنين من أداء الصلاة ، فإلتفت الشيخ أحمد بجسده للخلف ليتأمل ذلك المولود الذي وُلد من جديد على يديه ، ورمقه بنظرات مشرقة .. ودعاه سراً بالهداية ، ثم ربت على ظهره بعد أن صافحه ، وهنأه قائلاً :

-تقبل الله منك

رد عليه أوس بإيجاز وجسده ينتفض من التوتر :

-شكراً

تابع الشيخ أحمد قائلاً :

-أنا موجود هنا لو عوزت أي حاجة ، مش بتأخر عن أي حد !

ابتسم أوس مجاملاً ، ولم يعقب ..

اعتدل الشيخ أحمد في جلسته ، ورفع رأسه قليلاً للأعلى فلمح عوض وهو يقترب منهما بعد أن فرغا من الصلاة ، فهتف بحماس وهو يفرك مسبحته :

-تعالى يا راجل يا بركة اقعد معانا !

جلس عوض إلى جوارهما ، وأردف قائلاً بصوت خافت :

-أنا قولت أسيبكم تاخدوا راحتكم !

ابتسم له الشيخ أحمد قائلاً بسعادة وهو يرفع كفيه للأعلى :

-احنا راحتنا في رضا ربنا

هتف عوض برضا :

-ونعم بالله

ثم سلط أنظاره على أوس ، وســأله بإستغراب وهو يتفرس وجهه بدقة :

-قولي يا بني هو انت .. انت كنت بتتخانق مع الست تهاني ليه ؟ دي طيبة وفي حالها ، وزي أمك و.. آآ...

قاطعه أوس بصوت هادر وقد تحول وجهه للعبوس والتجهم :

-ماتقولش أمي !

ارتبك عوض من كلماته الغاضبة ، وبرر موقفه بحذر بـ :

-أنا آآ.. أنا بس كنت آآ...

هدر أوس بنبرة مهينة وهو يحدجه بنظرات جارحة :

-الموضوع مايخصكش ، وأنا مأذنتلكش تتكلم فيه ، مين انت عشان تسألني فيه !!!!

ابتلع عوض تلك الإهانة ، وهمس بصوت واهن معتذر :

-حقك عليا يا بني ، أنا مقصدش

ثم إتكأ على عكازه لينهض مبتعداً عنهما ، فنظر إليه الشيخ أحمد بتعجب ، وســأله بتوجس :

-رايح فين يا عم عوض ؟

أجابه عوض بحزن وهو منكس الرأس :

-آآ.. هاروح أقرى في المصحف الورد بتاعي

تنهد الشيخ أحمد بصوت مسموع وهو يردد :

-ربنا يجازيك خير

وما إن انصــرف عنهما حتى إلتفت إلى أوس ، وعاتبه بهدوء :

-عم عوض مغلطش عشان تكلمه بالشكل ده وتحرجه قدامي

تشنجت تعابير وجه أوس للغاية ، وبدت نظراته قاتمة ، وهتف بشراسة :

-أنا حــر ، هو مالوش الحق يدخل في حياتي

برر له الشيخ أحمد موقفه :

-هو بينصحك !

تقوس فم الأخير قائلاً بتهكم واضح :

-نصيحة ! ده على أساس إن اللي بنتكلم عنها تستاهل ؟!!!

أشـــار له الشيخ أحمد بإصبعه محذراً بصوت هادىء :

-لأ يا بني ، مايصحش تتكلم بالسوء عن الست تهاني ، احنا كلنا في الحارة هنا عارفين ظروفها ، ومعاشرينها بقالنا سنين ، و آآ...

قاطعه أوس بصوت شبه منفعل :

-انت متعرفش هي عملت ايه !

زادت نظراته شراســـة وهو محدق أمامه، وأضــاف بغل :

-هي مفكراني هانسى بالساهل اللي عملتيه فيا وأرميه ورا ضهري ، واقولها مسامحك !

راقبه الشيخ أحمد بنظرات متأنية .. وبفراســة سأله :

-متأخذنيش في السؤال ، هي .. هي تبقى أمك ؟

إلتفت أوس برأسه نحوه ، وضاقت عينيه بحدة وهو ينفى بغضب :

-مش أمي !

أشـــار الشيخ أحمد بإصبعيه قائلاً بهدوء ثابت :

-طيب .. اهدى !

ســـاد صمت متوتر لعدة لحظات تخللها صوت تحريك المسبحة بين أصابع الشيخ أحمد الذي أردف قائلاً بإحتراز :

-أنا عاوز أقولك على حاجة ، وده مش كلامي ، ده كلام ربنا سبحانه وتعالى !

انتبه أوس لحديثه ، وزفــر بصوت مختنق وهو يضغط على شفتيه بقوة .. فتابع هو قائلاً بتريث :

-ربنا أمرنا بحسن معاملة الأب والأم ، ونصاحبهم بالمعروف ، ونحسن إليهم ونطعهم إلا في حالة واحدة وهي والعياذ بالله الشرك به !

هتف أوس بإحتجاج :

-دي ميتقالش عليها أم !!

هز الشيخ أحمد رأســـه مستنكراً قسوته ، واستطرد قائلاً بصوت عذب :

-ربنا جل وعلى بيقول : ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً ﴾

كز أوس على أسنانه قائلاً بصوت محتقن وقد برزت عروقه الغاضبة من عنقه :

-مش لما يكونوا ربوني أصلاً ، يا شيخ خلي الماضي مدفون ، بلاش أفتح في القديم !!!

أيقن الشيخ أحمد أن المناقشة معه وهو في تلك الحالة العصبية لن تأتي بثمارها المحمودة ، فأثر ألا يطيل معه في المجادلة فيضيع مجهود اليوم في إستمالته لطريق الصواب .. فإبتسم له قائلاً بهدوء :

-طيب يا بني أنا مش هاضغط عليك ، بس حابب إنك تعرف حاجة ، ساعات الإنسان بيعميه الغضب ، ومابيشوفش اللي قدامه كويس .. ربنا يصلح حـــال عبيده !

تنهد أوس بحرقة وهو يهتف بإقتضاب :

-أنا قايم

وبالفعل إستند على مرفقيه ليقف على قدميه ، وســـار بخطوات أقرب للركض ، فهتف فيه الشيخ أحمد بحماس :

-خليني أشوفك تاني

أدار أوس رأســه للخلف ، وغمغم بصوت شبه منزعج :

-يمكن لو جيت هنا تاني !

صــاح الشيخ أحمد بتفاؤل وهو يرمقه بنظرات مطمئنة :

-إن شــاء الله هاتيجي ، أنا مستبشر خير !

....

في المقر الرئيسي لشركات الجندي للصلب ،،،،

إستند عدي على حافة مقعده بقبضة يده ، ورفع الأخــرى للأعلى ليضع هاتفه المحمول على أذنه ، وغمغم مع نفسه بضيق :

-مش بترد ليه يا أوس ؟

زفـــر بنفاذ صبر وهو يعيد وضع هاتفه على سطح المكتب :

-عاوزين نركز في اللي جاي ! ونفوق من كل المشاكل اللي احنا فيها

رن هاتفه ، فإلتقطه سريعاً ظناً منه أنه أوس ، ولكنه وجد رقم عيادة طبيب أمراض الذكورة المعالج له .. فإنقبض قلبه لوهلة ، وتسارعت أنفاسه .. واستطرد قائلاً بتوتر :

-نتايج كورس العلاج بانت ، أنا كنت ناسي الموضوع ده خالص !

إبتلع ريقه بقلق واضح ، وضغط على زر الإيجاب وهتف بتلهف :

-ألو .. ايوه أنا !

انصت لثوانٍ لما يقال على الطرف الأخـــر ، ثم تابع بجدية :

-تمام .. أنا جاي دلوقتي !

....

خـــــارج المسجد ،،،،

وقف رجـــال الحراسة عند باب المسجد متأهبين لإستقبال رب عملهم الذي خـــرج مسرعاً من المسجد ووجهه به شيء غريب لم يستطيعوا تفسيره ..

بكلمات مقتضبة أردف حديثه الآمــر قائلاً :

-خليكوا هنا مع الهوانم ، وواحد بس يجي معايا

رد عليه أحدهم بنبرة رسمية :

-أوامرك يا باشا

أســـرع أوس في خطواته نحو سيارته ، وفتح حارس أخــر الباب له ، فإنزلق بجسده للداخل ، وأشـــار للسائق لكي ينطلق مبتعداً ..

حالة الصفاء النفسي التي كانت متمكنة منه تعكرت بذكر والدته ..

هو لم ينسْ للحظة أنها كانت أول من ألقى به في براثن الذئاب ، وتخلتْ عنه حينما كان في أمس الحاجة إليها .. وسلمته لزوجها ليغتال طفولته ، وتركته لأبيه ليقضي على ما تبقى منه ..فأصبح ما عليه الآن .. جاحداً لها ، مستنكراً لأمومتها ، ناقماً عليها ..

ضرب بعنف على مسند السيارة ، واحتقن وجهه بشدة وهو يطالع بنظرات حادة الطرقات من حوله ...

....

في منزل تقى عوض الله ،،،،

إتسعت حدقتي ليان في صدمة واضحة بعد أن سـرـدت لها والدتها تفاصيل كل شيء .. ورغماً عنها ذرفت العبرات وهي مستنكرة تلك الأفعال المشينة التي عرفتها ممن ظنت أنهم عائلتها .. وحُرمت من عطف وحنان والدتها الحقيقية ..

هي تذكر تلك المعاملات الخالية من الحنو من قبل ناريمان ، والقاسية في بعض الأحيان ، كذلك نظراتها الغريبة لها ، وعدم إهتمامها بما يمكن أن يحدث لها إن أساءت التصرف ، أو إرتكبت حماقات ..

كما لاح في عقلها ذكرى القبلات العابثة مع ممدوح .. ولكنها لم تكن تتخيل أنها ترتكب المحرمات مع أبيها الحقيقي وهي على علم بهذا ..

شعور أصابها بالتقزز والغثيان ..

فقد تمكنت الآن من فهم ما كان يدور حولها ، وبررت تصرفات أوس الفظة والقاسية مع العائلة .. فهو من عرف بحقيقة الأمور

منذ نعومة أظافره ، وأبَىَ أن يكون ضعيفاً خانعاً ، فتمرد عليهم جميعاً .. ولم يكترث بأي فرد من تلك العائلة المعيبة ..

احتضنت تهاني ابنتها بحنو بالغ ، ومسدت على رأسها برفق وهي تهمس لها بصوت مختنق :

-أنا اتظلمت يا بنتي ، واتبهدلت ، واتحرمت من كل حاجة حتى حضن ولادي !

هتفت ليان بصوت متشنج وهي تخفي وجهها براحتيها :

-دول .. دول استحالة يكونوا بشر ! أنا .. أنا كنت عايشة ازاي معاهم !

-ربك مابيسيبش ، وقريب أوي هناخد حقنا منهم كلهم

قالتها تهاني بنبرة واثقة وهي تنظر إلى ابنتها

تعجبت ليان من حديثها ، وكفكفت عبراتها وهي تسألها بعدم فهم :

-يعني ايه ؟

أجابتها تهاني بصوت شبه هاديء :

-بصي يا بنتي ، أنا في ايدي أعمل خطة توصلني للدليل اللي يقضي على مهاب ويفضحه قصاد الكل ، بس .. بس ده يتوقف على آآ...

قاطعتها ليان بإهتمام وهي محدقة بها :

-على ايه ؟ كملي !!

ابتلعت تهاني ريقها ، وأجابتها بحرص :

-عليكي انتي !

هتفت ليان بصدمة وقد إرتفع حاجبيها للأعلى :

-أنا ؟

هزت رأسها قائلة بجدية :

-أيوه .. أنا محتاجة منك مساعدة عشان أقدر أوصل للأوراق اللي عاينها مهاب في القصر

إنعقد ما بين حاجبيها في إندهاش ، وتسائلت بحيرة :

-مش فاهمة

أخذت تهاني نفساً عميقاً ، وزفرته على مهل ، واستطردت حديثها بحذر :

-أنا عرفت إن مهاب بيخبي كل أوراقه المهمة والملفات اللي تثبت جرايمه واللي عمله زمان في الخزنة بتاعته في أوضة النوم

حركت ليان رأسها إيجاباً وهي تهتف قائلة :

-أهـا .. انا عارفة مكانـها

تابعت والدتها قائلة بقلق :

-مشكلتي عشان الخطة دي تنجح في إني ازاي ادخل القصر بدون ما حد يشك فيا

مطت ليان شفتيها لتقول بإعتراض :

-بس انتي مش هاينفع أصلاً تدخليها !

قالت تهاني بإحباط :

-ما أنا عارفة !

ثم صمتت للحظات قبل أن تكمل بيأس :

-وفكرت في مساعدتك عشان يرجع الحق لأصحابه بس .. بس ده هايعرضلك للخطر ، وأنا مش هاستحمل حاجة تحصلك !

ثم إحتضنت ابنتها بذراعيها ، وضمتها إلى صدرها ، وتابعت بصوت حزين :

-تغور أي حاجة إلا سلامتك يا بنتي ، كفاية عندي وجودك في حضني ومعايا ، أنا كنت بتنشأ على أي حاجة من ريحتك إنتي وأخوكي ، وربنا كرمني بيكي ، ده عندي بالدنيا !

أرجعت ليان رأسها للخلف ، ونظرت إلى والدتها بنظرات غريبة استشعرتها الأخيرة بتوجس ، ثم هتفت بجدية :

-أنا هاجيبلك الورق ده

جحظت تهاني بعينيها مصدومة ، بينما تابعت ابنتها بإصرار :

-مش هاسيب حقك يضيع

إعترضت تهاني بخوف :

-لألألأ .. مش عاوزاه خلاص

تبدلت نظرات ليان للنعومة ، وأخفضت نبرتها وهي تقول :

-لأ يا مامي ، أنا .. أنا هاقف جمبك

احتضنت تهاني وجه ابنتها براحتيها ، وهتفت بعدم تصديق وهي تطالعها بنظرات شغوفة :

-إنتي .. انتي بتقولي مامي ؟!

ردت بإبتسامة رقيقة :

-ايوه .. !

قبلتها من وجنتيها وهي تبكي بسعادة :

-حبيبتي يا بنتي

لم تردْ تهاني إفســاد تلك اللحظات بالعبارات المنمقة ، فإكتفت بمشاعرها الصادقة لتبوح عما يكنه فؤادها .. وظلت تقبل ابنتها بعاطفة قوية ..

استشعرت ليان صدق إحساس والدتها ، نعم ذلك الإحساس الذي اختبرته من قبل فأراحها .. واليوم تعيشه من جديد ..

أحست في أحضانها بالآمــان والسكينة ..

وجدت في نظراتها اللهفة والحب النقي ..

خرجت فردوس من الغرفة وتبعتها تقى ، فتسائلت الأولى بفضول وهي تتفحص الاثنتين بدقة :

-مالكم قالبينها محزنة ليه ؟

ابتسمت تقى بعذوبة فقد عرفت سبب تلك العبرات الباكية دون الحاجة إلى معرفة أسبابها ....

....

في العيادة الخاصة بأمـــراض الذكورة ،،،،

نظر الطبيب المعالج لعدي لنتائج التحاليل الأخيرة بتمعن شديد ، بينما راقبه الأخير بتوتر شديد ..

إعتلى ثغر الطبيب إبتسامة هادئة وهو يستطرد حديثه بـ :

-الوقتي أقدر أهنيك يا عدي بيه ، النتايج عال العال

تسائل عدي بتلعثم وقد إرتسم على وجهه علامات الصدمة :

-انت .. انت بتكلم جد يا دكتور ؟

أجابه الطبيب بثقة :

-هو الحاجات دي فيها هزار

انفرج فم عدي بسعـــادة جلية ، ومرر أصابع يده في رأســه في عدم تصديق ، وهتف بلا وعي :

-أخيراً ، يــــاه .. أنا مش عارف أقول ايه ؟

رد عليه الطبيب بهدوء :

-قول الحمدلله ، ده بتوفيق ربنا !

-صح ! إنت كلامك مظبوط

قالها عدي وهو يشير بإصبعه .. ثم هب من مقعده وقبله يكاد يقفز طرباً من فـــرط السعادة ...

....

في منزل تقى عوض الله ،،،،

مـــر وقت العصـــاري بسلام على المتواجدين بالمنزل ، وانتهت العائلة من تناول طعام الغذاء .. فقامت تهاني بجمع الصحون الفارغة لتنظيفها ، واتجهت نحو المطبخ ، فهتفت ليان بحماس :

-خليني أساعدك بليز

ابتسمت لها والدتها برقة وهي تقول :

-ارتاحي يا بنتي ، أنا هاغسلهم بسرعة

نظرت لها فردوس شزراً ، وغمغمت مع نفسها بإزدراء :

-شكلك غاوية فقر زي أمك !

تسائلت تقى بقلق :

-هو بابا مش هايطلع من الجامع ؟

ردت عليها فردوس بجمود :

-هو كده ، بينزل يقعد فيه لحد ما ينسى نفسه ويجيلي بعد صلاة العشاء !

-ربنا يرده بالسلامة

هتفت بها تقى بصوت رقيق وهي تضع غطاء الطاولة المزين عليها ...

....

لاحقاً .. وعلى غير عــادته ، عاد عوض من الخــارج ووجهه يكسوه الضيق والحزن ..

استغربت فردوس من عودته ، وسألته بتجهم :

-جاي بدري ليه ؟

رمقها بنظرات محبطة ، ثم ســار في إتجاه غرفة نومه دون أن ينبس بكلمة ..

إغتاظت فردوس من تجاهله لها ، وحدثت نفسها بتذمر :

-ده اللي فالح فيه ، من البيت للجامع ومن الجامع للبيت ، وأدي وش الضيف ، مش بأشوف منك حاجة ، إن مكونتش أنا ألحق أتصرف هانموت بفقرنا ومش هنلاقي تمن الكفن اللي هاندفن بيه !!!

تابعت تقى والدها بنظرات مُرتابة ، وإنقبض قلبها من هيئته ، فأسرعت خلفه ، ودقت على الباب بخفوت قبل أن تدلف للداخل ...

....

على الجانب الأخر ، أصــرت ليان على تنفيذ خطة والدتها في سرقة الأوراق والملفات من الخزينة الموجودة بالقصر ..

ورغم إعتراض الأخيرة إلا أنها استسلمت في النهاية نتيجة إلحاحها المتواصل .. وإرتدت ملابسها لتستعد لها ..

زمت تهاني شفتيها قائلة بتوجس :

-خلي بالك يا بنتي ، بناقص منه الموضوع !

أردفت ليان قائلة بجدية شديدة :

-يا مامي اطمني ، أنا محدش هايقدر يشك فيا لما أدخل واخرج

ابتلعت تهاني ريقها بخوف وهي تردد بخفوت :

-ربنا يستر

ربتت ليان على ذراعي والدتها ، وهتفت بحماس :

-يالا بينا !

استجمعت تهاني شجاعتها ، وأومــأت برأسها موافقة ، ثم تأبطت في ذراع ابنتها وهي تخرج الغرفة ...

راقبتهما فردوس وهما تتجهان نحو باب المنزل ، ورقص قلبها طرباً لوجود فرصة سانحة لتتمكن من الخروج هي وإبنتها دون أن تواجه أي اعتراض أو تحقيقات من تهاني ..

برزت أسنانها الصفراء وهي تتمتم بخفوت :

-يدوب ألحق ألبس ، وأخد البت ونطلع على المستوصف !

....

إستند عوض بمرفقيه على مقدمة عكازه ، وأخفض رأســـه في حزن عجيب ..

جلست تقى إلى جوار والدها ، ومسحت على ظهره وهي تسأله بقلق :

-مالك يا بابا ؟ إيه اللي مزعلك كده ؟

لم يجبها في البداية ، وظل محدقاً أسفل قدميه ..

خشيت تقى أن يكون قد أســـاء أحد ما إليها وطعن في سمعتها ظلماً ، فأزعجه ذلك ولم يستطع الرد عليه ..

زادت غصتها وهي تسأله بحذر :

-حد من أهل الحارة قالك كلمة ضايقتك بسببي ؟

بدى صوتها على وشك الإختناق وهي تدافع عن نفسها :

-انت مربيني يا بابا وعارفني كويس ، أنا آآ...

قاطعها عوض بصوت خافت ومحبط :

-مافيش حاجة يا تقى

تمعنت تقى في وجه والدتها ، وهتفت بإحتجاج :

-بس شكلك يا بابا وعينيك وآآ...

قاطعها عوض بهدوء وهو يحاول رسم إبتسامة باهتة على وجهه :

-أنا كده يا بنتي

مالت تقى برأسها على كتف أبيها ، وأغمضت عينيها وهي تردد برقة :

-ربنا يخليك ليا يا بابا ، ومايحرمنيش منك أبداً !

ربت عوض على كف ابنته ، ورفع وجهه للأعلى وهو يقول بجدية :

-تعرفي يا تقى جوزك صلى النهاردة هنا في الجامع

اتسعت حدقتيها بشدة عقب جملته الأخيرة ، وبدى الإندهاش بارزاً على تعابير وجهها وهي محدقة في وجه والدها ، وإنفرجت شفتيها في عدم تصديق ، لم يستوعب عقلها بعد ما قاله بوضوح .. وتسائلت بحيرة هل حقاً توهمت ما سمعته ، وأن أوس الجندي الذي لم يعرف إلا الموبقات يُصلي ، وهنا في ذلك المسجد المتواضع ..

هتفت هي بصدمة ودون وعي :

-مين ؟!

تابع عوض حديثه بصوت رخيم :

-الشيخ أحمد الله يباركله اتكلم معاه وآآآ.....

لم يكمل عبارته الأخيرة بسبب إقتحام فردوس للغرفة كالثور الهائج ، وهتفت بتبرم وهي تشير بيدها :

-يالا يا تقى خلينا نروح مشوارنا ، وسيبي أبوكي ينام !

لم ترد تقى المضي مع والدتها دون أن يفسر لها أبيها ما قاله ، فإعترضت متوسلة :

-خليها وقت تاني يا ماما ، أنا عاوزة أفهم من بابا حاجة

حدجتها فردوس بنظرات شبه مشتعلة ، وصاحت بضجر :

-الله مش احنا متفقين يا بت !

نظرت لوالدتها بإستعطاف ، وقالت بإلحاح :

-معلش ، بس .. بس محتاجة أتكلم مع بابا وآآآ..

قاطعتها فردوس بغضب :

-أما نبقى نرجع ، ميعاد الزيارة هايروح

حدق عوض في زوجته ، وسألها بعدم فهم :

-انتو رايحين فين ؟

أجابته تقى بإنزعاج :

-ماما عاوزاني معاها آآ....

قاطعتها فردوس بصوت متجهم وهي تجذب ابنتها من ذراعها :

-مش وقت رغي ، وبعدين يا عوض إنت مش كنت ضارب بوز وواخد في وشك ، وجاي مش طايق نفسك ، ولا طايق حد تكلمه ، الوقتي خلاص ده راح ..!

حدجها عوض بنظرات متأففة وهو ينهرها :

-الملافظ سعد !

ردت عليه بسخط :

-بلا سعد بلا مسعود !

ثم إستدارت نحو إبنتها ، وصاحت بها :

-يالا يا تقى ، خلينا نشوف اللي ورانا ، ولما نرجع ابقي اسهري مع ابوكي إن شاء الله للفجر !

تنهدت تقى قائلة بإستسلام :

-حاضر يا ماما

ثم إستدارت برأسها نحو والدها ، ورمقته بنظرات حنونة ، وانحنت لتقبل كفه المجعد ، وهمست له :

-معلش يا بابا ، اوعى تزعل ، أما هأرجع بأمر الله هنتكلم

هز رأسه بخفة قائلاً بوهن :

-إن شاء الله يا بنتي !

قبلت جبين والدها ، ثم أولته ظهرها ، واتجهت نحو الباب ، ولكن أوقفها صوته الدافيء :

-خلي بالك من نفسك يا تقى !

إلتفتت برأسها للخلف ، وإرتسم على ثغرها إبتسامة ناعمة ، وحركت رأسها موافقة وهي تردد بإمتثال :

-حاضر يا بابا !

لوحت بكفها وهي ترمقه بنظرات مطولة أخيرة قبل أن تضيف :

-أشوفك على خير !

شعر عوض بإنقباضة قوية في صدره وهو يرى وجه إبنته البريء ، ونظراتها النقية ، وكأنها تودعه للمرة الأخيرة .. واستشعر وجود خطب ما سيء ، فهمس متضرعاً :

-ربنا يسترها معاكي يا بنتي .... !!

....

الفصل الرابع والعشرون :

في مشفى الجندي الخاص ،،،،

صُـــدم الطبيب مؤنس حينما تم منعه من الدخــول إلى المشفى ، وإحتد قائلاً بغيظ للأمن :

-انتو اتجننتوا ؟ انتو مش عارفين أنا مين !

-لأ عارفين يا دكتور مؤنس ، بس دي أوامر

قالها أحد رجــال الأمن الداخلي للمشفى وهو يدفعه بعنف للخلف

نظر له مؤنس بنظرات مشتعلة ، وهتف بغضب :

-انت متلمسنيش ، وأنا هاتصرف وهاعرف أخد حقي كويس

انضم كبير الأطباء إلى الأمن ، واستطرد حديثه قائلاً بسخرية وهو يحدج مؤنس بنظرات شامتة :

-شوفت أخرتها ايه يا صديقي !

احتقن وجــه مؤنس بشدة ، وهتف منفعلاً :

-العبرة بالخواتيم ، وأنا مش صغير ! وألف مين يتمناني !

رد عليه كبير الأطباء بتهكم :

-روح للألف دول ، لأن أمثالك مكانهم مش هنا

أضــاف مؤنس قائلاً بنبرة تهديد :

-أنا فعلاً مايشرفنيش أكون وسطكم ، بس مش هاسكت عن أس غلط كان بيحصل هنا ، استعدوا للي هايحصلكم

-اللي عندك اعمله

قالها كبير الأطباء بإستهزاء وهو يسير مبتعداً عنه ...

رمقه مؤنس بنظرات نارية وهو يغمغم مع نفسه بنبرة عدائية :

-مش أنا اللي اتطرد من هنا وأسكت ، انت مش عارفني يا .. يا دكتور مهاب !

هدد الأخير بإبلاغ نقابة الأطباء وفضح تلك المؤسسة وما يدور في الخفاء في أروقتها ..

....

في الحـــارة الشعبية ،،،

خرجت تهاني وابنتها ليــان من مدخــل البناية القديمة ، فأســرع أحد رجال الحراسة نحوهما ، وهتف بنبرة رسمية :

-ليان هانم ، أي أوامر

نظرت له بإستغراب ، وسألته بجدية :

-انت واقف هنا ليه ؟

أجابها بهدوء جـــاد :

-الباشا أوس مدينا أوامر نكون هنا لحمايتكم

فغرت تهاني شفتيها قائلة بتوتر :

-هـــه ! تحمونا !

فركت ليان طرف ذقنها لتفكر في شيء ما ، ثم تسائلت بغموض :

-طب أنا رايحة القصر ! هاتوصلونا ؟

أجابها بجدية وهو يهز رأســـه :

-أكيد يا هانم !

ثم أشـــار للسائق المتواجد بالداخل ليصطحبهما ، وأمر اثنين بالتواجد معهما .. بينما ظل هو وأخــر أمام مدخل البناية

ضغطت تهاني على كتف ابنتها ، وهمست لها بقلق :

-مافيش داعي منه المشوار ده

ابتسمت لها ليان إبتسامة مطمئنة وهي تحدثها بخفوت :

-اطمني يا مامي ، بالعكس وجودهم معانا هيساعدنا

همست تهاني بتوجس أكثر وهي تتلفت حولها بنظرات مُرتابة :

-قلبي مش مرتاح !!

طمأنتها بإبتسامة واثقة وهي تقول :

-Don't worry (لا تقلقي)

ثم ركبت الاثنتين في المقعد الخلفي للسيارة الجيب ، وانطلق بهما السائق ومعه اثنين من رجال الحراسة إلى وجهتهما (قصر عائلة الجندي)

....

في نفس التوقيت ، عدلت تقى من وضعية حجاب رأسها بعد أن أجبرتها والدتها على إرتداء عباءة سوداء تخصها فوق ثيابها المنمقة ، ثم نزلت خلفها على الدرج ، وتطلعت إليها بإندهاش ، خاصة وأنها كانت تتصرف بغرابة ...

تفاجئت فردوس بوجود رجلين – من ذوي الملابس السوداء – أمــام مدخل البناية يدخنان السجائر ويتحدثان سوياً .. فإمتعض وجهها ، وتوترت ..

ازدردت ريقها بخوف ، وإستدارت برأسها للخلف وهتفت في ابنتها :

-بت يا تقى غطي وشك وانتي خارجة

قطبت تقى جبينها بإستغراب أشد ، وتسائلت بريبة :

-ليه يا ماما ؟

ردت عليها بنبرة منزعجة :

-هو كده مش ناقصة حد يرغي معايا ويعطلنا

هتفت تقى معترضة :

-بس دول حراسة أوس وآآ...

قاطعتها والدتها بصرامة وهي تسحب طرف الحجاب على وجهها لتغطيه :

-يووه ، اسمعي الكلام ! واستنيني هنا

-طيب

قالتها تقى بإمتعاض بادي على تعابيرها ..

توارت فردوس عن أنظـــار الحارسين لتراقبهما خلسة ، وتنصتت على حوارهما ..

تسائل أحد الحارسين بجدية :

-تشرب شاي ؟

أجابه زميله بهدوء وهو يحرك رأســه نافياً :

-لأ قهوة !

أشـــار له بإبهامه وهو يتابع بصوت عادي :

-اشطا ، هاجيبلك واحدة مظبوطة ، وأنا هاطلب شاي في الخمسينة ، وخليك هنا لحد ما تستلم الأوردر

-اوكي !

وما إن تأكدت من إنشغالهما حتى أشارت لإبنتها وهمست وهي تكز على أسنانها :

-تعالي بسرعة

أسرعت تقى في خطواتها ، وبحذر شديد خرجت الاثنتين من المدخل دون أن يلاحظهما أي أحد ..

كذلك استشعر عــوض وجود خطر محدق بإبنته الوحيدة ، فقرر اللحاق بها وبوالدتها التي كانت تتصرف بطريقة تدعو للشك ..

وبالفعل خرج من المنزل خلفهما .. ولكنه اختبيء على الدرج حينما وجدهما باقيتان بمدخل البناية حتى خرجت كلتاهما بعد لحظات ، فتبعهما بحرص جلي ...

....

في المقر الرئيسي لشركات الجندي للصلب ،،،

جلس أوس على مقعده الوثير ، وهــزه بحركة ثابتة وهو محدق أمامه في الفراغ بنظرات شـــاردة ..

لقد سيطر على عقله ما أقبل على فعله اليوم ، فلم يتمكن من التركيز في شيء أخــر ، وأبلغ سكرتيرته الخاصة بإلغاء كافة ارتباطاته ، وعدم إزعـــاجه ..

نعم لقد شعر – وبقوة - بأنه نجح في إحداث تغيير جذري في نفسه .. وتردد في أذنيه صدى كلمات الشيخ الطيبة التي كانت كالمسكن لتلك الأوجــاع والاضطرابات المتأججة في صدره ،

وأرقت مضجعه لسنوات .. اليوم فقط أدرك معنى الراحة النفسية .. وتلاشى إلى حد ما إحساس الضياع ..

دس أوس يده في جيبه ، وأخـــرج منها فردة الحذاء الصغيرة ، ثم تحسسه بأصابعه ، وحدق به بنظرات مطولة .. ولاح على ثغره إبتســـامة عذبة وهو يتخيل شكل طفله القادم وهو يرتديه ..

رفع الحذاء الصغير إلى فمه ، وقبله بشغف ، ثم ضغط عليه بقبضته .. وأعاد وضعه في جيبه ..

حرك رأســه قليلاً لينظر إلى هاتفه المحمول الملقى على سطح مكتبه ، ثم همس لنفسه :

-بيتهيألي تقى هاتكون صاحية ، أكلمها تجهز هي وليان قبل ما أعدي أخدهم !

وبالفعل ضغط على زر الإتصـــال بها ، وانتظر ردها عليه بتلهف كبير ..

....

بالقرب من المستوصف الشعبي ،،،،

عرجت فردوس ومعها ابنتها الوحيدة عبر عدة أزقــة جانبية لتصل إلى ذلك المستوصف النائي ..

كانت تلك هي المرة الأولى لتقى التي ترى فيها هذه المنطقة المثيرة للإشمئزاز ..

كما سيطرت على أنفها تلك الرائحة البغيضة ، وأصابتها بالتقزز والغثيان ..

شعور غريب بالرهبة والبرودة تسرب إلى أوصالها ، وجعل بدنها يرتجف إلى حد ما .. فهناك أوجــه غريبة قاسية ــ وغير مريحة ــ محدقة بها أرعبتها بصورة واضحة ..

ابتلعت ريقها بتوتر شديد ، وحاولت أن تطمئن نفسها بأن والدتها معها .. فلن يتمكن أحد من إلحاق الأذى بها .. ولكن تلك الإنقباضة القوية التي يشعر بها قلبها تزعجها بشدة ...

حاولت أن تصرف تفكيرها عن هؤلاء الأشخاص ، وتذكرت حديث والدها عن أداء أوس للصلاة ، فإبتسمت عفوياً ..

ودت لو استطاعت البقاء معه أكثر لتفهم منه كيف حدث ..

وكــأن هناك توارد خواطر بينها وبين أوس ، فإستشعر قلبها وجوده معها ..

إهتز هاتفها المحمول الموضوع في جيبها ، فأخرجته لتنظر إليه ، وابتسمت تلقائياً دون أن تقرأ اسمه ..

استمعت فردوس إلى صوت رنين الهاتف ، فإلتفتت برأسها نحوها ، وهمست لها بحنق :

-اقفلي الزفت ده !

أشــارت لها تقى بيدها القابضة على الهاتف ، وردت بتلعثم ووجهها يعلوه الإستغراب :

-بس .. بس آآ.. أوس بيتصل وآآ...

قاطعتها بحدة وقد أظلمت نظراتها :

-كلميه بعدين ، احنا مش فاضيين دلوقتي !

تعجبت تقى من تصرفات والدتها المريبة للغاية ، وبررت بإنزعاج :

-هو .. هو كده ممكن يقلق وآآ....

صاحت فيها فردوس بنفاذ صبر :

-هيقلق ليه ؟ انتي مش معايا ، يقدر إنك نايمة ومش سمعاه !

تنهدت تقى بإستسلام وهي تهز رأسها موافقة :

-حاضر يا ماما

عضت فردوس على شفتيها بتوتر واضح ، وكافحت لتخفي تعابيرها المنزعجة .. فهي لا تريد لأحدٍ أن يفسد مخططها على أهون الأسباب ..

....

ظل العم عوض متابعاً إياهما من على بعد ، وضاقت نظراته بإستغراب وهو يراهما يتجهان نحو المستوصف الشعبي ، وتسائل مع نفسه بحيرة :

-هي جيباها هنا ليه ؟

اختبيء خلف أحد اللوحات المعدنية ، وسلط أنظاره على مدخل المستوصف ، وتابع مع نفسه بجدية :

-تكونش جاية تشوف حد من الجيران عيان !

تنهد بتعب وهو يحرك رأسه للجانبين ليضيف :

-الظاهر إني ظلمتها ، يالا .. الحمدلله ، أما أروح الجامع أقعد فيه واستغفر ربنا !

إستدار عوض بجسده عائداً وهو يتمتم بخفوت :

-لله الأمر من قبل ومن بعد

....

تسائلت تقى بتوجس وهي تقترب من مدخل المشفى :

-هو احنا هنتأخر هنا ؟

ردت عليها فردوس بجمود :

-لأ .. !!

كانت أنظـــار الأخيرة مسلطة على تلك الممرضة السمراء التي هبت من مقعدها حينما رأتها مقبلة عليها ..

اقتربت منهما ، وأمعنت النظر في تقى ، وهمست بصوت شبه جــاف :

-هي دي ؟

هزت فردوس رأسها بحركة خفيفة وهي تجيبها بغموض :

-اه

لم تفهم تقى ما الذي يدور بينهما ، ولكنها لم تشعر بالإرتياح من نظرات الممرضة اللئيمة لها ، و تسارعت دقــات قلبها من الخوف ..

....

في المقر الرئيسي لشركات الجندي للصلب ،،،

إنزعج أوس من تجاهل تقى لإتصالاته المتكررة ، وتجهم وجهه بشدة وهو يهتف قائلاً بضيق :

-أنا جايبهولها ليه عشان ترميه !

دار حول مكتبه ، ومرر أصابعه في رأســـه ونفخ بصوت مسموع ...

دلف عدي إلى داخل المكتب وعلى ثغره ابتسامة عريضة ، وبلا تردد احتضن أوس بذراعيه ، فإستغرب الأخير من تصرفه هذا ، وســـأله مندهشاً :

-في ايه لكل ده ؟

أجابه عدي بحماس :

-مش هاتصدق ، نتايج التحاليل طلعت

ابتسم أوس ابتسامة باهتة ، وقال بثقة :

-من غير ما تقول ، باين على وشك !

تنهد عدي بحرارة واضحة ، وتابع بسعادة :

-يــــاه يا أوس ، أخيراً هاقدر أعيش حياتي طبيعي

بادله أوس ابتسامة مصطنعة ، وأطرق رأسه قليلاً ليحدق في هاتفه المحمول ، فتسائل عدي بجدية :

-انت مش فرحان عشاني ؟

رفع أوس رأسه ، وحدق به بنظرات جادة ، وأجابه بصوت شبه منزعج :

-لأ فرحان ، بس دماغي مشغولة شوية

سأله عدي بإهتمام وهو قاطب الجبين :

-في ايه ؟

ضغط أوس على شفتيه مجيباً إياه بإمتعاض :

-تقى مش بترد ، وأنا مش مرتاح

أردف عدي قائلاً بهدوء وهو يتأمل رفيقه بدقة :

-مش هي مع أمها ومع ليان وآآآ..

قاطعه بنفاذ صبر :

-أنا رايحلها ، مش هاسيب دماغي تودي وتجيب

أومـأ عدي برأسه وهو يضيف بجدية :

-تمام ، وأنا هاجي معاك ، بالمرة أشوف ليان وأطمن عليها

إلتقط أوس مفاتيحه ، ودس هاتفه في جيبه ، وتشدق قائلاً :

-اوكي .. يالا

....

عند قصر عائلة الجندي ،،،

وصلت السيارة الجيب عند مدخـــل البوابة الرئيسية المؤدية للقصر .. فأشـــارت ليان للسائق بيدها لكي يتوقف ، وأمرت أفراد الحراسة بإنتظارها هنا ..

إنتاب تهاني حالة من القلق الرهيبة ، ونظرت إلى ابنتها بخوف ، وهتفت بهلع :

-مافيش داعي يا بنتي ، أنا .. أنا مش عاوزاكي تعملي حاجة

ابتسمت لها ليان بثقة وهي تقول :

-مش تقلقي يا مامي ! أنا .. هاجيب الورق بسرعة

-يا بنتي ، أنا مضمنش مهاب ممكن يعمل فيكي ايه !

قالتها تهاني بخوف وهي تتحسس ذراعي ابنتها ...

وضعت ليان كفها على أصابع والدتها المرتجفة ، وأرسلت لها إبتسامة مطمئنة وهي تقول بخفوت :

-صدقيني ، أنا هارجع بسرعة !

ثم انحنت لتقبل والدتها من وجنتها ، واحتضنتها الأخيرة بعاطفة قوية ، ومن ثم ترجلت من السيارة ، ودلفت إلى داخل القصر ...

راقبتها تهاني وهي تختفي عن أنظارها بقلق بالغ ، وظلت تمتم برجـــاء :

-يا رب استرها عليها !

....

في المستوصف الشعبي ،،،،

جلست تقى بين المتواجدين في الإستقبال ريثما تعود والدتها إليها ، فقد اختفت مع الممرضة في الداخل ، وتركتها بمفردها هنا..

إختلست هي النظرات في أوجـه الحاضرين ، وارتجفت قليلاً وهي ترى أنظارهم الجافة نحوها ..

رائحة عبقة بالمكان جعلتها تشعر بالنفور والخوف ..

عــادت فردوس وعلى وجهها عبوس مريب ، وأردفت قائلة بجدية :

-تعالي يا تقى

نهضت هي على الفور ، وتسائلت بتوتر :

-خلاص شوفتي البنت إياها ؟

هزت رأسها نافية وهي تضيف بجمود :

-لأ لسه ، بس هانشوف الضاكتور الأول

ارتفع حاجبي تقى للأعلى ، وتسائلت بعدم فهم :

-دكتور ؟ ليه ؟

ردت عليها ببرود مخيف وهي تتحاشى النظر نحوها :

-هو عاوزنا شوية !

زادت نسبة القلق لدى تقى ، ورغم هذا أردفت بإستسلام :

-طيب

ســـارت فردوس أولاً نحو الداخل وهي في حالة غريبة ، نظراتها ليست طبيعية ، تصرفاتها تدعو للشك والريبة ..

ومع هذا تبعتها ابنتها وهي مطمئنة لها ، ولم يطرأ ببالها أنها على وشك الغدر بها .. فهي أمها التي تحبها ، وهي أجدر شخص بالثقة فلا يمكن أن تأتي الطعنة منها ..

....

عند قصر عائلة الجندي ،،،،

رأت تهاني سيارة مهاب وهي تقترب من البوابة ، فإنقبض قلبها بذعـر ، وشهقت مصدومة :

-يادي المصيبة ، ايه اللي جابه الوقتي !!

وبغريزة أمومية حقيقية ، تعلقت أنظارها بالقصر ، وهتفت بلا وعي :

-ليـــان !

زاد هلعها فقد خشيت أن يُصيبها مكروه ، وحدث نفسها قائلة بإضطراب :

-ده .. ده ممكن يعمل فيها حاجة لو عرف هي هنا ليه ! لازم أتصرف وأحوشه عنها قبل ما يوصلها !!!

وبلا تفكير ، ترجلت من السيارة ، واتجهت نحو مدخل البوابة ، وهتفت بصوت مرتفع :

-مهـــــاب يا جندي !

أوقف مهاب السيارة على إثر ذلك الصوت المألوف ، وحدق في المرآة الجانبية ليرى صاحبته بوضوح ..

امتعض وجهه بشدة ، واشتعلت عينيه ، ورمقها بنظرات نارية قبل أن يترجل من السيارة ويستدير في إتجاهها ..

هتف بصوت قاتم وهو يشير بيده مهدداً :

-جاية هنا وبرجليكي ! متتداميش لما آآ...

قاطعته بصوت منفعل يحمل العداء وهي تقف قبالته بشجاعة عجيبة :

-مابقتش أخاف منك زي زمان ، وحقي وحق عيالي هاخده منك ، وهادفعك التمن غالي !!!

أطبق على عنقها بأصابعه الغليظة ، وكز على أسنانه قائلاً بشراسة :

-ده مش قبل ما أخلص عليكي

اختنقت من قبضته المحكمة حولها ، وحاولت تخليص نفسها وهي تردد بصوت متقطع :

-مش هاتقدر آآ.. أنا .. هافضل زي الشوكة في زورك

احتقن وجـــه بشدة من كلماتها التي تتحداه فيها بصورة سافرة ، وبدى على وشك خنقها بالفعل ، ولكن أســرع حارس الأمن جمال بالتدخل ليحول دون هذا ، ونجح في تخليص تهاني من قبضته وهو يهتف بقلق :

-اهدى يا باشا !

سعلت تهاني عدة مرات ، وتضرج وجهها بحمرة شديدة ، ووضعت يدها على عنقها لتفركه ، وطالعته بنظرات محتقنة ..

هتف مهاب بصوت جهوري غاضب :

-الست دي تترمى برا ، مش عاوز اشكالها تدخل هنا !

هز رأسه موافقاً ، وتابع بحذر وهو يشير بكفه :

-تمام معاليك ، اتفضل حضرتك ، وأنا هتعامل معاها

....

بداخل القصر ،،،،

بخطوات أقرب للركض ، صعدت ليان على الدرج ، ودلفت إلى غرفة مهاب ، وأسرعت نحو الخزينة المختبئة خلف إحدى اللوحات الجدارية العريضة ، وبدأت في الضغط على الأرقام السرية لها ..

مرت عدة ثوانٍ قبل أن تنفتح الخزينة أمامها ..

لم تضيع هي وقتها في قراءة ما هو مكتوب بالأوراق المتراصة بالداخل ، بل سحبت كل شيء على عجالة ، ودسته في حقيبة يد

واسعة ، ثم أغلقتها بإحكام .. وعلقتها على كتفها ، وأعادت كل شيء إلى طبيعته ..

تنفست الصعداء لإنتهائها من مهمتها .. ثم تحركت إلى خـــارج الغرفة ..

اتجهت ليان نحو الدرج ، ولكنها تسمرت في مكانها مصدومة حينما رأت مهاب أمامها ...

لم يختلف حاله عنها كثيراً ، فقد تفاجيء بوجودها في القصر ..

ضيق عينيه ، وقطب جبينه ، وسألها مندهشاً :

-ليان ! انتي بتعملي ايه هنا ؟

ازدردت ريقها بإرتباك ، وقبضت على حقيبة اليد بشدة .. وأجابته متسائلة بتلعثم :

-هو .. هو ممنوع أجي هنا ؟

اقترب منها ، وضم وجهها براحتيه ، وهمس لها بإبتسامة ودودة :

-لأ طبعاً يا بنتي ، ده بيتك

شعرت بقشعريرة تصيب جسدها من لمسته التي باتت تبغضها الآن .. ولكنها جاهدت لتبدو ثابتة أمامه ..

وبحذر شديد أزاحت قبضتيه عنها ، وردت عليه بفتور :

-اوكي .. أنا هامشي الوقتي

إنعقد ما بين حاجبيه في إستغراب ، وسألها متعجباً وهو محدق بها :

-بالسرعة دي ؟ هو انتي لحقتي تقعدي ؟!

اضطربت وهي تجيبه متوترة :

-أنا .. أنا هنا من بدري ، بس محدش موجود

إلتوى فمه بإبتسامة عريضة ، ورفع يده ليمسد على شعرها وهو يقول :

-بس أنا جيت خلاص ، خليكي معايا شوية ، مافيش إلا أنا وبس هنا .. ايه رأيك لو ناكل سوا ، ولا أقولك باتي هنا ، دي أوضتك زي ما هي !!

اشمئزت هي من لمساته .. وشعرت بالنفور الشديد منه ..

وبدى تقاسيم وجهها منزعجة ، وكذلك نظراتها ، فسألها بشكٍ :

-مالك ؟ انتي مش عاوزة تقعدي مع بابي شوية

استفزتها كلمته الأخيرة ، فرمقته بنظرات جارحة ، وأزاحت يده ، وهتفت بإمتعاض :

-لأ .. باي !

ثم إندفعت مسرعة نزولاً على الدرج ، فصاح هو بها بصوت متعصب :

-ليان استتني !

لم تصغ إليه ، وأسرعت في خطاها لتهرب منه ..

أحس مهاب بالريبة من تصرفها ، وتسائل مع نفسه بغموض :

-أكيد في حد قايلها حاجة جديدة عني عشان تعاملني بالشكل ده ! أو .. او إنها جت هنا عشان حاجة تانية !!

رفع بصره للأعلى ، وغمغم بجمود :

-لازم أتأكد الأول من حاجتي !

أكمل صعوده على الدرج ، واتجه إلى غرفة نومـــه ليتفقد خزينته السرية ....

....

في المستوصف الشعبي ،،،،

ولجت تقى إلى داخل غرفة مكتب الطبيب ، وخفق قلبها بخوف من هيئته الكئيبة ..

شعرت وكــأن رائحة الموت تغلف هذا المكان ،

فابتلعت ريقها بإضطراب ، وفركت أصابع يديها بتوتر ..

أشـــارت لها فردوس لتجلس على المقعد المقابل لمكتبه وهي تقول بجدية :

-اقعدي هنا

همست لها تقى متسائلة ، وهي تتلفت حولها بقلق :

-ماما ، هو احنا جايين هنا ليه ؟

حدجتها فردوس بنظرات قوية وهي تقول بخفوت :

-ششششش .. الوقتي هاتعرفي !

ازدردت ريقها بخوف وهي تتوسلها :

-أنا عاوزة امشي من هنا

كـــزت فردوس على أسنانها بعنف وهي تهمس لها بشراسة :

-هو أنا جايبة عَيّلة معايا ، اسكتي ، واركزي في مكانك خلينا نخلص !!

أفزعتها تلك النظرات الواضحة في عيني والدتها ، فهي لم تكن كالمعتاد .. بها ظلمة غريبة ومفزعة ..

دلف الطبيب شـــامل للغرفة ، ووقعت عيناه على فردوس ، فهتف بنزق :

-واضح إنك بايتة هنا !

إستغربت تقى من تلك الطريقة المتهكمة في الحوار ، فأدارت رأسها في اتجاه صاحب الصوت لتنظر له بضيق ، فإلتقطت عينيه الوقحتين نظراتها العفوية ، ورأت فيهما شيئاً مزعجاً للغاية ..

لم يحيد شامل بعينيه عنها ، حتى وهو يجلس على مقعده ، وإلتوى ثغره بإبتسامة عابثة وهو يردد بجرأة :

-ليهم حق الرجالة يتهبلوا عليها !

انقبض قلبها خوفاً من كلماته الموحية .. وشعرت بقوة بأنها ترى أمامها وجـــهاً أخـــراً شرساً لمهاب الجندي ..

نظرت إلى والدتها بنظرات حائرة لعلها تبث لها الآمان ،ولكنها لم تجد منها إلا الجمود .. فتسارعت دقات قلبها هلعاً ..

نهضت فردوس فجأة عن المقعد ، وأضافت بجدية وهي تشير بإصبعها :

-عاوزاك تخلص معاها بسرعة ، ماتطولش !

زادت ابتسامته الوقحة إتساعاً وهو يجيبها بثقة تحمل الغرور والمكر :

-اطمني ، دي في ايد أمينة !

هبت تقى هي الأخرى من مكانها ، وتسائلت بفزع وهي تتحاشى النظر إلى ذلك الطبيب المقيت :

-انتي رايحة فين يا ماما ؟

قهقه شامل مستهزئاً :

-من أولها ماما كده !

لم تنظر تقى نحوه ، وأسرعت لتعترض طريق والدتها لتمنعها من الخروج ، وأمسكت بها من كفيها ، ونظرت لها برعب وهي تسألها متوجسة :

-احنا هنا بنعمل ايه ؟

نكست فردوس رأسها للأسفل ، وضغطت على شفتيها ولم تجيبها ..

ولجت الممرضة السمراء للداخل ، ونظرت إلى الاثنتين بإزدراء ، ثم أشـــارت لفردوس بيدها وهي تقول بجدية :

-يالا يا ست .. خلي الضاكتور شامل يشوف شغله ، في ناس كتير برا !

اتسعت حدقتي تقى بخوف أكبر ، وهتفت مصدومة وهي تقبض أكثر على كفي والدتها :

-انتي رايحة فين ؟ وهما .. هما هايعملوا ايه ؟

وقف شـــامل خلف تقى ، وطوقها بذراعيه القويتين ، فشهقت مذعورة ، وزادت رجفتها ، وقاومته بشدة وهي تصرخ مستغيثة :

-ابعد عني انتي ماسكني ليه !

تمكنت الممرضة السمراء من تخليص فردوس من قبضتي ابنتها ، فسحبها شامل للخلف بعيداً عنها ، وكمم بيده الأخـرى فمها حتى لا تثير جلبة بالمستوصف فتلفت الأنظار له ...

أشفقت فردوس على حالة ابنتها .. ولكنها لم تتمكن من التحديق فيها حتى لا تشعر بتأنيب الضمير ، فأسرعت بالهرب من الغرفة تاركة إياها بمفردها مع ذئب جديد ليفترسها بلا رحمة ...

إتسعت مقلتي تقى بصدمة وهي تستعطف والدتها بنظراتها المستغيثة كي لا تتركها ولا ترحل ، ولكن لم يشفع لها أي شيء .. فتجاهلتها ، وألقت بها في هوة سحيقة دون ذرة ندم ...

حاولت أن تصرخ ، أن تقــاوم ، أن تخلث نفسها ، لكنها كانت مقيدة ، مكممة ، محاصرة من قبلهما ..

رمقت الممرضة السمراء تقى بنظرات إحتقارية وهي تغمغم بتهكم :

-بدل ياختي ما تصوتي وتلمي الناس علينا وتعملي فضيحة ، كنتي استري نفسك الأول ولميها !

لم تفهم تقى المغزى من كلماتها التي تحمل الإهانة ، ولكنها رأت في عينيها شراً مستطراً ..

كما همس شامل في أذنيها بنبرة مخيفة برزت من بين أنيابه فزادت من رعبها :

-متقلقيش ، مافيش حاجة تخوف معايا ، دي زي شكة الدبوس مش هاتحسي بيها ! لأ وهترجعي كمان بعدها زي الأول ، ما انتي مجربة وفاهمة !

اعتصر قلبها فزعاً من كلماته ، فتابع بنبرة شيطانية وقد برقت عينيه بشراسة :

-وأنا عــارف هاعمل ايه بالظبط مع اللي زيك !!! ....

....

الفصل الخامس والعشرون (الجزء الأول) :

خـــارج قصر عائلة الجندي ،،،

راقبت تهاني بوابة القصر بنظرات مضطربة للغاية .. وأسندت كفها المقبوض على صدرها وتمتمت بتوتر :

-ربنا يسترها عليكي يا بنتي ويحفظك من شره !

تنهدت بصوت مسموع وهي تشرأب بعنقها محاولة رؤيتها .. وعاتبت نفسها بقسوة :

-يا ريتني ما وافقت من الأول إنك تروحي ، مش هسامح نفسي لو جرالك حاجة ، استرها يا رب !

شهقت بفرحة جلية حينما رأت ابنتها تركض للخــارج ، فتهللت أساريرها المتشنجة ، وركضت نحوها لتحتضنها ..

أدمعت عيني تهاني بشدة وهي تلف ذراعيها حول ليان ، وبكت وهي تقبلها من وجنتيها :

-الحمدلله انك كويسة

ضمت وجهها بكفيها ، وسألتها بتلهف :

-عملك حاجة ؟ أذاكي ولا آاآ...

قاطعتها ليان بصوت لاهث :

-لأ ملحقش ، بس يالا من هنا قبل ما يكتشف اللي حصل

هزت رأسها عدة مرات وهي تردد بصوت شبه مختنق :

-أيوه ، عندك حق

ثم مسحت عبراتها بكفها وهي تركب في السيارة إلى جوار ابنتها ...

....

في المستوصف الطبي ،،،

عاونت الممرضة السمراء الطبيب شامل في الإمســاك بتقى وتقييد حركتها حتى لا تفلت منه ..

بينما لم تكف تقى عن المقاومة ، وإستبسلت بشراسة في الذود عن جنينها وحمايته من بطش ذلك الرجل الذي إستشعرت فيه الوجــه الأخــر الشيطاني لمهاب ..

أشـــار شامل بعينيه لها قائلاً بصرامة :

-جهزيلي بسرعة حقنة ((...))

اعترضت الممرضة قائلة بإنزعاج :

-بس لو سبتها آآ....

قاطعها بجدية وهو يحكم قبضته على تقى التي كانت تنتفض بجسدها بشراســـة لتتحرر منه :

-أنا ماسكها كويس ، روحي هاتيها

تركتها الممرضة ، وأسرعت نحو خزانة زجاجية ، ثم فتحتها وبحثت بعينيها عن الدواء المطلوب ، وأخرجته من الرف السفلي ، ثم أخذت منه البعض في إبرة طبية ، وعــادت إلى شامل الذي قبض بشدة على ذراع تقى ، وأمرها بصوت حــاد :

-اديها الحقنة دي في دراعها بسرعة

اتسعت حدقتي تقى بهلع جلي بعد كلماته المفزعة ، وتلوت بجسدها لتتفادها ، ولكن أمسكت الممرضة بذراعها ، وثبتته جيداً وهي تغرز الإبرة الطبية فيه ..

ثم نظرت لها شزراً وهي تغمغم بخفوت :

-أعوذو بالله منك ، هديتي حيلي على الفاضي

تسربت المادة الطبية عبر عروق تقى وانتشرت في جسدها ، فأشعرتها بحالة من الإرتخــاء الإجباري .. وبدت الرؤية مذبذبة بالنسبة لها

ثم تحرك شامل بها نحو المقعد المقابل لمكتبه ، وأجلسها عليه بحذر ، ثم نفخ بإرهــاق ، وسلط أنظاره على ممرضته المقيتة وهو يردد بجدية :

-شوفيلي فين مدبولي ، وابعتيه

تسائلت تقى بصوت متثاقل وهي تتمايل برأسها للجانبين :

-انتو .. انتو عاوزين مني ايه ، حــرام عليكم .. أنا .. أنا معملتش حاجة !

ردت عليها الممرضة بتهكم واضح :

-انتي اللي عاوزانا يا إدلعدي مش احنا ، وجاية هنا بخطرك ، ولا ساعة الـ آآ...

قاطعها شامل بحدة وهو يشير بإصبعه :

-روحي اعملي اللي قولتلك عليه !!

-حاضر يا ضاكتور

قالتها الممرضة بإمتعاض وهي تتجه إلى خـــارج الغرفة ...

أدمعت عيني تقى بشدة ، وشعرت بذلك الثقل الرهيب في جفنيها ، وهمست متسائلة بصوت مختنق :

-انتو .. انتو هتعملوا فيا إيه ؟

إلتفت شـــامل نحوها ، ودنا منها أكثر .. ثم مــد أنامله ليتلمس وجنتها ، وأجابها بهدوء مخيف وهو يرمقها بنظرات شهوانية :

-مش معقول واحدة زيك مش فاهمة هي هنا ليه !

جاهدت لتفتح عينيها وهي تســألها بوهن :

-انت.. انت عملت فيا ايه ؟

مـــال عليها برأســـه ، فشعرت بأنفاسه البغيضة تلفح وجهها ، فزاد شعورها بالغثيان ، وأجابها بخبث :

-ولا حاجة لســه ، وبعدين أنا مش عاوزك تقلقي معايا .. ده أنا آآ...

صمت للحظة ليتفحصها بنظرات أكثر وقاحة ، وســال لعابه وهو يتابع بدناءة :

-هاريحك على الأخــر ، ومش هاتحسي بحاجة معايا ! ثواني وراجعلك !!

ثم اعتدل في وقفته وحدجها بنظرات أكثر مكراً ، وبرزت إبتسامته الوضيعة وهو يفرك عنقه ، ثم أولاها ظهره ، وأخـذ نفساً عميقاً وهو يتحسس صدره وتحرك نحو باب الغرفة متمتماً بإنزعــاج :

-ايه اللي أخرك يا زفت ! هتضيع عليا الحتة الجامدة دي أونطة !

راقبته تقى بهلع كبير حتى خرج من الغرفة ، وغريزياً حركت يدها المرتخية نحو بطنها لتتحسسه ، وبَح صوتها الهامس وهي تجاهد للصراخ :

-حـ.. حد يلحقني ! سـ.. ساعدوني !

....

في الحارة الشعبية ،،،،

وصــل أوس قائداً سيارته الخاصة إلى مدخل الحــارة ومن خلفه عدي وسيارة الحراسة الخاصة .. ثم ترجل منها ، وركض ناحية مدخل البناية ...

انتبه الحارسين إليه ، وهتف أحدهما بجدية :

-مساء الخير يا باشا

لكزه أوس في كتفه وهو يندفع للمدخل قائلاً بغلظة :

-وســع من سكتي !

ثم انطلق ناحية الدرج وأســرع بالصعود عليه ..

لم ينطق أي أحد بكلمة ، بل مضوا في طريقهم خلفه صامتين ..

وصــل أوس للطابق المتواجد به منزل تقى ، وطرق الباب عدة مرات بعنف وهو يهتف بصوت هـــادر :

-تـ.. تقى ! افتحي ، تقـــى !!

لكن لم يأتيه أي رد من الداخل ، فإنقبض قلبه أكثر .. واستمر في الطرق بعنف أشـــد ..

وقف عدي خلفه ، وأردف قائلاً بحذر :

-بالراحة يا أوس ، مش كده !

لم ينظر إليه الأخير ، بل صــاح بإنفعال وهو مستمر في الطرق بعصبية :

-تقى مش بترد !

رد عليه عدي بحرص وهو يحاول إبعاده للخلف :

-يمكن مش سامعة وآآآ...

قاطعه أوس بصوت هادر يحمل الغضب :

-كل ده ومحدش سامع ، أنا هاكسر الباب !

جحظ عدي مصدوماً ، وردد بإندهاش جلي :

-ايييييه !!

لم يمهل أوس نفسه فرصة للتفكير ، بل إندفع بجسده بكل غضب نحو باب المنزل ليحطمه ، فصاح به عدي بقلق :

-استنى يا أوس !!!!

-متقوليش استنى

قالها أوس بإهتياج وهو يدفع الباب بكتفه بقوة رهيبة لينفتح على مصرعيه ..

ثم خطى مسرعاً نحو الداخل ، وزاد خفقان قلبه برعب حينما وجد المنزل هادئاً للغاية ، وخالياً من قاطنيه ..

وبلا وعـي بحث بعينيه المحتقنتين عن تقى في الصالة فلم يجدها ، فأسـرع نحو غرفتها ، واقتحمها بلا تردد .. فكانت

خاوية هي الأخـرى ، فركض كالمجنون مفتشاً عنها في كل أرجــاء المنزل وهو يصرخ بإسمها ..

توجس عدي هو الأخـــر خيفة على ليان ، وتسائل بنبرة شبه مذعورة :

-هما راحوا فين ؟ ده محدش هنا ! ولا حتى مـ.. مدام تهاني !

ثم أخـــرج هاتفه المحمول ، وبحث عن رقم تهاني ليهاتفها .. ووضع الهاتف على أذنه ، وانتظر بنفاذ صبر إجابتها عليه ..

استمع هو إلى صوتها الهاديء وهي تجيبه قائلة :

-أيوه يا عدي بيه ، أنا آآ...

قاطعها متسائلاً بصوت متلهف :

-انتو فين يا مدام تهاني ؟

ردت عليه بنبرة شبه متعجبة :

-أنا مع ليان برا البيت ، وفي الطريق أهوو

سألها بجدية مبالغة :

-طب هي تقى معاكو ؟

أجابته بإستغراب :

-لأ .. احنا سايبنها مع أمها !

صمتت لثانية قبل أن تسـألـه بتوجس بعد أن استشعر قلبها وجود خطب ما :

-هو .. هو حصل حاجة ؟

رد عليها بيأس :

-تقى مش موجودة في البيت ، وأوس قابل عليها الدنيا !

شهقت بصوت مسموع وهي تسأله بقلق :

-اييييه ، راحت فين دي ؟ وفين فردوس ؟!!!

أجابها على مضض وهو يفرك رأسه :

-مافيش حد هنا خالص

هتفت بتوتر بالغ :

-طب إزاي !!

....

في المستوصف الشعبي ،،،،

بداخل غرفة الطبيب ،،،،

شعرت تقى بتنميل رهيب في أطرافها بعد أن أصبحت بمفردها في الغرفة .. وبثقل كبير يجتاح جسدها .. وأنها أصبحت كالمشلولة ، غير قـــادرة على الحركة أو الفرار ..

مالت برأسها للجانب بوهن ، فلمحت بعينيها هاتفها المحمول الذي أسندته على سطح المكتب وتركته على وضعيته الصامتة ..

رأت بجفنيها - واللذين تحاول إبقائهما مفتوحين - اسم أوس يظهر على شاشته ، فكافحت لرفع ذراعها للضغط على زر الإيجاب ..

وبالفعل نجحت في هذا بعد محاولة أخيرة استجمعت فيها كل قوتها الواهنة ..

لم تتمكن من الإجابة عليه ، ولكنها سمعت صوته يصرخ بإسمها قائلاً بفزع :

-تقى .. انتي فين ؟ ردي عليا ! تقى !

حاولت أن تجيبه ، لكن خرج صوتها ضعيفاً مبحوحاً ، وغير مسموع بالدرجة الكافية ..

-ردي عليا يا تقى ، قوليلي سبتيني وروحتي فين ؟

قالها أوس بصوت منفعل للغاية ..

اختنق صــوتها ، وبكت بتحسر بعد أن أدركت صعوبة الرد عليه ...

فُتح باب الغرفة ، ودلف شـــامل إلى الداخل ومعه مدبولي ، ورمقها الاثنين بنظرات متفحصة ، فتسائل مدبولي بصوت آجش وهو يقترب منها :

-هي دي الحالة يا ضاكتور ؟

إنتبه أوس إلى ذلك الصوت الرجولي الذي سمعه تواً عبر الهاتف ، وأصغى بإنتباه تـــام له ...

رد شامل بفتور وهو يدعي البراءة :

-ايوه يا مدبولي

أمسك مدبولي برسغ تقى ، ولفه حول عنقه ، ثم مرر ذراعه خلف ظهرها ، واحنى نفسه للأسفل ليمرر الذراع الأخـر أسفل ركبتيها ، وهتف بنزق وهو يرفعها عن المقعد ليحملها :

-باين عليها مسلمة نمر على الأخـر

إلتوى ثغر شامل إلتواءة خفيفة ، ورد عليه بهدوء مصطنع :

-زي ما إنت شايف ، جيالي خلصانة خالص !

ثم تحرك خلفه وربت على ظهره ، وحدق في تقى بنظرات طامعة ، وبرزت ابتسامة خبيثة من بين أسنانه وهو يتابع بمكر :

-خدها انت بس على العمليات خليني أنجز معاها ، وأسقطها قبل ما آآآ... ما أفنش شغلي ، وأحط لمستي الأخيرة !!

نزلت كلمات ذلك الطبيب المقيت على سمع أوس كالصاعقة المهلكة ، فشهق بصوت هـــادر :

-تقـــــــــى !!!

....

بحثت فردوس عن مقعد شـــاغر لتجلس عليه بين المتواجدين في الإستقبال الخـــارجي بعد أن تخلت عن ابنتها ، وأسلمتها لذلك الطبيب لينفذ رغبتها ..

فركت أصابع كفيها بتوتر وهي تطالع أوجـــه الجالسين ، فرأت فيهم نظرات ابنتها المتوسلة لإنقاذها ، فشعرت بغصة في حلقها ، وبتأنيب الضمير ، ولكنها حاولت إقناع نفسها أن ما فعلته هو الصواب ، وأنه كان من أجل حمايتها وإنتشـــال عائلتها من بؤرة البؤس والشقاء ..

في نفس التوقيت ، ولجت المـــرأة التي تم إنتهاك براءة أختها الصغرى إلى الإستقبال ومعها عدة رجـــال أشداء يحملون في أيديهم عصي غليظة وأسلحة بيضاء ...

رمقت تلك المرأة الحاضرين بنظرات متجهمة للغاية ، وصاحت متسائلة بتشنج :

-فين الضاكتور النجس اللي اسمه شامل ؟!

انتبهت فردوس إلى صوت المرأة الغاضب ، وحدقت فيها بقلق وهي تحاول فهم ما يدور ..

رأتها الممرضة السمراء ، فخطت نحوها وهي عابسة الوجه ، ولكنها لمحت الرجـــال المصاحبين لها ، فإزدردت ريقها بتوتر ، ثم أجابتها بحذر :

-إنتي .. انتي عاوزاه ليه ؟

ردت عليها بإنفعال وهي تحدجها بنظرات مميتة :

-جاية أخد حق اختي منه

أضـــاف رجل ما واقفاً بجوارها بنبرة عدائية :

-مش هانسيب تار بنتنا ! وهندبحه !

شهقت فردوس مصدومة على إثر تلك العبارات المخيفة ، ورمشت بعينيها بخوف ..

تباينت ردود أفعال المتواجدين ما بين هلع واضطراب كبير .. وســادت حالة من الهرج والمرج

صرخت المرأة بإهتياج وهي تشير بكف يدها :

-طربقوا المكان على اللي فيه لحد ما تجيبوا أم الضاكتور ده هنا !

هربت الممرضة السمراء من أمامها لتطلب المعاونة من زملائها في العمل ..

هبت فردوس من مكانها مذعــورة ، وأسرعت نحو تلك المرأة وسألتها بهلع :

-هو .. هو في ايه ؟

حدجتها المرأة بنظرات إحتقارية ، ولوت ثغرها وهي تجيبها بإزدراء :

-في إن المستوصف ده بيشغل كلاب سعرانة مش دكاترة فيه بينهشوا لحم بناتنا واحنا مش دريانين

إتسعت حدقتي فردوس مصدومة ، وسألتها برهبة :

-آآ.. قصدك ايه ؟

لكزتها المرأة في كتفها ، ودفعتها بقوة للخلف مجيبة إياها بنفاذ صبر :

-هو أنا هارغي معاكي كتير ، وسعي من سكتي خليني أشوف أمـــه ابن الـ *** ده !!!**

كذلك ركض بعض الممرضين وهم يحملون في أيديهم أدوات حـــادة نحو هؤلاء الرجـــال لمنعهم من إقتحام المستوصف ، فنشبت بينهم مشاجرة عنيفة تحطم على إثرها الأثاث الموجود بالإستقبال ...

حاولت فردوس الإختباء منهم والنجاة ببدنها من بطشهم ، وفي نفس الوقت الوصــول إلى ابنتها ، والهروب من هذا المكان قبل تطور الوضــع للأسوأ ، ولكن كان الرواق المؤدي لغرفة الطبيب يعج بالرجال المتلاحمين ..

فإنقبض قلبها ، وزاد هلعها ، و.................................

....

الفصل الخامس والعشـرون (الجزء الثاني) :

في قصر عائلة الجندي ،،،

في غرفة نوم مهاب ،،،

صـــاح مهاب بصوت غـــاضب ومخيف حينما فتح خزينته الخاصة وتفاجيء بخلوها بالكامل من محتوياتها ...

صفق بابها بعنف وهتف قائلاً وهو يكز على أسنانه بشراسة :

-عملتيها يا ليان وسرقتيني

ضغط على رأســه بكفه ، وأضاف بنبرة مغلولة :

-مش بعيد أمك تهاني اللي وزتك تعملي فيا كده !

ثم كـــور قبضة يده في غضب ، وضاقت عينيه بشدة ، ثم أضاف بنبرة عدائية :

-مش هتلحقوا تتهنوا بالورق اللي معاكو ، وأنا هاتعامل مع اللي عملتوه بطريقتي !

....

في الحـــارة الشعبية ،،،

لم يعــرف أوس كيف نــزل على الدرج بعد تلك العبارات القاتلة التي إستمع إليها من ذلك الرجل المجهول، ولكن تراءت له صورة تقى وهي واقعة تحت رحمـــة ذئب شرس ..

لقد شعر بأن روحـــه هي الموضوعة على المحك ، وليست زوجته .. فقفز قلبه في صدره ، وتلاحقت أنفاسة بهلع .. ركض نحو مدخل البناية ، وتلفت حوله بنظرات زائغة ...

لم يفهم عدي ما الذي أصـــاب رفيقه ليتحول وجهه للقتامة ، وتشتعل عينيه كالجمرات .. فركض خلفه سائلاً إياه بتوجس :

-حصل إيه يا أوس ، رد عليا!

وقعت عيني أوس على أحد الحارسين ، فأسرع نحوه ، وأمسك به من تلابيبه ، وكــاد يفتك به وهو يسدد له اللكمات المتتالية صارخاً بإهتياج :

-كنت فين ومراتي بتتاخد من هنا

لم يستوعب الحارس في البداية حديث رب عمله ، وحــاول صد لكماته وهو يتوسله :

-يا باشا ، أنا .. أنا كنت واقف هنا ومحدش خرج ، صدقني أنا آآ...

قاطعه أوس بصوت هـــادر منفعل للغاية :

-كــداب ، مراتي اتاخدت قدام عينيكم ، هادفعكم التمن

تدخــل عدي ، وحــاول إبعاده وهو يصيح قائلاً :

-سيبه يا أوس ، فهمني في ايه ؟

وبالفعل نجح بمساعدة حــارس أخــر في تخليص الحارس من قبضتيه ، وأرجعاه الاثنين للخلف ، فتشنج أوس بعصبية زائدة ، وصرخ بإختناق :

-تقـى بتروح مين ، هايموتوا ابني !

جحظ عدي بعينيه مصدوماً ، وتسائل بهلع :

-مين بالظبط ؟!!

رد عليه أوس بصوت صــارخ ومحتد وهو يضغط على رأســه بكفيه :

-مش عــارف ، مش عــارف !

....

في نفس التوقيت ، تأبط الشيخ أحمد ذراع عم عوض وهو يخرجان من المسجد وســار ببطء في الحارة ، وحدثه الأخير بصوت حزين :

-والله غرضي كان أصلح بينهم !

رد عليه الشيخ أحمد بهدوء :

-كويس انها جت على أد كده ، واحد غيره كان اتعامل بإسلوب أسوأ ، وخصوصاً إني عارف إنه مش متسامح ، ولا من النوع اللي بيسيب حقه !

ســأله عوض مستغرباً :

-وانت عرفت ازاي ده عنه ؟ وأنا .. وأنا مجبتش سيرته قبل كده ، ده غير إني مش عارفه كويس !

رد عليه الشيخ أحمد بإبتسامة ودودة :

-يا راجل يا طيب ، ده شخصية معروفة ، وحكايته هو وبنتك اتقال عنها كتير في النت وعلى التلفزيون ، فأنا لما شوفته عرفته على طول ، وحبيت أرشده لطريق غايب عن فكره ، وسبحان الله زي ما يكون كان مستني اللي ياخد بإيده ، فعلاً (وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيم) ..!!

تنهد عوض بإنهاك وهو يهز رأسه بخفة :

-اه والله !!

ثم لمح الاثنين وجود صراخ حاد ومشادة كلامية من على بعد ، فتسائل الشيخ أحمد بإهتمام :

-في ايه هناك كده ؟

تهدل كتفي عوض وهو يشرأب بعنقه محاولة رؤية المشادة بوضوح ، وأجابه بصوت خافت :

-مش عارف

أشـــار الشيخ أحمد بعينيه ، وهو يردد بجدية :

-بينا نشوف

....

وضـــع عدي قبضتيه على كتفي أوس محاولاً تثبيته وهو يقول بهدوء حذر :

-اهدى بس وفكر هاتكون راحت فين !

أزاح أوس قبضتيه بعنف ، وصـــاح بعصبية زائدة وقد برزت مقلتيه من محجريهما بشراســـة :

-بتقولي أهدى ازاي وهما هايموتوا ابني ومراتي !!!

ســـأله عدي بتوجس :

-مين بالظبط ؟

رد عليه بإنفعال أشد :

-ده اللي عاوز أعـرفه !

ثم لوح بذراعه بغضب وهو يهتف بإهتياج :

-والبهايم اللي واقفين هنا زي قلتهم ! مراتي اتخدت منهم وهما ولا دريانين !!!

إرتسم على ثغر الشيخ أحمد ابتسامة مهذبة وهو يلقي التحية قائلاً وملوحاً بكفه :

-السلامو عليكم

-في ايه يا بني ؟

تسائل عوض بريبة وهو يطالعه بنظرات متفحصة لتصرفاته المنفعلة ....

نفخ أوس من الضيق ، ولم يعقب عليهما .. بينما ضغط عدي على شفتيه ، وأجاب بإنزعاج :

-تقى مش لاقينها ، وآآ....

قاطعه عوض قائلاً بإستغراب :

-هي كل ده مارجعتش من المستوصف ؟!

إلتفت أوس برأســه في إتجاهه ، وهتف بإندهاش غريب وقد إرتفع حاجبيه للأعلى :

-مستوصف !!!!

حرك رأســه إيجاباً وهو يتابع بهدوء :

-ايوه .. أمها خدتها تزور باين حد وأنا شوفتهم وهما رايحين ناحيته وآآ...

قاطعه أوس متسائلاً بصراخ منفعل :

-فينه المستوصف ده ؟

نظر له عوض بتعجب من إهتياجه الغير مفهوم بالنسبة له ، وإستدار برأســه للجانب ، ورفع ذراعه ليشير قائلاً :

-هو هناك من ناحية آآ...

قاطعه الشيخ أحمد قائلا بهدوء حــذر :

-اعذرني على مقاطعتك يا عم عوض ، أنا عارف مكانه ، تعالى معايا وأنا هادلك عليه !

وبالفعل أســرع الجميع ناحية أحد الأزقــة الجانبية ...

....

في المستوصف الشعبي ،،،،

في غرفة العمليات ،،،،

أسند مدبولي تقى على الفراش الطبي الموضوع في منتصف الغرفة .. ووضع ذراعيها إلى جانبيها ، وإلتفت ناحية الطبيب شامل ، وسـألـه بفضول :

-هو الضاكتور بدران مش هايعمل العملية معاك آضـاكتور ؟

رد عليه شامل بهدوء مصطنع وهو يرمقه بنظرات محتقنة :

-لأ .. دي عملية تخصني ! عندك إعتراض ؟!

تابع مدبولي بعدم إكتراث وهو يشير بكفه :

-لأ يا ضاكتور ، خد راحتك ، و أني أعد برا ، نادي عليا لما تعوزني !

ثم سمع الإثنين صـوت صياح بالخـارج ، فأدار كلاهما رأسيهما نحو الباب ، ومن ثم استطرد شامل حديثه قائلاً بإنزعاج :

-روح شوف الدوشة اللي برا ، وخليهم يتلموا ، احنا هنا في مستوصف ، يعني في عيانين، وعمليات محتاجة تركيز !

هز رأسه بخفة وهو يردد بإمتثال :

-ماشي يا ضاكتور

تابعه شامل وهو ينصرف من غرفة العمليات بعينين تلمعام ببريق لئيم ، ثم خطى سريعاً نحو باب الغرفة ، وأوصـده من الداخل ، وأدار جسده في إتجاه تقى الممددة على الفراش ، و فرك كفيه بإشتهاء شـاذ ، وغمغم مع نفسه قائلاً بنبرة شهوانية :

-أول مرة تقع تحت إيدي حاجة نضيفة ! وجيالي بمزاج أهلها ، لأ وهاعمل اللي عاوزه معاها من غير ما حد يفتش ورايا !

أخــذ هو نفساً عميقاً ، وزفــره على مهل ، ثم اقترب من فراشها وهو مسلط أنظاره الجارحة عليها ..

بدت تقى في حالة لا وعــي وهي تتمايل برأسها للجانبين ..

فقد تمكن المخـدر منها .. وأصبحت في وضعية تحسد عليها ..

أمســك شامل برسغها .. وتحسس ملمس بشرتها .. ثم احنى رأســه عليها ، وهمس في أذنها بنبرة أقرب لفحيح الأفعى :

-مش هاتحسي بحاجة ، هانتبسط شوية قبل ما أريحك وأرتــاح أنا كمان !

إرتد طرفي عينيها بحركة عصبية مذعورة وهي تحاول إبعاد وجهها عنه .. لكنه ثبته بكفه ، وتابع بنبرة ماجنة :

-متخافيش ، دي زي شكة الدبوس !

تقوس فمــه بإبتسامة شيطانية عريضة ، وإعتدل في وقفته ، ومـــرر عينيه ببطء على جسدها ليتفحص ..

شعر بإثارة رهيبة تجتاحه وهو يتخيل ما سيفعله معها ، وإزدرد لعابه بهوس مقزز ..

....

في الإستقبال ،،،

تفاجيء مدبولي بالشجـــار العنيف الدائر بالخـــارج ، وصـــاح مصدوماً وهو يتوارى عن الأنظار :

-نهار اسوح ! دي عاركة بالسيوف والشوم !

زاد تشابك الأيدي بين النســـاء وأخريات ، وكذلك الممرضين مع رجـــال المرأة الغاضبة ، وتحطم كل شيء بالخـــارج ...

شهق مدبولي مذعوراً حينما شعر بيد توضـــع على كتفه ، وقفز في مكانه قائلاً بهلع :

-معملتش حاجة

-اسكت يا منيل ، دي أنا !

قالتها الممرضة السمراء بخفوت وهي تكز على أسنانها بغيظ

رمقها مدبولي بنظرات إحتقارية ، وهمس بسخط :

-هو انتي ! قطعتي خلفي بوشك العكر !

حدجته بنظرات مشتعلة وهي تهمس مغتاظة :

-لم نفسك !

أشـــار برأسه متسائلاً بفضول :

-هو ايه اللي حاصل هنا ؟

ردت عليها بحذر :

-مش عارفة بالظبط ، بس الحكاية فيها الضاكتور شامل

سألها بإهتمام وهو عاقد ما بين حاجبيه :

-عمل ايه ؟

ردت عليه بنبرة حائرة :

-بأقولك معرفش ، بس الليلة مش هتعدي على خير

....

لمحت فردوس من مكانها الممرضـــة السمراء وهي تتحدث مع أحد الأشخــاص ، فتلهفت للركض نحوها ، والسؤال عن ابنتها .. ثم الفرار بها من هنا ..

ولكن تعذر عليها فعل هذا بسبب التراشق بالمقاعد والأدوات الموضوعة في الإستقبال ..

صاحت المرأة بصوت جهوري غاضب وهي تلوح بذراعها :

-انت يا ضاكتور النجاسة ، اطلعلي بروح أمك ، مش هاسيبك النهاردة

ثم وقعت عينيها على الممرضة ، وأشــارت نحوها وهي تهتف بصراخ هـــادر :

-بنت الـ *** دي هاتدلني عليك ، جيبوهالي من شعرها

انتفضت الممرضة السمراء في مكانها مذعورة ، وصرخت مصدومة :

-يا نصيبتي ، أنا ماليش دعــوة !

ثم ركضت هــاربة نحو الممر الداخلي ..

قررت فردوس أن تتحرك فوراً ، وألا تظل قابعة في مكانها ..

وبالفعل ركضت وهي تحني جسدها للأمــام نحو الباب المؤدي للممر ..

ولكن لســوء حظها ضربت رأسها بعصا غليظة من أحد الأشخــاص ، فصرخت متأوهة من الآلم ، وسقطت على الأرض غــارقة في دمائها ومتكورة على نفسها ...

....

نجح أحد الرجــال بالإمســاك بالممرضة السمراء ، وتم جرهــا للخــارج حيث توجد المرأة الغاضبة بالإستقبال ..

ألقاها الرجل عند قدميها ، فصاحت الممرضة بخوف جلي :

-والله ما عملت حاجة ، أنا عبد المأمور ، أخري ألم فلوس الكشوفات

هدرت بها المرأة بصوت هائج :

-فين اللي مشغلك ؟

رفعت رأسها نحوها ، وتلعثمت بهلع وهي تجيبها :

-بـ.. بيبقى في مكتبه ، يـ ... يا في العمليات !

سألتها المرأة بصوت غليظ ومحتد :

-فينها العمليات الـ * دي ؟**

أجابتها الممرضة دون تردد وقد إرتجف جسدها :

-هناك ، أخر الممر على إيدك اليمين !

...

عند مدخل الحارة الشعبية ،،،،

وصلت سيارة الحراسة الأخرى التي تقل ليان ووالدتها إلى مدخل الحارة ، فترجلت الاثنتين منها ، وأسرعت تهاني ناحية الحراسة المرابطة أمام مدخل البناية ، وسألته بهلع :

-هو .. هو حصل ايه ؟

تسائلت ليـــان هي الأخــرى بقلق بعد أن وقفت إلى جوارها :

-فين أخويا ؟؟؟

رد عليها الحارس بنبرة رسمية :

-معندناش خبر لسه يا هانم

-يا بني رد عليا ، هو في ايه بالظبط ؟

أجابها الحارس بهدوء جــاد وهو يشير بيده :

-كل اللي أعرفه إنهم راحوا ناحية مستوصف قريب من هنا !

لطمت تهاني على صدرها وهي تشهق برعب :

-مستوصف ، يا ساتر يا رب !

نظرت ليان في إتجاهها ، وسألتها بإهتمام جلي :

-في ايه يا مامي ، انا مش فاهمة حاجة !!

أمسكت تهاني بقبضته ابنتها ، وأجابتها بخوف وهي تسحبها خلفها :

-تعالي بسرعة نلحق نشوف في ايه !

-استني يا ليان هانم ، احنا جايين معاكو !

قالها أحد رجــال الحراســة وهو يسرع في خطواته ليلحق بهما ، ومن ثم لوح لرفاقه ليلحقوا به ...

....

على مقربة من المستوصف الشعبي ،،،،

تأمل أوس بنظرات متأففة ذلك المكان الكريه الذي يتواجد به ذلك المستوصف ، وإنقبض قلبه فزعــاً حينما وقعت عينيه على مدخل المستوصف ورأى المشاجرة المحتدمة بين عشرات الأشخــاص ..

صــرخ أوس في أحد رجــال حراسته قائلاً بصرامة وهو يشير بكفه :

-سلاحك بسرعة !

أشهر الحارس سلاحه الخاص من جرابه ، وسلمه إلى رب عمله دون تردد .. فركض الأخير بصورة جنونية نحو المدخل وهو لا يرى ســوى وجــه تقى أمـــامه ...

....

بداخل غرفة العمليات ،،،،

في نفس التوقيت ، جذب شـــامل تقى من قدميها نحوه ، ثم أبعدهما عن بعضهما البعض بعد أن تأكد من غيابها تماماً عن الوعي ، وأنها لم تعد مدركة لما يدور من حولها ...

حدق هو فيها بنظرات ماجنة ، وهمس بجموح :

-ساعة الحظ مع اللي زيك ماتتعوضش !

كـــان على وشك إزاحة عباءتها للكشف عن ساقيها وجسدها ، ولكنه توقف عن فعل هذا حينما سمع الطرقات العنيفة على باب الغرفة ..

إنخلع قلبه فجـــأة ، واضطربت أنفاسه بشدة ، فقد ظن أن والدتها قد جـــاءت لرؤيتها ..

لذا أرخى قبضتيه عنها ، و أسرع بربط سحاب بنطاله ، وإرتدى معطفه الطبي ، ودار حــول الفراش ليقف أمـــام رأس تقى ، ثم مرر ذراعيه أسفل كتفيها ، وسحبها من إبطيها للأمـــام .. وعدل من وضعيتها على الفراش ، ووضع على وجهها قناع الأكسجين الصناعي .. وجاهد ليضبط أنفاسه اللاهثة .. ثم أســـرع بفرد الملاءة عليها ..

أغمض عينيه لوهلة ، ومن ثَمَ تحرك بثبات نحو باب الغرفة ، ووضع القناع الطبي الأبيض على أنفه ، وصـــاح مدعياً الغضب وهو يفتح الباب :

-ده اسمه تهريج ، في عمليات هنا وآآ...

توقف عن إتمام عبارته الأخيرة حينما وجـــد تلك المرأة أمامه ، فقطب جبينه مندهشاً ، وسألها بحدة :

-انتي مين وعاوزة ايه ؟

سألته بصوت متجهم للغاية ونظراتها القاتلة مسلطة عليه :

-انت شامل ؟

رمقها بنظرات ساخطة ، ورد عليها بصوت محتقن من أسلوبها الفظ معه :

-اسمي الدكتور شامل ، وآآ.... !

لم تمهله الفرصـــة للإكمال ، بل نبشت بأظافرها في وجهه ، وخدشته بشراسة وهي تصرخ فيه بجنون مهينة إياه :

-آآآه يا بن الـ **** يا نجس ، بنات الناس مش لقية تعمل فيهم مابدالك يا قذر يا *****

تفاجيء شامل من حركتها المباغتة ، فتأوه متألماً ، ودفعها بقبضته للخلف وهو يصيح بحدة :

-انتي متخلفة يا ولية إنتي !

ثم تحسس وجهه بحذر ، ورأى آثـــار الدماء عالقة بأطراف أنامله ..

لمحت المرأة بطرف عينيها تلك الفتاة الغائبة عن الوعـــي ، فضاقت عينيها بإحتقان ، وأدركت على الفور ما كان على وشك فعله معها ، لذا هدرت بصوت غاضب وهي تدير رأسها للخلف :

-تعالوا يا رجـــالة هنا بسرعة ، أنا لاقيت النجس الخسيس ، هاتهولي ابن الـ **** متكتف ومربعن برا

اتسعت عينيه بخـــوف عقب جملتها المهددة .. وابتلع ريقه ، وحاول البحث بعينيه عن مخرج للنجاة بنفسه قبل أن يقع تحت رحمتها ، ولكنه كان محاصراً ..

ولم يستطع الهروب فقد تمكن بعض الرجـــال من الإمســـاك به ، وإنهالوا على رأســـه وجسده بالضرب المبرح ، ثم سحلوه إلى خـــارج الغرفة ....

وقفت المرأة على العتبة ترمقه بنظرات ساخطة ، ثم بصقت فوقه بإشمئزاز جلي ، ومن ثم عـــاودت النظر إلى تلك المغيبة ..

وســارت نحوها لتتفقدها .. ولكنها تسمرت في مكانها مذعــورة حينما سمعت صوت طلقات نــارية تأتي من الخــارج ، فأدارت رأسها نحو الباب ، و ....

....

الفصل الخامس والعشرون (الجزء الثالث) :

في المستوصف الشعبي ،،،،

اقتحم أوس مدخل ذلك المستوصف المتدني في خدماته بقوة وإنفعال محاولاً المرور بين أجساد الرجال المتلاحمين ، ولحق به عدي ورجــال حراسته الخاصة ، وكذلك الشيخ أحمد ..

كان الإستقبال مسدوداً ، وتعذر عليه الدخــول ، واستمر التراشق بين المتواجدين بكل ما تطاله أيديهم ، فتراجع مسرعاً للخلف ، ورفع السلاح الذي بحوزته للأعلى ، وأطلق عدة أعيرة نـــارية في الهواء .. فتوقف الجميع عن الإقتتال ، وحدقوا به بإستغراب .. وظنوا من هيئته الراقية أنه من رجــال المباحث ..

تدخل أفراد الحراسة ، وبدأوا في تفريق الجموع بعنف وقوة ، ومع هذا استمر السباب والتطاول بالألفاظ الجارحة ...

مـرر أوس عينيه على أوجـه الجميع باحثاً عن تقى بينهم ، وخاصة بين السيدات المتواريات في الخلف .. فلم يجدها بينهن ، فقفز قلبه رعباً في صدره ، وتلاحقت أنفاسه برهبة واضحة ..

إتسعت حدقتيه بفزع كبير حينما وقعت عينيه على فردوس المنكبة على وجهها على الأرضية ، فركض نحوها ، وجثى على ركبته أمامها ، وسألها بهلع وهو يحاول رفع جسدها للأعلى :

-ايه اللي حصل ، وفين تقى ؟

تراخى جسدها ومالت برأسها للأمـام ، وتأوهت بصوت مكتوم ..

فتأمل هو تلك الدمـاء التي تغطي جبينها بذعـر واضح على تعابير وجهه .. وسألها مجدداً بخوف :

-حصل ايه ؟ مراتي فين ؟

ظلت فردوس تئن بخفوت ، وأجابته بصوت ضعيف وهي تشير بإصبعها :

-الحق ..آآآ.. الحقها هي .. هي جوا !

نظر أوس إلى حيث أشـارت بإصبعها .. ثم أسندها على الأرضية بحذر ، وركض نحو الممر الجانبي ..

رأى عدي ذلك المشهد الدامي ، فأخــرج هاتفه المحمول وهاتف – دون تردد - شرطة النجدة على الفور ..

وقف الشيخ أحمد في مكانه يضرب كفاً على الأخــر بتحسر وهو يردد :

-لا حول ولا قوة إلا بالله ! لا إله إلا الله ! إيه اللي بيحصل هنا ؟!

وصــل العم عوض إلى المستوصف وهو مذهــول مما يراه ..

لم يتخيل أن يتحول ذلك المكان المعروف عنه بمداواة المرضى من الفقراء والمحتاجين إلى ساحة للحرب ... لكن لم يطرأ بباله أن تكون زوجته شريكة في إلحاق الأذى بإبنته الوحيدة ..

....

ركض أوس عبر الممر باحثاً بجنون عن زوجته تقى ، شعــر وكأن عقله قد غــاب تماماً عنه ..

لم يعرف إلى أين يذهب وأين يبحث عنها ، فالغرف كثيرة ، وهناك عدة ممرات جانبية متشعبة ..

انتبه هو إلى تلك الأصــوات الغاضبة ، فأدار رأســه للخلف ، وتحرك نحو مصدرها ، فرأى عدة رجــال يسحلون طبيباً على بطنه ، ويركلونه بعنف وهم يتعمدون إهانته ..

صرخ شامل مستغيثاً وهو يتألم من تلك الضربات الشرسة :

-آآآآه ، هاموت في ايدكم ، آآه !

نظر لهم أوس بنظرات محتدة وسألهم بإنفعال :

-ايه اللي بيحصل هنا ؟

رمقه أحدهم بنظرات عدائية وهو يصيح فيه بغلظة :

-ملكش فيه ! ووسع من سكتنا بدل ما تتكوم جمبه

إستشاط أوس غضباً من طريقته المهينة ، ورفع سلاحه في وجهه وهو يصرخ فيه بغضب جم :

-هاتكون ميت قبل ما تعملها

لحق عدي بأوس ، ورأه وهو مشهر سلاحه في وجه بعض الغرباء ، فصــاح بقوة وهو يتجه نحوه :

-أوس ماتتهورش ، البوليس جــاي دلوقتي وهايتعامل مع الأشكال دي كلها !!

أضــاف رجل أخــر بصوت محذراً وهو يلوح بذراعه التي تحمل عصا غليظة :

-بص يا أخ إنت وهو ، إحنا مالناش دخل بيكم ، كل اللي يهمنا النجس ده ، ومسكناه

صـــاح شامل مستغيثاً بتوسل :

-الحقوني ، هـ.. هايموتوني !

صـــاح أوس بصوت جهوري متعصب وقد إحتقنت عينيه بشراسة :

-ولا ده ولا مليون غيره يفرقوا معايا ، أنا بأدور على مراتي هنا !

انضمت المرأة إليهم على إثر صوتهم المرتفع ، وهتفت بتذمر غاضب :

-هو الكلب ده لسه هنا ؟ مطلعتوش بيه بــرا ليه ؟!

أجابها أحدهم بصوت محتقن :

-الأخ ده مانعنا

ضيقت المرأة عينيها ، وهدرت بعصبية :

-والله لو جابولك مين يا **** يا **** ، محدش هايحوشك من ايدي !

أضـــاف عدي قائلاً بتحذير وهو يرمقها بنظرات قوية :

-اسكتي يا ست انتي واعرفي بتتعاملي مع مين !

صـــاح بها أوس بصوت مخيف :

-أنا عاوز مراتي ، مش عاوز الكلب ده

رددت المرأة بصوت متعجب :

-مراتك !

تابع بنبرة عدائية وقد أظلمت عينيه :

-ايوه ، ومحدش هيتحرك من هنا قبل ما أعرف هي فين !

أضافت المرأة بلا وعي وهي تفرك جبينها :

-تكونش هي البت اللي مفرفرة جوا ، ولحقتها قبل ما النجس ده يعمل فيها زي ما عمل في اختي ، وآآ...

وقعت كلماتها كالطعنة النافذة في صدر أوس ، فتلونت مقلتيه بحمرة مخيفة ، وبرزت عروق وجهه بشراسـة جلية ، وربط سريعاً بين ما سمعه عبر هاتف تقى ، وبين حديث المرأة الغاضبة ، فقاطعها بصوت هــادر وقوي :

-هي فيـــن ؟؟؟؟

انتفض جسدها للحظة من صوته المتشنج ، وأدارت رأسها للخلف ، وأشـــارت بذراعها وهي تجيبه بحذر :

-أخــر الطُرقة دي !

حدج أوس شـــامل بنظرات مميتة ، وصاح بصوت صـــارم لعدي :

-الكلب ده يخصني أنا كمان ، مايتسابش إلا لما أحاسبه !

هز رأســه موافقاً وهو يجيبه بإيجاز :

-ماشي

اعترضت المرأة قائلة بتذمر :

-لألألأ ... ده يخصني ، قسماً بالله ما هاسيبوه من إيدي قبل ما أخلص حق اختي !

لم يصغْ أوس إليها ، بل صــاح مجدداً بصوت متصلب في عدي :

-سامعني ياعدي ، ده يخصني وبس !

رد عليه رفيقه بحذر محاولاً تهدئة ثورته الغاضبة :

-حاضر .. حاضر !

ثم ركض أوس بخطوات سريعة إلى حيث أشارت ..

....

وصــل الطبيب بدران إلى المستوصف ، وتفاجيء بالتجهمر الكبير أمـــام مدخله ، فتسائل بإنزعــاج :

-في ايه هنا ؟ ده مستوصف مش آآآ....

-امسكوه الكلب ده كمان !!!

قالها أحد الأشخاص مقاطعاً إياه بصوت آجش ومنفعل

إستدار بدران إلى مصدره ، وتفاجيء بمن يضربه بعصا غليظة على كتفه ، فطرحه أرضــاً وهو يصرخ من قوة الضربة ..

تسمرت تهاني في مكانها مذعورة مما رأته ، وتمسكت بإبنتها وهي تشهق قائلة بهلع :

-يالهوي ! إيه اللي بيحصل هنا ؟!

جابت بعينيها المكان باحثة عن أوس ، فرأت العم عوض وهو يقف في الخلف ، وإلى جواره الشيخ أحمد ، فضغطت على أصابع ابنتها ، وهتفت فيها بقلق بالغ :

-عمك عوض واقف هناك أهوو .. !

ثم ســـارت الإثنتين بخطى سريعة نحوهما .. وما إن أصبحت تهاني على مسافة قريبة حتى هتفت بصوت مرتفع :

-يا عم عوض ، ايه اللي حاصل عندك ؟

إلتفت عوض برأســه نحوهما ، وأجاب بصوت منزعج :

-مش عارف والله ، بس الدنيا مقلوبة جوا

أضـــاف الشيخ أحمد قائلاً بتوتر :

-ربنا يسترها على عباده

تسائلت تهاني بتلهف وهي تتفرس تعابير وجهه :

-طب فين أوس ؟

أجابها عوض بهدوء زائف وهو يشير بعكازه :

-جوا مع فردوس وتقى

جحظت بعينيها مشدوهة ، وسألته بقلق جلي :

-اييييه ؟ وهما ايه اللي جابهم هنا ؟

تهدل كتفيه وهو يجيبها بحيرة :

-محدش عارف لسه !

....

تســـارعت دقــات قلب أوس بعد أن وصـــل إلى وجهته المنشودة .. ولهث بصعوبة وهو يحاول ضبط أنفاسه على عتبة باب غرفة العمليات ..

إزدرد ريقـــه بخوف وهو يدلف إلى الداخل حيث إلتقطتها عينيه المحتددتين ..

همس بإسمها وقلبه يكاد يخرج من بين ضلوعه :

-تـ.. تقى !

وقف أمـــام الفراش الطبي ، ونظر إلى وجهها المغطى بقناع الأكسجين بهلع ، ثم أزاحه ببطء ، وتأمل ملامح وجهها المتشنجة برعب واضح على قسماته .. ثم تحسس وجنتها بحذر ، وهمس لها بصوت خائف :

-تـ.. تقى ، أنا .. أنا هنا جمبك !

ألقى نظرة سريعة على جسدها بعد أن أزاح الملاءة من عليها ، وتفحصها بهلع ليتأكد من عدم إصابتها بمكروه ، وتنفس الصعداء لعدم وجود أي جـرح أو نزيف بها ، فانحنى عليها ولف ذراعيه حولها ، ورفعها إلى صدره ليضمها بشغف كبير إليه .. وتابع بصوت شبه مختنق :

-متخافيش يا تقى ، محدش هايعملك حاجة ، أنا معاكي !

ثم أحاطها بذراعيه ليحملها ، وعـــاد مسرعاً من حيث أتـى ، وعينيه لم تبرحا تأمل وجهها الساكن ...

....

وصلت عـــدة سيارات إسعاف خـــارج المستوصف ، فخفق قلب تهاني بقوة ، وتسائلت بلهفة :

-هما .. هما جايين هنا ليه ؟

استطرد الشيخ أحمد حديثه قائلاً بتوجس :

-سترك يا رب ، جيب العواقب سليمة

أضـــاف عوض بقلق واضح :

-قلبي مش مرتاح ، حاسس إن في كارثة جوا !

تسائلت ليان بإهتمام وهي تحاول رؤية ما يحدث بالداخل :

-هو فين أوس وتقى ؟

أفســـح بعض الأشخاص الطريق للمسعفين ليحملوا المصابين إلى الخـــارج ، فشهقت تهاني بهلع ولطمت على صدرها حينما رأت فردوس من ضمنهم ..

أسرعت هي خلفهم وهي تهتف بخوف :

-فردوس ، جرالك ايه ياختي ؟

ضيق الشيخ أحمد عينيه قائلاً بإنزعاج :

-لا حول ولا قوة إلا بالله ، هاتروح ورا مراتك يا عم عوض ؟

نظر له بجمود ، وهز رأسه نافياً وهو يقول بفتور :

-مش قبل ما اطمن على تقى !

تسائلت ليـــان بحيرة وهي تتلفت حولها :

-هما .. هما رايحين فين ؟

-خليكي هنا يا بنتي

رد عليها عوض بجمـــود غريب وهو يشير بعكازه لها ...

ضغطت ليان على شفتيها بضيق ، ولم تبرح مكانها ، ولكن كان الفضول يقتلها لمعرفة ما الذي يدور بالداخـــل ...

....

إنهـــالت المرأة بحذائها القاسي على رأس شامل بعد أن تم تقييده من يديه وقدميه ، وركلته في معدته وهي تصرخ بشراسة :

-مش هارحمك ، وهاخلص ذنب اختي منك !

أضاف أحد أقاربها قائلاً بحنق :

-عنك انتي ، اومــال احنا هنا ليه !

تدخل عدي قائلاً بتحذير شديد اللهجة :

-محدش هيلمسه قبل ما يجي أوس باشا

لوت المرأة ثغرها قائلة بإحتجاج :

-لا بشوات ولا بهوات ، احنا هناخد بتارنا منه الاول !

أشــــار عدي بكفه لأفراد الحراسة الخاصة بالتدخل فوراً وتكوين حاجز بشري أمام ذلك الطبيب .. فتذمر الرجـــال وكانوا على وشك الصدام معاً ، ولكن صـــاح بهم عدي قائلاً بصوت جهوري :

-الكل هيستنى لحد ما يجي الباشا !

خـــــرج أوس إلى الاستقبال حاملاً تقى بين ذراعيه ، فأسرع إليه عدي متسائلاً بقلق واضح وهو يتفحص وجهها :

-هي مالها ؟ حصلها ايه ؟

رد عليه أوس بنبرة ممتعضة :

-مش عــارف لسه ، بس هحاسب اللي عمل فيها كده

هتفت المرأة بغيظ وهي تقترب منهم :

-بص يا جدع إنت ، ابن الـ **** ده كان ناوي يعمل في مراتك حاجات استغفر الله العظيم وآآ....

قاطعها شامل بصراخ مختنق :

-كدابة ، أمها هي اللي جابتها عشان تسقطها ، وأنا كنت هاعملها العملية وبس !

شخصت أبصـــــار أوس عقب تلك العبارة الصادمة ، وإحتقنت عروقه بشدة حتى كاد وجهه يتحول لقنبلة موقوتة على وشك الإنفجار في أي لحظة ..

للحظة توقف عن التنفس ، وشعر بعجز تام في أوصــاله .. ولكنه نجح في التغلب على صدمته ، وأفــاق من حالة الشلل المؤقت التي إنتابته ..

لقد آلمه بعنف التفكير في كونه من وافق من البداية على أرسلها إلى والدتها لزيارتها ، نعم ..تلك التي خانت ثقتها ، وكادت أن تودي بحياتها وحياة جنينه ..

شعر عدي بحالة رفيقه والذي بدى في حالة مريبة للغاية خاصة وأن الطعنة الغادرة جاءت من أقرب الناس إلى زوجته ، فخشى

عليه أن يتهور ويرتكب أي حماقات وهو في أوج غضبه .. لذا هتف بنزق :

-أوس خد تقى على الدكتورة بتاعتها وآآآ...

قاطعه أوس وهو يكــز على أسنانه بشراسة أشد :

-خدها مكاني على عيادة بارسينيا ، وانا هاحصلك

اعترض عدي متضرعاً له بعد أن رأى تحول عينيه للإظلام التام ، وتجمد تعابير وجهه :

-يا أوس ما آآ.....

قاطعه أوس مرة أخرى بصوت آمــــر وأكثر تصلباً :

-اسمع الكــــــلام !

هـــز عدي رأســـه مستسلماً ، فقد أدرك أن أي محاولة لإقناع أوس بالعكس لن تفلح معه ، فقد سبق السيف العذل ..

....

في قصر عائلة الجندي ،،،،

ضرب مهاب بقبضة يده بعنف على سطح مكتبه وهو يصرخ هاتفياً في محاميه :

-بأقولك يا نصيف الورق كله اللي يديني اتسرق من عندي !!

صمت للحظة ليستمع إليه ، وتابع بصوت محتد :

-لازم تتصرف بسرعة وتشوفلي أي طريقة أخرج بيها من البلد دي لحد ما أرتب أموري وأعرف انتقم من اللي عملوا فيا كده !

نفخ بصوت مسموع ، ووضع يده على رأسه ليفرك فروته ، وهتف بإنفعال :

-مافيش وقت ، أنا مش ضامن هايعملوا ايه !

صـــر على أسنانه بقسوة ، وضاقت عينيه وهو يكمل بغل :

-مش هاسيبهم ، بس أئمن نفسي الأول !

ضغط مهاب على شفتيه ، ودار حول نفسه في غرفة مكتبه ، ثم صـــاح بعصبية :

-هيوصلك اللي انت عاوزه بس انجز !

ثم أنهى المكالمة ، وزفـــر بعصبية .. وكور قبضة يده بغيظ وهو يردد بتهديد :

-بقى انتي يا ليان تسرقيني ، دي أخرتها ! ماشي .. ماشي ، ليكي حساب معايا انتي واللي بعتتك ليا ! هاحمي ضهري الأول ، وبعدها هاخلص القديم والجديد ..!!!!

..

في المستوصف الشعبي ،،،

مـــد أوس ذراعيه اللاتين تحملان تقى إلى عدي ، فإلتقطها الأخير منه ، وحملها برفق بين ذراعيه ، واتجه بها نحو الخـــارج ولحق به إثنين من رجـــال الحراسة الخاصة ..

ثم ســار بخطوات ثابتة في اتجاه شامل المقيد على الأرضية ، وقد إنتوى أن ينتقم منه وبلا رحمة ..

شعر الأخير بحجم الخطر المحدق به ، وصـــاح مستغيثاً بإهتياج :

-معملتش حاجة ، أنا مظلوم ، دول .. دول هما اللي بيجوا عندنا عشان نشيل وساختهم ، واسألوا د. بدران

هتف بدران هو الأخــر مدافعاً عن نفسه :

-احنا ملناش دعوة ، الكل بيبقى جاي هنا بمزاجه ، مش بنضرب حد على ايده عشان يتعالج ولا عشان يداري عيوبه !!

صرخت فيه المرأة بصوت غاضب منفعل :

-انتو مفكرينا ايه ؟ بناتنا مالهاش أهل عشان تجيوا على عرضنا وتنهشوه!

صـــاح رجل أخـــر بنبرة متوعدة وهو يلوح بعصاه :

-دول هايتعلقوا قبل ما نسلخ جلدهم من لحمهم

تحرك أفراد الحراسة للجانب لإتاحة الفرصة لأوس للمرور بعد أن لكز أحدهم في جانبه ..

وقعت عيني شامل على عيني ذلك المتجهم الذي يقترب منه ، فأنخلع قلبه من فــرط الرعب .. واستعطفه برجاء :

-أنا .. أنا مجتش جمبها .. صدقني !

ابتلع ريقه بخوف ، وتابع بنبرة مرتجفة وهو يراقبه :

-أمها .. أمها هي اللي جاتلي من كام يوم تقولي بنتي غلطت في الحرام ، سـ .. ساعدني يا دكتور ، وهادفعلك اللي انت عاوزه بس .. بس ساقطها ، و.. وأنا مكونتش أعرف .. و.. وكنت هاجهضها بس !

لم يدرك شامل بغبائه أنه - بلا وعـي – قد نزع فتيل القنبلة الموقوتة التي تقف أمامها ..

شعـر بدران بتأزم الموقف ، وهمس مغتاظاً :

-يخربيتك ، ضيعت نفسك وضيعتني معاك !

انفجــر أوس غاضباً بصورة غير طبيعية بالمرة ، وإنهــال بأشد اللكمات قسوة وعنف على وجــه شامل حتى حطم فكه ، وأنفه فتناثرت دمــاء الأخير عليه .. ولم يشعر بتلك الجروح الغائرة في قبضته نتيجة عنفها المفرط .. ثم أطبق على عنقه بضراوة ، وخنقه بأصابعه حتى شعر بأنفاسه تتحشرج في حلقه ..

جحظ شامل بعينيه المتورمتين، وتشنج جسده بشدة .. فقد كان على وشك لفظ أنفاسه الأخيرة ..

تدخل أحد الحراس فوراً ، وحاول إبعاد أوس عنه وهو يتوسله بقلق :

-باشا ، هايموت في ايدك ، سيبه واحنا هنربيه ، باشا !

إنضم إليه أخـــر بعد أن أدرك خطورة الموقف ، ونجح مع زميله في تحرير عنق شامل ، ولكن لم يستطيعا منع أوس من ركله بقدمـــه بكل ما أوتي من قوة فأحدث به الكثير من الكدمات الموجعة ..

خـــارت قوى شامل تماماً ، وسعل بشهقات متتالية وهو يكاد لا يصدق أنه نجا من الموت على يد ذلك الرجل العنيف الذي لم يتخيل شراسته مطلقاً ، ولكنها لا تقـــارن بما هو مقبل عليه بعد ذلك ..

سمع الجميع بعد ذلك نبـــــاح حاد لعدة كلاب أنيابها تبرز بشراسة من بين لعابها المقزز .. فإلتفتوا نحوها بإستغراب ..

أرجع أفراد الحراسة أوس للخلف ، وحاولوا تهدئته بحذر ..

بينما لم يحدْ هو بنظراته المحتقنة عنه .. وهدر بنبرة عدائية :

-هاموتك ، هادفنك هنا !

صاحت المرأة بنبرة قاتمة وهي ترفع حاجبيها للأعلى ومشيرة بذراعها :

-دوري أنا بقى ، أنا سبتك تاخد حقك الأول ، جه وقتي معاه

اقترب رجل ما يحاول السيطرة على تلك الكلاب المسعورة من شامل ، وأردف قائلاً بصوت متحشرج وهو ينظر نحو المرأة الغاضبة :

-أوامرك يا ستنا

أشـــارت بيدها وهي تجيبه بإبتسامة قاسية :

-سيبوا الكلاب عليه

جحظ شامل بعينيه مرعوباً ، وهتف متوسلاً :

-لألألألأ .. ارحموني ! لألألألأ !!

ولكن لم يصغْ إليه أحد ، وجرجره رجلين من أقاربها من قيوده بالقرب من المدخل ، ثم ألقوه على وجهه ، وأطلقوا تلك الكلاب الشرسة لتنقض بعنف عليه وتغرز أنيابها القاتلة في أجزاء متفرقة في جسده فصرخ صراخات مخيفة مستغيثاً .. ولكن لم يجرؤ أحد على التدخـــل ...

راقب بدران ما يحدث لزميله بهلع كبير ، وتوسل لهم بإستعطاف :

-أنا هاقول على كل حاجة ، بس سيبوني ! أنا .. أنا بريء

وكــأنه يحدث أصناماً ، فقد هجم عليه أقارب المرأة وكالوا له من الضربات من جعله يصرخ بهوس من أجل تركه ...

....

في الخـــارج ،،،،

تعالت التهليلات والصيحات بداخل المستوصف ، فإنتاب الفضول معظم من يقفون بالخـــارج لمعرفة ما الذي يدور هناك ...

استطرد الشيخ أحمد حديثه قائلاً بعتاب :

-ماينفعش تسيب مراتك لوحدها وتفضل واقف هنا

رد عليه بحنق وهو يرمقه بنظرات لامعة :

-بنتي يا شيخنا

ربت الشيخ أحمد على كتفه ، وحثه قائلاً بنبرة مهذبة :

-هي معاها جوزها ، شوف مراتك ، وخليك معاها !

تنهد بإنهــاك ، ولكنه امتثل لطلب الشيخ ، وتحرك مبتعداً عنه .. بينما ظلت ليـــان واقفة في مكانها تتابع المشهد عن كثب ..

ولكنها فغرت شفتيها بصدمة حينما رأت عدي يخـــرج مسرعاً من المستوصف حاملاً تقى وهي فاقدة للوعي ..

فركضت خلفه وسألته بهلع وهي تحاول اللحاق به :

-مالها ؟

أجابها بجدية واضحة وهو يتجه نحو السيارة الأقرب إليه :

-مش عارفين لسه !

سألته بتوتر وهي تزيح خصلات شعرها للخلف :

-طب انت رايح بيها على فين ؟

رد عليها بصوت لاهث :

-طالعين على العيادة بسرعة

هتفت بلا تردد وهي ترمش بعينيها :

-استنى أنا جاية معاك

أوقفته كلمتها الأخيرة ، وحدق بها متعجباً .. ولكن سريعاً ما اختفت علامات الإندهاش من وجهه ومن نظراته ، وأشـــار للحارس بفتح باب السيارة الخلفي ، فجلست ليان أولاً ، ثم

انحنى بحذر للداخل ليسندها إلى جوارها ، فلفت ليان ذراعيها حولها ، وأردفت قائلة بجدية :

-أنا مسكاها كويس !

-تمام ..

هـز عدي رأسه وهو يرسم ابتسامة باهتة على وجهه ثم اعتدل في وقفته ، وأغلق باب السيارة ، وأسـرع بالجلوس على المقعد الأمامي ، وهتف في الحارسين بصرامة :

-خليكوا هنا مع الباشا أوس لحد ما يمشي !

-أوامرك

ثم أشـار للسائق بإصبعيه ليتحرك فوراً ..

....

على الجانب الأخـر ، وقفت تهاني بجوار المسعف الذي يضمد جراح فردوس الغائرة ..

بدت قلقة للغاية وهي تسأله بهلع :

-هي .. هي هتبقى كويسة ؟!

أجابها بنبرة رسمية :

-ربنا ييسر ، أنا بأعمل اللي عليا ، وبأوقف النزيف

استمعت هي إلى صوت أختها الضعيف وهي تهمس قائلة :

-تـ.. تقى !

مالت تهاني برأسها نحوها ، واستطردت قائلة بتلهف :

-اسكتي يا فردوس ، متتكلميش كتير

تابعت فردوس بصعوبة وهي تجاهد لفتح عينيها :

-شوفي تقى .. هـآ.. هاتضيع بسببي !

صدمت من عبارتها الأخيرة ، وبدى عليها علامات الإنزعـاج ، ولكن لا وقت لتضيعه في معرفة التغفاصيل .. لذا ردت بجمود :

-طيب أنا رايحلها ..!

ثم إلتفتت نحو المسعف ، وتوسلته برجاء :

-الله يكرمك خد بالك منها لحد ما أجيلك تاني !

رد عليها المسعف بجمود :

-اطمني ، ده شغلي !

تركتها تهاني بصحبة المسعف وانصــرفت عائدة نحو المستوصف لتطمئن على تقى ، ولكن إعترض طريقها العم عوض ، فتوسلت له بإستعطاف :

-فردوس هناك يا عوض ، ماتسيبهاش لوحدها

رد عليها على مضض وهو يهز رأسه بخفة :

-ماشي .. !

....

خـــــرج أوس من المستوصف وهو يفرك كفه المجروح بأصابعه ..

ناوله أحد حراســـه منشفة ورقية نظيفة ليضعها عليه ، فأخذها هو منه دون أن ينبس بكلمة ..

وما إن رأه الشيخ أحمد حتى أقبل عليه وهو يســأله بنبرة شبة هادئة :

-خير يا بني ؟

لم يجبه أوس ، ولكن إحتقان عينيه كان كافياً للإشـــارة لعِظم الأمــــر ...

لمح الشيخ أحمد بطرف عينه المشهد الدامي ، فشهق من هــول المنظر ، وصــاح محتجاً :

-لا حول ولا قوة إلا بالله ، ايه يا إخوانا اللي بتعملوه ده .. لالالا .. ده مايرضيش ربنا ، وقفوه ..!!!!

انزعجت تهاني من إزدحــــام أهالي المنطقة ، وصعوبة الوصــول للمستوصف ، ولكنها رأت ابنها وصدره ينهج بوضوح في أحد الزوايا ومن حوله رجاله ، فإتسعت عينيها بخوف حينما دققت النظر فيه ورأت الدمــاء التي تلطخه ، فسارت نحوه بخطى سريعة ...

وقفت على مقربة منه ، وهتفت بإسمه بلهفة أمومية صادقة :

-آآ... أوس !

إلتفت نحو صوتها المألوف ، وحدجها بنظرات قاسية .. ثم أشـــاح بوجهه بعيداً عنها ..

تحركت هي نحوه ، ونظرت له بعينين دامعتين وهي تهمس له بصوت شبه مختنق :

-انت .. انت كويس يا بني ؟ فيك حاجة ؟

صرخ فيها بصوت متشنج وهو يحدجها بنظرات أكثر قسوة :

-جاية بتسألي عني ولا بتطمني إن خطة أختك نجحت ؟!

إنفرج ثغرها بذهول وهي تردد بإستنكار :

-هــاه ، إنت .. إنت بتقول ايه ؟

هدر بها بإهتياج وقد برزت مقلتيه من محجريهما :

-ايوه ، ايوه مثلي دور الضحية !

ثم صمت للحظة ، ولوى فمه ليضيف بقســاوة :

-إنتو أمهات إنتو ، ده انتو تستحقوا الرجم والقتل !

ازدردت ريقها بإضطراب واضح ، وهتفت بصوت مرتجف :

-أنا مش فاهمة منك حاجة !!!

وضــع أوس يديه على كتفيها ، وهزها بعنف وهو يصرخ فيها بجنون :

-ايييييه ! مجاش في بالك للحظة إن تقى كان ممكن تروح مني ومالحقهاش ؟ ولا حتى حد ينقذها من الوسخ اللي اتقطع جوا ده ؟!

احتقنت عينيه ، واصطبغت بتلك الحمرة المميتة وهو يتابع معاتباً بصوت أكثر تشنجاً :

-طب مهانش عليكي ولا على اختك إني أتحرم من ابني قبل ما يشوف الدنيا ، ولا .. ولا تلاقيكي عاوزاني اتعذب زيك ؟!

هزت رأسها نافية ، ودافعت عن نفسها بتوسل :

-حرام عليك يا أوس ، أنا معرفش حاجة من اللي بتقولها دي

هزها بعنف وهو يصرخ فيها بإنفعال :

-كفاية كدب بقى

إختنق صوت تهاني ، وأجهشت بالبكاء وهي تبرر قائلة :

-انت .. انت بتظلمني ، أنا كنت سايبة تقى مع أمها وخدت ليان معايا نجيب الورق اللي يثبت جرايم مهاب من القصر !

تشنج وجهه أكثر ، وضغط على أسنانه بشراسة هادراً فيها بعصبية :

-اييييه ! كمـــان ، كنتي عاوزة تضيعي بنتك ، مكفاكيش أنا ، قولتي تخلصي من ليان بالمرة !!!

أشـــارت بكفها محتجة على إتهامه المجحف لها ، وردت عليه قائلة بنشيج :

-إنت غلطان ، والله أبداً ، أنا مكونتش عاوزاها تجي من الأول ، ورفضت ده ، بس .. بس هي صممت تعمل كده عشاني وعشانها وآآ....

قاطعها قائلاً بسخط جلي :

-أنا مش متخيل إن في أمهات زيكم ، لأ وأنا بإيدي دي جبتهم عندكم ، آآآآه !

شهقت بأنين وهي تتوسله بإستعطاف

-اهدى يا أوس واسمعني للأخـــر

ضاقت عينيه بحدة ، وأشـــار لها بإصبعه مهدداً بنبرة عدائية :

-صدقني يا .. يا مدام تهاني هاندمك إنتي وأختك عن كل لحظة أذيتي فيها تقى وليان ، ومش هتتهنوا لثانية !!

إنتحبت والدته بأنين مسموع وهي ترجوه أن يعطيها الفرصة للدفاع عن نفسها ، ورغم هذا لم يرقْ قلبه لها ، بل حدجها بنظرات نارية إحتقارية ، ثم دفعها بقسوة من كتفها بكتفه ، وابتعد عنها وهو يطلق سباباً لاذعاً .. ولكن أوقفه مسعف مـــا

ليضمد جراح يده ، فلم يعبأ به أوس ، ودفعه من صدره بعنف ليبحث عن قاتلة زوجته ليذيقها العذاب ..

لم تتحمل تهاني كل هذا اللوم بمفردها ، فركضت عائدة إلى أختها لتفهم منها حقيقة الأمـــر ...

....

انتهى المسعف من ربط رأس فردوس لوقف النزيف مؤقتاً ، والتفت قائلاً لزوجها بجدية :

-احنا هننقلها فوراً على المستشفى

رد عليه عوض بخفوت :

-ماشي ، شوف الصالح واعمله

هتفت تهاني بصوت متشنج ولاهث وهي تلوح بذراعها :

-استنوا !

ثم وقفت أمـــام سيارة الإسعاف ، وصرخت بإنفعال :

-عملتي ايه في بنتك يا فردوس ؟

جحظ عوض بعينيه ، وخفق قلبه بقوة عقب تلك الجملة الأخيرة ..

ابتلعت فردوس ريقها بصعوبة ، وتلعثمت وهي تجيبها بصوت واهن :

-آآ.. أنا ...!

إهتاجت تهاني صارخة بغضب وهي ترمقها بنظرات قاتلة :

-إزاي تعملي في تقى كده ؟

سألها عوض بهلع وهو يرمش بعينيه من التوتر :

-هي .. هي عملت ايه ؟

أضافت تهاني قائلة بتشنج :

-بقى انتي يا فردوس تموتي بنتك بإيدك ؟ طب ليييه ؟ هان عليكي تضحي بضناكي كده بالساهل ؟ إيش حال ما أنا قدامك بأموت عشان أخد ولادي في حضني تاني !!!

....

في نفس التوقيت بحث أوس بعينيه عن فردوس ليمسك بها قبل أن تفلت بجريمتها ، وتبعه رجـال حراسته ، فوجدها بالفعل عند

سيارة الإسعاف ، فكز على أسنانه بقوة ، وكور قبضة يده بشراسة ، ولكنه تسمر في مكانه حينما رأى تهاني أمامه وتتشاجر مع أختها بصوت جهوري غاضب .. فأشار لرجال حراسته بالتوقف ، والتراجع للخلف ، ثم تحرك بحذر ليقف على مقربة منهما ليراقبهما ......

....

هتفت فردوس بصعوبة وهي تنظر لأختها برجاء :

-غـ.. غصب عني .. كـ.. كان هايموتها

صرخت فيها تهاني بعصبية :

-مين ده ؟

أجابتها بصوت متقطع :

-طـ.. طليقك مهاب !

اشتعلت مقليتها بغضب وهي تردد بعدم تصديق :

-اييييه ؟ مهاب !!!!!!

تابعت فردوس مبررة بصوت واهن :

-خـ.. خوفت عليها منه .. وآآ..

هدرت فيها تهاني بقسوة :

-تقومي ترميها في النار بإيدك ؟ تموتي بنتك وحفيدك ؟

ذرفت فردوس العبرات وهي تقول بندم :

-عـ.. عقلي مكانش فيا ، وافتكرت إنها هترتاح لما أعمل ده !

لطمت تهاني على صدرها بكفها ، وهتفت بنشيج :

-حـــرام عليكي يا فردوس ، ضيعتي أخـــر فرصة ليا أقرب من ابني تاني ، هو مفكر الوقتي إني السبب في اللي حصلها ، لأ وكمان هايحرمني من ليان أخته !

حدقت فيها فردوس بنظرات أسفة وهي تهمس :

-أنا ..

ابتلعت تهاني غصة مريرة في حلقها ، فغباء أختها قد طالها ، وأفسد ما بينها وبين ابنها ..

هزت رأسها مستنكرة وأكملت بصوت منتحب يحمل التهكم :

-انتي استحالة تكوني أم أصلاً ، انتي معندكيش ذرة أمومة واحدة عشان تحسي باللي أنا فيه !!

أجهشت بالبكاء ، ودفنت وجهها في راحتي يدها ، وأصدرت شهقات متتالية مسموعة ، ثم رفعت عينيها لتعاتب أختها وهي تكمل بأنين :

-سنين كنت محرومة من عيالي ومن إني أسمع كلمة ماما من ابني الكبير ، اتبهدلت واتظلمت واتمرمطت واترميت في الشارع وعقلي مكانش فيا ، وجع قلبي زاد لما حرموني منه غصب عني ، اتقهرت وكنت بأموت مليون مرة في اليوم وأنا مش قادرة اطول ابني ولا أخده في حضني !

إحتضنت تهاني نفسها بذراعيها ، وأضافت بتحسر :

-جربتي إحساسي ده يا فردوس ، جربتي ولادك ينكروكي وإنتي عايشة ؟ جربتي تكوني أم ميتة بالنسبالهم ؟

أغمضت فردوس عينيها ندماً ، وهمست بصعوبة :

-آآ.. أنا

أكملت تهاني بآلم واضح في نبرتها الباكية :

-أنا كل يوم بأندم إني محاولتش أعمل أكتر من اللي أقدر عليه عشان أرجع أوس تاني لحضني ..!!

ثم صمتت لتكتم فمها بيدها فتمنع تلك الشهقة المريرة من الخروج ، واستطردت قائلة :

-ولما ..عرفت بإن ليان بنتي حـ.. حية لسه ، ومصدقت انها رجعتلي وبقت معايا !

رفعت عينيها في وجـــه اختها ، ورمقتها بنظرات تحمل الآسى ، وأكملت بمرارة :

-خـ.. خلاص راحت .. راحت مني بسببك إنتي !

توسلت لها فردوس بصوتها المختنق :

-سـ.. سامحني، أنا مقصدش

صرخت تهاني بوجــع كبير وهي تضرب رأسها بكفيها :

-آآآآه يا حرقة قلبي ، انتي النهاردة بعدتي ولادي عني للأبد ! منك لله يا فردوس ، منك لله !

لمعت عيني عوض ، وبدأ بالبكاء حزناً على ابنته ، وعاتب زوجته بصدمة :

-ليه يا فردوس ؟ هان عليكي بنتنا تقتليها ؟

نظرت إليه فردوس ، وهمست لها بأسف :

-عـ.. عوض .. إنت .. إنت مش عارف حاجة

ضرب كفه على كفه الأخر المسنود على عكازه وهو يردد بتحسر :

-إنا لله وإنا إليه راجعون ، إنا لله وإنا إليه راجعون !

ثم أولاها ظهره ، وغمغم مع نفسه بحزن كبير .. فجاهدت فردوس لترفع نبرة صوتها وهي تقول برجـــاء :

-اسـ.. استنى .. يا عوض ، طب اســ.. اسمعوني للأخـــر !

....

شعـــر أوس بأنه تلقى موجات حـــادة من الصدمات المتتالية التي أصابت تفكيره بالعجز ...

حالة من الإستياء والسخط سيطرت عليه .. وجعلته متخبطاً في الوصــول لقرار نـهائي بشــأن كل شيء ...

نعم لقد أصبح في وضعية يُحسد عليها ، ما بين مطرقة تهاني التي دفعت بتهورها شقيقته لتقف في مواجهة غير محمودة العواقب مع أبيه المتحجر القلب واعترافها بمعاناتها التي لم تفارقها للحظة منذ ابتعادها عن فلذات كبدها ، وبين سندان فردوس التي أثرت أن تتخلص من جنين ابنتها بالإتفاق مع نفس الشخص القاسي ، فخسرت للأبد من لم تتأخر للحظة عن الدفاع عنها حتى بروحها .. وكلتاهما بلا أدنى تفكير عاقل ألحقت الأذى بأقرب أحبائهم ...

لقد بات أوس بمفرده الآن هو الشخص الوحيد الموكل إليه – رغماً عنه - أن يقف في مواجهة نهائية محتومة المصير مع والده ليحسم كل شيء ... وللأبد

.... !!!

....

الفصل السادس والعشرون :

عند العيادة النسائية ،،،

أوقف السائق السيارة الجيب أمـــام مدخل عيادة الطبيبة بارسينيا ، ثم ترجل عدي منها ، وفتح الباب الخلفي ، ومرر جسده للداخل ليتمكن من حمـل تقى ، وعاونته ليـــان في إسنادها ، فأشـــار لها بعينيه قائلاً بجدية :

-سبيها ، أنا ماسكها كويس

هزت رأسها إيجاباً وهي تهمس بنعومة :

-اوكي

اتجه عدي نحو درجـات المدخل ، وصعد عليه بحرص شديد ، ودلف إلى الداخل ولحقت به ليـــان دون تردد ..

رأتهما الطبيبة بارسينيا ، فركضت نحوهما ولوحت لمساعديها بيدها وهي تهتف بجدية :

-هاتوا المدام بسرعة على أوضة الكشف

ثم تسائلت بقلق وهي تتفحص وجه تقى ورسغها :

-حصلها إيه ؟

أجابها عدي بصوت لاهث :

-احنا مش عارفين

أردفت الطبيبة بارسينيا قائلة بتجهم :

-يا جماعة مش أنا منبهة أكتر من مرة تاخدوا بالكم منها كويس ، وتبعدوها عن أي جو فيه توتر أو ضغط نفسي لأنه ممكن يأثر عليها وتخليها تفقد الجنين !

شهقت ليان بصدمة وهي تضع كفيها على فمها :

-ايه ، لألأ !

نظر عدي نحوها بقلق ، ثم عــاود التحديق في بارسينيا ، وأضاف بنبرة يشوبها التوتر :

-هي لما هاتفوق أكيد هاتحكي عن اللي حصل !

مطت ثغرها وهي تقول بحذر :

-عامةً أنا هافحصها حالاً ، ولما تفوق نتكلم !

أحضـــرت ممرضة مــا الـ (ناقلة) الطبية ، ومدد عدي تقى عليها ، ثم فردت ممرضة أخـــرى ملاءة نظيفة عليها لتغطي جسدها ، ودفعتها الاثنتين نحو غرفة جانبية .. ولحق بهم عدي وليــان ، ولكن أشـــارت الطبيبة بارسينيا بكفها لهما قائلة بإعتراض :

-هستأذنكم تنتظروا هنا شوية !

تنهد عدي بإنهاك وهو يهز رأســـه موافقا :

-طيب

أصرت ليان على الدخـــول ، فهتفت متذمرة :

-بس أنا عاوزة أطمن عليها وأشوف حالة البيبي

ردت عليها الطبيبة بنبرة جـــادة ووجهها يكسوه تعابير جامدة :

-أنا هاطمنك ، بس رجاء انتظري

أضـــاف عدي بحذر وهو يضع كفه على كتفها :

-اسمعي الكلام يا ليان !

ضغطت ليان على شفتيها قائلة بإستسلام وهي تزيح كفه عنها:

-اوكي

اختفت الطبيبة بالداخل ، وتراجعت ليـــان نحو المقاعد المعدنية الموضوعة على الجانب لتجلس على أحدهم ..

ضمت هي أصابع يدها معاً وتنهدت بحزن ، وأخفضت رأسها للأسفل فإنسابت خصلاتها على جانب وجهها لتشكل حجاباً بينها وبينه ، وظلت تهز ساقيها بعصبية واضحة عليها ..

راقبها عدي بشغف ظاهر في عينيه ، كم ود أن يحتضنها ويربت على ظهرها بقوة فيبث إليها شعور الآمــان .. ولكنه عجز عن فعل هذا .. فأغمض عينيه يائساً ، وآثــر البقاء في مكانه حتى لا يزعجها بقربه فتنفر منه ..

....

عند المستوصف الشعبي ،،،

قست عيني أوس بشـــدة بعد إستماعه لتلك المصارحة المقيتة بين الأختين ، وأدرك من خلالها مدى بشاعة تصرفات فردوس كــأم تلقي بإبنتها في هوة سحيقة مدعية خوفها عليها وحمايتها الزائفة من بطش أبيه مقارنةً بوالدتها التي تكافح للحصول على رضائه ومغفرته ..

ما لم يعلمه أيضاً هو مقايضتها لحياة ابنه بمبلغ نقدي ..

كذلك استشعر لأول مرة صدق مشاعر والدته ، وعدم حنقه عليها كما إعتــاد أن يظن فيها .. فإرتبك من تلك المشاعر الغريبة التي أصابته بالحيرة والتخبط ...

شـــرد مع نفسه ليفكر ملياً في عدة قرارات مصيرية ستضع جميع الأمــور في نصابها الصحيح .. ولكن قطع تفكيره المتعمق والمشحون صوت أحد أفراد حراسته الخاصة وهو يســأله بهدوء :

-هانعمل ايه يا باشا ؟

انتبه له أوس ، وحدق فيه بنظرات فارغة ، وهتف بجمود وهو يشير بإصبعه :

-عاوز حراسة تطلع مع الست دي وماتسبهاش للحظة لحد ما أجيلها بنفسي

هز الحارس الأمني رأسه قائلاً بخنوع :

-تمام معاليك !

بحث بعينيه عن تهاني فلم يجدها واقفة ، فشردت عينيه عفوياً بحثاً عنها ، ولكنه قــاوم ذلك الشعور ..

استمع الجميع إلى صوت صافرات سيارات الشرطة ، فإستدار أوس برأســـه للخلف ، وتابع بجدية صارمة وهو يحدث باقي رجـــاله :

-كلكو تيجوا معايا ، هانمشي من هنا حالاً !

رتب أوس أولويـــاته على حسب أهميتها ، ووضع على قمة القائمة الذهاب فوراً إلى العيادة النسائية للإطمئنان على تقى وحالة الجنين ....

....

ســـارت تهاني هائمة على وجهها وهي تجر أذيال الخيبة وراء ظهرها لاعنة الظروف القهرية التي تفسد كل فرصـــة لإصلاح ما مضى ..

لم تمنع نفسها من البكاء أمـــام المارة ، ولا من التحسر على حالها بعبارات مبهمة ..

شعرت بثقل في ساقيها ، وبعدم قدرتها على المشي ، فألقت بجسدها على أقرب رصيف ، وضربت بكفيها على ركبتيها وهي تهز رأسها بإستنكار واضح ..

رفعت بصرها للســماء ، وهمست بآسى :

-يا ربي أنا مظلومة ، خد بإيدي وساعدني على اللي أنا فيه ! آآآآه

نكست رأسها في إذلال ، وأسندت كفيها عليه ، وتابعت بكائها المرير ..

اقترب منها عوض ، وأشفق على حالها ، ، ثم استطرد حديثه مواسياً إياها :

-قومي يا ست تهاني ، مالهاش لازمة الأعدة كده

لطمت على رأسها قائلة بحزن مرير :

-آآآآآه .. كل حاجة راحت من إيدي

زم فمه قائلاً بخفوت :

-لا حول ولا قوة إلا بالله ، سبيها على الله وربنا كريم

ردت عليه بإستياء وعينيه مغرورقتان بالعبرات :

-ونعم بالله ، بس .. بس خلاص مافيش أمل ، ولادي راحوا مني وخسرتهم للأبد ! وكله بسبب مراتك

تنهد قائلاً بآســى :

-حسبي الله ونعم الوكيل ، فرطت في أغلى حاجة عندنا ، منها لله ، ضيعت النعمة من ايدها !

صاحت تهاني بنبرة متشنجة وهي تلطم صدرها :

-يا رب خدني وريحني ! هاعيش لمين بعد ولادي ، دول .. دول كانوا الأمل اللي عايشة عشانه !!!

عاتبها عوض قائلاً بهدوء :

-متقوليش كده ، ده مافيش حاجة بعيدة عن ربنا ، ادعيه وهو هيستجيب سبحانه القائل ((وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ))

رفعت تهاني بصرها للسماء ، وهمست بتضرع :

-يا رب ! كُن معايا وانصرني .. يا رب .. اكشف الحقيقة واظهر براءتي قدام ابني !

هـز رأســه قائلاً بنبرة شبه فاترة ووجهه يكسوه الحزن :

-أمييين ، يالا ، قومي ، خلينا نرجع البيت ، معدتش في حاجة مستاهلة نقعد عشانها !

هزت رأسها مستسلمة ، وإستندت على مرفقيها لتنهض عن الرصيف ، وســارت بخطوات متمهلة خلف العم عوض نحو أحد الأزقـــة الجانبية والمؤدية لمدخل الحــارة ولكن أوقفهما صوت رجل ما قائلاً بقوة :

-يا مـــدام !

إلتفتت تهاني برأسها للخلف ، وضيقت عينيها وهي تســأله بإستغراب :

-انت عاوزني ؟

دققت النظر في ملامحه حينما اقترب منها ، وأدركت أنه أحد رجــال الحراسة الخاصة بإبنها ، فســألته بخوف :

-في حاجة تانية حصلت ؟

أجابها الحارس بنبرة رسمية :

-لا يا مدام ، بس أنا جاي أسلم حضرتك الشنطة دي

حدقت هي في الحقيبة التي بحوزته ، واتسعت عينيها بصدمة ، فقد عرفتها على الفور ، إنها تخص إبنتها ليــان ، والتي كانت تضع بها الأوراق الخاصة بمهاب ....

تابع الحارس الخاص قائلاً بجدية :

-ليان هانم بلغتني قبل ما تمشي مع الباشا عدي إني أوصل الشنطة دي لحضرتك ، وأنا كده مهمتي خلصت

لم يضفْ المزيد ، وأولاها ظهره ليتركها على حالتها المذهولة تلك ..

نظر لها عوض بتعجب ، وسألها بعدم فهم :

-شنطة ايه دي ؟

ردت عليه بإستياء كبير ، وقد تحولت نظراتها للكآبة :

-دي الشنطة اللي خدت مني أخــر أمل في إن ولادي يرجعولي !

....

في العيادة النسائية ،،،،،

لم يبعد عدي عينيه عن ليــان ، وأرهقه التفكير في حالها ، كما دفعه شوقه للتحرك نحوها والحديث معها .. فرك طرف ذقنه بإصبعيه ، ثم حسم أمره ، وإستجمع شجاعته ، وســار ببطء في اتجاهها حتى وقف قبالتها ، فإبتلع ريقه بإرتباك .. وسلط أنظاره عليها ، وهمس لها بتلعثم :

-لـ.. ليان ! أنا آآ.....

لم يكمل عبارته فقد استمع لصوت أنينها المكتوم ، فخفق قلبه هلعاً عليها ، وجثى أمامها ، ثم أحـاط وجهها بكفيه ورفعه إليه ، وسألها بتلهف وهو محدق بها بخوف :

-مالك ؟ في ايه ؟ حصلك حاجة ؟!

رفعت عينيها نحوه ، وحدقت فيه بنظراتها الباكية ، وأجابته متسائلة بنبرة مرتجفة :

-هي .. هي تقى ممكن تخسر البيبي ؟

اتسعت مقلتيه مصدوماً ، ومسح عبراتها بأنامله ، وأجابها بقلق :

-مافيش حاجة هاتحصلها ، اهدي انتي بس !

شهقت بخفوت وهي تتابع بصوت متقطع :

-دي .. دي ممكن تموت لو راح منها !

اصطكت أسنـــان ليان ببعضها البعض ، وأصدرت صوتاً خفيضاً من فمها وهي ترتجف بجسدها ..

أخفض عدي يديه ليمسك بكفيها ، فشعر ببرودتهما الشديدة ، وهتف بخـوف أكبر :

-ليان .. انتي .. انتي بتترعشي ؟

ثم فرك كفيها المرتجفين بقبضتيه ليبث فيهما الحرارة ، ونـهض من مكانه ليجلس إلى جوارها على المقعد ، وبلا تردد جذبها إلى حضنه ، فإتكـأت هي برأسها على كتفه ..

لف عدي ذراعيه حولها ، وضمها بقوة وشوق إليه ، وأسند طرف ذقنه على رأسها ، بينما بكت هي بحرارة أحسها على صدره .. فرفع يده على شعرها ، ومسد عليه قائلاً بصوت رخيم بعد أن أغمض عينيه أسفاً :

-متخافيش يا ليان ، كل حاجة هاتبقى تمام !

وكـأن كلماته كانت كالمهديء بالنسبة لها ، فإستكانت إلى حد ما معه ..

تنهد عدي مطولاً وهو يقبلها من أعلى رأسها .. فأحست هي بدفيء حضنه ، وبنوع من الراحة والسكينة معه ..

....

وصـــل أوس إلى العيادة ، ونظر حوله بتلهف باحثاً عن تقى ، فوقعت عينيه على رفيقه وهو يحتضن شقيقته الصغرى ، فصـــاح بهما :

-عدي ، ليـــان ! فين تقى ؟

أرخى عدي ذراعيه عن زوجته ، ورفع رأسه نحوه ثم نهض من على المقعد ، و أجابه بجدية رغم الإرتباك البادي عليه :

-هي .. هي جوا ! معاها الدكتورة بارسينيا !

هبت ليـــان هي الأخـــرى واقفة من مكانها ، فأصابها دوار مفاجيء ، فترنحت قليلاً ، ووضعت إصبعها على مقدمة جبينها ، فأسندها عدي بذراعه ، وسألها متوجساً :

-ليان انتي بخير ؟

ردت عليه بخفوت وهي تهز رأسها بخفة :

-ايوه

اقترب منها أوس ، ولف كفه حول مؤخرة عنقها ، وهمس لها بإنزعاج :

-في حاجة تعباكي ؟

ردت عليه بصوت خفيض :

-أنا بخير ، صدقوني ، بس تلاقيني دوخت من المجهود !

أردف عدي قائلاً بجدية :

-اقعدي يا ليان ، متقفيش الوقتي !

ثم أجلسها عنوة على المقعد ، وفرك كتفيها بقبضتيه ..

تسائل أوس بخوف واضح في نظراته :

-مافيش أخبار عن تقى ؟ الدكتورة مقالتش حاجة تطمنكم ؟

هــز عدي رأسه نافياً وهو يجيبه بصوت خافت :

-لأ لســه ، احنا مستنينها تخرج من جوا

ازدرد أوس ريقــه بتوتر كبير ، ومرر أصابع يده في خصلات شعره ، ثم تحرك بعصبية حول نفسه ..

ســأله عدي بإهتمام وهو محدق به :

-إنت عملت ايه ؟

تنهد أوس بتعب مجيباً إياه بإيجاز :

-بعدين هاحكيلك

تذكر أوس وهو في قمة إنشغاله بزوجته ما حدث مع أخته من إستدراجها للقصر لسرقة أوراق هامة من غرفة أبيه .. فإقترب منها ، وأمسك بكف يدها ، وسألها بخوف وهو يطالعها بنظرات قلقة :

-ليان ، قوليلي حصلك حاجة وإنتي في القصر ؟ حد آذاكي هناك ؟

رفعت عينيها في عينيه ، وحدقت فيه مصدومة وهي تسأله بتلعثم :

-هو .. هو.. إنت عرفت باللي عملته ؟

قطب عدي جبينه متسائلاً بعدم فهم :

-هو في ايه ؟

تجاهله أوس ، وظل محدقاً بشقيقته الصغرى ، ورد عليها معاتباً :

-أيوه عرفت ، ومكانش لازم تروحي هناك أبداً ، إنتي بكده بتأذيكي نفسك

ردت عليه معترضة :

-لأ .. مش هاينفع أسيب مامي من غير ما أجيب حقها !

إستأنف أوس حديثه بنبرة أكثر جدية وقد ضاقت نظراته :

-انت عارفة كان ممكن يحصلك إيه بسبب تهورها ؟!!!

وقف عدي كالمتفرج الصامت ولم يقاطع حديثهما .. ولكن اصطبغت بشرته بحمرة غاضبة ...

تنهدت ليان بخفوت ، وتابعت مدافعة بإصرار :

-هي مكانتش راضية خالص ، ومنعتني ، بس أنا كنت عاوزة أوصل للحقيقة وأساعدها بعد كل اللي عرفته

تأمل أوس وجهها بدقـــة ، وسألها بنبرة جادة وهو يضغط على شفتيه :

-هي قالتلك ايه بالظبط ؟؟

أخذت نفساً عميقاً ، وزفرته على مهل ، ثم أجابته بحذر :

-مامي مش خبت عني حاجة

لمعت عيني أوس ، وظهر فيهما بريق غريب .. فتابعت ليان حديثها بصوت رقيق :

-وعلى فكرة هي بتحبك أوي ، ومش وحشة زي ناس كنا مفكرينهم أهلنا

إلتوى فمه ليبتسم بتهكم ، ثم مسح على وجنتها بكفه ، وحدق فيها بنظرات غامضة ، وقال مبتسماً :

-ليان انتي صغيرة وعواطفك هي اللي بتتحكم فيكي

حركت رأسها معترضة ، وأردفت مدافعة عنها بثقة :

-لأ يا أوس ، عمري ما هانسى احساسي بالأمان وأنا في حضنها ، ولا نظرات الخوف اللي في عينيها عليا !

استشاط عدي غضباً من عدم إستطاعته فهم ما يدور ، وخاصة حينما تلمس من الكلمات المقتضبة وجود خطر ما متعلق بزوجته ليان ، فصـــاح محتجاً بنبرة شبه غاضبة :

-حصل ايه يا أوس ماتسبنيش زي الأطرش في الزفة كده !

إعتدل أوس في وقفته ، ونظر له بغموض ، ثم ربت على كتفه وهز رأسه قائلاً بإقتضاب :

-هاقولك بعدين

إرتفعت نبرة صوت عدي قليلاً وهو يهتف بـ :

-هي مش مراتي برضوه ؟!

رد عليه أو س بهدوء حذر :

-أنا عارف ، بس الموضوع ده مكانه آآ....

لم يكمل الأخير جملته حيث خرجت الطبيبة بارسينيا من الداخل وعلى ثغرها ابتسامة مطمئنة .. فركض أوس نحوها ، وسألها بتلهف :

-تقى عاملة ايه الوقتي ؟

وقف إلى جواره كلاً من عدي وليـــان ، وبدى عليهما الترقب والإهتمام كثيراً لمعرفة أحوالها ..

أشـــارت لهم بارسينيا بكفها وهي تجيب قائلة بإبتسامة ودودة :

-هي أحسن دلوقتي ، وبدأت تفوق من المخدر !

اتسعت مقلتي أوس بغضب جلي وهو يردد بشراسة :

-مخــــدر !

بررت بارسينيا قائلة بهدوء وهي توزع نظراتها بينهم :

-ايوه ، كانت أخدة نسبة بسيطة رغم إن احنا محذرين ممنوع أي مواد مخدرة خلال الشهور الأولى من الحمل عشان ميأثرش على الجنين

كـــز أوس على أسنانه بشراسة ، وكور قبضة يده بغضب ، وهمس لاعناً بصوت محتقن للغاية :

-ابن الـ **** !

تابعت الطبيبة قائلة بنبرة مهذبة :

-عموماً هو الموضوع مش خطير ، بس بأكد تاني على إنكم تبعدوا المدام عن أي ضغوط نفسية !

تسائل أوس بتلهف :

-ينفع أشوفها ؟

هزت رأسها موافقة وهي تجيبه بهدوء :

-أكيد ، بس مافيش داعي كلكم مرة واحدة

ربت عدي على كتف رفيقه ، وضغط على شفتيه قائلاً بنبرة هادئة :

-خش إنت يا أوس شوف مراتك واطمن عليها ، وأنا هستناك هنا مع ليـــان

نظر له أوس ممتناً قبل أن يندفع بتلهف نحو الداخــل ...

....

في المشفى حكومي ،،،

تحركت سيـــارة الإسعاف التي تقل فردوس إلى أقرب مشفى حكومي عــام ، وتم إيداعها في غرفة الطوارىء لتلقي العلاج اللازم بعد تلك الضربة القوية التي تلقتها على رأسها ..

لم تكف هي عن البكاء ولا عن النحيب طـوال الطريق ..
آلمتها كلمات أختها الموجعة ، فأشعرتها بحقارتها ، ودناءتها ..

خشيت أن تخبرها أنها تلقت أمــوالاً نظير القيام بتلك الجريمة النكراء حتى لا تنبذهــا للأبد .. وفضلت أن تخفي الأمر تماماً عن الجميع ....

انتهى طبيب الطواريء من خياطة جرحها الغائر ، وضمده مرة أخــرى ، ثم أشــار لممرضة مرافقة له للتصرف معها بعد أن حدثها بلهجة منزعجة ..

أسندت الممرضة فردوس بعد أن أنزلتها عن الفراش لتخرج بها إلى الإستقبال .. فأصــاب الأخيرة صداعاً هائلاً .. وشعرت بإزدواجية الرؤية وهي تحاول التطلع أمامها ، فضيقت عينيها وهي تكتم آلامها ...

سألت تلك الممرضــة فردوس بنبرة ممتعضة وهي تُجلسها على مقعد قديم بالخــارج :

-انتي يا ست مالكيش أهل ، أو حد يدفعلك تمن التذكرة ؟

أجابتها بصوت واهن وهي تتأوه من الآلم :

-هــه ! لأ موجودين ، تـ.. تلاقيهم بس آآ...

قاطعتها الممرضة قائلة بإزدراء :

-بصي انا مش هاقدر أدخلك العنبر جوا إلا لما حد يدفعلك الفلوس ، دي أوامر مدير المستشفى ، والدكتور كتر خيره يخيطلك الجرح عشان يوقف النزيف ، لكن غير كده ميقدرش يعملك حاجة زيادة

نظرت لها فردوس بذهول رغم إهتزاز صورتها أمامها ، وسألتها معترضة :

-ايه اللي بتقوليه ده ؟ مش انتو دكاترة ودي مستشفى ؟

ردت عليها الممرضة بجمود :

-ايوه ، بس النظام هنا غير !

تجهم وجــه فردوس ، وصاحت بسخط :

-حرام عليكم مافيش في قلبكم شوية رحمة للي زيي !!

تابعت الممرضة ببرود مستفز وهي تلوح بيدها :

-دي الأوامر ، المستشفى كل يوم بتدغدغ بسبب الخناقات وأهالي المصابين اللي مش بيعجبهم العجب ، ومحدش بيدفع مليم واحد ، وبنلبس احنا في تمن الإصلاحات ، فمدير المستشفى منبه اللي يقعد هنا يكون دافع ، غير كده يبقى بالسلامة

أغمضت فردوس عينيها متآلمة ، وتحسست رأسها بحذر ، ثم استطردت قائلة بتهكم :

-هو ... هو أنا كان معايا وقولت لأ .. شوية بس وحد من أهلي يجي وآآ...

قاطعتها الممرضة بجمود :

-أديني سيباكي أعدة هنا لحد ما يظهرلك قريب ، بس لو مجاش حد متأخذنيش هاتطلعي برا!

هزت فردوس رأسها مستنكرة ، وغمغمت وهي تئن بتحسر :

-آآه يا مين يساعدني !

زاد إحساسها بصعوبة الرؤية ، فنكست رأسها للأسفل ، وحدثت نفسها بألم :

-آآه ، هو أنا ناقصة الزغللة دي كمان !

....

في العيادة النسائية ،،،،

ولج أوس إلى داخــل غرفة الكشف ، ودقــات قلبه تكاد تخترق أذنيه من فرط الخوف والتوتر ..

تسارعت أنفاسه ، ونهج صدره علواً وهبوطاً وهو يبحث بعينيه عن تقى ..

لمح ذلك الحائل القماشي في أحد الزوايا والذي يحجب ورائه فراشاً طبياً ، فإزدرد ريقه بقلق واضح ...

بخطوات ثابتة وثقيلة ســار في إتجاه الحائل .. ثم رفع يده ليزيحه للجانب ، ومن ثَم أطـل برأسه لتقع عينيه عليها ..

مرر نظراته رويداً رويداً على جسدها حتى وصـل إلى وجهها الذي يشتاقه ..

لمعت عينيه بسعادة حقيقية ، وإرتسمت إبتسامة مشرقــة على ثغره حينما رأى ملامح وجهها هادئة ..

دنا منها أكثر ، ومــد كفه ليمسك بيدها .. فتحسس أصابعها بإبهامه ، ثم انحنى عليها بجذعــه ، وبيده الأخــرى مسح على جبينها برقــة ..

همس لها بنبرة متريثة رغم تلهفه :

-تقــى .. حبيبتي ! أنا .. هنا جمبك !

حركت جفنيها المغمضين بحركة شبه عصبية .. فإبتسم أكثر ،

ثم مـــال برأسه أكثر عليها ، و طبع قبلة حـــارة على ما بين حاجبيها ، وتابع هامساً بإشتياق:

-ماتبعديش عني تاني !

أبعد رأســـه تدريجياً عنها ، ولكنه ظل يتأملها بنظرات والهة عاشقة لها ..

جلس على طرف الفراش إلى جوارها ، والتقط كفيها بكفيه ، وفركهما بنعومة ، ثم سحب يده ليضعها في جيبه ، وأخــرج منها فردة الحذاء الصغيرة ، ووضعها في راحة يدها ، وأغلقها عليها بأصابعه بحرص .. ثم رفع كفها إلى فمه ليقبله وهو يقول بصوت خافت للغاية :

-انتو الاتنين أغلى ما عندي ، ومش هاسمح لحاجة تأذيكم ، ولا حد يقرب منكم أو يبعدكم عني !

فتحت تقى عينيها بتثاقل ، ورمشت عدة مرات لتعتاد على الإضــاءة ، ثم حركت رأسها قليلاً لتجد أوس يطالعها بنظرات مطمئنة ، فظلت شــاردة لبرهة محاولة تذكر ما حدث ، فعبس وجهها ، وزاغت أنظارها بخوف بعدما هاجمها سيل من ومضات سريعة مما تعرضت له ، فإتسعت مقلتيها بذعــر واضح ، وشهقت قائلة بنبرة مرتجفة وهي تهز رأسها بعصبية :

-مـ.. معرفتش أبعده ، هياخد ابني مني ، مـ.. ماما آآ.. هي قالتلي هانزور واحدة غلبانة ، بس مكنش فيه إلا هو وآآ.. وكان آآ...

لف أوس ذراعيه حولها ، وجذبها ناحيته ، ليضمها إلى صدره ، وقاطعها ضاغطاً على شفتيه بقوة محاولاً السيطرة عليها :

-ششششش .. اهدي يا تقى ، مافيش حاجة حصلت !

دفنت رأسها في صدره ، وبكت برعب وهي تتابع بصوت متشنج ومتقطع :

-صدقتها .. وهي .. وهي كانت آآ...

مسح أوس على ظهرها بكفيه محاولاً طمئنتها ، بينما احتقن وجهه من شدة الغيظ ، وأطلقت عينيه شرراً مستطراً ، ولكنه جاهـد ليسيطر على غضبه ، وهمس لها بصوت شبه هاديء :

-متفكريش في اللي حصل ، انتي كويسة ، وابننا بخير !

تابعت متسائلة بصدمة واضحة :

-طب ليه ؟ ده .. ده أنا .. كنت مستعدية أموت عشانها ، وآآ..وأعمل أي حاجة ترضيها وآآ....

قاطعها بنبرة متألمة ومواسية ، وهو يضغط على رأسها بذقنه :

-انسي يا تقى ، متفكريش فيها يا حبيبتي ، أنا هنا معاكي !

تشنج صوتها وهي تهمس بتلعثم :

-دي ..دي أمي ، يعني آآآ...

احتضن أوس وجهها براحتيه بعد أن أرجعه للخلف ، وقاطعها قائلاً بإبتسامة باهتة :

-خلاص يا حبيبتي !

نظر لها مطولاً ، ومسح بأصبعيه عبراتها الدافئة المنهمرة على وجنتيها ، وأردف قائلاً بحماس محاولاً صرف تفكيرها عما صـار معها :

-شوفي ايدك فيها ايه !

أخفضت عينيها وهي تنظر إلى ما وضعه في كفها ، ففغرت ثغرها مصدومة ، وتحسست حذاء الرضيع .. وإرتجفت شفتيها وهي تحاول النطق ..

فبادلها بإبتسامة عذبة وهو يهمس لها بحنو :

-كل حاجة هتبقى تمام

ردت عليه بحرج وهي تعبث بالحذاء الصغير بأناملها :

-أنا.. أنا سبت بتاعتي في البيت عند بابا

قاطعها بجدية قبل أن تكمل عبارتها فتنخرط في الأحزان التي لا تنتهي :

-هاجيبهالك !

توردت وجنتيها وهي تهمس بتلعثم وبصوت خفيض للغاية :

-مـ.. موبايلي كمان ضـاع في الـ .. الـ آآ...

قاطعها بوضع إصبعه على شفتيها مردداً بجدية :

-مش مهم ، أنا هاشتريلك غيره

رسم على ثغره إبتسامة متحمسة وهو يضيف:

-تعرفي النهاردة عملت ايه مع عوض .. آآ.. قصدي أبوكي ؟

نظرت له بإهتمام وقد استحوذ حديثه على انتباهها ..

أكمـل بإبتسامة ودودة :

-خدني للجامع ، وقابلت شيخ فيه ، زي ما يكون كان مستنيني أجيله ، ولأول مرة في حياتي خلاني أجرب أصلي !

رمشت بعينيها وهي مصغية لما يقول وعلى ثغرها ابتسامة هادئة .. بينما إستأنف حديثه بعد أن تنـهد بعمق :

-احساس رهيب حسيت إنه بيسيطر عليا ، حاجة كده مش عارفة أوصفها .. بس .. بس ارتحت كتير بعدها

طالعته بنظرات ممعنة وهي تراقب حديثه عمـا فعله ، في حين أشــار هو بكفه وهو يقول بنبرة مليئة بالشجن :

-أنا عملت ذنوب كتير في حياتي وماندمتش عليها ..لـ .. لدرجة إني مابقتش فاكر امتى عملت خير !

صمت لثانية قبل أن يكمل بإبتسامة :

-بس .. انتي أول حد غيرتي فيا من غير ما تحسي لحد ما بقيت على ايدك مجنون تقى !

شعرت بالإطراء من كلماته الأخيرة .. فتحمس ليضيف :

-عارفة يا تقى ، لما نعدي اللي احنا فيه ده هاخدك على آآ....

-حمدلله على سلامتك يا مدام تقى

قالتها الطبيبة بارسينيا بصوت مرتفع نسبياً مقاطعها حديثهما الخاص وهي تتجه نحوهما بخطى سريعة ..

نهض أوس عن الفراش ، وسلط أنظاره عليها ، بينما تابعت الأخيرة قائلة بجدية :

-أتمنى إنك ترتاحي الفترة اللي جاية وتغيري جو على الأقل عشان نفسيتك !

إستدار أوس برأســه للخلف ، ورمق تقى بنظرات مطولة تعكس القليل مما يشعر به نحوها ، وتشدق قائلاً بثقة :

-أنا بنفسي هتأكد من ده !

دلف إلى الغرفة ليــان ومن خلفها عـدي ، فهز الأخير كتفيه في حيرة وهو يقول بإستسلام :

-مرضيتش تستنى اكتر من كده برا

أسـرعت ليـــان ناحية تقى ، ولفت ذراعيها حولها وإحتضنتها بتلهف واضح ، وأسندت رأسها على كتفها ، وسألتها بقلق :

-انتي كويسة ؟ البيبي تمام ؟

ربتت تقى على ظهرها ، وردت بإيجاز وهي تطالع أوس بنظراتها الناعمة :

-ايوه

تراجعت ليـــان للخلف ، وبكت فرحاً وهي تهتف بحماس :

-يـــاه ، أنا كنت خايفة أوي عليكي وعليه

استغربت تقى من حالتها ، وسألتها متعجبة :

-انتي بتعيطي

مسحت ليـــان عبراتها بظهر كفها ، وضحكت وهي تجيبها بخجل :

-باين كده !

وقف أوس قبالة عـدي ، وأخفض نبرة صوته وهو يحدثه بجدية :

-عاوزك تاخد تقى وليان على البيت عندي وتفضل معاهم ، وتجيب معاك حراسة كتير تأمنهم

سـألـه عدي بتوجس وهو محدق به بنظرات حادة :

-إنت ناوي على ايه ؟

رد عليه بإقتضاب وقد أصبحت ملامح وجهه صارمة للغاية :

-بعدين هاتعرف

أمسك عدي به من ذراعه ، وضغط عليه بأصابعه قائلاً بتحذير :

-أوس ، بلاش تتهور ، اهدى واتصرف بالعقل !

رد عليه أوس ببرود قاتل ، وقد تحولت نظراته للقتامة والظلمة :

-أنا لو مكنش فيا عقل كنت عملت جنايات قتل كتير ، بس لحد الوقتي أنا ماسك نفسي !

اضطرب عدي كثيراً ، وتيقن أن رفيقه على وشك التهور وبشراسـة ، فهتف محتجاً بخفوت :

-انت .. انت لو آآ..

قاطعه أوس بصرامة أشـد وهو يرفع رأسـه للأعلى بعنجهية :

-خلاص يا عدي ، نفذ اللي قولت عليه ، وسيبني أتصرف بطريقة أوس الجندي !!

رد عليه عدي بتوجس كبير وهو يبتلع ريقه :

-ويا خوفي من طريقتك ....!!

....

الفصل السابع والعشـرون (الجزء الأول) :

في سيارة أوس الجندي ،،،،،

قــــاد أوس سيارته بنفسه بعد أن عَهِد لرفيقه عدي مهمة الإعتناء بزوجته وشقيقته أثناء غيابه ..

رن هاتفه ، فإلتقطه من على تابلوه السيارة ، وأجــــاب على الإتصــــال الهاتفي الذي أتـــــاه من أحد حراسه المسئولين عن مراقبة فردوس ، وأردف قائلاً بجدية :

-المدير نفذ الأوامر ، وطردها من المستشفى ، ورفض أي حد يعالجها زي ما حضرتك أمرت

أصغى إليه أوس بإنتباه تام ، ثم استطرد حديثه متسائلاً بجمود :

-وهي راحت فين دلوقتي ؟

أجابه الحارس بنبرة رسمية :

-في طريقها للحـــارة !

هــز أوس رأسه بخفة ، وتابع بإيجاز :

-تمام ، خليك مراقبها وبلغني بالجديد !

رد عليه الحارس بخنوع :

-حاضر معاليك

ثم أنهى معه المكالمة ، وتابع قيادة السيارة إلى وجهته الهـــامة ...

....

في منزل أوس الجديد ،،،

أوصـــل عدي كلاً من ليـــان وتقى إلى منــزل أوس ، ثم وقف بالخـــارج ليهاتف شركة الحراسات الأمنية لترسل طاقماً خاصاً لتأمين مدخل البناية والمنزل .. وهاتف بعدها سكرتيرة الشركة لتأجيل كافة المواعيد والإرتباطات ليوم أخــر ..

عاونت ليــان تقى في الجلوس بداخل غرفة نومها ، ورغم إعتراضها على هذا إلا أنها لم تكن قادرة على المجادلة ، فالتعب والإنهاك باديان عليها بصورة واضحة

أحضرت لها المدبرة عفاف ثياباً منزلية فضفاضة لتبدل ملابسها فيها ..

في حين أعدت لها ماريا طعاماً ساخناً وشهياً لتتناوله ، ولكنها رفضت ، وفضلت أن تستلقي قليلاً ..

تمددت ليان إلى جوارها حتى غفت ..

كانت تقى مرهقة بدرجة كبيرة ، فلم يمضِ عليها إلا لحظات حتى غطت في نوم عميق ..

مسحت ليــان على شعرها بحركة دائرية ثابتة ، ونظرت لها بإشفاق وهي تهمس بأسف :

-أكيد كان صعب عليكي أوي !

وضعت عفاف يدها على كتف ليان ، وضغطت عليه برفق هامسة لها :

-سبيها تنام شوية وتعالي برا يا حبيبتي !

أومــأت الأخيرة برأسها موافقة ، ثم نهضت بحذر من على الفراش ..

بينما أعــادت عفاف ترتيب الغطاء على تقى ، ودثرتها جيداُ ، ثم انحنت لتقبلها من جبينها ، وانصرفت الاثنتين خـــارج الغرفة بهدوء .....

....

عبثت ليـــان بخصلات شعرها وهي تنفضها في الهواء ، ثم تمطعت بكتفيها ، وهي تجلس على الأريكة ..

أرجعت ظهرها للخلف ، وأسندت رأسها للوراء ، ثم أغمضت عينيها المرهقتين ..

شعرت بقبضتين توضع على كتفيها ، وتفركهما برفق ، فتأوهت بصوت مكتوم .. وهمست ممتنة :

-ميرسي يا عفاف ! أنا فعلاً مش قادرة من كتافي

رد عليها عدي بإبتسامة ناعمة وهو يجيبها بخفوت :

-اطلبي انتي بس !

فتحت عينيها مصدومة ، وانتفضت مذعورة من مكانها ، وحدقت فيه بذهول وهي تردد قائلة :

-إنت !

عبس قليلاً بوجهه وهو يسأله مندهشاً :

-مالك متفاجئة ليه ؟

ردت عليه بتساؤل وهي تشير بإصبعها :

-هو انت مش مشيت ؟

هز كتفيه نافياً وهو يجيبها بهدوء :

-لأ .. أنا قاعد معاكو النهاردة

رفعت حاجبيها للأعلى ، وهتفت معترضة :

-هــــه ، طب ليه ؟

عقد ساعديه أمــام صدره بعد أن إنتصب بجسدة ، وغمز لها قائلاً بثقة :

-أوس طلب مني ده ، تقدري تعترضي عليه ؟

نفخت بصوت مسموع فهي تعلم جيداً أن أخيها حينما يقرر شيئاً فيصبح أمــراً نافذاً لا جــدال فيه ..

تابع عدي قائلاً بهدوء :

-خدي راحتك ، أنا مش هازعجك ، وهافضل هنا

جلست على الأريكة ، وأمسكت بجهاز التحكم عن بعد ، وردت عليه بفتور :

-اعمل اللي يعجبك ! I don't care (لا أهتم)

رمقها بنظرات ناعمة .. ثم أرخى ساعديها ، ودس قبضتيه في جيبي بنطــاله ، وتحرك مبتعداً في إتجاه الشرفة ..

إختلست ليـــان النظرات نحوه من طرف عينها ، وأثارها الفضول لتعرف ما الذي يفعله ، ولكنها قاومت تلك الرغبة ، وحدقت بنظرات فارغة في شاشة التلفاز ..

....

في قصـــر عائلة الجندي ،،،،

اندفع أوس بسيارته بسرعة مخيفة عبر بوابة القصر الرئيسية بعد أن فتحها له الحارس الأمني ، ولحقت به سيارة حراسته الخاصة ..

تابعه الحارس الأمني جمـــال بنظرات متعجبة ، وأشـــار لزملائه بغلق البوابة ، ثم غمغم مع نفسه بفضول :

-واضح إن الليلة دي مش هاتعدي على خير ! شكل الباشا على أخــره !

ترجل أوس من سيارته ، وترك محركها دائراً ، وأشـــار للحراسة بالبقاء في الخـــارج ، ثم انطلق مسرعاً على الدرجات الرخامية ليدلف للداخــل ..

وقف أوس في منتصف بهو القصر ، وجـــاب بعينيه القاتمتين المكان من حـــوله، ثم هـــدر قائلاً بصوت جهوري غاضب :

-د. مهـــــاب يا جـــــندي !!!

أخــذ نفساً عميقاً ، وزفـره وهو يصرخ بصوت أقـوى :

-تعالـــى وكلم ابنك !

خــرج مهاب من مكتبه على إثر صوته ، ونظر له بجمود .. ثم نهره قائلاً ببرود مستفز :

-ايه في ايه ؟ بتزعق كده ليه

أدار أوس رأســه في إتجاهه ، ورمقه بنظرات نارية وهو يردد بإهتياج :

-كويس إنك هنا ... جه وقت الحساب يا باشا ، بس المرادي معايا أنا !!!!

لــوى مهاب فمه مستهزئاً .. ثم مط شفتيه ليضيف بسخرية وهو يشير بيده :

-مممممم .. حســـاب ! الكلام ده جديد ، بس قبل ما تفكر تتهمني بحاجة ، أنا ايدي نضيفة !

تقـــوس فم أوس بوضوح وهو يرد عليه بتجهم :

-لأ واضح !! مهاب باشا الجندي بيشغل كلابه ، لأ ومع مين مع مرات ابنه وحفيده اللي لسه مشافش الدنيا !

غمز له أبيه قائلاً بإستخفاف :

-تــؤ .. مش للدرجادي ! ده أنا على طول بأعمل كل حاجة بنفسي !

هـــدر به أوس بعصبية وقد أطلقت عينيه شرراً كبيراً :

-ازاي تهدد حياة مراتي وابني وتعرضهم للخطر ؟ كنت مفكر إني مش هاعرف وإني هاسكت عن اللي عملته ده !!!!

رد عليه مهاب ببرود مثير للأعصاب :

-ومين قالك إني جيت جمبهم ، أنا بعيد عن الصورة كلها !

صرخ فيه أوس بإهتياج :

-إنت اللي وراها !

قهقه والده بطريقة مستفزة وهو يتابع بسخرية :

-لالالا يا أوس ، أنا كده مش هاحترم ذكائك ، ده أنا طول اليوم في المستشفى وكنت في عمليات وآآآ...

قاطعه أوس بصوت قاتم وهو يكز على أسنانه :

-المرادي إنت سبت وراك دليل ، وللأسف أنا شوفت عربيتك خــارجة من الحارة !!!

إبتسم مهاب بعدم إكتراث ، وتابع بهدوء :

-ولو إنه مش دليل قوي ، بس شغال

صـــاح فيه أوس بجموح وهو يرمقه بنظرات جارحة :

-إزاي جالك قلب تعمل كده وتوجع ابنك في مراته وابنه ؟

رد عليه بإزدراء :

-مش دول اللي تحزن عليهم ..!

استشاط أوس غضباً ، وبرزت عروقه المشتعلة بوضوح ، بينما تابع مهاب بقسوة رجل لا قلب له :

-وبعدين أنا يدوب بس زقيت أمها عشان تخلص منها ، ولو مانفعش أهي تكرهها ، وتنتقم منها ، ويمكن يخلصوا الاتنين على بعض ، ونرتاح كلنا منهم !!

هــدر فيه ابنه بإنفعــال وهو يلوح بإصبعه :

-انت .. إنت مش أب ، ولا بني آدم ولا حتى آآآآ...

قاطعه مهاب بغضب زائف :

-احتـــرم نفسك ، وقبل ما تغلط فيا ، روح شوف أمها ؟ شوية فلوس رميتهالها تحت جزمتي ، فوراً ركعت عند رجلي تقولي أمين ... بالظبط زي أختها زمان ، الكل بيريل على الفلوس !

صرخ فيه أوس بجنون وقد إتسعت مقليته المحتقنتين :

-إنت بتقول ايه ؟ فلوس ايه دي ؟؟؟

أجابه بهدوء نسبي وهو يطالعه بنظرات جامدة :

-مليون جنية التمن اللي قبضته ، ولو كنت زودت شوية كمان ، كان ممكن تعمل أكتر من كده بكتير !

ضغط أوس على شفتيه بعنف ، وكور قبضه ليضيف :

-فكرك هاسيبك ، أنا بنفسي هاكشفك وآآ.....

قاطعه مهاب بإستخفاف وهو يربت على كتفه :

-مش هاتقدر يا أوس ، أنا أبوك ، وعــارف بأقول ايه ، وقبل ما تعمل أي حاجة هتلاقيني في وشك بمنعك

أزاح أوس يده عنه ، ورمقه بنظرات إحتقارية ، وتابع بشراســة :

-يبقى انت متعرفنيش كويس ، أوس بتاع زمـــان اتغير ، واللي قدامك واحد تاني مستعد يقتل عشان مراته وابنه

هـــز رأسه نافياً وغمـــز له قائلاً بهمس شيطاني ليستفزه :

-تــؤ .. إنت زي ما إنت .. أنا مربيك وعـارفك كويس

نظر له أوس بجفاء واضح ، وهـدر بثقة :

-لأ يا باشا ، المرادي إنت غلطـــان !

حرك مهاب رأسه معترضاً ، ورد ببرود وهو ينظر له بتسلية :

-لألأ .. أنا واثق من اللي بأقوله !

-بس مش معايا يا .. يا د. مهـــاب !

قالها أوس بنبرة قاتمة للغاية وهو يشهـــر سلاحه أمـــام وجه أبيه والذي حدق فيه مصدومـــاً من حركته المباغتة ، ولكن سريعاً ما إستعاد بروده ، وإلتوى فمه قائلاً بإستهزاء :

-استحالة تضرب نـــار على أبوك

لم يحدْ أوس بنظراته المميتة عنه، وضغط على شفتيه ليقول بعنف :

-انت متعرفنيش لسه يا د. مهاب

تحداه أبيه تحدياً مقيتاً ، ولوى فمه قائلاً بعدم مبالاة :

-اضـــرب يا أوس ، وريني !

ظل أوس متسمراً على وضعيته تلك ، مسلطاً سلاحه في وجه والده .. ومحدقاً فيه بنظرات خاوية من الحياة ..

اقترب مهاب منه أكثر ، وألصق فوهـــة المسدس في جبهته ، وبرزت أسنانه وهو يتسائل بعبث :

-بقى هاتعرف تموت أبوك ؟ هاتقدر ؟!

رد عليه أوس بصوت متشنج :

-ايوه ، اعملها لو جــيت على اللي تخصني

رفع مهاب حاجبه للأعلى ، وأكمل تحديه قائلاً بفحيح شيطاني :

-طب اضرب ، وريني رجولتك ! هـــا ، يالا !

أزاح أوس زر الأمـــان ، وحدق في أبيه بنظرات قاتل محترف ، ولم يرتد له طرف لثانية واحدة ، بينما تابع مهاب بقسوة :

-هــا ، مش عارف تضرب نار ؟ أجي أوريك !!

تعمد الأخير إستفزاز ابنه وإيصاله إلى أقصى درجــة من عدم التحكم في النفس ، فأضــاف قائلاً بإستخفاف وهو يحدجه بنظرات مستهزأة :

-إنت جبان ، زي ما إنت ، ما اتغيرتش ، وعمرك آآآ.....

لم يكمل مهاب عبارته الأخيرة حيث قاطعه صوت الطلقة النارية التي إنطلقت مباغتة بعد أن ضغط أوس على الزنــاد ، فإنتفض هو فزعاً ، وشهق مصدوماً منه ، ولكنه سريعاً ما أفاق من هلعـــه ، وأدرك أن الطلقة لم تصبه ، وتحسس جسده ليتأكد من هــذا ، وعاود النظر إلى ذراع ابنه التي تحركت ناحية الجانب لسنتيمترات معدودة .. فتنفس الصعداء بعد أن قطعت أنفاسه للحظة ..

لم تهتز عضلة واحدة من وجــه أوس ، ولم تتبدل نظراته المميتة والتي تعلقت باللوحة الخلفية ، فإزدرد مهاب ريقه بتوتر ، وإستدار برأســه للخلف لينظر إلى ما يحدق فيه ابنه ، فرأى أن الطلقة قد أصــابت ما بين حاجبيه في تلك اللوحــة الفوتغرافية التي تخصه والمعلقة على الجدار خلفه ، فإتسعت حدقتيه رعباً ، وشحب لون وجهه بشدة ....

استطرد أوس حديثه قائلاً بشراسة وهو يضغط على أسنانه بقوة :

-انت غلطان يا دكتور ، أنا اتغيرت ، ولو كنت زي ما أنا .. كنت هتلاقيني قتلتك ومش ندمـــان للحظة إني عملت ده !

ثم رمـق أبيه بنظرات أكثر قســاوة ، وتابع بغلظة :

-بس .. عشان مراتي فأنا اتبدلت وبقيت حــد تاني !

تلعثم مهاب وهو يحاول الحفاظ على ثباته الزائف :

-أنا .. آآ...

صـــاح أوس مقاطعاً بنبرة عدائية :

-إنت نهايتك اتكتبت يا دكتور ، بس المرادي مش بإيدي ، بإيدك انت ..!

ثم رمقــه بنظرات أخيرة إحتقارية قبل أن يوليه ظهـره وينصرف بخطوات سريعة غاضبة ..

تسمــر مهاب في مكانه مصدوماً .. فلم يستوعب بعد أنه كاد يُقتل على يد إبنه بلا ذرة نـــدم واحدة منه ..

ابتلع ريقه مجدداً ، ودس يده في جيبه ليخرج هاتفه منه بعد أن شعر بإهتزازه فيه ..

نظر إلى شاشته ، وأجاب على الإتصـــال قائلاً بصوت متحشرج:

-آلو .. فـ .. في ايه ؟

أردف كبير الأطباء قائلاً عبر الهاتف :

-دكتور مهاب ، سوري إن كنت هازعجك ، بس الموضوع ماينفعش يتأجل !

ســـأله مهاب بنفاذ صبر :

-خير

رد عليه كبير الأطباء بجدية :

-د. مؤنس قدم بلاغ في النقابة عن سيادتك ، وقال عن مخالفات كتير في المستشفى

جحظ بعينيه مصدوماً ، وهتف بإندهاش :

-اييييه ؟

أضـــاف كبير الأطباء قائلاً بإنزعاج :

-وعرفت كمان إنه طالع بكرة في برنامج حواري يتكلم عننا

سأله مهاب بنبرة مغلولة :

-ازاي ده حصل ؟ وإنت عرفت منين ؟

أجابه كبير الأطباء بحذر :

-في حد من حبايبي بلغني ، فأنا قولت أحذرك وآآ...

قاطعه مهاب بإقتضاب :

-اقفل الوقتي وأنا هاتصرف

رد عليه الأخير على مضض :

-طيب !

مرر مهاب يده على رأسه وهو يدور حول نفسه في البهو محدثاً نفسه بإرتباك :

-لو مؤنس فتح العينين عليا حاجات كتير هاتتكشف !

إزدرد ريقه ليكمل بقلق :

-طب .. طب هو ممكن يكون وصل لتهاني وعرف ياخد منها الورق ، طب ازاي ؟ لالالا .. مش ممكن ده يحصل ! هو أصلاً مايعرفهاش

وقف في مكانه ، وحدق في الفراغ ، ثم هتف بجدية :

-أنا لازم أخـرج من البلد فوراً قبل ما تطربق على دماغي ومعرفش أتصرف !

ضغط مهاب على زر الإتصــال بمحاميه نصيف ، ووضع الهاتف على اذنه ، ثم صــاح فيه بحدة :

-ايوه يا نصيف ، في كارثة هاتحصل ومحتاج أهرب من هنا بسرعة !

....

في منزل أوس الجديد ،،،،،

شعــرت ليـان بالملل والضجر من جلوسها بمفردهـا أمــام شاشة التلفاز ..

ونفخت لأكثر من مــرة بضيق ..

أرجعت ساعديها خلف رأسها ، وشبكت أصابعها معاً .. وحركت عنقها للجانبين .. وتنهدت بعمق ..

إشـــرأبت بعنقها محـــاولة رؤية عدي .. ولكنها لم تتمكن من رؤيته ..

أزعجها أنه لم يقاطع خلوتها ولو للحظة واحدة ..

لم تستطع تفسير هذا الإحســـاس الذي أصابعها بالضيق ..

وفي النهاية قررت أن تنهض وتذهب لرؤيته متعللة بشعورها بالبرد ، ورغبتها في غلق نوافذ الشـــرفة ...

....

إستند عدي بمرفقيه على حـــافة الشرفة ، وحدق أمـــامه بنظرات هائمة ..

وقفت ليـــان خلفه ، وراقبته للحظات ، وأدركت أنه لم يشعر بوجودها ، فعبست بوجهها ، وهتفت بصوت شبه محتد :

-I am cold (أنا بردانة) ، فهاقفل الـ ..آآ..

انتبه عدي لصوتها ، وأدار جسده في إتجاهها بعد أن اعتدل في وقفته ، وقاطعها بصوت رخيم :

-ليـــان ، ماتمشيش ، أنا عاوز أتكلم معاكي شوية

قطبت جبينها ، وردت عليه بتذمر مصطنع وهي تشير بإصبعها للخلف :

-وأنا مش فاضية ، في movie (فيلم) بأشوفه

هــز رأسه بخفة وهو يتابع بإبتسامة مهذبة :

-مش هأخرك كتير !

عقدت ساعديها أمام صدرها ، ونظرت له بجمود وهي تسأله بإقتضاب :

-خير ؟

أخــذ هو نفساً عميقاً ، وحبسه في صدره لثوانٍ قبل أن يطلقه ليستطرد حديثه قائلاً بصوتٍ شبه أسف وهو مطرق رأســه قليلاً للأسفل :

-أنا عملت حاجات كتير غلط في حياتي ، وعــارف إني خدعتك وضحكت عليكي ، وخدتك سِكة عشــان أداري بيها عيوبي بدل ما أصلح من نفسي

إرتخت تعابير وجهها المشدودة وهي تصغي إليه ، وحدقت فيه بنظرات غريبة .. بينما تابع عدي بندمٍ :

-أنا ظلمتك معايا ، واستغليت ظروفك واللي حصل معاكي عشـــان مصلحتي وبس ، ومافكرتش فيكي إنتي !

توقف عــدي عن الحديث ، وفرك أصابع كفيه بتوتر ، ثم أخـــرج تنهيدة حارة من صدره ، وإختنق صـوته قليلاً وهو يكمل بخفوت :

-وللأسف أذيتك وأذيت نفسي معاكي !

تهدل كتفي ليـــان ، وإرتخى ساعديها مصدومة من إعترافــه بذنبه نحوها ..

رفع عدي رأســـه لينظر إليها ، فرأت في عينيه لمعـــان قوي .. وعبرات عالقة بين أهدابه ..

اقترب هو منها ، وتابع بشجن :

-يمكن كلامي مايفرقش معاكي أو حتى يأثر عليكي ، بس اللي عاوزك تعرفيه إني اتعالجت الوقتي ، وإني آآ.. حبيتك بجد ، وخايف عليكي أوي وآآ...

ازدرد ريقه المرير ، ومـــد يديه ليمسك بكفيها ، ثم حدق فيها بنظرات نادمـــة ، و أضـــاف بصعوبة :

-ونفسي ترجعي تثقي فيا زي الأول وتصدقيني !

حدقت فيه بإرتبـــاك ، وبدت مضطربة للغاية ، ولكنها سريعاً ما سحبت كفيها منه ، وهتفت بجمود وهي تتحرك مبتعدة عنه :

-صعب ده يحصل

وقف خلفها ، وتوسلها بخفوت :

-بس مش مستحيل ، صح ؟

لم تجبه ، وإستندت بكفيها على حافة الشرفة ، وظلت تنفخ بصوت مسموع ...

تنهد عدي بيأس ، وتابع بحذر :

-أنا .. أنا مش عاوزك تعملي حاجة غصب عنك ، بس اوعديني إنك تديني فرصة تانية !

انتصب كتفيها ، وبدى وجهها خالياً من التعابير وهي تجيبه بإقتضاب :

-مش عارفة !

نكس رأســـه بحزن ، وغمغم بنبرة شبه مستاءة :

-عموماً مش هاضغط عليكي !

تنهــدت بصوت مسمــوع ، ولم تلتفت نحوه ، فإقترب منها مجدداً ، وإستند بكفه إلى جوارها .. فحدقت في يده ، ولم ترفع رأسها للأعلى .. ثم أشــاحت بوجهها للأمــام ..

لم يتعجب تصرفها معه .. بل أخذ نفساً مطولاً ، وزفره على مهل ، ثم مط فمــه ليضيف بإهتمام :

-في سؤال كده محيرني !

أجابته متسائلة بجدية :

-ايه هو ؟

انحنى بجذعه للأمــام ، وإستند على ساعديه ، وحدق بها بعد أن أمــال رأسه للجانب ، وسألها بتريث :

-ليه كنتي خايفة أوي على تقى وعلى البيبي ؟

تنهدت بحرارة واضحة .. ثم أرجعت ظهرها للخلف ، وأشارت بيديها وهي تجيبه بحيرة :

-مش قادرة أوصفلك احساسي بالظبط ، بس آآ...

عضت على شفتها السفلى ، وتابعت بإحساس غريب وهي تضع يدها على قلبها :

-بس أنا حسيت بيها بقلبي ، وآآ.. وشوفت في عينيها أد ايه هي نفسها فيه ، وشوفت في أوس حبه الحقيقي ليهم هما الاتنين ، أوس الجندي اللي مايعرفش إلا القسوة والكره بقى بيحس ويحب بجد

صمتت للحظة لتلتقط أنفاسها ، وتسيطر على تأثير كلماتها عليها شخصياً ، ثم تابعت بنعومة :

-احساس جديد جمعهم مع إنهم عكس بعض في كل حاجة ، بس زي .. زي ما يكون بقى في رابط بينهم ، والبيبي ده قربهم أكتر من بعض ، فيمكن لو .. لو كانت خسرته كانت كل حاجة ضاعت !

راقبها عـــدي بإعجـــاب واضح ، وهتف غير مصدقاً :

-ياه يا ليـــان ، إنتي اللي بتقولي كده ؟

رفعت حاجبها مستنكرة وهي تجيبه بإقتضاب :

-ايوه ! مستغرب ليه ؟

أدار جسده ناحيتها ، وإستند بظهره على حافة الشــرفة ، وعقد ساعديه أمــام صدره ، وإلتوى فمــه بإبتسامة عذبة وهو يبرر قائلاً :

-أنا مكونتش أعرف إنك بتفكري كده ، كنت مفكرك البنت المستهترة اللي مش فارق معاها حاجة ، ومكبرة دماغها على الأخـر ، المهم هي وبس !

ضاقت نظراتها ، وأجابته بحدة :

-أنا معرفتش نفسي إلا لما آآ... لما مريت بتجارب غيرتني

تنهد بخفوت وهو يرمقها بنظرات رومانسية حالمة ، وغمغم مع نفسه برجــاء :

-أتمنى إني أخـد فرصة تانية معاكي

وكــأنها قرأت ما تبوح به عينيه ، فأجابته في نفسها وهي تبتسم له إبتسامة باهتة :

-مش بعيد ... كل شيء جايز !

....

في غرفـــة نوم أوس وتقى ،،،

إرتسمت إبتســـامة مشرقة على وجـــه تقى ، وظهرت تعابير وجهها متهللة بدرجـــة ملحوظة رغم أنها كانت غارقة في سبات عميق ..

تحركت شفتيها عفوياً ، وكذلك رأسها ، وبدت سعيدة وهي ترى ذلك المنـــام الممتع ..

....

▫▫▫ ((حدقت تقى في كفيها الممدودين أمامها ، وأخفضت رأسها لتتأمل تلك العباءة البيضاء التي ترتديها ، ثم إنتبهت إلى صوت هديل الحمـــام الذي يحلق فوق رأسها ، فرفعت بصرها للأعلى ، ودارت حول نفسها غير مصـــدقة ما تراه ..

شعرت ببرودة منعشة أسفل قدميها الحافيتين ، وبنسمات رقيقة تداعب وجنتيها ، فأسبلت عينيها لتتأمل المكان من حولها ..

أصـــوات تهليلات ممزوجة بالتكبيرات وصـــوت الآذان يصدح من بعيد ليجعل روحها تنتفض من السعـــادة

إلتوى ثغرها بإبتسامة راضية من تلك الروحانيات العالية التي تحيط بها ..

رقص قلبها طربـــاً .. ورمشت بعينيها غير مصدقـــة أنها قد جـــاءت إلى هذا المكان المقدس ذو المهابة العظيمة ..

ثم إنتبهت إلى صـــوته المـــألوف الذي يناديها :

-تـ.. تقى

دارت برأسها للخلف ، وضيقت عينيها بتعجب شديد لتتأمل ملامح أوس التي لم تعهدها فيه من قبل ..

كانت صورته مبهمة ، ولكن تدريجياً إتضحت هيئته مع اقترابه منها ..

فغرت شفتيها مشدوهة ، وإرتفع حاجبيها في عدم تصديق وهي تراه مرتدياً ثياب الإحــرام وكاشفاً لكتفه الأيمن ..

رأت قطـرات المياه تتساقط من جبينه ، وإبتســامة صافية تعلو وجهه ..

لـــوح لها بذراعــه وهو يردد بصوت رخيم :

-يالا يا تقــى !

أدمعت عينيها فرحاً ، ووضعت يديها على فمها لتكتم تلك الشهقات السعيدة التي جعلتها في حالة حماسة رهيبة ..

إنه هنا معها في الحرم المكي ..)) ◘◘◘◘

....

لم تدرْ تقى أن عبراتها كانت حقيقية ، ولم تكنْ تبكي في منامها فقط .. بل بللت دمعاتها وسادتها وهي غافية ..

لكن إحســـاس بالسكينة والصفـــاء النفسي أراحها بشـــدة ...

....

في منزل تقى عوض الله ،،،،

فضل عـوض المكوث بالمسجد ، وقضاء ليلته فيه ، ورفض أن يعود للمنزل حتى يتجنب رؤية فردوس بعد ما فعلته ...

بينما عــادت تهاني إليه ، ومكثت بمفردها فيه ..

دفنت هي وجهها بين راحتي يدها وأجهشت بالبكاء المرير حسرة على حالها بعد أن إختلت بنفسها في غرفة تقى ..

فقلبها يُعتصر آلماً على قســوة ابنها معها ، وذلك الظلم المبين الذي وقع عليها من أختها ، فجعلته يصدق أنها تقف وراء ما حدث لتقى ..

شهقت بنحيب وهي تهز رأسها مستنكرة ..

وقعت عينيها على تلك الحقيبة التي تحوي الكثير من الأوراق التي تدين مهاب الجندي ، وربما تظهر براءتها .. فضاقت عينيها المتورمتين ، وهتفت بسخط :

-يا ريتني ما وافقت اعمل كده ! آآآه ، يا ريتني

ثم لطمت على فخذيها بندم شديد ..

ظلت على تلك الوضعية الحزينة لوقت ليس بالقليل .. ولكنها انتبهت بعدها إلى صوت دقـــات خافتة على باب المنزل ، فرفعت رأسها للأعلى ، ونـهضت بتثاقل من مكانـها .. وسارت ببطء نحوه لتفتحه ...

عبس وجهها بشـــدة حينما رأت أختها فردوس أمامها .. ورمقتها بنظرات إزدراء ، ثم تركتها وانصرفت ..

نظرت لها فردوس بحزن ، وعاتبتها قائلة وهي توصـد الباب خلفها :

-مش .. مش هاتقوليلي حمدلله على السلامة ؟ ده ..ده أنا اتبهدلت وآآ..

إحتقن وجه تهاني ، واصطبغت عينيها بحمرة محتدة ، وإلتفتت برأسها نحوها ، وصرخت فيها بعصبية مقاطعة إياها وهي تلوح بذراعيها :

-حرام عليكي يا شيخة ، بتقولي اتبهدلتي ؟ اومـال اللي حصل لبنتك وليا ده نسميه ايه ؟

ردت فردوس ببكاء زائف وهي تحاول تدقيق النظر في صورة أختها التي تتراقص أمام عينيها :

-أنا .. أنا اترميت من المستشفى ، وملاقتش اللي يسندني لهنا وآآ...

قاطعتها تهاني بتهكم صريح :

-ده كتر خيرهم إنهم رضيوا يعالجوكي ، واحدة زيك كانت هتموت بنتها المفروض يرجموها !

عاتبتها فردوس بضيق وهي تفرك عينيها :

-يا تهاني ماكونتش أعرف إن كل ده هايحصل ، أنا كنت بأحمي بنتي من الناس المفترية

وقفت تهاني قبالتها ، وصرخت فيها بإنفعال وهي تكاد لا تصدق ما لفظته الأخيرة من كلمات مستفزة :

-بتحميها ؟ بإنك تاخديها للموت بإيدك ؟!!!!

ابتلعت فردوس ريقها ، وبررت خطئها قائلة :

-أنا .. أنا حسبتها غلط .. كان المفروض أخدها على مستشفى أنضف و...

إرتفع حاجبي تهاني للأعلى في استنكار جلي ، وشهقت بصراخ :

-إنتي بتقولي ايه ؟

ردت عليها فردوس بأسلوب فظ وهي تسحب مقعداً لتجلس عليه :

-ماهي كانت هاتطلق ومش هاتعيش مع ابنك ، وبالفلوس اللي خدتها كنت هاعوضها

تحركت تهاني نحوها ، وضربت بيديها على طاولة الطعام وهي تردد بصوت غاضب :

-فلوس !!

هزت فردوس رأسها إيجاباً ، وردت بسخط :

-أيوه ، أومال أنا عملت ده ليه عشان نطلع من الفقر اللي كلنا عايشين فيه !

جحظت تهاني بعينيها الملتهبتين وهي تصيح بإهتياج :

-خدتي الفلوس من مهاب يا فردوس ؟

أجابتها فردوس بوقــاحة وهي متجهمة الوجـــه :

-ايوه ، هو جالي هنا ، واتفق معايا على ده

إعتدلت تهاني في وقفتها ، وحدقت أمامها في الفراغ بنظرات مصدومة ، ولطمت على صدرها في عدم تصديق ، وغمغم بإندهـــاش :

-يعني اللي شوفته مكنش وهـــم ! كان مهاب هنا ! بيخطط وبيهد حياة ناس أبرياء

نهضت فردوس عن المقعد ، أغمضت عينيها بقوة لتقاوم ذلك الصداع الذي يجتاحها ، واقتربت من أختها ،ووضعت يدها على كتفها ، وقالت بخبث :

-احنا يا تهاني محدش حاسس بينا ، والفرصة مابتجيش إلا مرة واحدة في العمر

أطاحت تهاني بيدها ، وصاحت بغضب جم وقد تحول وجهها لكتلة حمــراء :

-تقومي تبيعي بنتك بالفلوس يا فردوس ؟

أجابتها فردوس بصراخ مختنق مبررة جريمتها النكراء :

-أنا مابعتهاش ، أنا اشتريت راحتها وراحتنا !!!

أشـــارت تهاني بإصبعها وهي ترمقها بنظرات مشمئزة ، وتابعت بصوت ساخط :

-اتكلمي عن نفسك ، إنتي ضحيتي ببنتك عشانك إنتي وبس مش عشانها !

نفخت فردوس وهي تضيف بصوت غير مكترث بتبعات جريرتها :

-وفيها ايه ؟ مكانتش هاتخسر كتير !

شهقت تهاني مصدومة من ردود أختها التي تخلو من الرحمة ..

هي تقف أمام إنسانة متحجرة القلب ، جاحدة ، لا تعرف الشفقة ..

هزت رأسها مستنكرة ، وهتفت فيها بغضب :

-حرام عليكي ، انتي بتفكري ازاي ؟ دي بنتك يعني لحمك ؟؟!!

نظرت لها فردوس شزراً وهي تجيبها بإمتعاض كبير :

-يعني عاوزانا نموت هنا ومحدش يدرى بينا .. مش كفاية ابني راح زمـــان ببلاش بسبب الفقر ، وملاقتش تمن لعلاجه !!

أخـذت نفساً عميقاً وزفرته وهي تتابع بغضب :

-استحملت اللي جراله ، وصبرت نفسي ، وقولت معلش أهوو ارتاح من الفقر .. يعني كنت هاعمله ايه ولا أدبر مصاريف علاجه منين ؟

زاد إحساسها بالصداع المهلك ، وتابعت بحنق :

-ده أنا كل يوم باسأل نفسي يا ترى مين فينا هايحصله

أشــارت تهاني بكفها في عدم تصديق وهي تردد بنبرة مصدومة :

-إنتي مش طبيعية ، ده .. ده ربنا رحمه منك !

لوحت فردوس بذراعها وهي تكمل غير مكترثة :

-قولي اللي عاوزاه ، الكلام مافيش جمرك عليه ، لكن ساعة الفلوس كل حاجة هاتتغير !

كـــزت تهاني على أسنانها بغلظة وهي تصرخ فيها :

-بجد خسارة بنتك فيكي !

ردت عليها فردوس بفظاظة :

-بكرة هاتنسى ، وهترجع تاني لحضني وآآ...

قاطعتها تهاني بنبرة هــادرة وهي تهدد بإصبعها :

-إنتي بني آدمة استحالة حد يعيش معاها ، من بكرة هادور على مكان تاني أقعد فيه إن شاء الله أبات على الرصيف ، بس قعاد معاكي في مكان واحد مش هايحصل !

ثم سمعت كلتاهما صوت قرع الجرس ، فكفكفت تهاني عبراتها ، وتوجهت نحو الباب لتفتحه ..

جحظت بعينيها مصدومــة ، ووضعت يدها على فمها لتكتم شهقتها حينما رأته..

هو ليس وهماً ، هو يقف أمامها بوجهه المتشنج ، وتعابيره المتجهمة ، ونظراته القاسية ..

ابتلعت ريقها بصعوبة بالغة ، وهمست متلعثمة :

-آآآ.. أوس .... !!

....

الفصل السابع والعشـرون (الجزء الثاني) :

في منزل تقى عوض الله ،،،

شهقت تهاني مصدومـــــة حينما رأت أوس أمامها ، وشعرت برجفة تجتاحها من هيبته التي تفرض نفسها تلقائياً في أي مكان يظهر فيه ..

إبتلعت ريقها بخـوف ، وحاولت أن تستأنف حديثها ، ولكن تجمدت الكلمات على شفتيها .. لقد ظنت أنه جـــاء ليكمل عتابه اللاذع لها بسبب ما فعلته مع ابنتها ليـــان ، واصطحابها لقصر أبيه ..

رمقها أوس بنظرات غريبة استشعرتها ، ثم استطرد قائلاً بجمود ليقطع حاجـز الصمت :

-عاوز أدخـل أوضـة تقى !

تعجبت من طلبه المريب ، وهتفت بلا تردد :

-آآ... اتفضل يا بنــ..آآ..

تلافت سريعاً خطئها ، وتابعت بحذر وهي تشير بيدها بعد أن أفسحت له المجــال للمرور :

-قصدي يا أوس باشا ، ده بيتك !

مــرق إلى الداخــل ، ووقعت عينيه على فردوس .. فضاقت نظراته ، ورمقها بنظرات إحتقارية ، ثم تابع قائلاً بصوت قاسي وهو يشير بإصبعه :

-ليكي حســـــاب معايا !

ســـال لعاب فردوس بفــزع عقب جملته الأخيرة ، وإرتعشت في مكانها مصدومة .. وتسائلت مع نفسها بهلع ، هل سمع حديثها مع أختها ، وعــرف بكل شيء تفوهت به ..

سيطر الخوف عليها ، وزادت رجفتها وهو تتوقع الأســوأ منه ..

نظرت لها تهاني بذهــول ، وأيقنت من كلمات ابنها المقتضبة أنه ينتوي شراً لأختها ..

خطــى أوس بخطوات ثابتة إلى داخــل غرفة تقى ، ثم بحث بعينيه بدقـــة عن فردة الحذاء الأخــرى ، وبالفعل وجدها موضوعة بجوار الوســـادة على الفراش الذي يتوسط الغرفة ، فإلتوى ثغره بشبح إبتسامة رقيقة ، لكن سريعاً ما تلاشت ليحل محلها التجهم والعبوس ..

إقترب من الفراش ، ثم إلتقطها بيده ، ودسها سريعاً في جيبه ، وكأنها كنزه الثمين الذي يخشى ضياعه .. وتحرك مبتعداً عن الفراش ..

دلفت تهاني إلى داخل الغرفة خلفه ، وتنحنحت بخفوت وهي تشرع حديثها قائلة بصوت متحشرج :

-أنا .. أنا كنت عاوزاك تسمعني قبل ما تمشي

إلتفت أوس نحوها ، ورمقها بنظرات جـــامدة دون أن تتبدل تعابير وجهه المتجهمة ..

إزدردت ريقها بصعوبة ، وتابعت بنبرة شبه مختنقة وقد لمعت عينيها بوضوح :

-أنا عارفة إني غلطت ، ومكنش ينفع أخد ليان عند أبوك ، وبأعترف بده بس .. آآ..

تقطع صوتها وهي تتوســـله :

-بس بلاش تحرمني منها ، دي بنتي الوحيدة ، أنا ماستهلش إنك تعمل فيا كده !

دنت منه لتضيف بإستعطاف وقد إنهمرت العبرات من مقلتيها :

-أرجوك ، عشان خاطري ده لو كان ليا عندك خاطر ، طب .. طب أقولك على حاجة ، اعمل اللي انت عاوزه فيا ، بس متحرمنيش منها ، دي الحاجة الوحيدة اللي فضلالي ، كفاية إني خسرتك ، فبلاش هي كمان ، أنا .. أنا ممكن أموت فيها !

لم تتبدل نظراته ، وظلت تعابير وجهه على وضعيتها القاسية ..

ظنت تهاني أنها سيرفض طلبها ، فتلفتت برأسها بصورة هيسترية وكأنها تبحث عن شيء ما ، حتى ثبتت أنظارها على الحقيبة التي تحوي الأوراق الهامة .. فركضت نحوها ، وأمسكت بها لتفتحها ، ثم أخرجت ما فيها من أوراق مطوية ، وألقت بالحقيبة على الأرضية ، ووقفت قبالته مرة أخـرى ، ورفعت يدها بهم ، وإستعطفته بنبرة ذليلة وهي تطالعه بعينيها الباكيتين :

-خد الورق ده ، أنا مش عاوزاه خلاص ، اعمل فيه ما بدالك إن شاء الله حتى تحرقه ، بس بلاش تحرمني من ليــان ، أنا مايهمنيش اكون بريئة قصاد الناس ، أو حتى كرامتي ترجعلي ، أو الناس تعرف إن مهاب مجرم ، كل اللي يهمني انتو وبس ، أيوه ، إنتو عندي بالدنيا ، إنتو أغلى من نفسي !

ثم مـــدت يدها لتسحب كفه ، ووضعت بهم الأوراق ، ورمقته بنظرات أكثر رجاءاً ، وأضافت بشجن :

-خدهم ! بس رجعلي ليــان !

قبض أوس على الأوراق بكفه ، ولم ينبس ببنت شفة .. ولكنه شعــر بغصة مريرة ، وبضيق في صدره ..

هو بــات متيقناً من ندمها الحقيقي ، ومن مشاعرها الصادقة كــأم ..

ورغم هذا رفض أن يبوح بما في صدره ..

استشعرت تهاني أن قلبه ربما سيرق من أجلها وسيرتضي بتلك المقايضة التي ستكلفها كل شيء .. لكنها راضية بها طالما ستعيد ابنتها إلى أحضانها ..

تفاجئت هي بــه يزيحها بقبضته الأخــرى عن طريقها ليتحرك نحــو الخـــارج ..

شهقت بأنين وقد ظنت أنه رفض توسلاتها ، ونبذ رجائها .. ثم وضعت يدها على فمها لتبكي بحســـرة وخــزي ..

هبت فـــردوس في مكانها مذعــورة حينما رأت أوس واقفاً قبالتها .. ونظراته المشتعلة تكـــاد تفتك بها ..

حـــاولت أن تحافظ على رباطة جأشها أمامه ، ولكن الخـوف كان بادياً في نظراتها الزائغة ..

إرتجفت شفتيها وهي تنطق بتلعثم :

-أنا .. آآ.. كنت .. آآ

ولكن باغتها أوس بصفعة مدويـــــة على صدغها ، فصرخت متأوهة منه .. ونظرت له بذهـــول حقيقي من عينيها الجاحظتين ، وأسندت يدها عليه لتتأكد من فعلته ... وهمست مصدومة :

-انت .. انت بـ.. بتمد ايدك عليا ؟

رفع أوس إصبعه في وجهها ، وهـــدر بها بنبرة عنيفة وهو يحدجها بنظرات محتقنة للغاية :

-ايييييه وجعك ؟

باغتها بصفعة أخــــرى أشد قسوة على يدها الموضوعة على صدغها ، فإنتفض جسدها ، وأضـــاف قائلاً بصوت متصلب :

-عاوزك تعرفي إن ده جزء على مليون من اللي هاعمله فيكي !

ذهلت من تكراره للصفعة ، وهتفت بإندهاش :

-إنت .. آآ..

تابع أوس قائلاً بنبرة عدائية للغاية وقد تحولت مقلتيه لجمرتين من النيران الملتهبة :

-هاخليكي تحسي بكل ثانية إتألمت فيها تقى بسببك !

عجزت عن الحديث ، وإرتعدت أوصالها بشدة ، وكافحت لتقول :

-آآ..

هــدر أوس صارخاً بعصبية :

-يمكن هي في يوم تسامحك ، وتنسى ، بس أنا غيرها ، لا بأعرف أسامح ، ولا بأعرف أنسى اللي يجي على اللي يخصني !

ردت عليه فردوس بنبرة مرتجفة للغاية :

-إنت .. مش فاهم حاجة ، أبوك هو اللي آآ...

قاطعها بصراخ أعنف وهو يشير بإصبعه المتصلب :

-بــــس ، ماتفتحيش بؤك خالص ، انتي تخرسي وتسمعيني كويس !

إنتفضت من صراخه ، ورمقته بنظرات خائفة ..

ضغط أوس على شفتيه بقوة ، وأكمل بصوت محتد :

-أنا مش زي جوزك طيب وفي حاله ، ولا زي تقى ، ولا حتى زي مهـــاب اللي اتفقتي معاه على مراتي !

اقترب منها حتى باتت تشعر بأنفاسه الغاضبة على وجهها ، وتابع قائلاً ببطء وهو يضغط على كل حرف :

-أنـــا أوس الجنـــدي !

أغمضت عينيها هلعاً ، وأرجعت رأسها للخلف وهي تحاول المدافعة عن نفسها قائلة :

-هو ضـ... آآ..

أطبق أوس على عنقها ، وضغط عليه بأصابعه المتشنجة ليخنقها ، فإنفرجت شفتيها محاولة التنفس ، وجحظت بعينيها برعب .. وشعرت بالدماء تتدفق بغزارة إلى عقلها ليزيد من صداعها المهلك

كـــز هو على أسنانه ، وتابع بنبرة قاسية :

-كان ممكن ببساطة تيجي تبلغيني بإتفاقكم الوســخ ، وبدل المليون اللي رمهالك ، كنت هاديكي 10 مليون غيرهم !!

وضعت تهاني يديها على صدرها من الخـوف بعدما رأت ابنها وهو على وشك الفتك بأختها .. وهزت رأسها بصورة هيسترية مستنكرة هذا ورددت بهلع :

-لألألأ .. !

أطلقت عيني أوس شرر مخيف وهو يكمل بغلظة :

-ولو حياة بنتك ماتسواش عندك إلا مليون ، فأنا سلامة تقى عندي مايكفيهاش فلوس الدنيا كلها !

ثم أرخــى قبضته عنها ، ودفعها بعنف للخلف ، فسعلت لعدة مرات بحشرجة كبيرة ..

أشـــار لها بإصبعه مهدداً مرة أخـــرى :

-انتي هاتعرفي يعني إيه وجع وعلى إيدي !

نظرت له من طرف عينها ، وأردفت قائلة بندم زائف:

-حــ.. حرام عليك ، ده .. ده أنا أم وآآآ.....

قاطعها بصوت هـــادر وقد تشنجت تعابير وجهه للغاية :

-اخـرسي ، كلمة أم تمسحيها من قاموس كلماتك خالص !

ثم إلتفت نحــو تهاني ، ورمقها بنظرات جادة قبل أن يتابع بتهكم :

-أومــال دي اسميها ايه ؟؟ اللي مستعدية تعمل أي حاجة عشان بس أضحك في وشها ! وأوافق بنتها تاخدها في حضنها ؟

استعطفته ببكاء مصطنع :

-ده أنا خالتك ، يعني .. يعني في مقام أمك دي

هـــدر بها بإنفعال وهو يلوح بذراعه مهيناً إياها :

-متقارنيش نفسك بيها ، إنتي تتحطي تحت جزمتي ! وادهسك !

استفز فردوس تحقيره لها ، فصاحت محتجة بشجاعة زائفة :

-انت مفكر نفسك ملكت الدنيا بفلوسك ، لأ أنا أقدر آآ...

قاطعها بسخط وهو يحدجها بنظرات إزدراء :

-خلي تهديداتك لنفسك .. أهي تشجعك لأنك هتحتاجيها الأيــام الجاية !

سألته متوجسة وهي تبتلع ريقها :

-قصدك ايه ؟

حدجها بنظرات أخيرة مشمئزة ، ولم يجبها بل ترك الأمــر لمخيلتها .. ثم أولاها ظهره ، واتجه نحو الباب ..

تابعتهما تهاني بصــدمة ولم تستطع النطق بكلمة ، وتعلقت نظراتها به وهو يتحرك نحو عتبة المنزل ، ولكنه توقف عن السير ، وإستدار برأســه للخلف ، وإلتقط نظراتها المحدقة به ، ثم حدثها قائلاً بنبرة متصلبة وهو يطالعها بنظرات مريبة :

-أنا مستنيكي تحت في العربية يا ..آآ

صمت للحظة قبل أن تتحول نبرته للين وهو يتابع بهدوء :

-يا ماما !

شهقت غير مصدقة ما لفظه تواً .. وإهتز جسدها بإرتجــافة رهيبة زلزلت كيانها ، كما خفق قلبها بقوة رهبةَ من تلك الكلمة التي طالما انتظرتها ، وتمنت لو سمعتها لمرة واحدة تنطق من بين شفتيه .....

....

في قصــر عائلة الجندي ،،،،

إختطف مهـــاب من يد المحامي نصيف تلك التصاريح التي أحضرها له ، وســـأله مستفهماً :

-يعني المفروض أعمل ايه ؟

أجابه الأخير بجدية وهو يشير بيده :

-تروح فوراً على بورسعيد ، هما هيدخلوك المينا ، وهتســأل هناك عن سفينة شحن طالعة اليونان ، المفروض هاتطلع كمان 8 ساعات بالكتير ، إنت لازم تكون جواها قبل كده

هــز مهاب رأســه قائلاً بتلهف :

-بيتهيألي هالحق أوصل قبلها بكتير ! المسافة مش بعيدة!

أومــأ نصيف برأســه إيجاباً قائلاً بهدوء :

-أيوه .. أنا مظبط كل حاجة !

ســأله مهاب بقلق وهو ينظر له :

-طب .. طب والتصاريح ولو حد وقفني وآآ... ؟

قاطعه بثقة :

-متقلقش ، الأوراق سليمة

ربت مهاب على ذراعه ممتناً ، فأضــاف نصيف قائلاً بجدية :

-المهم إنت إلحق وقتك !

هز رأســـه موافقاً وهو يجيبه :

-ايوه ، أنا هاتحرك حالاً

وبالفعل أســـرع مهاب في خطواته ناحية الدرج ليصعد إلى غرفته ، ليعد حقيبة سفر صغيرة يأخذهــا معه ..

....

في سيـــارة أوس الجندي ،،،

ضرب أوس بأصابع كفه على المقود بحركة ثابتة ، وإستند بذقنه على مرفقه الأخـــر ، وحدق في المرآة الجانبية للسيارة ..

شرد مع نفسه ليفكر فيما فعله .. لا يعـرف كيف رق قلبه هكذا ليدعو تلك السيدة التي طالما كرهها بـ (أمـــه) ، وطلب منها بسهولة القدوم معه ..

لكن إحساسه بظلمها وقهرها ، وبمدى معاناتها المستمرة ، وذلها من أجـل نيل رضائه فقط جعلته يصفح عنها (إلى حـــدٍ ما) ...

انتصب أوس في جلسته ، وبدى على وجهه الإرتباك وهو يرى والدته مقبلة عليه ..

لم يختلف حالها عنه كثيراً .. فهي لم تعد تشعر بقدميها منذ أن أبلغها بإنتظاره إياها بالأسفل .. ولأول مرة منذ أدهــر تستشعر العطف والرقــة منه ..

على إستحياء فتحت الباب الأمـــامي لتجلس إلى جواره .. ثم أغلقته بهدوء ، وحدقت أمامها ..

أدار أوس محرك السيارة ، وانطلق بها مسرعاً ، بينما طالعته هي بنظرات أمومية حانية من طرف عينها ، وحاولت أن تختلس النظرات إليه دون أن تشعره بهذا ..

وعلى الرغم من تحديقه في الطريق أمامه بملامح جامدة إلا أنه كان متيقناً من مراقبتها له ..

بحثت تهاني عن وسيلة لتختلق حديثاً ودوداً معه ، فأهداها تفكيرها للســؤال عن تقى ، لذا رسمت إبتسامة مهذبة وهي تسأله بصوت خفيض :

-تــ.. تقى عاملة ايه الوقتي ؟

أجابها بإيجاز ووجهه خالي من التعبيرات :

-بخير

-هو احنا رايحين فين الوقتي ؟

سألته بحذر وهي تبتلع ريقها ..

لم ينظر نحوها ، وأجابها بإقتضاب :

-على بيتي !

إتسعت عينيها في عدم تصديق ، وتسائلت في نفسها بحماس هل هو حقاً يدعوها للمكوث في منزله ..

رقص قلبها طرباً من السعــادة ، وتشكلت إبتسامة واضحة على ثغرها ..

لم ترغبْ في إضافة المزيد حتى لا تفسد الأجواء اللطيفة بينهما ..

....

في قصر عائلة الجندي ،،،

أغلق مهــاب صندوق السيارة الخلفي بعد أن وضع به حقيبة سفره ، ثم انطلق مسرعاً نحو مقعد القائد ليدير محركها ، وضغط على دواســة البنزين ليخرج من بوابة القصر الرئيسية دون أن يبلغ الحراسة بأي تعليمات ...

نظر له الحــارس الأمني جمــال بإستغراب ، وغمغم مع نفسه متعجباً :

-هو مسافر فين الوقتي ؟ باين كده الموضوع فيه إن !!

....

في السجن النسائي ،،،،

وضعت ناريمان يدها على فمها وهي تتحدث بخفوت في الهاتف المحمول الذي أعطته إياها الصول ، وتسائلت هامسة :

-يعني ايه مش عارفة توصليلها ؟

أجابتها هياتم بهدوء :

-يا مدام ناريمان أنا بأكلمها من بدري ، وموبايلها مقفول !

هتفت فيها بصوت منزعج رغم خفوته:

-اتصرفي يا هياتم ، لازم توصليلها ، وتعرفي إن كانت جابت الورق ولا لأ

أجابتها هياتم بنبرة جادة :

-حـاضر ، بكرة هاعدي عليها !

مطت ناريمان فمها وهي تتابع هامسة :

-طيب ماتنسيش ، وأنا هاكلمك تاني !!

ثم أنهت المكالمة معها ، وأعادت الهاتف إلى الصـول التي غمزت لها وهي تقول بمكر :

-الحلوان يا ستنا !

ابتسمت لها ناريمان إبتسامة مصطنعة وهي تضع الأموال في قبضتها :

-أه أكيد

إعتلى ثغر الصول إبتســامة عريضة وهي تدس النقود في جيب سترتها الميري

....

في منزل أوس الجديد ،،،،

إستلقى عدي على الأريكة بعد أن تركته ليـــان وذهبت إلى غرفة أوس لتنام بجوار تقى ..

أغمض جفنيه ليستريح ، ولكنه سمع صوت فتح باب المنزل ، ففتح عينيه ، وإعتدل في نومته ، وحدق بالباب ..

هب من مكانه مذهولاً حينما رأى تهاني تدلف للصــالة ، فأسرع نحوها ، وسألها متلهفاً :

-انتي دخلتي هنا إزاي ؟ وعرفتي مكان الشقة منين ؟ وآآ...

ابتلع باقي الكلمات في جوفه حينما رأى أوس خلفها ، فرفع حاجبيه للأعلى ، وسأله بذهــول أكبر :

-إنت ! طب إزاي ؟

أشـــــار له أوس بعينيه ليكف عن الحديث ، وتشدق قائلاً :

-خليها تنام مع ليان ؟

اعترض قائلاً وهو يشير بيده :

-بس ليان نايمة مع تقى جوا في الأوضة وآآ..

قاطعته تهاني قائلة بخفوت :

-أنا ممكن أنـــام في أي حتة ، محدش يشيل همي !

أردف أوس قائلاً بجدية :

-وديها عند أوضـــة ليان وأنا هاجيبهالها هناك

لم تصدق تهاني أذنيها ، وظنت أنها تحلم حلماً جميلاً لم ترغب في أن تفيق منه أبداً .. نعم فهي مع فلذات أكبادها تحت سقف واحد ..

....

بخطوات حذرة ومتسللة ، دلف أوس إلى داخـل غرفة نومـه ، ورأى زوجته وشقيقته الصغرى تنامان في هـدوء ، فإعتلى ثغره إبتسامة صافية ..

ثم إقترب من جانب الفراش الذي تنام عليه ليـــان ، وانحنى بجذعه قليلاً ، ووضع يده على ذراعها ليوقظها برفق وهو يهمس لها :

-ليـــان ! اصحي

إعتصرت الأخيرة جفنيها بقوة لتفتحهما ، وردت عليه متسائلة بصوت ناعس :

-في ايه يا أوس ؟

همس لها بجدية وهو يهزها :

-روحي نامي في أوضتك

أغمضت عينيها ، وتململت في الفراش ، وغمغمت بصوت ثقيل وناعس :

-لأ مش قادرة أقوم ، خليها بكرة ، أنا مبسوطة هنا

إعتدل أوس في وقفته ، ورمقها بنظرات شبه مغتاظة ، ثم إعتلى ثغره فجــأة إبتسامة عابثة ، وهــز رأســه متوعداً لها ..

نزع بهدوء سترته ، وأسندها على الأريكة ، وشمــر عن ساعديه ، واقترب من الفراش مجدداً ، ثم لف ذراعه حول عنق شقيقته ليكمم فمها ، فشهقت بصوت مكتوم ، وفتحت عينيها مصدومة ، وأزاح بيده الأخـرى جانب الغطاء الذي يغطيها ، ثم مرره أسفل ركبتيها ، وحملها بين ذراعيه ، وســار مبتعداً بها عن الفراش ..

ركلت ليـــان بقدميها في الهواء وهي لا تصدق ما فعله معها ..

حاولت أن تصرخ ولكن صوتها كان مكتوماً للغاية ..

خـــرج أوس بها من الغرفة حاملاً إياها ، فتفاجيء عدي بما يفعله ، وفغر فمـــه مشدوهاً ، وركض نحوه متسائلاً بذهول :

-إنت بتعمل ايه بالظبط ؟!

-خـد مراتك !

قالها أوس وهو يلقي بها على رفيقه الذي أسرع بتلقفها منه بذراعيه فحملها بهما ، وضمها إلى صدره ..

خفق قلب ليـــان من تلك الحركة المباغتة ، وصاحت بإنزعاج وهي تلف يدها حول عنق عدي :

-إنت اتجننت يا أوس ! ايه اللي بتعمله ده ؟!

غمـــز أوس لعدي وهو يقول بإيجاز :

-اتعامل بقى !

حدقت ليـــان في عدي بصـــدمة ، وابتلعت ريقها بإرتباك واضح وهي ترى نظراته المتطلعة إليها بشغف كبير ..

بينما تشكلت إبتسامة متسلية على وجــهه وهو يستشعر بسعادة إرتباكها المغري ..

....

عـــاد أوس إلى الغرفة ، وتمطع بكتفيه ، وبذراعيه ، ثم فرك عنقه بأصابعه ، واتجه نحو سترته ، وإلتقطها بإصبعيه ، ووضع يده في جيبها ليخرج منها فردة الحذاء الأخـــرى ، ثم ألقها على الأريكة ..

فرك بأصابعه تلك الفردة التي صـــارت معشوقته ، ودنا من الفراش مجدداً ، ثم إستلقى عليه ، وراقب حبيبته تقـــى بنظرات عاشقة ، ومـــد أنامله ليتحسس بشرتها ، ثم انحنى عليها ليطبع قبلة صغيرة على وجنتها ، وهمس لها بحرارة :

-بأحبك !

أبعـد أوس رأسه للخلف ، وابتسم لها بعذوبة آســـرة ، ثم جمـــع فردتي الحذاء معاً ، وأسندهما على الوســـادة أمام وجهها حتى تكون أول ما تراه عينيها حينما تفتحهما ...

تثاءب بإرهـــاق وهو يرجع رأسه للوراء ، ثم أغمض عينيه وتلك الإبتســـامة الهادئة لا تفارق محياه ...

....

عند رصيف ميناء بورسعيد ،،،،

وصــل مهاب إلى مدخــل الميناء بعد أن قطع مســافة الطريق الطويلة في وقت قصير بسبب سرعته الجنونية ..

كانت كل ثانية تمــر عليه تزيد من هلعه من إحتمالية تعرضه للمسائلة القانونية وربما القبض عليه والزج به في السجن ..

فحص الضابط المسئول عن دخــول الأفراد والسيارات للميناء التصاريح التي بحوزته ، ورمقه بنظرات مطولة قبل أن ينطق بجمود :

-اتفضل ، ورقك سليم

تنفس مهــاب الصعداء ، وأخذ منه الأوراق ، ثم انطلق بالسيارة للداخــل ...

....

في نفس التوقيت بمكان أخــر بالميناء ،،،

حــرك أحد سائقى هيئة الميناء الرافعة التي تنقل الحاويات الثقيلة بحذر شديد نحو أحد الأرصفة ليصيح فيه زميله الأخــر بنفاذ صبر :

-انت يا عم ، خلص بقى خلينا نروح ، الوردية قربت تخلص!

رد عليه السائق بضيق :

-ما أنا شغال قصادك ، شايفني بألعب يعني

هتف فيه بصوت مرتفع وهو يلوح بيده :

-طب نزل الونش خليني أربط أخــر كونتينر (حاوية)

بينما أضـــاف عامل أخــر :

-بسرعة يا عمنا ، الوقت أزف

-ماشي يا سيدي

قالها السائق بإمتعاض واضح على وجهه ..

ثم ضغط على زر الإنزال ، وراقب بدقـــة حركته ، ولكن أرقــه إهتزازته الغريبة ..

تجمع العاملون حول الرافعة ، وقاموا بعقد الأربطة المعدنية حول الحاوية ، وتأكدوا من إحكـــام ربطتها ، وما إن انتهوا من

عملهم حتى ابتعدوا عنها ، وتراجعوا للخلف ، وأشــار أحدهم للسائق قائلاً بصوت مرتفع :

-اتوكل على الله وارفع !

رد عليه السائق بنبرة عالية وهو يشير بيده :

-مـــاشي !

وبالفعل ضغط على زر التشغيل لتعمل الرافعة وترتفع تدريجياً للأعلى حتى صـــارت على علو مقبول ، فأدار المقود للجانب لتتحرك معه الرافعة بحذر وتنتقل للجانب الأخــر من رصيف الميناء ..

شعر السائق بإرتجاجة قوية في الرافعة ، فإنقبض قلبه لوهـلة وحبس أنفاسه ، وظن أنها ستسقط .. فأوقف تشغيلها ، وانتظر لعدة لحظات مترقباً .. لكنها لم تحرك ساكناً ، وظلت على وضعيتها الثابتة .. فتنهد بإرتيـــاح ، وأعـــاد تشغيلها ..

في نفس اللحظة كانت سيـــارة مهاب الجندي تمـــر أسفل مســـار الرافعة ..

حـــدق هو في الطريق أمـــامه بجمود ، وإلتوى فمه بإبتسامة خبيثة أظهرت أسنانه وهو يردد لنفسه بغبطة :

-ابقوا وروني هتوصلولي إزاي ! وأنا هاعرف أنتقم من كل واحد بطريقتي !

وإذ فجـأة إنقطع رابط الرافعة المعدني ، فهوت بالحاوية التي تحملها فوق سيارته ، فهشمتها على الفور ، وأحدثت دوياً هائلاً هـــز أرجـــاء الميناء لتتناثر بعدها الدمـــاء على الأرصفة والحاويات الأخـرى المتراصة على الجانبين ، ومعها قطعاً صغيرة من أشلاء ما تبقى من جســد مهاب ....!!

....

الفصل الثامن والعشـرون (الجزء الأول) :

بداخـــل ميناء بورسعيد ،،،،

ركض العاملون بالميناء نحو الرصيف الجانبي الذي وقعت فيه الرافعة بالحاوية التي تحملها ، وصرخوا بفـــزع حينما تفاجئوا

بوجود بقايا بشرية ودمـــاء منتشرة في المكان ، وأثـــار لتهشم سيـــارة ما أسفلهما ..

صــاح أحدهم بهلع :

-يا ليلة كوبيا ، حد يتصل بالاسعاف والبوليس !

تسائل أخـــر برعب وهو يتلفت حوله :

-انتو كلكو كويسين ؟

رد عليه عامل ثالث :

-تمم على العمال اللي عندك كلهم

هتف سائق الرافعة بخــوف :

-سترك يا رب ، قلبي حاسس من الأول إن اليوم ده مش هايعدي على خير !

تجمعت بعض الكلاب الضــالة بالرصيف ، وبدأ بعضها يلعق تلك البقايا العالقة بالأرضية الإسفلتية ، فحاول أحد موظفي الأمن المتواجدين بالميناء إبعادهم وهو يهتف بحنق :

-هششش .. وده وقت كلاب ، بتاكلوا ايه بس ؟!

دقق موظف الأمن النظر فيما يلعقوه ، فوجدها بقايا بشرية ، فشعر بالغثيان ، وهتف بإشمئزاز وهو يلوح بعصاه الإلكترونية :

-هششش ! ابعدوا من هنا !

لم يتحمل بشاعة المشهد ، فأفرغ ما في معدته فوراً .. وتحرك مبتعداً ..

وفي غضون دقائق تحــول الميناء إلى ســاحة للجريمة ، وأصبح يعج برجــال الشرطة والمباحث والتحريات الخاصة لمعرفة هوية المتوفي ...

....

في منزل تقى عوض الله ،،،،

أغلقت فردوس درج الكومود الموجود بغرفة نومها وأمسكت بالشيك النقدي بأصابعها ، وجاهدت لتقرأ ما فيه ، ولكن كانت الرؤية مشوشــة للغاية ..

إنتحبت بصوت خافت ، وغمغمت مع نفسها بضجر :

-بكرة بنتي هاترجعلي تاني ، وهاتنسى اللي حصل ! والفلوس دي هاتخليني أخــرج من الوحلة اللي أنا فيها ، وأطلع على وش الدنيا

زادت حـــدة الصداع المهلك في رأسها ، فضغطت بكفها على رأسه المتألم ، وهتفت بصوت مختنق :

-آآآآه ، دمـــاغي هاتنفجر، مش قادرة ، آآآه !

تركت فردوس الشيك على الفراش ، وضغطت بكفيها على جانبي رأسها بعد أن نكستها للأسفل ..

ثم استجمعت قوتها ، ونـهضت عن الفراش ، وخرجت من الغرفة لتبحث عن مسكن للآلام ..

زادت حـــدة الضربات بصورة مميتة ، فصرخت بإهتياج وهي تضع كفيها على رأسها ، ثم سقطت على الأرضية وأكملت صراخها المتواصل ...

استمع الجيران إلى صوت صراخها المفزع ، فطرقوا على باب منزلها ، ثم حطمه أحدهم ، واندفعوا للداخـــل لنجدتها ..

هتفت إحداهن بقلق :

-مالك يا ست فردوس ؟

لطمت أخـرى على صدغها وهي تردد بخوف :

-يا لهوي بالي ، نادولها الاسعاف !

أضــــاف رجل ما قائلاً بجدية :

-احنا نوديها على أقرب مشتشفا (مستشفى)

ثم تعاونوا فيما بينهم لحملها ، ونقلها إلى أقرب مشفى ...

....

في المشفى الحكومي القريب ،،،،

تم إدخـــــال فردوس لغرفة الطواريء لمعالجتها فوراً .. وتكفل أحـد الجيران بدفع الرســـوم لها ..

بينما لم تكف هي عن العويل ولا عن الصــراخ بسبب الآلم الشديد ..

أعطاها الطبيب إبرة مسكنة لتخبو آلامها قليلاً ، ثم قـــام بفحص جرحها الذي لم يشفَ بعد .. ونظر إلى رفيقه بإمتعاض ، وتبادلا الاثنين حديثاً غير مفهومٍ ..

وبعدها تم إيداعها في عنبر السيدات بالمشفى حتى الصبـــاح الباكر ..

....

في منزل تقى عوض الله ،،،

عـــاد عــوض إلى منزله مع أول ضــوء للنهار ، وتفاجيء بتحطم باب منزله .. فتوجس قلبه خيفة .. وتلفت حــوله برعب ..

وتسائل بنبرة خائفة :

-هو .. هو حصل ايه هنا ؟

ولج إلى داخــل منزله ، وبحث عن قاطنيه فلم يجد أي أحد بالداخل ، فزاد رعبه .. وخـــرج سريعاً ليطرق باب الجارة المقابلة لهم ..

فتحت له السيدة إجلال الباب بعد لحظات ، ونظرت له بتعجب وهي تسأله :

-خير يا عم عوض ؟

إستدار برأســـه للخلف ، وأشــار بكفه المجعد وهو يرد بتلهف :

-أنا لسه راجع من الجامع ، وباب البيت مكسور وآآ...

قاطعته بإندهــاش وهي تضع إصبعيها على طرف ذقنها :

-هو انت متعرفش اللي جرى للست فردوس ؟

سألها بقلق بالغ وقد إتسعت عينيه المرهقتين :

-حصلها ايه ؟

أجابته بنبرة حزينة وهي تضغط على شفتيها :

-يا حبت عيني فضلت تصوت وتصرخ من دماغها ، فولاد الحلال نقلوها على المستشفى !

فغر فمــه مدهوشــاً ، وتسائل بقلق:

-هـــاه ، مستشفى ايه دي ؟

ردت عليه بنبرة عادية وهي تهز كتفيها :

-والله ما أنا عارفة !

هــز رأسها بحركة خفيفة متكررة ، وتابع بفتور :

-ماشي يا حاجة ، كتر خيرك

ثم أولاها ظهره وتحرك عائداً إلى منزله ، فهتفت فيه إجلال بتمني :

-ربنا يشفيهالك يا عم عوض !

لم يجبها بل ظل على حالته المشدوهــة تلك وهو يلج إلى منزله ..

استخدم هو المزلاج لغلق الباب المحطم ، وســار بخطى بطيئة نحو غرفته ..

ظل يتمتم قائلاً بتحســر وخيبة أمل :

-عملتي في نفسك كده ليه يا فردوس ؟ لله الأمر من قبل ومن بعد !!

أسند عــوض عكــازه إلى جوار الفراش ، ثم جلس بحذر عليه ، وأخــذ يضرب كفاً على كف .. وحرك رأســه للجانبين مستنكراً .. فوقعت عينيه مصــادفةً على تلك الورقة المطوية على فراشــه ، فمد يده ليمسكها ، وقــرأ ما بها ، فتحولت نظرات الحزن إلى صــدمة واضحة ، وهتف بعدم تصديق :

-مش ممكن ! إنتي تعملي كده يا فردوس !!!

....

في منزل أوس الجديد ،،،

أفـــاق أوس من غفلته القصيرة ، فشعـر بآلم حـاد في عنقه ، ففركه بكفه وهو يضغط عليه .. ثم نـهض بحــذر من على الفراش حتى لا يوقظ تقــى ..

وقف قبالتها واضعاً يديه على خصره ، لـوى فمه قليلاً وهو يفكر في شيء ما ، وسريعاً تشكل على ثغره إبتسامة عابثة .. ثم بحرص بالغ ، مـــد يده ليقرب كفها من فردتي الحذاء حتى تستشعر ملمسهما الناعم وهي غافية ، ولم ينسَ أن يطبع قبلة صغيرة على جبينها ..

طالعها أوس بنظراته الشغوفة ، وأبعد خصلات شعرها المتمردة عن وجهها ، ثم اعتدل في وقفته ، ودلف إلى المرحــاض ليغتسل ، وبعدها بدقائق اتجـــه إلى خزينة الملابس ، وأخــرج من ضلفته حلة جديدة ليبدل فيها ثيابه قبل يخـــرج من الغرفة بهدوء شديد ..

....

إندهش عدي من استيقاظ أوس مبكراً ، وسريعاً أطفأ سيجارته المشتعلة في المنفضة ، ونـهض عن الأريكة ليســأله بتعجب :

-انت لحقت تنام ؟

رد عليه أوس بصوت خشن وهو يسعل قليلاً :

-مافيش وقت للنوم ، لســه عندي حاجات عاوز أخلصها

ســألـه عدي بإهتمام وهو قاطب جبينه :

-طب انت رايح فين الوقتي ؟

أجابه أوس بإيجاز وهو ينتصب بكتفيه :

-رايح الشركة

عقد عدي ما بين حاجبيه في إستغراب وهو يســألـه :

-بدري كده ؟

هــز رأســه قائلاً بإقتضاب :

-أيوه ..!

وإلتفت بعدها حــوله متسائلاً بجمود :

-أومــال ليان فين ؟

أجــابه عدي مبتسماً ابتسم له عدي وهو يحك فروة رأســـه :

-مع مامتها جوا

هــز أوس رأســه بخفة ، وتابع بصوت جـــاد وهو يشير بيده :

-تمام ، أما تفوق براحتك ابقى حصلني على الشركة !

اعترض عدي قائلاً بإصرار :

-لأ استنى أنا جاي معاك ، بس هاعدي على الفيلا أغير هدومي الأول

ضغط أوس على شفتيه ليرد بإختصار جاد :

-اوكي !

....

بصعوبة بالغة تمكنت ليـــان من النوم في أحضـــان والدتها بعد تلك الليلة الفائتة التي قضتها مع عدي .. فقد رفض الأخير أن يتركها دون أن يعبث معها قليلاً ..

....

▫▫▫ ((خفق قلب ليـــان بإرتباك جلي ، وشهقت مذهولة من تلك الحركة المباغتة التي قــام بها شقيقها بإلقائها على عدي ليمسك هو الأخــر بها ببراعة بذراعيه ، ويحول دون سقوطها .. بينما طوقت هي عنقه بذراعها ..

توردت وجنتيها بحمرة بائنة ، وهتفت بتذمر وهي تركل بقدميها في الهواء بعد أن انصرف أوس :

-نزلني ، مش خلاص مشى !

ابتسم لها إبتسامة مراوغة ، وأجابها بمكر وهو يغمز لها :

-هو قالي أتعامل !

تعمدت العبوس بوجهها ، ورمقته بنظرات حادة وهي تهتف فيه بنبرة شبه منفعلة :

-يـــوووه ، نزلني بقى

نظر لها مستنكراً ، ورفع حاجبه للأعلى ، ورد عليها معاتباً :

-دي شكراً بتاعتك ، مش بدل ما كنتي تقعي !

تجهمت ملامح وجهها ، وهتفت بتحدي :

-أنا عاوزة أقع

ضاقت عينيه بصورة مثيرة ، وهمس بمكر :

-بجد ؟!

ردت عليه بنفاذ صبر وهي عاقدة ما بين حاجبيها بشدة :

-أيوه

مازحها عدي متسلياً معها ، حيث أرخى ذراعيه قليلاً لتشعر بتهديده الجـــاد بإيقاعها .. وتسائل بجدية مصطنعة وهو يطالعها بنظرات والهة :

-يعني كده ؟

إنتابها حــالة من الخوف ، وتشبثت أكثر بعنقه ، وصاحت بتوتر :

-حاسب !

استمتع عدي بلهوه معها ، فكرر تلك الفعلة قائلاً بإبتسامة واسعة :

-طب ولا كده ؟!

تعلقت بعنقه ، وعانقته بطريقة حركت مشاعره بشدة ، وأصابته بالتوتر الرهيب وهي تهتف متوسلة :

-No, no , no (لا، لا) .. بطل بقى بليز !

تنهد بعمق وهو يهمس لها بحرارة :

-ماتخفيش ، مش هاوقعك أكيد

ثم أنزلها بحـذر لتقف على ساقيها ، وظل محاوطاً خاصرتها بذراعه ، ورمقها بنظرات رومانسية مثيرة ، وهو يبتسم لها بإغــراء خطير ..

ازدردت ليـــان ريقها بتوتر واضح ، وشعرت بتأثيره عليها ، فخجلت منه ، وسحبت ذراعيها من حول عنقه بإرتبـــاك ، وأسـرعت بالإنصـراف من أمامه راكضة لتعود إلى غرفتها ، فتفاجئت بوجــود والدتها بها ، فهتفت بتلهف :

-مامي

فتحت تهاني ذراعيها في الهواء ، وردت عليها بفرحة وعينيها دامعتان :

-ليـــان ! بنتي !

ركضت ابنتها ناحيتها ، وإرتمت في أحضانها ، وأسندت رأسها على كتفها ، وسألتها بصوت شبه باكي :

-انتي هنا يا مامي ؟

مسحت تهاني على ظهر ابنتها ، وتابعت بتنهيدة سعيدة :

-ايوه يا حبيبتي ، أنا هنا معاكي ، ومش هاسيبك)) ◘◘◘

....

تقلبت ليـــان في الفراش لتنام على جانبها ، وإبتسمت لنفسها إبتسامة خفيفة وهي تغمض عينيها مرة أخــرى ..

لقد كانت من قبل ناقمة على عدي ، وتبغض وجودها بقربه بعد إكتشافها لخديعته ، وعاهدت نفسها ألا تكون لقمة سائغة له أو لغيره وألا تستسلم لمشاعرها تحت أي ضغط .. ولكن بعد مصارحته الأخيرة لها ، وإعترافه بخطئه وإبدائه لندمـــه الشديد وتوبته ، رق قلبها نحوه ، واستشعرت من جديد تأثيره القوي عليها ، بل إنه حرك بها تلك الأحاسيس الغريبة التي تشتاقها فباتت غير متيقنة من قرارها السابق ....

....

في المشفى الحكومي ،،،،

حركت فردوس رأسها على الجانبين وهي تئن بصوت خفيض .. ثم مدت يدها لتتحسس موضع الآلم .. ونادت بصوت واهن :

-حـ.. حد يساعدني ، آآآه ، مش قادرة من دماغي !

جاءت إليها الممرضة ، وتفقدتها سريعاً ، ثم ردت عليها بجمود :

-اهدي يا ست ، شوية وهتاخدي حقنة المسكن التانية !

سألتها فردوس بصوت متألم وهي تحاول فتح عينيها المتعبتين :

-أنا فيا إيه ؟ مش قادرة من دماغي ! وعيني .. مش .. مش شايفة بيها كويس !

ضغطت الممرضة على شفتيها لتجيبها بإمتعاض :

-معلش ، من أثر الخبطة الجامدة اللي كانت في دماغك ، فإلتهبت وآآ..

اقتضبت الممرضة حديثها ، فسألتها فردوس بتلهف وهي تدير رأسها في اتجاهها :

-وآآ.. ايه ؟

نفخت الممرضة وهي تقول على مضض :

-بصي هو الدكتور شوية وهايعدي عليكي يفهمك حالتك بالظبط !

أمسكت بها فردوس من قبضتها ، وهتفت فيها بعصبية :

-ماتسبنيش كده ، قوليلي فيا ايه

لمحت الممرضـــة الطبيب وهو يدلف للعنبر النسائي ، فتشدقت قائلة :

-اهوو .. الدكتور جـــه هناك ، ثواني أندهولك

وبالفعل تحركت الممرضـــة نحوه ، وتحدثت معه بهدوء ، فعـــاد الأخير إلى فردوس ، وفحصها متسائلاً بجدية :

-ازيك دلوقتي يا حاجة ؟

ردت عليه متألمة :

-مش كويسة خالص ، دماغي وعيني فيها زغللة وآآ...

مط فمـــه ، وتابع بهدوء جـــاد :

-شوفي يا حاجة ، مخبيش عليكي ، في مشكلة خطيرة عندك ولازم تتعاملي معاها من دلوقتي

إنفرج فمها بهلع :

-هــاه

تابع قائلاً بتفسير وهو يشير بيده :

-نتيجة الضربة القوية اللي اتعرضتيلها ده أثر على مراكز حساسة في المخ ، وخصوصاً مراكز الإبصار فده أدى لضعف الرؤية عندك ، وآآ...

توقف عن الحديث فإنقبض قلبها بفزع ، وســألته بصوت لاهث :

-وايه ؟

نكس رأســه قليلاً ، وأجابه بحــذر :

-وللأسف بعد فترة النظر هايروح خالص

صرخت بصدمة كبيرة :

-ايييييه !

تابع قائلاً بنبرة مواسية :

-ده قضاء الله طبعاً

جحظت بعينيها ، وصرخت بهوس وهي تمسك بياقة الطبيب بقبضتها :

-أنا هاتعمى ، لألألألأ !

أزاح يدها قائلاً بضيق :

-اهدي يا حاجة ،ماينفعش اللي بتعمليه ده

هزت رأسها مستنكرة ، وهتفت بتوسل باكي :

-مش عاوزة أتعمى ، أنا عاوزة اشوف ! طب .. طب مافيش علاج ؟ أنا مستعدة أدفع لحد مليون جنية !!!

أردف الطبيب قائلاً بجمود :

-هو للأسف مش هنا في المستشفى دي ، الإمكانيات محدودة ، لكن يمكن تلاقي في مستشفى استثماري أو آآ...

قاطعته بصراخ وهي تشير بيدها المرتجفة :

-ماشي ، مش مهم أي فلوس ، المهم إني أشوف ونظري مايروحش !

تحركت بصورة هيسترية على الفراش ، وتابعت بصراخ :

-خرجوني من هنا ، خلوني أجيب الفلوس ، وألحق نفسي !

...

في المقر الرئيسي لشركات الجندي للصلب ،،،

إستند أوس بذقنه على مرفقه ، وفحص بعينين ثاقبتين كل ورقـة من الأوراق التي أعطتها إياه والدته تهاني ..

تجهم وجهه بشـــدة ، وأظلمت عينيه وهو يقرأ تلك الحقائق المفزعـة التي كشفت القنـاع الأخـر لأبيه بوضـوح ..

هو عَهِده بغيضاً ، عنيفاً ، ذو سلوكيات عدائية منحرفـة .. لكنه لم يتوقع أن يكون بمثل تلك الدناءة والخسة ..

فقد تلاعب بمصائر الكثيرين وأفسـد حياة الأبريـاء على مدار عقود ...

كما إكتشف بينهم وجود عقود زائفة ، وتحاليل غير صحيحة تم التلاعب بها ، وأوراق تخص ممدوح ، ووالدته ..

فغر فمــه مشدوهــاً وهو يقرأ ما حوته تلك الأوراق .. ثم حــدق أمامه في الفراغ بنظرات خــاوية وهو يكاد لا يصدق هذا ..

دلف عدي إلى داخل مكتبه ، فرأه على تلك الحالة المصدومة ، فســأله بتوجس :

-انت كويس يا أوس ؟

لم يجبه الأخير ، وظل على تلك الوضعية الجامدة ..

ثم انتبه عدي لصوت السكرتيرة المرتبك :

-سوري يا فندم على المقاطعة !

نظر الإثنين نحوها ، فتابعت بتوتر وهي تشير بكفيها :

-في يا فندم ظابط برا عاوز يقابل حضرتك ضروري

ردد أوس بإستغراب وهو يرمقها بنظرات قوية :

-ظابط ؟!

سألها عدي بجدية :

-وده عاوز ايه؟

-دخليه !

قالها أوس بصوت آمـــر وهو يشير بإصبعه لها ...

خرجت السكرتيرة من المكتب ، وسمحت للضابط بالدخـول ، فنهض أوس عن مقعده ، وســأله بجدية وهو يحدجه بنظرات حادة :

-خير يا حضرت الظابط ؟

مط الضابط شفتيه ، وتابع قائلاً بحذر :

-أوس باشا احنا عاوزين سيادتك تشرفنا شوية في بورسعيد !

ضاقت نظرات أوس ، واكتسى وجهه بعلامات الإندهاش ، وردد بنبرة شبه مصدومة :

-نعم ! بورسعيد !

هـــز الضابط رأســه بحركة خفيفة مكملاً بإحتراز :

-ايوه ، للأسف عندي خبر مش كويس يخص والد سعادتك !

هـــدر فيه عدي بنفاذ صبر :

-في ايه حصل ؟ ما تكلم على طول يا حضرت الضابط

التفت الضابط نحو عدي ورمقه بنظرات منزعجة ، ثم عــاود النظر إلى أوس ، وأجابه بنبرة شبه أسفة :

-الدكتور مهاب آآ.. مـــات !

تجمدت تعابير وجـــه أوس ، وتسمـــر في مكانه مصدوماً من ذلك الخبر المفجع ، ولم يحرك ساكناً .. بينما صاح عدي بإستنكار :

-بتقول ايه ؟ وإزاي ده حصل ؟!

أجابه الضابط بنبرة رسمية :

-أنا معنديش تفاصيل كفاية ، بس لازم الباشا يجي معايا الوقتي !

حدق عدي في أوس فوجـــده شارداً في عالم أخـر ، وكـأنه ليس متواجداً معهما في المكتب .. فإقترب منه ، ووضع يده على كتفه ، وهزه بخفة وهو يقول بجدية :

-أوس .. لازم تروح دلوقتي تشوف الموضوع ده

إلتفت أوس ناحيته ، ورمقه بنظرات خاوية ، ثم همس بصوت آمــر :

-ماتبلغش حـد باللي حصل ! وخليك هنا !

أومــأ عدي برأســه موافقاً وهو يبتلع ريقه ، في حين تحرك أوس مع الضابط إلى خـــارج المكتب ...

....

في منزل أوس الجديد ،،،

تثاءبت تقــى بصوت خافت وهي تتململ في الفراش ، وشعرت بملمس ناعم تحت كفها ، ففتحت عينيها ببطء ، ورفعت أناملها الرقيقة للأعلى لتجد فردتي حذاء الرضيع أسفل راحة يدها ، فرمشت بعينيها عدة مرات لتتأكد من أنها مستيقظة وليست في حلم جميل ..

رفعت رأسها بحذر وتأملت الحذاء بنظرات مصدومة .. وتشكلت إبتسامة سعيدة على محياها ..

قربت تقى الحذاء من فمها لتقبله ، فاشتمت فيه رائحة عطر أوس المميز .. فزادت إبتسامتها إشراقاً ..

تلفتت حولها باحثة عنه ، ولكنها لم تجد أي أحــد بالغرفة .. فنهض من على الفراش ، وتوجهت إلى الخـــارج وهي قابضة على فردتي الحذاء ..

تسمرت في مكانها مشدوهــة حينما رأت تهاني أمامها ..

بينما إستقبلتها الأخيرة بإبتسامة ودودة وهي ترحب بها :

-صباح الخير يا بنتي !

تلعثمت متسائلة وهي تتحرك نحوها بخطوات سريعة :

-خـ.. خالتي ! انتي .. انتي هنا ؟

حركت رأسها إيجاباً وهي تجيبها بسعادة :

-أيوه يا حبيبتي !

ثم احتضنتها برفق ، وقبلتها من وجنتيها ، وأضافت بثقة وفخـر :

-ابني الغالي أوس جابني هنا !

إتسعت مقلتي تقى في ذهـول أخـر مثير ، وهتفت بعدم تصديق :

-اييييه ! مين ؟

ربتت تهاني على ظهرها بحنو ، وأضافت بإبتسامة لطيفة :

-تعالي اقعدي جمبي وأنا هاحكيلك على اللي حصل كله .... !!!

....

الفصل الثامن والعشرون (الجزء الثاني) :

في منزل تقى عوض الله ،،،

إستندت فردوس على إحدى جارتها لتتمكن من الصعود على الدرج ، وتحملت كل الأوجــــاع التي تفتك برأسها من أجل الوصــول إلى منزلها لتحصل على الشيك النقدي فتتمكن من علاج نفسها ...

طرقت الباب بدقات عنيفة بعد أن تعذر عليها فتحه ، وهتفت بصياح :

-افتحوا الباب !

بعد لحظات أزاح عوض قفل المزلاج ، ووقف على عتبة الباب ليرمقها بنظرات ساخطة ..

دفعته بيديها لتلج للداخل وبدت كالمجنونة وهي تسرع في خطواتها لتبحث عن ذلك الشيك

أوصـــد عوض الباب ، وتحرك خلفها بخطوات متمهلة ..

ألقت فردوس بمعظم محتويات الكومود على الأرضية ، وقذفت بالبقية على الفراش ، وأخذت تلهث وهي تتسائل بفزع :

-راح فين الشيك ؟ هو فين

راقبها عوض بنظرات إحتقارية ، ثم تسائل بنزق :

-بتدوري على ايه يا فردوس ؟

ردت عليه بصوت محتد وهي تقذف بالأشياء دون إكتراث :

-ملكش دعوة يا عوض ، سيبني في الهم اللي انا فيه

تابع عوض قائلاً بجمـــود واضح :

-اللي بتدوري عليه معايا !

انتبهت هي إلى حديثه الجـــاد ، ورفعت رأسها في إتجاهه ، وانفرجت شفتيها بصدمة جلية ..

لوح عـــوض بتلك الورقـــة المطوية التي بحوزته ، وحدجها بنظرات جافة وهو يتابع بصوت شبه غاضب :

-هو ده التمن اللي بعتي بنتك بيه ؟

ازدردت ريقها بصعوبة ، وسألته بصوت لاهث :

-انت .. انت خدت الشيك ؟

أمسك عـوض الشيك النقدي بكفيه ، فجحظت فردوس بعينيها ، .. ورغم الآلم الذي يُلهب نظراتها إلا أنه لا يقــارن بهلعها من إحتمالية تمزيق زوجها له ..

فهتفت متوسلة وهي تشير بكفها :

-هاته يا عوض ، أنا .. أنا محتاجاه أوي ، نظري هايروح لو آآ...

لم يصغِ زوجها إليها ، بل قـــام بتمزيق الشيك إلى نصفين غير عابئاً بنظراتها المشتعلة ، ولا بتوسلاتها المتواصلة ، ومن ثم مزق النصفين إلى أجزاء صغيرة ، ثم ألقاها في وجهها وهو يضيف بنزق :

-شوفي حاجة تانية تجبي منها فلوس غير روح بنتك !

شهقت فردوس بصراخ غير مصدقة ما فعله تواً ، ولطمت على صدغيها قائلة وهي تتحسر حالها :

-حرام عليك يا عوض ، أنا ضعت خلاص ، واتعميت ، حــرام .. ليييييه كده ؟!

لم تتحمل قدماها الوقوف ، فجثت على ركبتيها ، وأخذت تضرب صدرها ووجهها بصورة هيسترية مثيرة للشفقة ..

ومع هذا حدجها زوجها بنظرات قاسية جافة .. وأردف قائلاً ببرود :

-يعوض عليكي ربنا يا .. يا مرات عم عوض !

....

في مشرحة بورسعيد ،،،،

تحرك أوس بخطى ثقيلة نحــو ذلك الممر الطويل البــارد حتى يصل إلى تلك الغرفة شبه المظلمة ليتعرف على ما تبقى من جثمان والده بعد أن جمع أشلائه رجــال المعمل الجنائي .. ومن ثم يقوم بإستلامها ..

ظل طــوال الطريق إلى تلك المحافظة صامتاً لا ينبس بكلمة ..

وجهه متجمداً ، نظراته قاسية ..

ورغم هذا كان يشتعل من الداخــل .. ولكن لم تكن لديه أي رغبة في البكاء حزناً عليه ..

إجتـــاح عقله سيل هائل من الذكـريات المريرة معه .. نعم فأكثر ما يذكره عنه هو جفائه المستمر ، قسوته في التعامل ، عنجهيته ، تسلطه ، نزواته الماجنة ، ولياليه العابثة ..

مــر بباله ذكرى ما فعله حينما كان طفلاً صغيراً ـ لا حــول له ولا قوة ـ وأسلمه إلى رفيقه ممدوح ليفعل به ما يشــاء على طريقته الفاجرة ..

طفولة بائسة قضاها في كنفه ، وتبعتها مراهقة عصبية ، ثم سنوات تالية لا يذكر فيها لحظة حنو أبوي واحدة معه ..

توقف عن السير حينما أشــار له رجل ما يرتدي معطفاً أبيض اللون ليدخــل إلى تلك الغرفة التي دون عليها (المشرحة)

ابتلع ريقه ، وأحس ببرودة رهيبة تجتاح أوصــاله ..

رعشة قوية هزت جسده القوي المتصلب .. ولكن رغم هذا استمر في التحرك ..

دلف إلى الداخل وهو يتوقع الأســوأ ..

حبس أنفاسه ، وحرك رأســه ببطء باحثاً عن ضالته ..

تعلقت أنظاره بذلك الفراش الذي تدلت منه لوحة كرتونية صغيرة كتب عليها اسم (مهاب الجندي) ..

خفق قلبه بشـــدة ، ووضع يده على فمه ليمنع أي شهقة تصدر رغماً عنه .. ثم بحركات شبه عاجزة حاول أن يدنو أكثر منه ..

إرتد شبه مذعــوراً للخلف من هــول المنظر ، وخــارت قواه فوراً ، ولم يستطع الوقوف على قدميه حينما إلتقطت عينيه جزءاً صغيراً من بقايا وجــه أبيه .. فأشــاح بوجهه للجانب ، وأغمض عينيه بقوة ..

توقع أن يكون أكثر تحملاً وصلابة .. أن يكون أكثر قسوة وشجاعة ، ويستقبل جثمانه بجمود قاسي .. ولكنها كانت مجرد حصون واهية .. إنهارت فوراً مع رؤيته لهذا المشهد المفزع ..

بكى رغماً عنه حزناً على حــاله .. وغطا بكفه وجهه ، وشعر بالغثيان الشديد ، وصعوبة في التنفس ..

فركض مسرعاً للخــارج ليلتقط أنفاسه ..

أسنده أحد الأطباء ، وأشفق عليه المتواجدين بالممــر ..

تبادلوا الأحاديث فيما بينهم ، ولكنه لم يكن مصغياً ولا منتبهاً إلى أي كلمة تقــال ..

هتف أحد محاميه قائلاً بجدية :

-البقاء لله يا أوس باشا ! احنا هانخلص لحضرتك الإجراءات عشان تصريح الدفن وآآ....

لم ينتبه له أيضـــاً ، بل دفعه بقبضته ، وخطى بخطوات سريعة أقرب للركض لينطلق مبتعداً عن الجميع وهو يحاول السيطرة على حـــــاله .. فالفاجعة أكبر من قدرته على التحمل .....

....

في منزل أوس الجديد ،،،

ســـردت تهاني لتقى ما فعله أوس معها ، وتعمدت أن تحذف الجزء المتعلق بوالدتها فردوس حتى لا تشعرها بإهانته إياها حتى وإن كانت مذنبة .. فقد أرادت أن تكون العلاقات بينهما ودية ولا تتضمن أي مشاحنات أو ضغائن بسبب أفعال غيرها المشينة ....

أنصت تقى إليها بإهتمام كبير ، وبدت راضية للغاية وهي تستشعر مشاعر خالتها المتحمسة وهي تتحدث عن صفح ابنها لها ومناداتها إياه بـ (ماما) ..

لمعت عينيها عفوياً ، وتجمعت العبرات في طرفيها ..

فهي تكاد لا تصدق ذلك التغيير الكبير والتحول الهائل في حياة أشد الرجـــال قســوة وأكثرهم جبروتاً .. بينما أكملت تهاني بصوت مختنق :

-سنين وأنا مستنية أسمع الكلمة دي بوداني قبل ما أموت ، سبحان الله ربنا نولهاني ، ورضاني بإبني ! اللهم لك الحمد والشكر ..!

نظرت لها تقى وتلك الإبتسامة الرقيقة مرتسمة على ثغرها .. ومسحت بأناملها عبراتها ..

تابعت تهاني قائلة برجــاء :

-انا عاوزاكي يا بنتي تديله فرصة !

ضيقت تقى عينيها ، ونظرت لها بإهتمام ، فتابعت خالتها بنبرة خافتة :

-صدقيني هو اتغير فعلاً ومش عشاني ، لأ .. عشانك انتي .. !!

قرأت تهاني في عيني ابنة أختها الإستغراب ، فهزت رأسها وهي تتابع بثقة :

-ايوه ، انتي الوحيدة اللي خليتي أوس الجندي يبقى عنده قلب ويرجع يحس ويحب من جديد !

توردت وجنتي تقى وهي تصغي إلى تلك العبارات التي تمسها ..

حدقت تهاني فيها بنظرات عميقة ، وأضافت بنبرة عذبة وهي تحتضن كف تقى براحتيها :

-أوس بيحبك أكتر من روحه ، إنتي .. انتي لو تشوفيه وهو بيتكلم عنك ازاي ، هاتحسي بأد ايه هو بيعشقك ، بيتمنى يشوفك بس راضية عنه ومبسوطة معاه !

إزدردت تقى ريقها بتوتر ، وشـــردت مخيلتها في ومضـــات سريعة من لحظاته الحنونة معها ..

ضغطت تهاني على شفتيها لتقول بحذر وقد تحولت نظراتها للجدية :

-أنا عارفة إنها تجربة مش سهلة عليكم ، واللي مريتوا بيه مش هين !

بدى الإرتباك والتوتر واضحاً على تعابير وجـــه ابنة أختها ، فأكملت بإحتراز :

-بس .. بس إديله فرصة يقرب منك بجد !

ضغطت على كفها بأصابعها ، ونظرت له برجاء ، وهمست متوسلة :

-سامحيه يا تقى عشان ترتاحي !

ثم وضعت إصبعها بالقرب من صدرها ، وأضافت بنبرة إستعطاف :

-سامحيه بقلبك الطيب ده ! وإنسي اللي حصل وكملي حياتك معاه ، إنتو .. إنتو اتخلقتوا لبعض !

أسبلت تقى عينيها الدامعتين للأسفل .. ووضعت إصبعها على طرف أنفها ، وحـاولت أن تمنع نفسها من البكاء .. وهمست بصوت مختنق للغاية :

-يا ريت أقدر أعمل ده !

لفت تهاني ذراعها حول ظهرها ، واحتضنتها وهي تقول بإصرار :

-هاتقدري يا بنتي ، جربي ومش هاتندمي ، لو فضلتي واقفة عند الماضي كتير عمرك ما هاتتخطي اللي حصل ، إكسري الحاجز اللي واقف بينكم ، وعيشي حياتك .. وسامحي ، ده ربنا بيغفر ، إحنا يا عباده مش هانغفر ؟!

هزت رأسها وهي تردد بإستسلام :

-هـ.. هحـاول

ثم إنتبهت كلتاهما إلى صوت قرع الجرس ، فنهضت تقى عن الأريكة ، وأشـــارت لخالتها قائلة :

-أنا .. أنا داخلة جوا

هتفت المدبرة عفاف بجدية وهي تتجه نحو الباب :

-أنا هاشوف مين ، خليكوا مرتاحين

ردت عليها تهاني بإمتنان :

-طيب .. ربنا يكرمك !

فتحت عفـــاف الباب ، وابتسمت لعدي وهو يدلف للداخل ، وأردفت قائلة بترحيب :

-اتفضل يا عدي باشا

تحركت تهاني نحوه وعلى ثغرها إبتسامة عريضة ، وهتفت بحماس :

-ازيك يا بني ، تعالى ، البيت منور بوجودك فيه

لاحظت تعابير الحزن المكتسية على جميع قسمات وجهه ، ونظراته القاتمة ، وعبثه بسلسلة مفاتيحه بطريقة عصبية ، فســألته بتوجس :

-مالك ؟ هو .. هو في حاجة حصلت ؟

رد عليها بنبرة منزعجة للغاية وهو ينظر لها بجمود :

-مـ.. مهاب الجندي مــات !

برزت عيني تهاني بصدمة كبيرة ، وشهقت بذهــول :

-إيييه مــ.. مات !!

تابع قائلاً بنفس النبرة المنزعجة :

-أوس طلب مني ما أبلغش حــد بالخبر ده ، بس هو اتعرف ، واتنشر على معظم المواقع !

تنفست بصعوبة وهي تردد بلا وعــي :

-مــ.. مات من .. من غير ما يتحاسب على اللي عمله ، من غير ما آآ...

قاطعها عدي قائلاً بجدية :

-أنا عاوز أبلغ ليــان بالخبر ، وحضرتك بلغي تقى !

جلست تهاني على الأريكة ، فهي لم تستوعب الصدمة بعد ، وغمغمت مع نفسها :

-طب .. طب إزاي ؟ يعني مات كده فجــأة ، حكمتك يا رب ، لا إله إلا الله ، لا إله إلا الله !

تحرك عـدي في إتجـاه غرفة ليــان ، وطرق على الباب بخفة ، ولكنه لم يستمع إلى أي صـوت ، ففتحه بحذر ، وولج إلى الداخل ليجدها نائمة في سبات عميق ، فآلمه أن يوقظها ويبلغها بهذا الخبر المؤسف ، هو يعلم أن فراقه ربما لن يؤثر معها ، ولكن الفاجعة في حد ذاتها محزنة بالتأكيد ..

لذا أغلق الباب بهدوء .. وعـــاد إلى تهاني ليجد تقى جالسة إلى جوارها وفي حـــالة صدمة هي الأخـرى ..

أشـــار بإصبعه للخلف وهو يقول بصوت آجش :

-ليان نايمة ، وأنا مش حابب أصحيها على خبر زي ده !

رفعت تهاني بصرها ناحيته ،وســألته بتلهف :

-طب وأوس فين دلوقتي ؟

أجابها بتنهيدة عميقة :

-راح يستلم جثته من المشرحة في بورسعيد !

وضعت تقى يدها على فمها مصدومة مما تسمعه ، بينما شهقت تهاني بفزع ، وتسائلت بإندهاش :

-اييه ؟! وإيه اللي وداه هناك كده ؟

تهدل كتفيه مجيباً إياها بقلق :

-مش عارف لسه ، بس أنا بأطلبه وهو مش بيرد عليا !

ضربت تهاني صدرها بكفها ، وهمست بحزن :

-قلبي معاك يا بني !

أضــاف عدي قائلاً وهو يزفر بضيق :

-عامة أنا موجود ولو عوزتوا أي حاجة كلموني ، بس يا ريت تبلغوا ليان الخبر بهدوء ، مش عاوزين انفعال !

أومــــأت برأسها إيجاباً وهي تردد :

-حاضر يا بني ، ربنا معانا كلنا !

-عن اذنكم

قالها عدي وهو يتجــه نحو باب المنزل ..

ضمت تقى قبضتي يدها معاً وأسندتهما على فمها ، وظلت تهـز جسدها بتوتر كبير ..

ولكن نوعاً ما أحست بالإرتيـــاح لإنتهاء ذلك الكابوس الذي أرق منامها لليالٍ طوال وهدد حياة جنينها بالقتل ..

....

مضت عـــدة ســاعات والجميع في منزل أوس ينتظر قدومـــه للإطمئنان عليه وتعزيته .. ولكنه لم يظهر بعد ، ولم يجبْ على اتصــالات أي شخص ..

توجست تهاني أن يكون قد أصابه مكروه ما ، وانقبض قلبها من الخوف عليه ..

بكت ليـــان في صمت دون أن تصدر أي جلبة بعد تلقيها خبر وفـــاة أبيها الزائف مهاب .. وظلت قابعة في غرفتها رافضة للخروج أو الجلوس مع أي أحـــد ..

لم تتخيل أنه قد رحل بالفعل ، وهي التي واجهته قبل عدة ساعات وتحدثه بشراسة لم تكن عليها ..

حزنت على فراقــه رغم حنقها منه ..

دلف عدي إلى داخـل غرفتها لمواساتها ، فوجدها ضامة ركبتيها إلى صدرها ، وعاقدة لكفيها معاً أمام ركبتيها .. وفي حالة بكاء شديد ..

أشفق عليها ، وإعتصر قلبه آلماً على حالتها ..

اقترب من فراشها ، وجلس على طرفه قبالتها ، وطالعها بنظرات حانية ..

لم تنظر هي نحوه ، وظلت محدقة أمامها بنظرات خـاوية ..

ضغط على شفتيه ، وبحث عن كلمات معزية ليبدأ الحديث معها ، ولكنه تفاجيء بها تردد بأسى :

-كان بيحبني مع إنه مش بابي ! بس .. بس كان بيحبني !

مــد عدي كفه ليتحسس يديها المعقودتين ، وهمس بحذر :

-كلنا بنحبك يا ليان !

أغمضت عينيها لتنهمر العبرات بغزارة على وجنتيها ، فدنا أكثر منها ، ولف ذراعيه حولها ليحاوطها ، وضمها إلى صدره ، وتابع بصوت خفيض :

-عيطي يا حبيبتي ، وطلعي اللي جواكي ، أنا جمبك

أسندت رأسها على كتفه ، وبكت بحرقــة .. فربت هو على ظهرها برفق ، وقبلها في جبينها قبلة عميقة تعاطفاً معها ..

وبقي معها إلى أن إستكان جسدها وغفت على صدره ، فقام بإراحة جسدها على الفراش ، وتغطيتها ، ثم مسح العبرات الباقية من على وجنتيها .. ورمقها بنظرات أخيرة حزينة قبل أن يتركها وينصــرف .....

....

مـــرت ساعات أخـرى ولم يحضر أوس بعد لمنزله ..

ولجت تهاني إلى غرفة ليـــان لتكون إلى جوارها ، وفضلت تقى أن تظل مستيقظة لتنتظره ..

قـاومت سلطان النوم قدر إستطاعتها ، وتحركت كثيراً على الأريكة ليظل جسدها منتبهاً ..

وحينما أوشك جفناها على الإستسلام له ، إنتبهت إلى صوت فتح الباب ، ففتحت عينيها سريعاً ، وإعتدلت في نومتها ، وإشرأبت بعنقها لترى القـادم فكان هــو ..

كان أوس في حـــالة بائسة للغاية .. به حزن عميق رغم جمود تعابير وجهه ..

نهضت بهدوء من على الأريكة ، واقتربت منه وهي تضغط على شفتيها بتوتر ، ثم ســألته بصوت هامس رقيق :

-إنت كويس ؟

طالعها بنظرات غريبة .. وتحرك مبتعداً عنها ليجلس على الأريكة ..

ثم نكس رأســه للأسفل ، وأخفض نظراته ليحدق في قدميه ..

شعرت تقى بغصة عالقة في حلقها ، فإبتلعتها بصعوبة ، وســارت بخطى متريثة نحوه .. ثم جلست إلى جواره .. وراقبته بدقــة ..

لم ينبس أوس ببنت شفة ، وظل على تلك الوضعية لعدة لحظات .. ولكنها إستمعت إلى صوت تنهيداته العميقة والمطولة ، فأحست بما يعانيه رغم عدم بوحــه به ..

هداها عقلها إلى صــرف تفكيره عن تلك الفاجعة بوضع فردتي حذاء الرضيع أمامه على الطاولة الصغيرة التي تقابل الأريكة ..

وبالفعل رفــع أوس بصره ليحدق مطولاً بهما ..

همست له بتلعثم مواسية إياه :

-البقاء لله ، كلنا هنموت في الأخــر ، فـ آآ.. مــ.. ماتزعلش من اللي حصله ! وإدعيله بالرحمة !

إلتفت برأســه نحوها ، ورمقها بنظرات دامعة ، واستطرد حديثه قائلاً بصوت مختنق :

-إنتي عارفة هو مات إزاي يا تقى ؟

هزت رأسها قائلة بإعتراض :

-مش عاوزة أعرف ، بس .. بس مايجوزش عليه إلا الرحمة الوقتي ! فإدعيله إن ربنا يغفرله ويرحمه !

إلتوى فمه ليقول بتهكم صــارخ :

-أدعيله ؟ ده كان عاوز آآ...

قاطعته بوضـع إصبعها على فمه ، وأضافت بصوت حنون وهي ترمقه بنظرات رقيقة :

-ششششش، ماتقولش ، الكلام مش هايفرق الوقتي ، هو بين إيدين ربنا !

أمسك أوس بكفها وقبل راحته بحرارة كبيرة ، وإستند بصدغه عليه ، وهمس لها بنبرة مليئة بالشجن :

-إنتي .. إنتي طيبة أوي ، وماتستهليش اللي حصلك مني أو من غيري !

توقف للحظة قبل أن يتابع بنبرة باكية وهو يطلعها بعينين حمراوتين :

-إحنا .. اللي زينا معروف نهايته ، ومواينفعش نكون آآ...

طوقت تقى ظهره بذراعها ، وقاطعته بجدية :

-ششششش .. ماتقولش الكلام ده

لف أوس ذراعيه حولها واحتضنها بشدة ، وأسند رقبته على كتفها ، وتوسلها برجــاء شديد :

-ماتسبنيش يا تقى ، ماتبعديش عني ، مش عاوز أخسرك في يوم من الأيام !

إحتضنته هي الأخــرى بعاطفة قوية إستشعرها بجسده ، وبقلبه ، وبروحه ، وبكل ذرة في كيانه .. وهمست له بصدق :

-أنا .. أنا هنا جمبك !

أخفض نبرة صوته وهو يقول بصوته المنتحب :

-بأحبك يا تقى ، إنتي أحسن حاجة حصلتلي في حياتي ! متتخليش عني وأنا محتاجك !

زادت نبرته إختناقاً وهو يتابع :

-أنا .. أنا ممكن أستحمل أي حاجة ، بس خسارتك ، أو خسارة حتة منك ممكن تخليني .. آآ.. أموت !

أخـذ نفساً عميقاً ، وبللت عبراته كتفها ، وهمس لها بعاطفة جياشة :

-بأحبك يا تقى ، وماحبتش حد قبلك ولا عاوز أحب حد بعدك !

إرتعش جسدها على إثر كلماته الصادقة ، وإمتزجت مشاعره المتأججة مع روحها النقية التي إحتوته .. فأغمضت عينيها بقـوة ، وأخـذت نفساً عميقاً حبسته في صدرها للحظات قبل أن تطلقه ، ثم نطقت بإحساس صــادق ، ونابع من أعمـــاق قلبها قبل روحها :

-و.. وأنا .. وأنا كمان بـ.. بأحبك .... !!

....

الفصل التاسع والعشرون :

في منزل أوس الجديد ،،،

إرتجف جســـد أوس بالكامل متأثراً بكلمات تقى الأخيرة والتي إعترفت فيها بحبها لــه ، فتسللت تلك الكلمات كالمخدر عبر جلده لتسري في عروقــه ، فسلبت عقله قبل قلبه ..

نعم لقد كان غارقاً في حبها حتى النخـــاع .. واليوم هي تروي ظمأته ..

أرخى قبضتيه عن ظهرها ، وأخفضهما قليلاً على خاصرتها ، وتراجع بجسده للخلف ليحدق بها بعينيه اللامعتين ليستوعب ما قالته تواً .. بدى مندهشاً ، متأثراً ، في حـــالة صدمة وذهــول ..

أطرقت تقى رأسها خجلاً منه ، وعضت على شفتها السفلى بتوتر واضح .. وتحاشت النظر إليه .. وأبعدت بكفيها يديه عنها ببطء ..

ولكنه رفعهما للأعلى ليحتضن وجهها براحتيه .. ثم رفع رأســها في مستوى نظره لتمسك عينيه بعينيها الزرقاوتين ..

كانت نظراتهما كافية للتعبير عن صـــدق إحساس كلاهما ..

سألها بصوت هامس ومرتبك :

-إنتي .. إنتي قولتي إنك بتحبيني ، ده .. ده بجد ؟

هـزت رأسها بإيماءة خفيفة وهي تجيبه بخفوت شديد :

-آآ.. ايوه !

تسارعت أنفاســه من فــرط الحماسة الممزوجة بالسعادة الغامرة .. وإلتوى ثغره بإبتســامة مثيرة للغاية ..

لقد إستطاعت أن تمحو بكلماتها - التي طالما انتظرها منها - تلك الأحــزان المتراكمة في صدره .. بل وتنقل روحه كلياً إلى عالم أخــر خاص بهما ..

أنزل أوس يديه عنها ، ورمقها بنظرات شغوفــة .. وبكى تلك المــرة بفرحة حقيقية ..

حدقت تقى في عبراته المنهمرة بإبتسامة ناعمة ، ومدت أنامل كفها لتمسحهم برقة عن وجنته ، فأحست بدفئهم ، في حين أسند هو كفه على يدها ، وقربه من فمــه ليقبله بحرارة أشــد ، ولف ذراعه الأخــر حولها ليحتضنها ، وتابع بصوت رخيم :

-إنتي الملاك اللي نور حياتي !

إستندت تقــى برأسها على كتفه ، ووضعت يدها على صدره ، وهمست قائلة بتنهيدة :

-نصيبنا نكون مع بعض ، ومهما حاولنا نبعد فبنلاقي اللي يجمعنا تاني !

ثم أنزلت يدها التي يحتضنها كفه للأسفل لتضعها على بطنها ، وأكملت بهمس رقيق :

-وابننا هو اللي جمع بينا !

-آآآآه يا تقى !

قالها أوس بتنهيدة حـــارة وهو يرفع رأسه للأعلى بعد أن أغمض عينيه ..

ثم تنهد مجدداً بعمق ، وأحنى رأسه للأمـــام ، وأكمل بنبرة رومانسية وهو محدق بها بنظرات العاشق المتيم :

-من زمان وأنا بأحلم باللحظة دي .. وإستنيتها كتير أوي ، اللحظة اللي تحسي فيها بيا ، وتقولي عن اللي جواكي ناحيتي !

إرتسمت إبتسامة مهذبة على ثغرها وهي تبرر قائلة :

-كان ليها وقتها يا أوس !

إلتوى فمـــه بإبتسامة راضية وهو يهمس بخفوت :

-بأحب اسمي وهو طالع من بين شفايفك !

توردت وجنتيها بكثافة .. وأسبلت عينيها خجلاً .. فتنهد بإرتيــاح ، وأضافت هي بإرتباك :

-يالا عشان ترتاح ! إنت .. إنت تعبان ومحتاج ده !

اعترض قائلاً بتذمر وهو يتحسس أنامل كفيها :

-لأ .. أنا عــاوز أفضل صاحي ، مش عاوز أفوق من الحلم ده

رمقته بنظرات دافئة ، ورددت بإبتسامة لطيفة :

-بس ده مش حلم !

إبتلع ريقه وهو يردد بحماس خافت :

-معاكي كل حاجة بالنسبالي حلم

ضغطت على أصابعه قليلاً ، وأضافت بجدية هادئة :

-الأيام لسه قدامنا ، هــا .. يالا !

امتثل أوس بالأخير إلى طلبها ، وهــز رأســه موافقاً ، فقد كان جسده منهكاً للغاية ، ولم يعد بإستطاعته البقاء مستيقظاً .. ولكن

أراحـــه أنه نـــال في نهاية المطـــاف على ما كان يحلم بـــه ..
((حب تقـــى))

أمسكت تقى بفردتي الحذاء بقبضتها ، ثم لفت ذراعها حول خصر أوس ، وســـارت معه بخطوات متمهلة نحو غرفتهما ..

ولج الاثنين إلى الداخل ، وعاونت هي زوجها في التمدد على الفراش ، فتقلب على جانبه ، ورمقها بنظرات حنونة مطولة قبل أن يغمض جفنيه ، ثم نامت هي إلى جواره ، ولكن تلك المرة وهي تحيطه من ظهره بذراعها ..

تفاجيء من فعلتها الجريئة ، فإحتضن كفها الناعم براحتيه ، وإرتسم على وجهه المتعب إبتســـامة ساحرة ..

مسدت بيدها الأخـــرى على رأسه بحركة هادئة وثابتة ، فشعر بملمس أناملها يتخلل خصلات شعره ، فتنهد بحرارة ، وغفا سريعاً وهو في أحضانها ...

....

بدى صبـــاح اليوم التالي غير عادياً ، ففيه ظفـــر أوس على إعتراف ثمين بحب تقى لـــه ..

ولأول مرة منذ فترات طويلة ينعم بنومٍ هانيء وعميق ..

فتح عينيه بتثاقل وأدار رأســه في إتجاه حبيبته، وحـدق فيها بنظرات عاشق متيم ..

ثم إلتفت بجسده كلياً ناحيتها ، ولم يبعد عينيه عنها ..

فتحت هي الأخــرى عينيها لتجده محدقاً بها ، فرمشت عدة مرات ، وســألته بصوت متحشرج وناعس :

-صباح الخير

رمقها بنظرات رومانسية وهو يجيبها :

-صباح النور ..

عقدت ما بين حاجبيها ، وسـألته بقلق :

-إنت مانمتش كويس ؟

أجابها بصوت رخيم :

-لأ .. بالعكس دي أول مرة أنام فيها حلو

إبتسمت له برقــة وهي تتابع بهمس :

-طب الحمد لله !

مسح على وجنتها بكفه ، وتابع بجدية :

-خليكي انتي نايمة يا حبيبتي ، لسه الوقت بدري ، وأنا هاقوم أشوف اللي ورايا ، اليوم مليان النهاردة

قطبت جبينها مندهشة ، وسألته بإهتمام :

-إنت .. نـــازل ؟

رد عليها بهدوء :

-أيوه ، إرتاحي إنتي يا حبيبتي !

ثم نهض عن الفراش فتابعته بنظراتها إلى أن ولج للمرحــاض ، ثم همست برجاء :

-ربنا يصبرك ويعديها على خير !

....

على مدار اليوم كانت الحركة غير عـــادية في منزل أوس ، فالجميع كان يستعد لحضور مراسم دفن مهاب الجندي ، ومن بعدها تلقي واجب العزاء فيه في دار المناسبات ..

رفضت ليـــان الذهــاب إلى المدافن ، فلم تكن أعصابها تتحمل رؤية جثمانه وهو يدفن تحت التراب ..

كانت أكثرهم حزناً على فراقه رغم أنها لم تكنْ إبنته الحقيقية ، وكانت حانقة عليه في الأونة الأخيرة ، ورغم هذا كان يبادلها مشاعر أبوية صـــادقة ، وأحبها كثيراً .. فلم ترَ منه إلا الوجــه الطيب ..

لم تتركها تهاني بمفردها ، وظلت إلى جوارها تواسيها ، وتشد من أزرها ..

....

كذلك قـــام الحارس الأمني جمـــال بغلق كافة نوافذ القصر وأبوابه ، والتأكد من تأمينه قبل أن يسلم مفاتيحه إلى رب عمله أوس ..

وطلب منه الأخير أن يظل الجميع ملتزمين بنوبة حراستهم حتى يبلغهم بالجديد ...

كما تم إعطـــاء جميع موظفي شركاته إجازة مدفوعة الأجر لمدة يومين حداداً على وفـــاة أبيه ..

....

في المســـاء ،،،

وقف أوس على رأس المعزيين في إحدى دور المناسبات الشهيرة ليتلقى واجب العزاء في أبيه الراحـل ..

كان يصافح المتواجدين بصلابة وثبات .. وظهر عليه بوضوح عدم التأثر رغم هــول الفاجعة ..

لقد كان أمام الجميع أكثر جموداً ، أكثر قوة ، بل وأكثر هيبة وفخــامة ، وتحملاً للموقف المؤثر .. وكــأن إعتراف تقى بحبها له قد أعطاه جرعــة رهيبة للإستمرار خلال الأيــام القادمة ..

تعجب عدي من التغيير الذي طـرأ على رفيقه .. ووقف مشدوهاً من حالته ..

وظل يختلس النظرات نحوه بإندهــاش أعجب .. وتمتم مع نفسه بفضول :

-استحالة يكون ده أوس ، من اللي عرفته من المحامي ، والكلام اللي اتقال ان حالته كانت صعب أوي !

حك رأســه عدة مرات ، وتابع حديث نفسه بإستغراب :

-أكيد الناس دي كانت بتخرف ، ده أوس زي ما يكون في قمة مجده ، مش واحد واقف ياخد عزا !!

تقــدم كبير الأطباء من أوس ، ومــد يده ليصافحه قائلاً بحزن زائف :

-البقاء لله ، قلبي عندك يا باشا ، المرحوم كان غالي عندنا أوي ، حقيقي أنا مش متخيل إنه فارقنا وراح كده !

رمقــه أوس بنظرات ساخطة ، ورد عليه بتهكم :

-لأ .. واضح

ثم شدد من قبضته عليه ، وتابع بنبرة متوعدة :

-أتمنى إن كلامك ده مايتغيرش عنه بعد كده

شحب لون وجــه كبير الأطباء نوعاً ما ، وســأله بتوجس وهو يبتلع ريقه :

-آآ.. قصدك ايه ؟

تحولت عينيه للقسوة الشديدة ، وتابع بنبرة شبه مخيفة :

-اصل أنا غير دكتور مهاب ، مش بأقبل بالغلط ، ولا بأسامح اللي بيغلط بالساهل !

إزدرد ريقــه بصعوبة ، وإرتبك قائلاً :

-أهــا .. آآ.. أكيد !

افتعل ســـامي الجندي عدة نوبات بكائية هيسترية ليثير تعاطف الجميع معه أثناء عزاء أخيه ، ولكن لم يقتنع أوس بزيف ما يفعله .. فقد كان قناعه مكشوفاً أمامه .. وما زاد هذا إلا من حنقه ناحيته ..

اقترب منه أوس ووقف قبالته ، وحدجه بنظرات جارحة .. بينما نهض الأخير من على مقعده ليقف على قدميه ، وهتف ببكاء مصطنع وهو يربت على كتف ابن أخيه :

-اه يا أوس ، الموت خطف أبوك من وسطنا ، أنا مش مصدق إن ده حصـل ! ده ..ده من دلوقتي واحشني !

إلتوى فم أوس ليقول بجمود وهو يرمقه بإزدراء :

-لأ صدق يا عمي .. وقريب أوي هتحصله إنت كمان !

إتسعت حدقتي ســـامي في صدمة ، وهتف بتوتر :

-هـــاه ، إنت بتقول إيه ؟

رد عليه بثقة وهو يرفع حاجبه لأعلى :

-حبل المشنقة مستنيك !

زاد جحوظ عينيه ، وهتف مصدوماً وقد شحب وجهه بشدة :

-نعم !

أضـــاف أوس قائلاً بقسوة :

-نسيت أقولك المباحث قبضوا على واحد من الكلاب اللي حاولوا يقتلوني ويتعدوا على مراتي ، وهو اعترف عليك !!

تلعثم سامي بهلع ، وإحتج قائلاً :

-ده .. ده .. كدب ، محصلش ،أنا .. أنا معرفش حاجة عن اللي انت بتقوله ده !

هـز رأســه بخفة ، وأكمل ببرود مخيف وهو يتعمد إهانته :

-عـــارف يا عمي ، إنت متعملش كده لأنك أوطى من ده بكتير !

صـــاح سامي بغضب فلفت الأنظـــار حولهما :

-إيه الكلام الغريب اللي بتقوله ده ، احترم نفسك يا أوس ، إنت بتغلط في عمك الكبير !!

وضع أوس يده على كتف عمه ، وضغط عليه بقوة ، وأردف بإستهزاء :

-يا ريت تمسح دموعك دي ، لأنها متخيلش عليا !!!

ثم فـــرك أوس طرف ذقنه ، وأدار رأســـه للجانب ، وهتف بصوت مرتفع :

-أه صحيح ، مش تيجي يا أحمد تاخد بخاطر عمي سامي وتعزيه !

ظهـــر الحارس الأمني السابق أحمـــد من على بعد ، واقترب منهما ، فزدات نظرات سامي الجندي خوفاً .. وابتلع ريقه بذعـــر ...

وقف أحمد قبالته ، ورمقه بنظرات حادة ، واستطرد حديثه قائلاً بهدوء :

-البقاء لله يا سامي بيه

صاح فيه سامي غير مصدقاً ، وقد برزت عينيه من محجريهما :

-هـــاه .. آآآ.. إنت ؟!!!!

تابع أوس قائلاً بإبتسامة أكثر قســـوة :

-نسيت أقولك ، ماهو أحمد راح النيابة وقـــال كل اللي يعرفه عن اتفاقك مع أمجد باشا سعفان ، محامي القضايا الوسخة ،

فإتحركت المباحث والتحريات ، ووصلوا لطرف الخيط اللي هيوديك في داهية ..

هز سـامي رأسه غير مصدقاً ، وتجمدت الكلمات على فمه ، فعجز عن الرد ..

ضغط أوس بقبضته أكثر على كتف عمـه ، وأضاف بتهكم وهو يرمقه بنظرات مهينة :

-شيد حيلك لأني هاخد عزاك قريب !

دفعه سامي بعنف من صدره ، وقال بغضب وهو يسير بخطى أقرب للركض :

-ده اسمه جنان ، مش حقيقي مش حقيقي

إلتوى فم أوس بإبتسامة باردة ، وهتف بنبرة ساخطة وهو يتابعه بعينيه القاتمتين :

-شرفت يا عمي !

انتظر أحمد للحظات حتى اختفى سامي الجندي من المشهد ، فضغط على شفتيه قائلاً بتلعثم :

-أوس باشا ، أنا آآ...

قاطعه أوس بهدوء جـــاد :

-متقولش حاجة يا أحمد ، إنت عملت معايا خدمة مش هنسهالك أبداً

ابتلع أحمد ريقه ، وبدى مضطرباً وهو يقول :

-يا باشا ، حضرتك مش عارف أنا آآ...

قاطعه أوس مجدداً بصوت أكثر هدوءاً وهو يرمقه بنظرات ممتنة :

-مافيش داعي لأي مبررات ، إنت ليك مكافأتك عندي

رد عليه أحمد معترضاً :

-كتر خيرك يا باشا ، أنا مش عاوز ده !

أردف أوس قائلاً بجدية وهو يرمقه بنظرات ثابتة :

-عدي عليا في الشركة أول الأسبوع ، هتلاقي وظيفتك مستنياك !

هز أحمد رأســه إيجاباً وهو يردد بسعادة :

-الله يكرمك يا رب !

كذلك حضــر الطبيب مؤنس إلى العزاء ، وبحث بعينيه عن أوس .. فوجده في أحد الأركان ، فأسرع نحوه ، وهتف قائلاً بصوت جاد :

-البقاء لله يا باشا

إلتفت أوس برأســه ناحيته ، ومــد يده ليصافحه ، وهو يرد عليه بـ :

-الدوام لله !

تنهد الطبيب مؤنس بتعب ، وتابع بحذر :

-أنا عــارف إن الظرف مش مناسب ، بس كنت عاوز أبلغ حضرتك إني مش هاسحب البلاغات اللي مقدمها في النقابة ولا آآ...

قاطعه أوس قائلاً بعدم إكتراث :

-اعمل اللي انت شايفه صح ، أنا مش هادخل ، بس هايكون لينا كلام مع بعض بعدين

-تمام يا باشا

قالها مؤنس وهو يوميء برأســه بحركة خافتة قبل أن يصافحه مجدداً ....

....

في السجن النسائي ،،،

في غرفة مدير السجن ،،،

ولجت ناريمـــان إلى داخل غرفة المكتب بعد أن تم إستدعائها لمقابلة مدير السجن لإبلاغها بأمر هـــام ..

إزدردت ريقها ، وحدقت فيه وهي تســأله بفضول :

-خير يا فندم

أشـــار لها مدير السجن بيده ، واستطرد قائلاً بجدية :

-اقعدي يا ناريمان

تحركت نحو المقعد المقابل لمكتبه ، وجلست عليه ، وضاقت نظراتها وهي تسأله بإهتمام :

-حضرتك طلبت تشوفني الوقتي ليه ؟

أخـــذ هو نفساً عميقاً ، وزفره على مهل ، ثم أجابها بصوت خشن :

-أنا عندي ليكي أخبار مش تمام ، بس من حقك تعرفيها

انقبض قلبها ، فقد شعرت أن هناك خطباً ما وراء إستدعائها في تلك الساعة ، وإضطربت أنفاسها ، وتحركت عينيها بتوتر وتسائلت بنفاذ صبر :

-أخبار إيه؟

رد عليها قائلاً بهدوء وهو يطالعها بنظرات جادة :

-مهاب الجندي طليقك

ابتلعت ريقها بصعوبة وهي تســـأله بصوت لاهث وقد زاغت أبصارها :

-ماله ؟

أجابه وهو يراقب ردة فعلها بحذر :

-مــات في حادثة وآآ...

هبت من مكانها مصدومة ، وقاطعته بصراخ حـــاد :

-بتقول ايه ، يعني ايييييه مات ؟

نهض هو الأخــر من على مقعده ، وحذرها قائلاً بصوت شبه آمــر :

-اقعدي ، واهدي واسمعي للأخــر !

صاحت بتهكم وهي تضرب بقبضتيها سطح مكتبه بإهتياج :

-أهدى ازاي وانت بتقولي مــات ، ازاي يموت كده أصلاً قبل ما أخد حقي منه !!!

إصطبغت عينيها بحمرة الغضب ، وهزت رأسها بعصبية وهي تتابع بإستنكار ومشيرة بإصبعها نحوه :

-إنت .. إنت أكيد بتكدب ، دي .. دي تمثيلية كلكم عملينها عشان تجننوني !!

إحتقنت عينيها بشدة ، وإختنق صوتها وهي تكمل بإنفعال :

-ده أنا خلاص قربت أوصل لدليل براءتي ، تقوم انت تقولي مات ، بالبساطة دي ، لألألألأ .. استحالة أصدق الكدب ده ، مهاب لسه عايش !!

أدرك مدير السجن أنه لن يستطيع التحكم في إهتياجها وعصبيتها الزائدة بمفرده لذا ضغط على زر جانبي مثبت في

طرف مكتبه الخشبي ، وانتظر للحظة حتى ولجت إحدى الضابطات ، فهتف فيها بصوت آمـــر :

-تعالي خديها برا

أمسكت الضابطة بناريمان ، وقيدت حركتها ، وحاولت دفعها خـــارج المكتب ، ولكن قاومتها الأخيرة بشراسة ، وهتفت بجنون والشرر يتطاير من عينيها :

-لأ سبوني ، مهاب الجندي مامتش ، مهاب لسه عايش ، إنتو عاوزين تجننوني ! هو عايش ، ده استحالة يمون !!!

صـــاح مدير السجن بصوت شبه غاضب وهو يشير بيده :

-وديها الحجز

ظلت تصرخ ناريمان بعصبية وهي تبكي بحرقة قائلة :

-انتو كدابين ، كدابين ، كدابين ! مهاب لسه عايش !

....

بعد مـــرور عدة أيـــام ،،،،

واظبت تقى على حضــور جلســات علاجها النفسي لكي تحرز تقدماً إيجابياً في علاقتها مع أوس .. وتكسر نهائياً ذلك الحاجز الذي يقف بينهما ...

رافقتها المدبرة عفاف ، وكانت تنتظرها بالخـــارج حتى تنتهي من جلستها ، ثم تعاود الاثنتين معاً إلى المنزل ..

....

إنشغل أوس في حصر جميع ممتلكات أبيه الراحـــل ، وفي ترتيب أوضـــاعه ، وكذلك في متابعة علاجه النفسي السري مع طبيبه المخضرم فهمي محفوظ ..

لم يردْ استعجال الأمــور أو إستباقها قبل آوانها مع تقــى فيفسدها بتهوره ، وكافح ليتريث في إظهار مشاعره المشتعلة بحبها الجارف وتجسيدها في علاقة حقيقية بينهما ، وإمتثل لأوامـــر طبيبه بإتاحة الفرصة لها لتتخذ بنفسها تلك الخطوة الهامة وتقرر هي أولاً تصعيد علاقتهما إلى المستوى الأعلى ..

....

كما استمرت زيارات عدي المستمرة إلى ليـــان ، وحديثه الودي معها ..

كانت في بعض الأحيان تتجاوب معه وتبوح بما يثقل صدرها من هموم ، وفي أحيانٍ أخــرى تظل صامتة وتكتفي بالإيماء برأسها ..

شجعته تهاني على البقاء بجوارها، وتحمل مزاجها حتى تتخطى تلك الأزمــة .. ولم يمانع هو في فعل هذا .. فهو في النهاية يريدها معه ، وأن يبدأ معها من جديد ....

....

أُلقي القبض على ســامي الجندي بعد أن أثبتت التحريات تورطه في التخطيط لتدبير محاولة قتل ابن أخيه ، كمـا تم الإستعانة بكاميرات المراقبة السرية الموضوعة في الطريق الرئيسي الذي بدأت عليه المطـاردة في التعرف على أوجــه المشاركين في تلك الجريمة ومنها توصلوا إلى هويتهم ، وألقي القبض على معظمهم ، وأرشدوا على باقي زملائهم ..

إنهــار سامي خلال التحقيقات ، وإعترف على معاونة محاميه أمجد سعفان في التخطيط معه لتلك الجناية ، وألقي القبض على الأخير .. وتم إيداع الجميع في الحبس لحين جلسة محاكمتهم ..

....

في مركز ما للإنجــاب والحقن المجهري ،،،،

اصطحب عبد الحق زوجته إلى أحــد مراكز الحقن المجهري المتخصصة ، وبعد إنتهاء الفحوصات والكشوفات الدقيقة ، تم تحديد الموعد المناسب لإجراء تلك العملية المكلفة ..

لم يعبأ هو بتكاليفها ، فشاغله الأكبر كان تعويض بطـة عما مرت به ..

وفي اليوم المحدد للحقن ، أمسك عبد الحق بكف زوجته بطـة وهي تدفع على الناقلة عبر الممر المؤدي إلى غرفة العمليات ، وطمئنها قائلاً :

-إن شاء الله هاتنجح العملية

ردت عليه بنبرة مرتجفة وهي محدقة به :

-أنا .. أنا خايفة مايحصلش حبل ، وتخسر فلوسك وآآ...

قاطعها بنبرة خافتة :

-سبيها على الله ، وماتفكريش في ده

هتفت والدتها قائلة بتضرع وهي ترفع كفيها للأعلى :

-ربنا معاكي يا بنتي ويجبر بخاطرك

أشـــارت ممرضة ما بيدها وهي تقول بجدية :

-بعد اذنكم يا جماعة ، ماينفعش حد يدخل جوا

رد عليها عبد الحق بإمتعاض وهو يترك يد زوجته :

-حاضر يا ست

ثم إلتفت إلى بطة ورمقها بنظرات حانية ، ومط فمه ليقول بتشجيع :

-خدي بالك من نفسك ، وأنا بأدعيلك

هزت رأسها بحركة بسيطة وهي تودعــه وملوحة بيدها قبل أن تغلق الممرضة الباب خلفهما ..

تنهد عبد الحق بتوتر ، وحك رأســـه بعصبية وهو يحدث نفسه بخوف :

-إكرمنا يا رب !

ثم إستند بمرفقه على الحائط ، وغمغم مع نفسه بكلمات مبهمة ..

تحركت أم بطـــة نحوه ، وربتت على ظهره ، وهمست ممتنة :

-تسلم يا عبده على اللي عملته مع بنتي ، واحد غيرك كان آآ..

قاطعها قائلاً بجدية وهو يستدير برأســـه نحوها :

-متقوليش كده يا حماتي ، بطة غلاوتها عندي كبيرة ، ربنا بس يكرمنا وتنجح العملية ، ساعتها الفرحة هاتعرف سكتها معانا !

إبتسمت له قائلة بنبرة متعشمة :

-إن شاء الله ربنا هيراضيك ، وهيعوضك خير !

ظل عبد الحق مسلطاً نظراته على باب الغرفة ، وانتظر على أحـــر من الجمر خروج الطبيبة لتطمئنه ..

لم يتوقف لســانه عن الدعاء .. وثنى ركبتيه ليجلس مترقباً ..

وبعد برهـــة ، خرجت الطبيبة وعلى ثغرها إبتسامة ودودة ، فهب واقفاً من مكانه ، وأســـرع نحوها ، وسألها بتلهف :

-هــا يا ضاكتورة ؟ إيه الأخبار ؟

هزت رأسها بحركة خفيفة وهي تجيبه بنبرة مطمئنة :

-اطمن ، الحمدلله إحنا عملنا اللي علينا ، وحقنا البويضة المخصبة في الرحم ، وفي إنتظار تساهيل ربنا وحدوث الحمل

رفع بصره للسماء وهتف برجــاء :

-يـــا رب اكرمنا من عندك !

ثم عـــاود النظر إلى الطبيبة ، وســألها بتلهف :

-طب هاشوف بطة امتى ؟

أجابته بهدوء وهي محتفظة بنفس إبتسامتها المهذبة :

-شوية وهترجع أوضتها ، وهناك تقدر تشوفها

نظر لها بسعادة ، وهتف ممتناً :

-كتر خيرك يا ضاكتورة

إحتضنته والدتها بسعـــادة ، وهتفت بنبرة متفائلة :

-اللهم لك الحمد والشكر ، مبروك يا بني !

قبل كتفها ، وأردف قائلاً بنبرة شاكرة :

-باركلينا لما تنجح يا حماتي

هتفت بحماس وقد أدمعت عينيها قليلاً :

-إن شاء الله هتنجح ، وربنا هيجبر بخاطركم ! ده انتو استحملتوا كتير ، وربنا نصير المظلومين

!!! ....

....

الفصل الثلاثون :

في منزل تقى عوض الله ،،،

تحرك عوض ببطء ناحية باب منزله ، وإستدار برأسـه ناحية فردوس الجالسة علىٍ طاولة الطعام ، وضيقت نظراته نحوها ، واستطرد حديثه قائلاً بصوت جاد :

-أنا نازل أجيب عيش بلدي من الفرن ، وبعدها هاجيب البقالة ، وهاعدي على الشيخ أحمد أساعده في تجهيز شنط الغلابة

أجابته بعدم إكتراث وهي تقرب (الفاصوليا) الخضراء من عينيها للغاية لتقلم طرفيها بإصبعيها :

-اعمل اللي انت عاوزه

ثم أخفضت نبرة صوتها لتغمغم بسخط وهي ترهق عينيها لترى على قدر المستطاع :

-كفاية عليا القرف اللي أنا فيه !

أغلق عــوض الباب خلفه بهدوء ، بينما ألقت هي بما أمامها من خضــار ، وزفرت بحنق وهي تردد :

-مابقتش عارفة أشوف ولا أروح ولا أجي ، بقى دي أخرتها ! أدفن بالحيا هنا ، لأ وعاجزة كمـــان ! آآآآه .. أنا اللي جبته لنفسي ، آآآآه !

ثم إستمعت إلى صوت قـرع الجرس ، فنفخت من الضيق ، وهتفت بنفاذ صبر :

-ايه اللي رجعك تاني يا عوض !

إستندت بكفيها على الطاولة ، ونهضت بحذر من على مقعدها ، ثم إتجهت نحو الباب لتفتحه .. وتحركت دون أن تتمعن بدقـــة في الواقف على عتبته ..

أضافت متسائلة بتذمر وهي توليه ظهرها :

-ناقصك ايه يا عوض ؟

إلتقط أنفها رائحة ذلك العطر المميز الذي تعرفه ، فشحب لون وجهها ، وإلتفت فجـــأة نحوه ، وتسائلت بذعر :

-إنت .. إنت جاي هنا ليه ؟

أجابها أوس بنبرة قاتمة وهو يرمقها بنظرات متفحصة :

-هو إنتي مفكرة إني هاسيبك بالساهل ؟

لوحت بذراعيها ، وصاحت بإنفعال :

-عاوز مني ايه تاني ؟ أنا بقيت عاجزة ، مافيش مني أمل !

أجابها بتهكم وهو يحدجها بنظرات جافة :

-إنتي اللي عملتي ده في نفسك مش أنا !

إغتاظت من تذكريه جريمتها بكلماته المقتضبة ، فهتفت بنفاذ صبر :

-قول جاي ليه وخلصني !

رد عليها بنبرة قاسية :

-إنتي مش هاتخلصي مني ، هافضل أطلعلك زي العفريت في كل وقت وفي كل مكان

لطمت على صدرها قائلة بحنق :

-آه يا غلبي !

أضـــاف قائلاً بنبرة محذرة للغاية وقد ضاقت نظراته :

-اسمعيني كويس لأني مش هاعيد كلامي مرتين !

ضغطت على شفتيها لتهتف بإمتعاض :

-خير

تابع بنبرة مهددة رامقاً إياها بنظرات حـــادة :

-أنا جـــاي أحذرك إنك بس لو فكرتي تقولي لتقى عن اتفاقك الوسخ وبيعك لابننا بمليون كتير هاندمك أكتر !

تلعثمت وهي تصيح بحنق لتدافع عن نفسها :

-إنت آآ...

قاطعها بلا تريث وهو يقول بنبرة جادة :

-أنا متوقع إنها تيجي في يوم وتسامحك ، هي قلبها طيب ، وخصوصاً إنك للأسف أمها !

ثم توقف للحظة قبل أن يتابع بنبرة عدائية وقد تحولت نظراته للشراســة :

-فإنتي أوعي بغباءك تقوليلها عن دناوتك وقذارتك ، لأني أوعدك بشرفي قبل ما لسانك يفكر يقول كلمة هايكون مقطوع ، سامعة !!

هزت رأسها بخنوع بعد أن استشعرت تهديده الجــاد لها، وهتفت بخوف :

-حــ... حاضر !

رمقها أخيراً بنظرات إحتقارية قبل أن يتركها وينصـــرف ..

بصقت فردوس خلفه قائلة بإزدراء :

-كان يوم إســـود يوم ما دخلت عليا بالخراب ، وما نابني منك إلا قلة البخت والعمى !!!

ثم تحركت ببطء لتصفق الباب بقوة وهي تتمتم بكلمات مبهمة تحمل السخط ..

....

ســـــار أوس في الحـــارة ، ونفث دخـــان سيجارته المشتعلة وهو يسلط أنظاره على المسجد الموجود بها ..

ألقاها أسفل قدمه ، ثم تحرك بثبات نحوه ..

رأه الشيخ أحمد وهو مقبل عليه ، ففتح ذراعيه ليرحب به ، وهتف بحماس وإبتسامة عريضة متشكلة على ثغره :

-يا مراحب يا بني ، نورت بيت الله !

بادله أوس إبتسامة هادئة ، وإحتضنه قائلاً بجدية :

-أخبارك إيه يا شيخنا

رد عليه الشيخ أحمد بنبرة راضية :

-أنا في نعمة الحمد لله ، إنت اللي فينك وفين أراضيك ؟

أجابه بإيجاز وهو يحرك رأســه بحركة ثابتة :

-موجود

ربت الشيخ على كتف أوس ، وأردف قائلاً بنبرة حزينة ومواسية :

-البقاء والدوام لله يا بني ، أعذرني أنا معرفتش أجي العزاء ، بس سمعت باللي حصل للمرحوم ، ربنا رحمته واسعة

إبتسم له ممتناً وهو يقول :

-أهـــا

ثم تلفت حوله باحثاً بعينيه عن عــوض ، وتسائل بجدية :

-قولي يا شيخنا هو عم عوض فين ؟

أشـــــار له الشيخ أحمد بيده وهو يجيبه بنبرة هادئة :

-تلاقيه بس بيعمل مشوار هنا ولا حاجة

إستأنف أوس حديثه بتنهيدة مطولة :

-أنا كنت جاي اطمن عليه ، وأشوف إن كان هو محتاج أي مساعدة وآآ...

قاطعه الشيخ أحمد قائلاً بإبتسامة سعيدة :

-عم عوض ، ده إنت على نياتك خالص ! ده راجل نفسه عزيزة ، عمره ما يقبل الإحسان أو المساعدة من حد !

قطب أوس جبينه مندهشاً من ذلك الرد الغريب ، وإحتج قائلاً :

-بس أنا مش غريب دلوقتي وأقدر آآ...

قاطعه مجدداً بنبرة متريثة :

-أنصحك يا بني بلاش تحسسه بإنه محتاج مساعدة لأنه مش هايقبلها حتى لو كنت مين ، فإنت لو عــاوز تعمل الخير بجد قدامك أماكن كتير تانية محتاجة لده !

تسائل أوس بتوتر قليل قد ظهر في نبرته وهو محدق فيه :

-تفتكر ربنا ممكن يكون قبل توبتي ؟

أومــــأ الشيخ أحمد برأسه إيجاباً ، ورد بثقة :

-طبعاً ، طالما قلبك اتفتح للإيمان ، وبقيت بتكره تعمل المعاصي إعرف إنه مهدلك طريق الهداية !

إبتسم له أوس إبتسامة مطمئنة ، وتابع متسائلاً بإهتمام :

-يا ريتك تقولي إيه اللي أقدر أعمله كمان عشان أكفر عن ذنوبي ؟

أجابه الشيخ أحمد بنبرة هادئة :

-ربنا سبحانه وتعالى بيقول ((وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)) ، فإنفق يا بني بيمينك

ما لا تعلمه شمالك في كل وقت حتى لو في ضيقة ، وطلع زكاتك في ميعادها ، واصفح يا بني عن المسيء واللي أذاك ، واكتم غيظك ، ساعتها هتحس بأد ايه ربنا كان نعمه وفضله واسع عليك !

ضغط أوس على شفتيه قائلاً بتنهيدة مطولة :

-يا ريت أقدر على كل ده !

ابتسم له الشيخ أحمد بثقة ، وحثه قائلاً :

-هاتقدر ، طالما نويت خير ، إنما الأعمال بالنيات ولكل إمريء ما نوى !

أردف أوس قائلاً بإمتنان وقد لمعت عينيه :

-شكراً يا شيخنا على كلامك ده ، أنا حقيقي بأدينلك بالفضل على اللي أنا فيه

أشـــار الشيخ أحمد بكفه وهو يجيبه بنبرة راضية :

-أشكر ربنا لأنه هو اللي نور بصيرتك وهداك لصراطه المستقيم .. ربنا يثبتلك ويعوضك خير !

ثم صافحه أوس وودعــه ، وعقله أصبح مشغولاً بأمر ما .. فقد قرر أن يفاجيء زوجته بشيء قد أجله منذ فترة لتكون البداية الحقيقية له معها ......

....

في مشفى الجندي الخــاص ،،،،

رحب العاملون بالمشفى من أطباء وطاقم تمريض بالطبيب مؤنس الذي تولى إدارة المشفى بعد إجتماع مجلس إدارتها وإختياره بالتزكية ليكون بديلاً عن كبير الأطباء في تولي جميع شئونها ..

كان كبير الأطباء في طريقه للخــارج وهو يحمل صندوقاً كرتونياً يضم ما تبقى من متعلقاته الخاصة ، فنظر بطرف عينه إلى مؤنس ، وبدى عليه الغيظ ..

أوقفه مؤنس قائلاً ببرود :

-من فضلك إستنى !

رمقه كبير الأطباء بنظرات محتقنة ، وردد قائلاً بسخط :

-خير يا د. مؤنس

وقف قبالته ، ورمقه بنظرات باردة ، ثم تابع بنبرة شبه مهينة :

-معلش سامحني ، مش عاوزك تعتبر الموضوع شخصي ، بس هاتتفتش قبل ما تمشي من هنا !

جحظ كبير الأطباء بعينيه مصدوماً ، وهتف معترضاً بشدة :

-دي إهانة أنا مقبلهاش

رد عليه مؤنس بعدم إكتراث :

-اعتبرها زي ما تعتبرها ، ده نظامي هنا مع أي حد يخون الأمانة

ثم أشـــــار للأمن الداخلي بالحضور ليكملوا مهمتهم مع كبير الأطباء الذي فرك وجهه بغل وهو ينظر إلى الجميع .. ولكنه لم يقوَ على الرفض ، وتم تفتيشه جيداً قبل تركه ليرحل نهائياً عن هذا المكان ....

....

في منزل أوس الجديد ،،،،

أخفضت تهاني نبرة صوتها وهي تتلو بخشـــوع تام بعض آيـــات الذكر الحكيم من القرآن الكريم في الصالة الخارجية ..

أدمعت عينيها تأثراً بتلك الأية : ((إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ))

فحمدت الله في نفسها أنه – سبحانه - زلل لها العقبات ليعود إليها فلذات أكبادها .. ثم رفعت بصرها للسماء ، وهمست بخنوع :

-سبحانك يا رب ، قـــادر على كل شيء ، جمعتني بولادي ، ورفعت البلاء عني ، وكرمتني بحب ابني ليا ، اللهم لك الحمد والشكر ، يا رب ديمها نعمة ، أنا حمداك وشكراك على كل حاجة ، يا رب احفظهوملي من كل شر ، وريح بالهم وعوضهم خير ! يا رب فرح قلبهم ، وإسعدهم وآآ..

لم تشعر هي بوقوف أوس خلفها ، ولا بإنصاته لتضرعها وشكرها للمولى ودعائها المتواصل له ولشقيقته ..

تنهد بعمق ، ثم تنحنح بصوت خشن لتنتبه له .. وتحرك نحوها ...

توقفت تهاني عن الدعـــاء ، ومسحت براحتيها وجهها ، وحدقت فيه بنظرات حانية ..

جلس أوس إلى جوارها على الأريكة ، ثم أخـذ نفساً عميقاً ، وزفره على مهل ..

سألته بتوجس وهي قاطبة الجبين :

-خير يا بني ؟ في حاجة مضيقاك ؟

أجابها بنبرة متريثة وهو يضغط على شفتيه :

-لأ مافيش ، بس أنا فكرت كتير في موضوع كده لحد ما خدت فيه القرار النهائي !

تسائلت بقلق وقد تحركت عينيها بتوتر :

-موضوع ايه ده ؟

أجابها بإيجاز دون أن تطرف عينيه :

-قصر بابا !

تابعت بتوجس :

-هـاه.. ماله؟

إبتسم لها بعذوبة وهو يقول :

-أنا .. أنا هديهولك تتصرفي فيه زي ما إنتي عاوزة

إتسعت عينيها مندهشة ، وهتفت مصدومة :

-ايه ؟

هـز رأسه بحركة خفيفة ، ومسح على ذراعها قائلاً بهدوء :

-ايوه ، ده تعويض بسيط عن اللي حصلك زمان !

أمسكت بكف ابنها ، ورمقته بنظرات حنونة ، ومسحت بيدها الأخـرى على صدغه ، ورددت بإمتنان :

-يا بني أنا مش عاوزة حاجة غير إنك تكون جمبي ومعايا ، ده عندي يكفيني

حرك رأسه قائلاً بجدية :

-معلش ، أنا مُصر

هزت كتفيها في حيرة قائلة :

-طب أنا هاعمل ايه بقصر كبير زي ده ؟ أنا مش محتاجاه !

عقد ما بين حاجبيه ، وهتف بهدوء :

-براحتك اتصرفي فيه زي ما يعجبك ، ده بقى يخصك

تشكل على ثغرها إبتسامة ودودة ، وشكرته بإمتنان :

-مش عارفة أقولك ايه يا بني ؟

تنهد قائلاً بصوت خافت :

-متقوليش حاجة يا ماما

زفــرت تهاني بحرارة وهي تردد بسعادة :

-دي احسن كلمة بتقولهالي يا بني .. كلمة ماما .. تسوى عندي الدنيا باللي فيها !

إبتسم لها أوس ، ولم يعقب ، بينما ترددت هي في إخبارها بطلب ما .. فقد خشيت أن يرفضــه ، ولكنها رغم هذا قررت سؤاله على أي حــال ..

ابتلعت ريقها ، واستطردت قائلة بحذر :

-هو .. هو أنا لو طلبت منك حاجة ترفضها يا بني

إنتصب في جلسته ، ورد بجدية :

-خير !

مطت فمها قليلاً ، وأكملت بنبرة شبه مترددة :

-أنا .. انا كنت عاوزة اروح أقعد مع أختي فردوس يومين كده

أمعنت هي النظر في وجهه لعلها تستتشف من تعابيره رده عليها ، لكن كان وجهه جامداً للغاية .. فهمست بتلعثم :

-لو .. لو مش موافق خلاص ، أنا بس كان غرضي اطمن عليها بعد اللي حصل ، مهما كان هي مالهاش إلا أنا .. وآآ.. وتقى معدتش بتروحلها، وعوض زي ما إنت عارف صحته على أده وآآ..

تذكــر أوس حديث الشيخ أحمـــد عن كظم الغيظ والصفح .. فقاطعها قائلاً بفتور :

-اعملي اللي يعجبك

إبتسمت له إبتسامة باهتة ، وشكرته قائلة :

-كتر خيرك

إشرأب أوس بعنقه قليلاً ، وتسائل بإهتمام جدي على تعابير وجهه ونظراته :

-ممم.. أومـــال فين تقى ؟

إجابته مبتسمة وهي تشير بعينيها :

-بتلبس جوا، هاتروح تتابع مع الدكتورة بتاعتها !

نهض من جوارها ، وأردف قائلاً بحماس وقد لمعت نظراته :

-تمام ، أنا رايح اشوفها !

رمقته بنظرات حانية وهي ترد عليه بصوت خافت :

-خد راحتك يا بني

....

في نفس التوقيت ، انتهت تقى من إرتداء ثيابها .. وأغلقت أزرار ياقة كنزتها البيضاء ، ووضعت على كتفيها سترتها الصفراء .. ثم جلست على طرف الفراش ، وجذبت بنطالها الجينز للأسفل ، وانحنت للأمـــام ومدت يديها لتعقد رباط حذائها الرياضي على هيئة أنشوطة ..

تنهدت بضيق ، وشعرت بدوار خفيف وهي تحاول عقده .. فإعتدلت في جلستها ، ووضعت يدها أعلى معدتها ، وأغمضت عينيها ، ثم أخـذت نفساً عميقاً .. ولكنها شهقت مصدومة حينما شعرت بأصابع تتلمس قدمها فأصابتها بالإرتعاش ..

فتحت عينيها مذعورة ، ورأت أوس جاثياً على ركبته أمـامها يتأملها بنظرات والهة ، ومسنداً لقدمها على فخذه ..

إزدردت ريقها بتوتر ، وتوردت وجنتيها خجلاً ، وسـألته بإرتباك واضح :

-إنت .. إنت بتعمل ايه ؟

إلتوى ثغره بإبتسامة مغيرة وهي يجيبها بصوت خافت :

-هاربطهولك !

إتسعت عينيها الزرقاوتين في إندهـاش ، وانفرجت شفتيها في ذهـول من تصرفه المربك ..

حــاولت هي أن تسحب قدمها منه ، وهتفت معترضة وهي تسند يدها على كتفه :

-لأ مايصحش ، أنا هاربطها بنفسي

هــز رأســه نافياً بحركة خفيفة وواثقة ، وثبت قدمها جيداً بقبضته ، ورفع حاجبه للأعلى متحدياً ، ورد عليها بثقة :

-تقــى ! متجادليش معايا !

ثم غمــز لها وهو يتابع بمكر :

-هتخسري !

عضت على شفتيها بتوتر ملحوظ بسبب حركته المباغتة ، وسحبت يدها للخلف ، وضغطت على أصابعها بإرتباك وتحاشت النظر نحوه ..

إرتسم على ثغره إبتسامة شيقة وهي يرى وجهها مصطبغاً بتلك الحمرة المغرية .. وما إن انتهى حتى أنزل قدمها ، وإعتدل في وقفته ، ثم طالعها بنظرات أكثر رومانسية ، وتابع بجدية :

-أنا جاي المرادي معاكي

وقفت هي الأخـرى ، وحدقت فيه بإستغراب كبير ، وهتفت بتلعثم :

-هـاه ! مش .. مش إنت عندك شغل وآآ...

قاطعها بهدوء وهو يمــد كفيه ليمسك بيديها :

-لأ .. مش كتير ، وبعدين عدي موجود هايخلصه ويبقى يجيلنا هنـا !

ثم تحرك نحوها خطوة واحدة لتتقلص المسافات بينهما ، ورمقها بنظرات متلهفة مشتاقة إليها تكشف عما يحسه نحوها ، فإزدردت ريقها بتوتر ، وشعرت بتأثيره الطاغي عليها ..

فسحبت يديها خجلاً منه ، وأدارت ظهرها نحوه ، وهتفت بصوت مرتبك وهي تعبث بياقة كنزتها :

-آآ... ليان جاية معانا

وضع أوس يده على كتفها ، وأدارها ببطء ناحيته ، ثم أمسك بياقة كنزتها ، وقـــام بتعديلها بحركة مغرية وهو يتعمد التحديق فيها بنظرات أكثر عشقاً ورومانسية وهو يهمس لها :

-تمام .. كده مظبوطة !

رمشت بعينيها متوترة ، وابتلعت ريقها مجدداً ، هي تحـــاول مقاومة الإنسياق وراء تيار تلك المشاعر الجميلة التي تحركها وتجعل قلبها يخفق بشدة ..

لن تنكر أن أوس إقتحم حياتها بشكل ســافر ، وشكل وجوده فارقاً مثيراً للجدل معها ، ولكنها رغم كل الصعوبات والتحديات التي واجهتها معه ، كانت الأكثر تأثيراً عليه ، بل وغيرته للأفضل ، وأظهرت بجدارة الجانب الأخـــر من شخصيته ..

رسمت هي إبتسامة خجلة على شفتيها ، ثم تسللت من بين يديه بحذر ، وهمست له بإستحياء :

-شكراً

مســـح أوس على رأســـه بإستياء .. فمازالت تقى تتحاشى التجاوب مع مشاعرها نحوه رغم وضوحها عليها ، وإحساسه بتأثرها بها ..

فحــاول ألا يظهر إنزعاجه من ذلك فتسائل بجمود :

-هي ليان لسه حابسة نفسها ؟

ردت عليه تقى بصوت رقيق :

-يعني ، أنا بأحاول أقنعها تيجي معايا الكشف بس مش كانت بترضى ، بس النهاردة وافقت عشان آآ... آآ...

توقفت عن إتمــام عبارتها ، فقطب جبينه مهتماً ، وسأله بجدية :

-عشان ايه ؟

ردت عليه بإرتباك :

-هي الدكتورة بارسينيا قالت إننا هانعرف نوع البيبي ايه

هتف بحماس بعد أن أمسك بها من ذراعيها :

-بجد ؟ وماقولتيش يا تقى ؟

أطرقت رأسها قائلة بتوتر :

-ماهو .. ماهو لسه هانشوف وآآ.. ، وأنا عارفة إنك مشغول ووراك حاجات كتير مهمة وآآ...

سحبها فجــأة من ذراعها نحوه ، وألصق رأسها بصدره ، ولف ذراعه الأخر حول خاصرتها ، وقاطعها بنبرة والهة وقد زاد بريق عينيه :

-بس مش أهم منك !

شعرت تقى بإحتوائه لها ، وإستمعت إلى نبضات قلبه التي تتسارع من أجلها ، بينما تابع قائلاً بمكر :

-كمان أنا مجهزلك مفاجأة حلوة

أرجعت رأسها للخلف ، ورددت بإستغراب وهي ترفع حاجبيها للأعلى :

-مفاجأة !

وضـــع أوس إصبعيه على طرف ذقنها ، ورفع وجهها للأعلى نحوه ، ونظر مباشرة في عينيها الزرقاوتين ، وزادت إبتسامته إغراءاً وهو يهمس لها :

-ايوه ، ومش هتعرفيها إلا بعد الكشف !

هزت رأسها بإيماءة خفيفة وهي تبادله نظرات مغرية .. فدفعه حمـــاسه وشغفه بها لتلمس شفتيها بشفتيه ، فاحنى رأســه نحوها ببطء ، بينما أغمضت هي عينيها مستسلمة تلك المرة له ، فكان على وشك تقبيلها برضائها ، ولكن إقتحمت خلوتها ليـــان التي كانت تهتف بصوت مرتفع :

-تقى جهزتي ؟

دفعت تقــى عفوياً أوس بقبضتيها من صدره ، وتراجعت مبتعدة عنه ، وقد إكتسى وجهها بالكامل باللون الأحمـــر ، وبدت في وضع تحسد عليه وهي تجيبها بتلعثم جلي :

-آآ..ايوه يا .. لـ.. ليان

رمق أوس ليـــان بنظرات مشتعلة للغاية ، وكانت قسماته توحي بالغيظ الممزوج بالحنق ، وود أن يمسك بها ويقيدها ، ثم يصفعها تأديباً لها على فعلتها الحمقاء التي أفسدت تلك الأجواء التي لن تعوض بالساهل مع زوجته ..

وضعت ليـــان يديها على خصرها ، وحدقت في الإثنين بإستغراب ، وتسائلت ببرود :

-في ايه ؟ مش انتو جاهزين ، مستنين ايه ؟

أجابها أوس بصوت محتقن :

-استنينا برا الوقتي

عقدت ساعديها أمـــام صدرها ، وسـألته بنبرة مستفزة :

-ليه ؟

كـــز على أسنانه ، وتحولت نظراته للشراسة ، وتحرك نحوها ، لكن أوقفه صوت تقى المتوتر وهي تسير مسرعة في إتجاهها :

-أنا .. أنا خلصت ، جاية معاكي !

تأبطت ليـــان في ذراعها ، وأكملت ببرود :

-اوكي .. Let's go (هيا بنا)

تسمـــر أوس في مكانه متحسراً ، وضغط على شفتيه قائلاً بحنق :

-ماشي يا ليان ، مش هاعديهالك !

....

في العيادة النسائية ،،،،

وقف أوس في الإستقبال الملحق بعيادة الطبيبة بارسينيا يتحدث في الهاتف مع رفيقه عدي ريثما تنتهي الممرضة من إعداد تقى للكشف ..

أكمل تدخين سيجارته ، وهو يقول بهدوء :

-مافيش أعذار ، خدها النهاردة ، تمام !

-لو سمحت ! التدخين ممنوع هنا !

قالتها ممرضة مــا بنبرة جادة ...

إلتفت أوس برأســه نحوها ، ورفع إصبعيه الممسكين بها متفهماً ما قالته .. ثم بحث بعينيه عن منفضة ليطفيء فيها سيجارته ... وبعدها أنهى المكالمة الهاتفية معه ..

لوحت له ليان بكفها من بعيد وهي تهتف بحمــاس :

-تعالى يا أوس ، هنبدأ !

خفق قلبه بقــوة ، وتسارعت أنفاسه بصورة ملحوظة ، وتوتر جسده من تلك الكلمات الحماسية .. فبدى وكــأنه كان يعدو في سباق ركض للمسافات الطويلة .. فهو على وشــك رؤية جنينه لأول مــرة ، والإستماع إلى نبضات قلبه الصغير ..

لا يعرف كيف أوصلته قدماه إلى غرفة الكشف ..

استقبلته الطبيبة بارسينيا بإبتسامة ودودة ، وأشــارت له بيدها ليلج للداخــل ..

وقعت عينيه على تقى الممددة على الفراش الطبي ، ورأى ذلك الجهاز الطبي الذي يلامس بطنها المكشوف ، فإبتلع ريقه بتوتر أكبر .. ثم رفع بصره للأعلى ليحدق في شــاشة التلفاز المتصلة بجهاز أخــر ..

كانت الصورة سوداء ، لم يستطع تبين ملامحها .. ولكنها خطفت أنفاســـه ..

شرعت الطبيبة بارسينيا حديثها قائلة بصوت هاديء :

-تمام يا مدام تقى ، الجنين في حالة ممتازة بالنسبة لعمره الزمني !

هزت تقى رأسها بسعادة ، وحدقت هي الأخرى في الشاشة ، وراقبت بشغف ما يحدث ..

مـــدت بارسينيا يدها للجانب ، وضغطت على زر مـــا ، ليصدح في الغرفة صوت نبضات متسارعة .. وفسرت قائلة :

-النبض كويس أوي

شهق أوس مصدومـــاً .. وعجـــز عن النطق بكلمة واحدة .. فهو الآن يستمع إلى صوت سلب عقله ، وأطرب أذنيه .. فهو صـــوت تلك النطفة التي تحولت إلى روح تنبض بالحياة في رحم من أحبها بصدق ..

تابعت بارسينيا قائلة بإبتسامة ناعمة :

-ماشاء الله ، واضح إنـها هاتطلع بنوتة شقية !

إلتفت أوس برأســـه نحو تقى ، وحدق فيها مشدوهـــاً .. فهي تحمل في أحشائها ابنته ...

تفاجئت تقى هي الأخـــرى بماقالته الطبيبة ، ونظرت إلى أوس بصدمـــة .. فقد كانت تتوقع أن نوع الجنين ذكراً ..

خشيت في نفسها أن يكون هذا الخبر مزعجاً لأوس .. وربما يتسبب في حزنه ..

تسائلت ليـــان بحماس وقد إتسعت عينيها بذهـول :

-هي .. هي بنت ؟

أومـأت بارسينيا برأسها إيجاباً وهي تضيف بتلك الإبتسامة الهادئة :

-ايوه .. مبروك عليكم .. مدام تقى حامل في بنت !

قفزت ليـــان في مكانها من فرط السعادة ، وصاحت بحماس :

-واو .. أنا مبسوطة أوي ، كده هاعرف أختار حاجة البيبي على ذوقي ، بنوتة ، واو !!

أبعدت تقى نظراتها عن أوس ، وفركت أصابعها بتوتر ، وظل تضغط على شفتيها بحركة عصبية ..

نهضت الطبيبة بارسينيا من مقعدها ، وتنحنحت بخفوت وهي تقول :

-تمام يا مدام تقى ، حضرتك كملي لبسك ، وهانتظرك في مكتبي

ثم تحركت نحو باب الغرفة ، فلحقت بها ليـــان قائلة بجدية :

-دكتور بليز ممكن اسألك عن حاجة

وقفت الطبيبة قبالتها ، وأردفت قائلة بهدوء :

-اتفضلي

أشــارت بعينيها وهي تتابع بحذر :

-نتكلم برا أحسن

-اوكي تعالي

قالتها الطبيبة وهي تتحرك معها إلى خـــارج الغرفة ...

دنا أوس من تقى التب كانت تغطي بطنها بكنزتها ، وجلس على طرف الفراش قبالتها ، وحدق فيها لفترة دون أن ينبس ببنت شفة ..

عضت هي على شفتها السفلى ، وهتفت بتلعثم :

-أنا .. آآ...

لم تستطع تقى أن تجد الكلمات لتكمل حديثها .. فتنهدت بعمق بينما أمسك أوس بكفيها ، وضمهما معاً ، وهتف بصوت هامس :

-أنا مش عارف أوصفلك إحساسي عامل إزاي ، إنتي .. إنتي حامل في حتة مني !

نكست رأسها لتقول بنبرة شبه أسفة :

-أكيد إنت كان نفسك في ولد ، وآآ..

إلتوى ثغره بإبتسامة عابثة ، وقاطعها بصوت خفيض :

-ومين قالك كده ؟

إرتفعت نبرته قليلاً ، وأضاف بحماسة وهو يفرك كفيها بأصابعه :

-تقى أنا فرحان إنها بنت .. تخيلي هيبقى عندي بنوتة شبهك ، أنا .. أنا مش مصدق نفسي !

كانت على وشك البكاء وهي تقول بخفوت :

-ماهي ممكن تطلع شبهك إنت

أسبل عينيه نحوها ، وهمس مستنكراً :

-لا إستحالة !

ثم وضـع يده على طرف ذقنها ، وتابع بنبرة آسـرة أربكتها :

-هي هتاخد منك كل حاجة حلوة !

مرر أوس عينيه عليها ، وأكمل بتنهيدات حـــارة وهو يتلمسها بنعومة :

-عينيكي ، شعرك ، شكلك ، و.. آآ.. وقلبك !

إقشعر بدنها من لمساته المغرية ، وتوترت بشدة ، وقالت بصوت مرتبك :

-بس هتاخد منك حاجة أكيد !

مـــال برأسه عليها ، واقترب من شفتيها ، وهمس لها بإبتسامة واثقة :

-اسمي ! ويا بخت اللي أوس الجندي أبوه !

إبتسمت بخجل منه .. وأوشك أن يطبع قبلة حـــارة على ثغرها .. ولكن اقتحمت ليـــان الغرفة دون سابق إنذار وهي تهتف بسعادة جلية :

-تقـــى ، I am so happy (أنا فرحانة جداً) ، هابقى أنطي لبنوتة قمر !

إرتبكت تقى ، وتراجعت بجسدها للخلف ، وسحبت الملاءة عليها لتغطي وجهها الذي تورد بحمرة رهيبة ..

بينما عبس وجــه أوس بشكل كبير ، وإحتقنت نظراته بصورة واضحة ، ونفخ قائلاً بعصبية وهو يضيق عينيه مغتاظاً :

-ليـــان ! في حد يدخل كده ! إنتي ايه !!

ردت عليه ببرود إستفزه :

-في ايه يا أوس ، أنا جاية أطمن على تقى !

غمغم أوس مع نفسه قائلاً بنفاذ صبر وهو يحدجها بنظرات غير مريحة :

-إنتي جبتي أخـــرك معايا .... !!!

..

الفصل الحادي والثلاثون (الجزء الأول) :

في العيادة النسائية ،،،،

نهض أوس عن الفراش ، ورمـق شقيقته ليـان بنظرات حانقة ، ثم إتجه نحوها ، وقبض على ذراعها بغيظ .. وسحبها رغماً عنها إلى الخلف ناحية باب الغرفة ، فقاومته وهي تتألم من قبضته :

-آووه ، في ايه يا أوس ؟

رد عليها بنبرة متجهمة :

-تعالي معايا

تلوت بذراعها بقوة ، وتمكنت من تحريره ، وركضت مبتعدة ، وردت بتحدي :

-لأ .. أنا عاوزة أفضل مع تقى حبيبتي !

صـر على أسنانه بشراسـة ، وتوعدها قائلاً :

-بقى كده ! أوكي !

إحتضنت ليـــان تقى بذراعيها ، وقبلتها من وجنتيها هاتفة بحماس :

-بصي بقى أنا مش هاسيبك لحد ما تولدي ، هاكون معاكي ثانية بثانية

دس أوس يديه في جيبي بنطاله ، ولــوى فمه قائلاً بصوت خافت وبتهكم صريح وهو يرمقها بنظرات حادة :

-أها .. بتحلمي !

ردت عليها تقى بإبتسامة خجلة وهي مطرقة لرأسها :

-براحتك !

نفخ أوس بصوت مسموع ، وهتف بضيق :

-ممكن تسيبني شوية مع مراتي أقولها كلمتين !

هزت كتفيها رافضة ، وألصقت رأسها على كتف تقى ، وتحدثه قائلة ببرود :

-تــؤ ... قول قصادي !

صـــاح أوس قائلاً بضيق :

-إنتي مش كنتي مكتئبة ، وأخدة جمب ومنعزلة عن كل الناس ؟!

ردت عليه بإبتسامة مستفزة :

-أهــا .. بس ده قبل ما أعرف إن تقى حامل في بيبي جيرل !

رفع حاجبه للأعلى مستنكراً ، ورد عليها بحنق :

-بجد ؟!

نهضت عن الفراش ، ووضعت يدها على خصرها ، وتابعت بتنهيدة سعيدة :

-ويالا بقى عشـــان نروح ونعمل بارتي صغنون بالمناسبة دي

فرك أوس ذقنه بحركة ثابتة بإصبعيه ، ورمقها بنظرات غير مريحة ، وتقوس فمـــه بإبتسامة لئيمة وهو يرد عليها :

-مممم.. ماشي ، أنا عاوزك تخدي راحتك على الأخر !

ردت عليه ليـــان بحماس :

-Sure, bro (طبعاً أخي)

ولجت الطبيبة بارسينيا للداخل مجدداً ، وأردفت قائلة بإبتسامة دبلوماسية :

-واضح إن حضراتكم حابين تقضوا اليوم هنا

ردت ليــان عليها بتنهيدة سعيدة :

-احنا مبسوطين أوي

أومــأت برسينيا برأسها إيماءة خفيفة ، ومدت يدها بإسطوانة مدمجة لأوس وهي تتابع بنبرة هادئة :

-اتفضل حضرتك ، دي عشانك

تناول أوس الأسطوانة منها ، وسألها بإستغراب وهو يرفع حاجبه للأعلى :

-ايه دي ؟

ردت عليه بإبتسامة عادية وهي تشير بعينيها :

-ده فيديو عن البيبي

تهللت أسارير أوس وبدت على وجهه علامات السعادة والحماس ، ولم يعقب ، فأضافت بجدية :

-طبعاً تقدروا تمارسوا علاقتكم الزوجية من غير أي مشاكل في الفترة دي ، الشهور الأولى المتعبة عدت خلاص !

إستدار أوس برأســه ناحية تقى ليتأمل تعابير وجهها فوجد ملامحها مزيج بين التوتر والخجل .. فتفهم حالتها ، وعاود النظر للطبيبة التي إستأنفت حديثها قائلة :

-وهانتظرك في المتابعة كمان اسبوعين يا مدام تقى

رد عليها أوس بنبرة جادة وهو يقلب الأسطوانة المدمجة بكفه :

-أكيد

تأبطت ليــان في ذراع تقى وعاونتها على النهوض ولم تكف عن الثرثرة معها بحمــاس عن مخططاتها المستقبلية بشأن الرضيعة الصغيرة ....

....

وقف أفراد الحراســة الخاصة بأوس أمــام سيارته ، وفتح أحدهم الباب الخلفي حينما رأى عائلته مقبلة عليه ..

ركبت تقى أولاً ، وتسابقت ليــان مع أوس في الدخــول ، ودفعته من كتفه بقوة عجيبة لتجلس هي ملتصقة إليها ، فزفــر شقيقها بغضب من تصرفاتها المستفزة ...

ثم أشـــار لحراسته بالتحرك ، وجلس وهو يتمتم بكلمات خافتة تحمل الغضب ..

استطرد السائق قائلاً بنبرة رسمية موجهاً حديثه لرب عمله ، وهو ينظر في مرآة السيارة الأمامية :

-أنا وصلت مدام تهاني للحارة يا باشا

أجابه أوس بإقتضاب والعبوس واضحاً عليه :

-تمام ! اطلع على البيت !

تسائلت ليان بإستغراب وهي محدقة في أوس :

-هي مامي مش في البيت ؟

رد عليها بضجر وهو ينظر لها شزراً :

-لأ

هزت رأسها بحزن قليل وهي تهمس :

-أوكي ، هاتغيب كتير ؟

-معرفش

قالها أوس على مضض وهو يدير رأســه في إتجاه النافذة ..

فقد بلغ ذروة غضبه منها ، وود أن يثور في وجهها ويوبخها ، أو حتى يلقي بها خـــارج السيارة ليجلس بأريحية مع زوجته ، شعر بنيران الغيرة تآكله .. هو يود الإنفراد بتقى ، والإستمتاع معها ، لكنها دوماً تقاطعهما في لحظات حرجة ..

إستدارت ليان في إتجاه تقى ، وتابعت بحماس كبير :

-عاوزين نفكر في اسم كيوت كده للبيبي ، بصي مش هايكون حاجة عادية ، لأ .. اسم يكون مميز وآآ...

نفخ أوس من الغيظ وهو يحدث نفسه قائلاً بنفاذ صبر :

-لأ كده كتير بجد !

....

في منزل أوس الجديد ،،،

إستند أوس بقبضته على حافة الشرفة ، وراقب الطريق بدقــة ، ونفث دخـــان سيجارته بعصبية وهو يغمغم بضيق :

-أووف ، اتأخرت ليه ؟!

إلتوى ثغره بإبتســامة ماكرة وقد لمح تلك السيارة تقترب من بنايته .. وهمس بخبث :

-في ميعادك !

ألقى سيجارته أسفل قدمه ، ودهسها ليطفئها.. ثم أسـرع نحو غرفة شقيقته ..

....

كانت ليــان قد إنتهت لتوها من تبديل ثيابها ، وإرتدت منامتها الرياضية من اللون الرمــادي الفاتح ..

تفاجئت بأوس يقتحم عليها الغرفة ، فقطبت جبينها مندهشة ، ومع هذا صاحت بحماس :

-ده أنا لســه كنت هاجيلك ، بس حبيبت أغير هدومي الأول

حك أوس مقدمة رأســـه ، وتلفت حوله باحثاً عن شيء ما ..

وقفت هي إلى جواره ، وتابعت بثقة وهي تلوح بذراعيها :

-تعرف يا أوس ، احنا محتاجين نعمل Dicoration (ديكور) مناسب للبيبي جيرل ، الألوان مش هاتكون بس بينك ، لأ ممكن نعمل ميكس مع آآ....

لم يصغِ أوس إلى كلمة واحدة مما تُقال على لسانها ، بل ظل مشغولاً بالبحث عن ضالته بالغرفة ، وبالفعل وجدها أعلى خزانة الملابس ، فتقوس فمه بلؤم .. ثم أسرع بمد ذراعه للأعلى ليجذبها ..

تابعت ليان قائلة بإهتمام كبير :

-أنا عارفة **Websites** (مواقع) بتعمل **Designs** (تصاميم) حلوة أوي ..

عقدت ما بين حاجبيها بإندهاش ، وسألته بفضول بعد أن رأته ينزل حقيبة سفرها للأسفل ويضعها على الفراش :

-هو إنت بتعمل ايه ؟

لم يجبها أوس ، بل أسرع بفتح ضلفة الخزانة ، وأخرج منها ثيابها ، وقام بطيها دون ترتيب فوق بعضها البعض ، و (حشرها) جميعاً في الحقيبة ..

إنزعجت ليان من تصرفاته الغير مفهومة ، وهتفت متذمرة :

-أوس .. سيب هدومي !

ثم مدت يدها لتخرج ثيابها من الحقيبة ، ولكنه منعها بذراعه ، وحال دون وصولها إليهم ، فزاد حنقها منه ، وهتفت بإنفعال :

-أوس ! إنت عاوز ايه من هدومي ؟ ابعد عنهم !

إنتهى هو من غلق الحقيبة ، ثم إعتدل في وقفته ، ورمقها بنظرات عابثة وقد إرتسم على ثغره إبتسامة إنتصـــار ، وهتف قائلاً بسعادة واضحة :

-هاتوحشيني يا ليو !

ثم طـوق رأسها بذراعه ، وجذبها نحوه ، وألصق وجهها بصدره ليقبل رأسها من الأعلى ، ثم أبعدها عنه ، فنظرت له بإستغراب عجيب ، وسألته بحيرة :

-هو انت بتعمل كده ليه ؟

ظلت تلك الإبتسامة العابثة متجلية على محياه ، ثم إنحنى بجذعـه فجـأة للأمـام ، ولف ذراعه حول ركبتيها ليحملها على كتفه ، فشهقت مصدومة ، وركلت بقدميها في الهواء ، وصاحت معترضة بذهول :

-أوس نزلني !

أحكم قبضته حولها ، ثم أمسك بيده الأخـرى حقيبتها ، وخـرج حاملاً للإثنتين ...

تحولت ملامح وجهه للجدية حينما رأى عدي واقفاً أمـامه ، فتسائل الأخير بتعجب :

-ايه اللي حصل يا أوس ؟

أنزل أوس شقيقته على قدميها ، ثم دفعها في إتجاه رفيقه ، وأجابه بنبرة شبه متصلبة :

-استلم !

هتفت ليان بحنق وهي ترمق أوس بنظرات مشتعلة :

-انت بتعمل ايه ؟

أمسـك عدي بليـان من ذراعيها ليثبتها في مكانها ، فإستدارت ناحيته برأسها ، وحدجته بنظرات غاضبة ، ثم هتفت بإنفعال وهي تتلوى بجسدها محاولة تحريره :

-أنا مش فاهمة حاجة ! إنتو بتعملوا ايه معايا ؟

تابع أوس قائلاً بجدية وهو يشير بإصبعه :

-مراتك عندك ، ومش عاوز أشوفكم قبل ما تقى تولد !

هتفت ليـان معترضـة بعصبية :

-إيييييه !

كافح عـدي ليكتم ضحكاته ، وحــاول أن يهديء من عصبية ليــان ويثبتها جيداً ، ولكنها كانت تتحرك بصورة شبه هيسترية ، وأكملت صياحها بصوت محتد :

-مش ماشية من هنا ، وهاصوت وأخلي الناس تتفرج عليكم بالليل !

كانت على وشك الصياح ، ولكن كمم عدي فمها ليمنعها عن هذا ، وقيد رسغيها بقبضته الأخــرى ..

حك أوس فروة رأســه ليفكر في حل سريع لتلك المشكلة ، ثم إعتلى ثغره إبتسامة واثقة وهو يجيبها بتفاخر :

-عيب عليكي !

ثم اتجه ناحية غرفة الإستقبال بخطى سريعة ، وأزاح بعض التحف التي تزين الطاولات الصغيرة الجانبية ليسحب من أسفلها تلك (المفارش) الثمينة .. وعــاد إلى شقيقته ، وجثى على ركبته أمامها ، وقــام بتقييد قدميها جيداً ، ثم رسغيها ، وأعقبها فمها ، فنظرت له بنظرات محتقنة للغاية .. وقبلها من وجنتيها قائلاً بنبرة منتصرة :

-مافيش حاجة تغلى عليكي ! باي !

ثم ربت على كتف رفيقه ، وتابع بثقة وهو يرفع حاجبه للأعلى :

-عنك ! أنا بنفسي هوصلهالك لتحت ، وبشنطة هدومها !

وبالفعل انحنى أوس ليحملها على كتفه مجدداً ، وسحب حقيبة سفرها بيده الأخـرى ، واتجه ناحية باب المنزل ليوصلها إلى سيارة رفيقه وزوجها ...

لم ينكر عـدي أنه كان في قمة إعجابه بتصرفه الغير متوقع ، بل ومتحمساً للغاية لتعود ليـان إليه ، ويعيشا سوياً بصورة طبيعية ..

أجلس أوس ليـــان علىِ المقعد الأمـــامي ، ووضع حقيبتها في الخلف ، ثم ودعها قائلاً بصوت لاهث :

-خدي وقتك مع جوزك ، باي يا ليو

ربت عدي على ظهره ، ونظر له بإمتنان وهو يقول بخفوت :

-أنا مش عارف أقولك ايه ؟

رد عليه أوس بتنهيدة متعبة وملوحاً بذراعه :

-خدها وأمشي !

هز الأخير رأســه ودار حول سيارته ليركب خلف عجلة القيادة ، وانطلق بها في إتجاه فيلته ...

....

إنتهت تقى من الإغتســال ، وبدلت ثيابها في منامة حريرية وردية ، وتمددت على الفراش ، وسحبت الغطاء عليها لتدعي النوم ..

تذكرت كلمات الطبيبة الأخيرة عن إمكانية ممارسة علاقتهما الزوجية دون أي مشاكل ..

إزدردت ريقها متوترة من خوض تلك التجربة من جديد .. وحاولت أن تتغاضى عن التفكير فيها بكل تفاصيلها المؤلمة ..

كانت مشاعرها مرتبكة للغاية .. نعم هي في حالة تحسد عليها .. ما بين القبول والخوف .. المجازفة والتراجع ..

تخشى أن تهاجمها ذكرى تلك الليلة البائسة فتقضي على أحلامها الوردية التي بدأت تتشكل في مخيلتها ..

ولج أوس إلى داخل غرفته ، وضاقت نظراته بشدة حينما رأها على وشــك النوم ..

دنا من الفراش ، وجلس على طرفــه ، وأخذ نفساً عميقاً ، وزفره على مهل ، ثم إستطرد حديثه متسائلاً بصوت رخيم :

-انتي هتنامي الوقتي ؟

أجابته مدعية الإرهــاق :

-ايوه !

هز رأســه قائلاً بإستنكار :

-لأ .. ماينفعش !

أغمضت عينيها ، فهتف مغتاظاً من بين أسنانه :

-طب .. طب والمفاجأة اللي عملهالك مش عاوزة تعرفيها برضوه ؟

تنهدت مستسلمة ، وإعتدلت في نومتها ، وابتسمت له برقــة وهي تسأله :

-ايه هي ؟

أمسك براحة يدها ، ورسم على ثغره إبتسامة راضية ، ومسح عليها بأنامله بنعومة فإقشعر بدنها من لمسته الرقيقة .. وتابع بهمس وهو مسبل عينيه نحوها :

-أنا عــارف إني جيت أوي عليكي ، ظلمتك ، وأجبرتك على حاجات إنتي مكونتيش عايزاها وآآ...

توقف للحظة ليتلقط أنفاسه ، وأكمل بهدوء حذر :

-وأذيتك غصب عني !

أطرقت تقى رأسها للأسفل .. واضطربت نظراتها .. فقد بدأت ذكرى تلك الليلة الظلماء تتجسد في عقلها ..

وضع أوس إصبعيه على طرف ذقنها ليرفع وجهها نحوه ، وتنهد بصوت مسموع ليضيف بندم واضح في نبرته ونظراته :

-ومهما عملت مش هاقدر أعوضك عن اللي عملته فيكي ، بس .. بس إنتي الوحيدة اللي غيرتيني ، كشفتيني قصـــاد نفسي ! وعرفت أد ايه أنا ضعيف و.. وآآ.. مريض !

ترقرقت العبرات في عينيها تأثراً .. فقد أصابها حديثه في مقتل .. وتلاحقت ومضــات سريعة من تصرفاته العنيفة معها في عقلها ..

إبتلع هو تلك الغصة المريرة في حلقه ، وأكمل بشجن :

-كتير اتعذبت باللي عملته فيكي ، وندمت .. ندمت على كل لحظة عانيتي فيها بسببي ! وحاولت أغير من نفسي وأتوب بجد عن كل الذنوب اللي عملتها !

بدت متأثرة بكلماته ، وتشنجت تعابير وجهها .. بينما إستأنف هو باقي حديثه بصوت حزين :

-يمكن معملتش فرح ليكي زي بقية البنات ، ولا خليتك تحسي بفرحة العروسة ! بس اللي أقدر أعوضك بيه الوقتي .. هو .. هو ده !

أخـــرج من جيبه دعــوة صغيرة .. وأسندها برفق في راحة يدها ، وتابع بصوت خفيض :

-يمكن .. يمكن ده يسعدك !

حدقت تقى في تلك الدعوة الصغيرة بنظرات مصدومة ، وفتحتها لتقرأ ما بها ..

وتقطع صوتها وهي تردد بهمس :

-تأشيرة عـ.. عمرة !

خفق قلبها بقـــوة ، وتسارعت أنفاسها بصورة لاهثة .. وتحول عبوس وجهها إلى إبتســـامة سعيدة ..

وتذكرت تلك الرؤية القريبة عن زيارتها لهذا المكان المقدس .. فإنهمرت عبرات الفرحة من مقلتيها مبللة وجنتيها ..

إحتضن أوس وجهها براحتيه ، وحدق فيها بنظرات والهة ، وأردف قائلاً بصدق :

-مكونتش بأفكر غير في إني أدور على أكتر حاجة ممكن تفرحك ، وأعملها !

ظلت إبتسامتها مرتسمة على شفتيها ، وردت عليه بصوت باكي وهي لا تكاد تصدق تحقق رؤيتها :

-إنت.. إنت عارف أنا آآآ...

قاطعها بوضع إصبعه على شفتيها ، وهمس بنبرة عاشقة :

-مش عاوزك تقولي حاجة ، كفاية نظرة الفرحة اللي في عينيكي دول ، ، دي لوحدها ترضيني

لم تعرف تقى ما الذي تفعله من فرط سعادتها الغامرة ، فلفت ذراعيها عفوياً حول أوس لتحتضنه .. فطوق هو الأخر ذراعيه حول جسدها ، وضمها بقوة إليه .. وهمس لها بصوت عذب وهو مغمض العينين :

-وأنا .. معاكي عرفت يعني حب

.... !!!

....

الفصل الحادي والثلاثون (الجزء الثاني) :

في سيارة عدي ،،،

وزع عدي نظراته ما بين الطريق وبين ليـــان المقيدة والجالسة إلى جواره ..

كانت الأخيرة تتلوى بصورة مضحكة لتحرر نفسها ، فلم يستطع التحكم في نفسه من هيئتها ، فإنفجر ضاحكاً حتى أدمعت عينيه .. وإعتذر قائلاً :

-سوري يا ليو ، بس انتي شكلك رهيب !

إتسعت مقلتيها بغضب ، ولكزته في ذراعه برسغيها بإنفعال ، فتأوه من الآلم ، وحاول تهدئتها :

-خلاص يا ليان ، مش هاضحك تاني !

أشـــارت برسغيها إلى فمها ، فضيق نظراته ، وتابع بقلق :

-أخــاف أفكه تصوتي وتفضحيني ، والناس تفكر إني خاطفك !

هزت رأسها نافية ، وأشــارت بعينيها بنظرات ذات مغزى ليحررها ..

رد عليه بهدوء :

-ماشي أنا هافك بؤك بس اوعديني الأول ماتصرخيش ، اوكي ؟

أومــأت برأسها موافقة ، فمــد يده ليزيح عنها ذلك المفرش ، فنفخت بغضب ، وعاتبته قائلة :

-إنت ازاي توافق أوس على اللي عمله ، فين شخصيتك ؟!

لوح بكفه قائلاً بحذر :

-كله إلا أخوكي ، ده مينفعش معاه إلا حاضر وطيب وبس !

رمقته بنظرات حادة ، وهتفت بحنق :

-إنت جبان ، وخايف منه !

حدجها بنظرات شبه غاضبة من إهانتها ، ولم يعقب ، وتجاهلها حتى لا يتسبب في إحداث كارثة ، وحدق في الطريق أمامه ، وقد تحول وجهه للتجهم ..

استشعرت هي من قوة نظراته أنها إرتكبت خطئاً معه .. فأدارت وجهها للجانب لتتحاشاه ، وتابعت بصوت خافت متذمر :

-فيها إيه لو كنت فضلت هناك !

أوقف عــدي السيارة على جانب الطريق بصورة مفاجئة ، فإرتد جسد ليــان للأمــام ، وإستندت برسغيها على تابلوه السيارة لتمنع نفسها من الإصطدام به ، وإلتفتت نحوه برأسها ، ورمقته بنظرات حــادة وهي تقول بتوبيخ :

-مش تاخد بالك !

أدار عدي رأســه نحوها ، وحدق فيها بنظرات جامدة ومطولة فإستغربتها هي منه ، وســألته بنفاذ صبر :

-بتبصلي كده ليه ؟ وإنت واقف هنا ليه وآآآ...

باغتها عدي بلف ذراعه خلف رأسها ، وجذبها نحوه ، ثم انحنى عليها ليقبلها قبلة عميقة ومطولة على شفتيها جعلتها تشهق مصدومة ..

حاولت مقاومته ، و التراجع برأسها للخلف ، لكنه كان متمكناً منها ، مسيطراً عليها ، وتعمد أن يبث خلال قبلته تلك أشواقــه إليها ، فذابت مقاومتها تدريجياً معها ، وإستعادت تلك الأحاسيس التي افتقدتها منذ فترة طويلة ..

أرخى عدي ذراعه عن رأسها ، وابتعد ببطء عنها ، وتنهد قائلاً بحرارة وهو يتأملها عن كثب :

-وحشتيني !

ابتلعت ريقها بتوتر كبير .. ونهج صدرها بصورة واضحة ، فمسح عدي على وجنتها ، وهمس معاتباً بنبرة متريثة :

-أنا مش جبان ، أنا بأحبك !

رمشت بعينيها غير مصدقة ما حدث تواً .. وإنكمشت في مقعدها ، وشعرت أن الأرض ستميد بها من حركته تلك ..

شعورها المهلك بتجاوبها معه قد أثار حفيظتها للغاية .. فهي التي كانت تظن أنها ستقاومه بإرادة من حديد إن حاول التودد إليها .. ولكنها تفاجئت بأن حصونها المنيعة ما هي إلا أوهاماً واهية قد سقطت مع أول محاولة حقيقية منه للتعبير عن مشاعره ..

تذكرت تلك الأحاسيس المثيرة التي عاشتها ليلة زفافها ، وأدركت أنها بالفعل متعطشة لحب شغوف يدفعها للجنون .. لكن صدمتها معه ، وإكتشافها لزيف علاقته بها قد أصابها بخيبة الأمل .. لكنه لم يقتل إحساسها ناحيته ..

راقبها عدي بتمعن ، وأغراه رؤيته لتورد وجنتيها ، وإضطرابها الواضح عليها ، وتأكد من إنعكاس هذا عليه ، وتفاعل جسده معها .. شعور غريب اختبره ، وتيقن من صدق كلمات طبيبه التي طمأنه فيها بنجاح علاجه.. فتنهد في سعادة وإرتياح ..

أدارت ليان وجهها ناحية النافذة ، وحل عليها صمت مريب .. وحاولت أن تلملم شتات نفسها ..

بينما إلتوى فمه بإبتسامة إنتصـــار بعد أن تيقن من إحتفاظه بتأثيره المغري عليها ، ثم عاود النظر أمـــامه بثقة ، وأدار محرك السيارة ليتحرك بها في طريقه ...

إستعادت ليـــان في ذاكرتها محادثتها العابرة مع الطبيبة بارسينيا حول إحتمالية شفاء من يعاني من حالات الضعف الجنسي ...

....

▫▫▫ ((وقفت ليـــان قبالة الطبيبة بارسينيا في الرواق ، وسألتها بحرج وهي تعبث بخصلات شعرها :

-هو .. هو ممكن يا دكتور واحد يكون عنده زي .. زي حالة برود عاطفي أو .. أو إنه مش .. مش بيتأثر بالـ آآ... بالبنت اللي قدامه يخف ويبقى كويس ؟

أجابتها الطبيبة متسائلة بجدية وهي تنظر لها بثبات :

-قصدك عنده ضعف جنسي ؟

أومــأت برأسها إيجاباً وهي تجيبها بخجل :

-آآ.. ايوه

تابعت الطبيبة بارسينيا قائلة بهدوء :

-طبعاً في إحتمال كبير للشفاء لو هو اتعالج صح وراح عند متخصصين فاهمين حالته كويس

سألتها ليان بإهتمام :

-و.. وممكن يخلفوا عادي ؟

ردت عليها بثقة :

-أكيد .. الموضوع ده مالوش علاقة بالخلفة ، لأنه بيعتمد على حاجات تانية إنتي عارفاها

ابتسمت لها إبتسامة ممتنة وهي تقول :

-أيوه .. فهماكي ، ميرسي يا دكتور ..)) ◘◘◘

....

لاح على ثغر ليـــان شبح إبتسامة خفيفة قاومت ظهورها ، ولكنها كانت مطمئنة في قرارة نفسها ....

....

في منزل أوس الجديد ،،،،

مسح أوس بكفيه برفق على ظهر تقـــى بعد أن تراجعت برأسها للخلف .. ومــرر عينيه على وجهها الذي يعشق تفاصيله الدقيقة ، وشــرد في زرقــة عينيها ، وعبرت عينيه عما يكنه قلبه نحوها ..

أسبلت تقى عينيها خجلاً ، وهمست بتلعثم :

-تعرف .. أنا .. أنا حلمت إننا .. إننا مع بعض في الكعبة وآآ.. آ..

إرتسمت إبتسامة بشوشة على وجهه ، وهتف مقاطعاً بتلهف :

-بجد ؟

أومــأت برأسها بإيماءة خفيفة ، وتابعت برقة وهي تحنى رأسها للأسفل :

-عمري ما تخيلت إن الحلم يبقى حقيقة و.. ويحصل !

أمــال أوس رأســه للجانب ليحدق في عينيها الخجولتين ، وهمس بصوت آســر :

-كل حاجة هاتحلمي بيها هاتحصل معايا !

شعرت بتنهيداته الحــارة تلفح وجنتها ، فزادت من حمرته ، وأربكتها بشدة ..

اقترب أوس ببطء من صدغها ، وتلمس بشفتيه ملمسه الناعم ، فأغمضت عينيها رهبةً .. وشعرت بإرتجافة مثيرة تسري في أوصالها .. وشبكت أصابع كفيها معاً ..

أخفض هو ثغره قليلاً لتشعر به على شفتيها ، وبحرارة أشــد تزيد من توترها ..

تسارعت دقــات قلبها ، وكذلك أنفاسها .. فإزدردت ريقها بصعوبة ، وأسندت كفيها على صدره لتبعده عنها قائلة بصوت شبه لاهث :

-بـ.. بلاش

سألها بهمس خفيض للغاية :

-ليه ؟

تلعثمت وهي تجيبه بإرتباك :

-لـ.. ليان هنا وآآ..

قاطعها بإبتسامة مغترة وهو يغمز لها :

-اطمني ، أنا اتصرفت مع ليان ، فمافيش حد هنا إلا احنا وبس !

توترت أكثر من عبارته الأخيرة ، ورمشت بعينيها بقلق ..

فهي على أعتاب تجربة تلك العلاقة الحميمية من جديد ، والخوض فيها بمشاعرها كليةً .. وبإرداتها .. وليس كالسابق رغماً عنها ..

هي تخشى أن يفسد كل شيء بسبب ذكرى عنفه المخزي معها ..

مـــرر أوس أصابعه على كتفها ، فإرتجفت من لمسته ، وتابع بهدوء :

-صدقيني ، أنا .. مش هاذيكي ..

تهدل كتفيها قليلاً ، وأبعدت عينيها عنه ، فأكمل بنبرة متمهلة وهو يدرك مخاوفها منه :

-أنا اتغيرت ، وآآ.. واتعالجت !

رفعت بصرها نحوها ، فرمقها بنظرات مطمئنة .. وأمسك بكفها ، ورفعه إلى فمه ليقبل أصابعها ببطء مغري .. فأغمضت عينيها متأثرة .. وتنهدت بحرارة ..

هي تحاول كســر ذلك الحاجز النفسي الذي يقف عائقاً بينهما ، ويحول دون إتمــام علاقتهما كشخصين طبيعين ..

راقبها بحــذر .. وتابع بتمهل تهيئتها نفسياً للإنتقــال تدريجياً لمستوى أعلى وأعمــق في بث مشاعره إليها ..

وبهدوء مثير حاول نزع منامتها عنها .. فإرتعش بدنها .. ولم تقاومه ..

ألقى بثيابها على الأرضية ، ونزع عنه قميصه ، وبنطاله ..

أغمضت عينيها ، وتسارعت أنفاسها .. وانتظرت بترقب شديد الخطوة التالية ..

تلمس أوس جبينها ، وأبعد خصلات شعرها للخلف .. فإنكمش جسدها من لمساته ..

مجدداً إستشعرت حرارة قبلته على شفتيها ..

وتعمد هو أن يزيد من عمقها حينما يلاحظ عدم وجود أي مقاومة منها ..

بينما إنتابتها أحاسيس غريبة لم تعهدها من قبل ..

نعم .. مشاعر جميلة ألهبت جسدها ، وأشعلته شوقاً ورغبة ، وحثتها بشجاعة على المضي قدماً ..

شعــر أوس بتلك الإستجابات المطمئنة منها ، وبتفاعلها معه ، فشــرع بحمــاس على إكمــال ما بدأه .. وتعامل مع جسدها برفق ولين مثيرين للغاية ..

لم تتخيل تقى أنها ستعيش لحظات خطيرة تمتزج فيها الروح مع الجسد ، وتصدر منها تأوهــات مستمتعة بما يحدث غير تلك التي صدرت عنها كتعبير عن إشمئزازها ورفضها لـــه ..

بعد دقائق قليلة من التلاحم والإندمــاج العاطفي بين أجســاد العاشقين ، نجح أوس في إيصال زوجته إلى ذورة الحب ، وبث فيها حرارة أشواقـــه التي احتفظ بها لأجلها منذ أشهــر .. بينما تسارعت دقــات قلبها ، واستجاب جسدها لفيض حبه ، وتفاعل معه كلياً ..

وهنا إستطاعت تقى أن تدرك أنها قد حطمت للأبـــد تلك الذكرى المخيفة التي أفسدت حياتها ونغصتها لأشهر وأصابتها بالنفور والكره .. وحــل محلها مشاعر متحمسة جعلتها تحلق في السمـــاء ..

مشــاعر قد أتت بصورتها الحقيقية بعد فترات من التأهيل ، والدعم ، والعلاج النفسي ، والصبر ، والإصــرار ..

لف أوس ذراعه حول خصرها ، وألصق جسدها في صدره ، وهمس لها بصوت آســر وهو يخلل أصابعه في أصابع كفها :

-بأحبك يا أغلى من عمــري !

ردت عليه تقى بتنهيدة لاهثة وهي تعبث بصدره بأنامل يدها الأخرى :

-وأنا .. كمان !

ظل أوس يتأملها مطولاً بعدم تصديق .. يكاد لا يستوعب أنه خــاض معها تلك العلاقــة بلا عنف ، ولا رهبة أو حتى مشاعر فــزع .. خاضعها كحبيبين طالما حلما بتلك الليلة المميزة ...

بعد برهة من الصمت ، استمع كلاهمــا إلى صوت آذان الفجر يصدح بالخـــارج ، فهتف أوس بتلهف :

-عاوز أعمل حاجة معاكي !

تسائلت بحياء :

-ايه هي ؟

رد عليها بهمس مثير وهو يعتدل في نومته :

-نصلي سوا !

إنفرج ثغرها مصدوماً من الفرحة ، ورمقته بنظرات فخورة به ، وقرأ هو بوضوح في عينيها سعادتها به ..

وبلا تردد مـرر ذراعيه أسفلها ، وحمل جسدها بحرص ، فشهقت مصدومة ، وإصطبغ وجهها بحمرة أخــرى ، وسـألته بتلعثم خجل :

-إنت بتعمل ايه ؟

أجابها مبتسماً بتسلية وهو يمرقها بنظرات عابثة :

-هنستحمى الأول قبل ما نصلي !

أسبلت تقى عينيها خجلاً منه ، وطوقت عنقه بذراعها ، فنهض هو بها عن الفراش .. وســار حاملاً إياها نحو المرحــاض ، ودفع الباب بقدمه بعد أن ولجا للداخل لينغلق عليهما ....

....

في فيلا عدي ،،،

صف عدي السيارة عند مدخل فيلته بعد أن ظل طوال الطريق صامتاً ، ثم ترجل منها ، وتحرك نحو الباب الملاصق لليان ليفتحه ..

مــدت هي رسغيها للأمام وهتفت بنزق :

-فكيني الأول

نظر لها رافعاً حاجبه للأعلى ، ورد ببرود :

-ليه ؟

أجابت عليه بتساؤل وهي تنظر له بإستنكار :

-أومــال هنزل إزاي ؟ ولا عاوزاني أزحف قصادك زي الدودة ؟

ضحك من طرفتها ، ورد عليها بهدوء :

-وأنا برضوه يرضيني تعملي كده

زفرت قائلة بإنزعاج وقد احتقنت نظراتها :

-عدي ، بليز ، أنا على أخري ومش ناقصة

أشــار لها بكفه قائلاً بعبث وهو يغمز لها :

-اهدي مش هاعملك حاجة ، أنا بس هاشيلك لفوق

أربكتها كلماته ، وشعرت بتوتر غريب يجتاح جسدها .. فقاومت بشراسة هذا الإحساس ، ونفخت في وجهه بغضب زائف ، وهتفت بإعتراض

-يووه ، أنا عندي رجلين وبأعرف أمشي لوحدي !

داعب طرف أنفها بإصبعه وهو يقول بمرح :

-ليو حبيبتي ، انتي عليكي توصية من فوق خالص !

أزاحت إصبعه بعنف من على أنفها ، وصاحت بنبرة شبه عدائية :

-عدي ، أحسنلك تعمل اللي أنا عاوزاه ، وإلا مش هايحصل كويس

عقد ساعديه أمام صدره ، ورمقها بنظرات متحدية قائلاً :

-ده تهديد ؟

أشاحت بوجهها بعيداً عنه لتتجاهله متعمدة ، وردت ببرود وهي تزم شفتيها :

-معرفش ، بس أنا ..آآ..

شهقت فجــأة حينما باغتها بتمرير ذراعيه أسفل ركبتيها ليلقي بها فــوق كتفه ...

ثم صاحت متذمرة ، ولكنه لم يكترث بها ، وتحرك نحو باب الفيلا ليفتحه ، ومن ثَمَ ولج للداخل ، وأوصده خلفه ، وأكمل طريقه حتى وصــل إلى غرفة نومهما ، فألقاها بعنف على الفراش .....

زحفت بجسدها للخلف ، وخشيت أن يتهور معها ، فرمقته بنظرات زائغة ، وصاحت بخوف :

-إنت .. إنت هاتعمل ايه ؟

اقترب منها ببطء ، ورمقها بنظرات غير مريحة ، وأجابها بمكر :

-تفتكري ايه ؟

ابتلعت ريقها بتوتر كبير ، وهتفت بهلع وهي تتلوى بجسدها متراجعة :

-اوعى .. تـ.. تقرب مني !

صعد عدي على طرف الفراش ، ورمقها بنظرات أقلقتها للغاية ، ورد عليها متسائلاً بعبث :

-وليه لأ ؟ مش احنا متجوزين وآآ...

إنكمشت على نفسها ، وهمست متوسلة :

-بليز .. أنا .. آآ..

أمسك عدي بقدميها ، وثبتهما ، فصاحت بذعـر :

-لألألألألأ

تعجب هو من تصرفها المبالغ فيه ، وهدأها قائلاً بإبتسامة :

-حبيبتي أنا مش هاعملك حاجة ، أنا هافك المفارش دول

نظرت له مدهوشة ، وهتفت بإستغراب :

-ايه ؟

حل وثـــاق قدميها ، وكذلك رسغيها ، فشعرت بملمس أصابعه على بشرتها ، فتوترت أكثر .. وتلاحقت أنفاسها إلى حد ما ..

شعر عدي بالإضطراب الذي يتخللها ، فرمقها بنظرات ممعنة ، واقترب منها ليوهمها بمحاولة تقبيلها ، فأغمضت عينيها مشتهية قربه منها ، وانتظرت محاولته لتقبيلها ، ولكنه فاجئها قائلاً بتثاءب :

-نامي انتي هنا ، وأنا هنام في الأوضة التانية !

بدت كالبلهاء أمــامه ، وفغرت ثغرها مصدومة .. بينما إلتوى فمه بإبتسامة أكثر عبثاً ، وحذرها بجدية دون أن تطرف عينيه :

-بس لو فكرتي تعملي حاجة مجنونة ، أنا هاتهور وأعمل اللي بتفكري فيه .... !!

....

الفصل الثاني والثلاثون :

في منزل أوس الجديد ،،،

لم تنمْ تقى بعد تلك الليلة المميزة والتي إستطاعت فيها أن تكســر حاجز رهبتها وفزعها المستمر من تكرار أوجــاع الماضي ، وبدأت – بإرداتها – في ممارسة حياتها الأسرية بشكل طبيعي ..

حدقت بتأمل في وجـــه أوس النائم قبالتها ..

وتفحصت ملامحه بدقـة وكأنها تحاول حفر صورته الجديدة في ذاكرتها ، فتمحو للأبد تلك الصورة التي طالما أرهبتها منه و طبعت من قبل في مخيلتها ..

أخفضت عينيها قليلاً ، فلفت أنظارها تلك الندبة البارزة في صدره العاري .. وتذكرت معها اللحظة الفارقة في حياتهما ..

حينما أوشك على الموت في سبيل إنقاذها ..

هي كانت أولى خطوات تحديد مصيرهما ..

هي أول طريق المسامحة والغفران .. ثم التوبة والرجوع إلى الرحمن ..

مــدت أناملها لتتحسسها بحذر .. فسرى في جسدها قشعريرة خفيفة .. وتنهدت بحرارة ، ثم أغمضت عينيها بقوة ..

فتح أوس عينيه ببطء على إثر لمستها الناعمة عليه ، وإختلس النظرات إليها ، وتشكل على ثغره إبتسامة خفيفة ..

لم يصدرْ جلبة ، ولكن راقبها مراقبة حثيثة ليستمتع برؤيتها تكتشفه من جديد ..

فتحت عينيها ، وحركت رأسها على الوســادة للأعلى قليلاً لتجد عينيه ترمقها بنظرات رومانسية ..

وضع أوس إصبعه على وجنتها ، وتحدث إليها بصوت خفيض للغاية :

-فاكرة اليوم ده يا تقى ؟

رمشت بعينيها بتوتر ، فقد تفاجئت من صحوه ، وســألته بنبرة خجلة :

-هو .. هو إنت صاحي ؟

زادت إبتسامته إشراقاً ، وهمس بإيجاز :

-ايوه

تلمس بإصبعه شفتيها ، وتنهد قائلاً بعمق :

-كان ممكن أستحمل أي حاجة إلا إني أخسرك !

بادلته إبتسامة خجولة وهي تهمس له :

-أهـا

ثم تابع قائلاً بحرارة وهو يمرر إصبعه على بشرتـها :

-بأحبك وهافضل أحبك انتي و.. آآ...

توقفت يده عند بطنها ، وأكمل بشغف :

-وبنتنا !

تورد وجهها .. وتحولت نظراتها للرضـــا ..

ســـاد صمت مترقب بينهما للحظات ، ولكن إستطاعت تقى أن تقرأ في عينيه رغبته فيها ، وتوقه لتكرار تلك اللحظات بينهما .. فعضت على شفتها السفلى بإستحياء ..

وأسبلت عينيها لتســـأله بنبرة خافتة :

-انت فكرت تسميها إيه ؟

فرك عنقه بكفه الأخـــر ، وأجابها قائلاً :

-مش عارف لسه ، بس مش هاعمل زي المجنونة ليــان وأسميها حاجة مطرقعة زيها !

إبتسمت تقى وهي تقول بحماس :

-أنا فرحانة أنها خرجت من حزنـها

عبست ملامحه وجهه نوعاً ما ، وغمغم مع نفسه بضيق :

-ايوه خرجت منه وجت تقطع عليا

تعجبت هي من التغيير الذي طرأ على تعابير وجهه ، وسـألته مندهشة :

-بتقول ايه ؟

إبتسم لها إبتسامة سخيفها وهو يجيبها بسخرية :

-بأدعيلها

سألته بإهتمام وهي مضيقة لنظراتها :

-هي راحت فين صحيح ؟

أجابها بلا تردد :

-رجعت لجوزها

قطبت جبينها بإستغراب ، وهمست وهي تضغط على شفتيها :

-غريبة !

رمقها أوس بنظرات عابثة ، وتابع قائلاً بمزاح :

-وايه الغريب في كده ؟ نفسها اتفتحت للجواز ، وحلفت ما يعدي اليوم إلا وهي بايتة مع عدي !

رفعت حاجبيها في عدم تصديق ، وهتفت متعجبة :

-فجـأة كده

إلتوى فمه بإبتسامة متسلية وهو يجيبها :

-اهـا ، مش بأقولك دماغها مطرقعة !

أزاح الملاءة عنه ، وأردف قائلاً بجدية وهو يشير بيده :

-ارتاحي يا حبيبتي شوية ، وأنا هاقوم أعمل كام تليفون وراجعلك !

تابعته بعينيها وهو ينهض عن الفراش ، وردت عليه بخفوت :

-طيب

……………………………………

في فيلا عدي ،،،،

أفـــاقَ عدي على صوت رنين هاتفه المحمول ، فحرك يده عبثاً محاولاً الإمساك به من على الكومود .. ثم وضعه على أذنه ، وأجاب بصوت ناعس :

-ألو .. مين ؟

رد عليه أوس متسائلاً بجدية :

-هايكون مين غيري ، هو انت لسه نايم ؟

أجابه عدي بنبرة ثقيلة :

-أهـا !

ســأله أوس بإهتمام :

-ليان عاملة ايه معاك ؟

رد عليه بإمتعاض:

-معرفش ، هي نايمة في حتة ، وأنا في حتة

تابع أوس قائلاً بسخرية :

-واضح إنك مشرفنا

رد عليه عدي بمزاح :

-أه على الأخر !

صـــاح أوس بنبرة شبه آمــرة :

-طب اصحالي كده شوية ، وركز معايا

رد عليه عدي متسائلاً بقلق :

- هو الساعة كام الوقتي ؟

أجابه رفيقه بهدوء :

-اطمن لسه بدري

لوى عدي فمه مغتاظاً ، وهتف بإنزعاج :

-طب بتقلق منام أمي ليه ؟

رد عليه أوس ببرود :

-عشان عاوزك

نفخ بنفاذ صبر ، وإعتدل في نومته ، وسأله بإقتضاب :

-قول في ايه ؟

رد عليه أوس بهدوء جـــاد :

-تابع شغل الشركة بدالي النهاردة ، واحضر الاجتماعات المسائية !

ســأله عدي بإستغراب وهو يفرك وجهه بكفه :

-ليه ؟

أجابه أوس ببرود :

-مش فاضي !

تثاءب عدي وهو يتابع قائلاً :

-ماشي يا عريس !

أضـــاف أوس قائلاً بتحذير :

-وخد بالك من ليان ، مش عاوزين فضايح !

رد عليه الأخير بتنهيدة متعبة :

-طيب ، أي أوامر تاني

أجابه أوس بإيجاز :

-لأ .. سلام

زفـــر عدي بعد أن أنهى المكالمة بصوت مسموع ، ثم حدق في التوقيت في هاتفه ، وتمتم بكلمات مغتاظة من رفيقه الذي أرق منامه .. ثم تحرك زاحفاً على الفراش ، وحدث نفسه قائلاً بضيق :

-ألحق أخـد دش ، وأفطر قبل ما أشوف هاعمل ايه في الشغل ومع .. ليان !

....

في غرفة النوم الأخــرى ،،،

غطت ليـــان في نوم عميق ، وتمددت بجسدها على الفراش بطريقة عجيبة ..

دق عدي الباب بخفة قبل أن يلج للداخل ، وتفاجيء بهيئتها المضحكة لكنه لم يصدر صوتاً ، واتجه لخزينة الملابس ليخرج

ثيابه ، وأسندها على الأريكة ، ثم ســـار بحذر في إتجاه المرحــاض ليغتسل ..

تململت هي الفراش ، ودفنت وجهها في الوســادة أكثر ، وأصدرت صوتاً وهي نائمة ..

بعد عدة دقائق خــرج عدي من المرحاض وهو يلف خصره بمنشفة قطنية ، وطوق عنقه بأخــرى ، وحدق في ليــان بإندهاش عجيب .. وتسمر مكانه ليراقبها بذهــول ..

فرك فروة رأســه المبتلة بأصابعه وتسائل بتعجب وهو يرفع حاجبه للأعلى :

-هو إنتي طلعتي منهم ؟ طب إزاي أنا مخدتش بالي ؟!

إرتفعت نبرة صوتها قليلاً ، فضاقت نظراته ، وإنزعج منها قائلاً بخفوت :

-لأ ده انتي غلبتيني !

إلتوى ثغره بإبتسامة عابثة وهو يتأمل حركة ساقيها ، وفكر أن يلهو معها قليلاً خاصة وأن شقيقها قد أفسد صباحه ..

فرمقها بنظرات ماكرة .. ثم دنا من الفراش ، وسحب المنشفة من حول عنقه ولوح بها عالياً في الهواء ، و استخدمها في

صفع خاصرتها بقوة ، فهبت ليـــان مذعورة من نومتها ، وصرخت بصدمة :

-آآآه ، في ايه !

إبتسم لها بلؤم ، فحدجته بنظرات مشتعلة ، ونـهرته قائلة وهي تشير بكفها :

-في حد يصحي حد كده ؟

تمطع عدي بذراعيه أمـــامها بعد أن ألقى بالمنشفة على كتفه ، وشبك كفيه خلف رأســـه لترى هي صدره العـــاري بوضــوح ، فإتسعت مقلتيها في صدمة ، ورمشت عدة مرات ، وإكتسى وجهها بحمرة بائنة ..

ثم تعمد أن يغطي صدره بالمنشفة ، واستنكر نظراتها قائلاً بتسلية :

-يا كسوفي ، بتبصيلي كده ليه ؟ شكلي عاجبك ؟

خجلت هي من عبارته الأخيرة ، وتلعثمت قائلة :

-أنا .. انا مش بأبصلك ، أنا ..آآ.. بأزعق !

سلط أنظاره عليها ، وهتف متسائلاً بمرح :

-وهو اللي يزعق يتنح بالشكل ده ؟

أسبلت عينيها ، وهتفت محتجة وهي تلوح بيدها :

-ده شكلي لما بأزعق ، بأتنح في اللي قدامي !

تقوس فمه بإبتسامة مغرية ، وغمز لها قائلاً بهدوء وهو يقترب منها :

-مكونتش أعرف !

أصبحت المسافة بينهما قريبة للغاية ، وأربكها رؤيته بتلك الحالة أمامها ، وشعرت بتأثيره عليها .. فتحول وجهها للون ثمرة الطماطم ، وشعرت بسخونة تنبعث من وجنتيها ..
فإزدردت ريقها بتوتر .. وتراجعت ببطء على الفراش حتى إلتصق ظهرها بالحائط .. فحصارها عدي بذراعيه ، وقرب رأسه منها ، فأدارتها للجانب ، وشعرت بأنفاسه تلفح بشرتها ..
دارت برأسها فكرة مثيرة ، وظنت أنه سيحاول التودد إليها وإختطاف قبلة من على شفتيها ..

رمقها عدي بنظرات ممعنة ، وإستشعر تأثير حضوره القريب عليها ، ولكنه تمالك نفسه كي لا يضحك ، و همس لها مازحاً :

-اغسلي وشك وسنانك عشان ريحة بؤك تبقى حلوة قبل ما آآ... ما آآ..

إتسعت مقلتيها بإندهــاش أعجب من كلماته الوقحة ، والغير متوقعة ، وأدارت رأســها نحوه ، ورمقته بنظرات مشتعلة ، فتابع قائلاً بسخرية :

-تنزلي تحضريلنا الفطار !

احتقن وجهها بشدة ، فإبتسم لها إبتسامة مستفزة ، وتراجع للخلف ، فصاحت بغضب :

-إنت بتقول ايييه ؟

عبس بوجهه ، وأضــاف قائلاً بجمود :

-متتأخريش بس !

كورت قبضتها بغل ، وكزت على أسنانها مغتاظة من فظاظته ..

بينما أشـــار لها بإصبعيه وهو يكمل ببرود:

-ويالا عشان هالبس هدومي ، ولا عادي أشيل الفوطة قصادك ؟ أنا معنديش مانع أجرب !

وضعت يدها على خصرها ، وتحدثه بعدم إكتراث :

-شيل مابيهمنيش

ظنت ليـــان أنها حيلة أخرى من ألاعيبه التي يخدعها بها ، ولكنها تفاجئت به ينزعها ، فغطت وجهها بكفيها مصدومة ، وصرخت مستنكرة وهي تقفز من على الفراش :

-No, no , no (لا) !

رمقها عدي بنظرات مدهوشـــة وهو يهز رأســـه قائلاً بإستغراب شديد :

-احنا متجوزين يا ليو ، مش ماشين مع بعض يا هبلة !

....

في منزل أوس الجديد ،،،

أشعل أوس سيجارة أخـــرى وهو يكمل حديثه الهاتفي قائلاً بجدية :

-تمام ، أنا هابعتلك على الايميل الشكل اللي عاوزه ، بس يتنفذ على طول ، أنا محتاج كل حاجة تكون جاهزة النهاردة

حك طرف ذقنه بإبهامه ، وأضــاف نافياً بهدوء :

-أهـا .. لأ بلاش !

مط فمـــه للأمـــام ، وحدق أمامه في الفراغ ، وأكمل قائلاً :

-كده تمام ، وعاوز متابعة لبقية إجراءات السفر ، طب والباسبورتات هاتكون عندي امتى ؟

تقوست شفتيه قليلاً لتلوح إبتسامة خفيفة عليهما وهو يتابع :

-حلو .. أها دي مفاجأة !

هز رأسه بحركة ثابتة ، وتنحنح قائلاً بإقتضاب :

-احم .. ماشي ، سلام !

ثم أنهى المكالمة وهو يتنهد بإرتيـــاح .. فقد إكتمل جزء جديد من مفاجئته التي يعدها لتقى ..

....

في فيلا عدي ،،،،

تحركت ليـــان بخطوات متكاسلة نحو المطبخ الموجود بالطابق السفلي ..

فركت عينيها بأصابعها ، وولجت إليه وهي تتثاءب ..

نفضت شعرها الثائر للوراء ، وبحثت بعينيها عن الخـادمة ، لكنها لم تجد أي أحد بداخله ، فعقدت ما بين جبينها ، وحكت فروتها وهي تتسائل بحيرة :

-هو مافيش حد هنا ولا إيه ؟

أجابها عدي وهو يعتدل في وقفته بعد أن كان مختبئاً أسفل الطاولة الرخامية التي تتوسطه :

-لأ

شهقت بفزع وهي تضم كفيها إلى صدرها ، ورمقته بنظرات حادة ، وصاحت متذمرة :

-خضتني حرام عليك ! مش تعمل حس ولا حاجة !

أجابها ببرود وهو يضع الملعقة على الطاولة :

-مش كنت بأجيب المعلقة اللي وقعت تحت التربيزة !

نفخت بضيق زائف ، بينما أسند هو أمامها صحن مليء بالبيض الطازج ، وعلبة السمن ، وقطع البسطرمة ، وأشـــار قائلاً بجدية :

-اعمليلنا فطــار يا ليـو ، عشان ألحق أكل وأروح الشركة

أشارت بإصبعها وهي تجيبه بنبرة متلعثمة :

-هو .. هو أنا اللي هاجهزه ؟

أومـــأ برأســـه إيجاباً وهو يرد عليها :

-اكيد

هزت كتفيها قائلة بتأفف :

-بس أنا ماليش في جو الطبيخ والحركات دي !

رمقها بنظرات حادة ، وعاتبها مستنكراً :

-أومـــال هاتبقي ست بيت شاطرة إزاي ؟

ردت عليه ببرود وهي تشير بإبهامها :

-عفاف هي اللي بتطبخ ، مش أنا ، وبعدين انت مش كان عندك شغالة هنا ؟

أجابها بتذمر :

-هي أجازة النهاردة ، اتصرفي بقى واعملي أي حاجة

إستندت بكفيها على سطح الطاولة ، وسـألته ببرود :

-ودول المفروض أعمل بيهم ايه ؟

رد عليها بثقة وهو يتحرك نحوها :

-بيض بالبسطرمة ، حاجة سهلة !

حكت مقدمة رأسها ، وطالعت تلك الصحون بنظرات مطولة ، فوقف عدي خلفها ، ومـال على أذنها ، وهمس قائلاً :

-مستنيكي تبهريني !

إلتفتت نحوه برأسها ، وتفاجئت من إقترابه المغري ، فخفق قلبها بقـوة ، ونهج صدرها بتوتر ملحوظ ..

رمقها عدي بنظرات رومانسية ، ثم باغتها بطبع قبلة صغيرة على وجنتها ، فزادت من اضطرابها ..

وابتسم لها قائلاً بحنو :

-وحشني وجودك معايا هنا !

ضغطت على شفتيها وقد تلاحقت أنفاسها ، فلف ذراعه حول ظهرها ، وقربها إليه أكثر ، وهمس بتنهيدة آسـرة :

-بـ.. بأحبك !

ثم مـال عليها وأطبق على شفتيها بشفتيه ، وقبلها بحرارة عميقة ..

أغمضت ليان عينيها متأثرة ، وطوقت عنق عدي بساعديها ، ولف هو الأخر ذراعيه حولها ، وعاشا لحظات من الرومانسية البحتة ، ذابت فيها حواجز الجليد بينهما ، واستشعرا فيها حاجتهما إلى بعضهما البعض ...

أبعد عدي رأســه عنها ، وطالعها بنظرات مشتاقة ، بينما حبست ليان أنفاسها مترقبة إياه لفعل المزيد ..

تحسس وجهها بأنامله ، وهمس لها بتنهيدة متقطعة :

-ماتنسيش البيض بالبسطرمة

فتحت ليـان نظراتها مشدوهــة ، فرأت إبتسامة ساخرة متشكلة على محياه ، فكزت على أسنانها مغتاظة منه .. ثم لوح لها بإصبعيه ، وتركها وأنصرف ..

غمغمت بكلمات غاضبة ، وأولته ظهرها ، وهزت ساقيها بعصبية ..

نفخت لأكثر من مــرة ، وحدقت مجدداً في الصحون بنظرات منزعجة ..

وتسائلت مع نفسها بضيق :

-وده بيتعمل إزاي أصلا ؟ أهــا .. افتكرت !

بحثت عن مقلاة في الأدراج ، وبالفعل وجدت ضالتها ، ثم أسندتها على الموقد بعد أن أشعلته ، وأفرغت فيها قدراً كبيراً من السمن ، وقامت بوضع قطع البسطرمة فيها ، ثم صبت فوق البيض دون أن تخفقه ، وأضافت مقدار ملعقتين كبيرتين من ملح الطعام .. وقلبت الخليط معاً ..

وما إن انتهت حتى أفرغت محتويات المقلاة في صحن نظيف ، ونظرت إلى نفسها بتفاخر .. وقربت الصحن من أنفها لتستنشق رائحته ، وأردفت قائلاً بنبرة متغطرســة :

-واو .. أنا أنفع اكون شيف !

....

تابع عــدي في غرفة المعيشة أخــر المستجدات عبر هاتفه المحمول .. ونظر إلى ساعة يده بإستغراب ، فقد إستغرقت ليـــان وقتاً مطولاً في إعداد الإفطـــار .. لكنه لمحها تقترب منه ، وإبتسامة زهــو تعلو ثغرها ..

فرمقها بنظرات إعجاب ..

أسندت هي الصحن أمامه ، ووضعت شوكة معه ، وهتفت بغرور :

-دوق وقولي إيه رأيك ؟

مط فمـــه ليضيف بترقب :

-اوكي !

تناول عدي بضع اللقيمات من الصحن ، ولم تخلو من على وجهه تلك الإبتسامة البشوشة ، فســألته ليان بتلهف وهي تراقب ردة فعله بدقة :

-ها ؟ عجبك !

مسح فمـــه بمنشفة ورقية إلتقطتها من العلبة ، وأجابها بنفس الإبتسامة الهادئة :

-حلو يا حبيبتي ، تسلم إيدك ، بس متعملهوش تاني !!!!!

رفعت حاجبيها للأعلى مصدومة ، وسألته بإندهاش :

-ليه ؟

أجابها قائلاً بسخرية :

-ده ملح انجليزي يا بنتي ، ده أنا ضغطي على !

فغرت شفتيها غير مصدقة :

-ايه ، طب إزاي ؟

اقتطع قطعة صغيرة بالشوكة ، ومـــد يده بها نحوها وهو يقول :

-دوقي ، وجربي !

تذوقت القطعة الصغيرة ، فإنكمشت تعابير وجهها بإشمئزاز جلي ، وهتفت بتقزز بعد أن بصقتها في منشفة ورقية :

-يععع .. ايه القرف ده !

-إنتي بتقوليلي !

قالها عدي مستنكراً وهو يرمقها بنظرات شبه معاتبة ...

تهدل كتفيها ، وعبست تعابير وجهها ، وأردفت قائلة بإستياء :

-أنا مبعرفش أعمل حاجة خالص ، بأفشل على طول !

اقترب منها عدي ، ومسح على ظهرها برفق ، وأردف قائلاً بنبرة مشجعة :

-متقوليش كده يا ليو ، بالعكس انتي بتحاولي ، وده في حد ذاته كويس

هزت رأسها نافية ، وقالت معترضة بيأس :

-بس بأفشل في النهاية ، زي الدراسة بالظبط

تابع عدي قائلاً بجدية :

-الموضوع ده بالذات أنا كنت هاكلمك فيه

استدارت ليـان برأسها نحوه ، ورمقها بنظرات مطولة وهو يكمل بهدوء جـاد :

-ليـو ، أنا مش عاوزك تهملي دراستك ، انتي السنادي ضاعت منك ، وآآ.. وأنا مش حابب مراتي تكون أقل من أصحابها في تعليمهم !

ردت عليه بتهكم وهي تطلق تنهيدة مطولة :

-يعني مش عارف الوضع كان عامل ازاي ؟

ســاد الصمت بينهما للحظات قبل أن يقطعه عدي قائلاً بجدية وهو يضع قبضته على كفها :

-خلاص هو انتهى ، مش عاوزين نحكي فيه كتير ، انتي بس ركزي في اللي جاي ، وأنا معاكي فيه ، تمام ؟

هزت رأسها بإيماءة خفيفة وهي تقول بهمس :

-اهــا !

داعب طرف أنفها بإصبعه ، وهتف قائلاً بحماس :

-طب يالا غيري هدومك عشان أنا عازمك على فطــار حلو برا !

إرتسم على وجهها ابتسامة رقيقة ، وردت عليه بصوت خفيض :

-أوكي !

ثم نهضت من جواره ، وتحركت بخطوات أقرب للركض ، فتابعها بنظراته التي تتوق شوقاً – وبشدة - إليها ....

....

في سيارة أوس الجندي ،،،،

راقبت تقى الطريق بنظرات حائرة ، وعــاودت النظر إلى أوس الذي قـــاد السيارة بنفسه ـ وكان مرتدياً أرقى بِذاته (ذات اللون الأسود) على غير عادته ـ وســألته بفضول وهي تطالعه بإعجاب من هيئته المنمقة :

-هو احنا رايحين فين ؟

أجابها مبتسماً وهو يرمقها بنظرات حانية :

-هاتعرفي كمان شوية !

إلتوى ثغرها بإبتسامة رقيقة وهي تســأله بخجل :

-اوعى تقول إنـها مفاجأة !

رد عليها بثقة غامزاً لـها :

-هي بالظبط كده !

فركت أصابع يديها بتوتر ، وأسبلت عينيها لتحدق في فستانها - ذي اللون الأوفوايت - والذي أصـــر أوس على إرتدائها إياه ..

بعد برهـــة ، صف هو السيارة أمـــام منطقة راقية على ضفاف النيل ، وترجل منها ، ثم دار حولها ، وفتح الباب الملاصق لزوجته ، وأمسك بيدها وهي تترجل منها ..

جابت تقى المكان بأنظارها ، فرأت عدة مطاعم عائمة ، فإلتفتت نحوه ، وتسائلت بحيرة :

-هو احنا بنعمل ايه هنا ؟

أجابها بنبرة عميقة وهو يسحب ذراعها لتتأبط فيه :

-هتعرفي يا حبيبتي !

ســـار الإثنين سوياً عبر طريق مغطى بالسجـاد الأحمـــر حتى وصل كليهما إلى بوابة المطعم العائم ، فأمسك أوس زوجته جيداً وهي تصعد على درجاته المعدنية ..

رحب طاقم الإستقبال ، ومدير المطعم بأوس ترحيباً واضحاً ..

ابتلعت تقى ريقها ، وتأملت بإنبهار واضح على ملامح وجهها تصميم المطعم الراقـي ..

عُزفت موسيقى هــادئة وساحرة فور دخولهما للقاعة الرئيسية ، فسلطت تقى أنظارها على تلك الفرقة الموسيقية التي تجلس في أحد الأركان .. وتورد وجهها خجلاً ..

خطت على الأرضية الخشبية والتي أضاءت تدريجياً بإضاءة رقيقة أدهشتها للغاية ..

كما أحاطت بهما مجموعة من الفتيات الصغيرات اللاتي يرتدين زي الباليه الشهير وهن يحملن في أيديهن شموعاً مضيئة .. وظل يرقصن بحركات راقية أبهرتها أكثر ..

خفق قلب تقى بقــوة ، ونظرت إلى أوس غير مصدقة ما فعله ..

بينما إبتسم هو لها بعذوبة ، وهمس قائلاً :

-أنا حابب نحتفل على إنفراد بحياتنا الجديدة .. !

لف أوس ذراعـــه حول خصرها ، وأمسك بكف يدها بقبضته الأخـرى ، وقربها إليه ، فإلتصقت بصدره ، وإستندت بكفها عليه ، وحدقت فيه بنظرات فرحة ..

راقصها بحركات بسيطة للغاية ، ودار بها بخفة ، ثم تابع قائلاً بهمس :

-يمكن هو مش فرح كبير زي اللي كان نفسك فيه ، بس حبيت أعمل حاجة تكون مختلفة ، وتعجبك !

رمقته بنظرات ممتنة ، وردت عليه بسعادة :

-أنا متخيلتش إنك تعمل كل ده ؟ طب عملت ده إزاي وامتى ؟ وآآ..

-ششششش ! متفكريش في حاجة ، أنا هنا عشانك !

ثم توقف عن الحركة بعد أن أشـــار للفرقة الموسيقية لكي تهديء من عزفها ، وأرخـــى ذراعه عن خصرها ، وتراجع مبتعداً خطوة للخلف ليجثو أمامها على ركبته وهو يرمقها بنظرات متيمة للغاية ، وممسكاً بأناملها بأطراف أصابعه ، وأردف متسائلاً بنبرة رومانسية هادئة :

-تقبلي نكمل حياتنا اللي جاية مع بعض ؟

وضعت يدها على فمها غير مصدقـــة ، وتسارعت أنفاسها اللاهثة وهي تطالعه بأعين لامعـــة ..

دس يده الأخـــرى في جيبه ، وأخـــرج منها حذاء الرضيع ، ولكن تلك المرة شبك في طرفي رباطه خاتماً رقيقاً مصنوعاً من الألمـــاس ، وتابع بنبرة هامسة تحمل الشوق :

-وتكوني أم لولاد كتير شبهك انتي ؟

زادت خفقات قلبها ، وترقرقت العبرات في عينيها الزرقاوتين تأثراً بما فعله من أجلها ..

ثم أنزلت يدها الأخرى لتمسك بحذاء الرضيع وهي تومىء برأسها موافقة ..

نهض أوس عن الأرضية بحذر ، وإعتدل في وقفته ، ثم جذبها أكثر إليه ، وضمها إلى صدره ، ولف ذراعيه حولها ، ثم رفعها من خصرها للأعلى ، ودار بها عــدة مرات وهو يهتف بسعـــادة :

-بأحبك يا تقـــى .... !!!

....

الفصل الثالث والثلاثون :

((الأخير - الجزء الأول))

في منزل تقى عوض الله ،،،،

اتجهت تهاني لتفتح باب المنزل بعد أن إستمعت إلى دقــات خافتة عليه ، وإرتسم على ثغرها إبتسامة صافية حينما رأت عوض وبصحبته الشيخ أحمد ، فرحبت بالأخير قائلة :

-وعليكم السلام ، يا أهلا وسهلاً يا شيخنا ، نورت البيت

أجابها بإبتسامة مهذبة وهو مطرق رأسه للأسفل :

-منور بأصحابه

أشـــارت بيدها ليدلف إلى الداخـل ، وهتفت قائلة :

-اتفضل يا شيخنا

تنحنح هو بصوت خشن وهو يقول :

-يا رب يا ساتر

إستند عوض بكف يده المجعد على ظهر الشيخ ، وتشدق بـ :

-اتفضل يا شيخ أحمد ، البيت بيتك !

رمقه الشيخ أحمد بنظرات ممتنة وهو يرد عليه :

-كتر خيرك يا عوض

أضـــاف عوض قائلاً برجـاء :

-معلش يا ست تهاني شوفيلي فردوس صاحية ولا لأ ، الشيخ أحمد جاي يسلم عليها

هزت رأسها بحركة بسيطة وهي تجيبه :

-أه طبعاً ، لحظة وهناديهالك

بعد لحظـــات ولجت فردوس إلى الصالة وعاونتها تهاني في الجلوس على الأريكة ، فنهض الشيخ أحمد لتحيتها قائلاً بنبرة مهذبة :

-السلام عليكم ورحمة الله ، إزيك يا ست فردوس

ردت عليه بفتور وهي تستند بيدها على مسندي الأريكة :

-وعليكم السلام ، نحمده !

تابع قائلاً بهدوء حذر :

-أنا جاي النهاردة اطمن عليكي بعد ما عرفت من عم عوض باللي جرالك !

لوت فمها بتهكم ، ولم تعقب ، فإستشعر الشيخ أحمد عدم ترحيبها بزيارته ، ولكنه أكمل بهدوء :

-ده النبي عليه الصلاة والسلام وصى على سابع جار وأنا آآ...

قاطعته فردوس قائلة بسخط :
-جاي تطمن ولا تشمت فيا زي غيرك ؟!

رد عليها بإعتراض وقد تحول وجهه للعبوس :
-حاشا لله .. انا مش من الناس دي يا ست فردوس !

ردت عليه بحنق :
-كله بيقول كده

أخـذ الشيخ أحمد نفساً عميقاً ، وزفره على مهل ، وأدار بمسبحته بأصابعه ، وأكمل بهدوء جدي :
-أنا غيرهم يا ست فردوس .. وبعدين أنا جاي اعاتبك على اللي كنتي هاتعمليه مع بنتك !!

زفــرت بنفاذ صبر وهي تقول مدافعة عن نفسها :
-أنا مغلطتش ، أنا نيتي كانت خير ، وآآ....

قاطعها قائلاً بجدية :

-لا يا ست فردوس ، إنتي غلطتي ، وإرتكبتي ذنب كبير في حق بنتك !

رددت بإندهــاش وهي متجهمة الملامح :
-ذنب !!!

أوضح لها قائلاً بنبرة رزينة :
-ايوه ربنا سبحانه وتعالى بيقول في كتابه العزيز ((وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا))

ردت عليه فردوس بإعتراض جلي :

-بس أنا مقتلتش حد !

برر لها قائلاً بهدوء :

-إنتي أخدتي بنتك للتهلكة ، ولمكان الله أعلم كان ممكن تنجو منه ولا لأ ، وعصيتي المولى وعملتي شيء يغضبه !

إنقبض قلبها رهبة ، وأردفت قائلة بتلعثم :

-بس هي كويسة وآآ... وحتة البتاعة اللي في بطنها كان ممكن تسقط من أي حاجة ، وأنا ميكونش ليا لي دخل ، يعني هي آآ...

قاطعها قائلاً بإعتراض وهو يشير بيده :
-لا يا ست فردوس ، إنتي فاهمة غلط ، ربنا – عزوجل - نفخ

في رحم بنتك الروح ، وجعلها تحمل من زوجها ، والنطفة تحولت بمشيئته لعلقة ، ومنها إلى مضغة ، وبعدها بقت بتنبض جواها ، فإنتي كنتي هتموتيها !

إرتجف جســد فردوس من كلماته الشيخ أحمد ، وإستشعرت عِظم ذنبها .. ثم إبتلعت ريقها بتوجس ، وضمت كفها إلى صدرها ، فأحست بتسارع نبضات قلبها ...

أضــاف الشيخ أحمد قائلاً بتوبيخ :

-ده بدل ما تقفي معاها ، وتكون سند ليها ، وتحمدي ربنا على نعمته عليكي إنه رزقك ببنت بارة تقية زيها ؟!!!

أدمعت عينيها الضريرتين متأثرة بما قاله ، في حين أكمل هو بنبرة معاتبة :
-مين في الزمن ده لسه عندوا ولاد كده بالأخلاق دي ؟

تنهد بحــزن وهو يتابع بنبرة جادة :
-انتي يا ست فردوس اتبطرتي على نعمة ربنا ، فهو حرمك منها ، وخلاكي تجربي إحساس ضياع النعمة !!

أجهشت بالبكاء ، وإنتحبت بشهقات متتالية ، فأكمل محذراً :

-نصيحتي ليكي يا ست فردوس تتوبي ، وتستغفري ربنا على أد ما تقدري لعله – سبحانه - يغفرلك ذنبك !!

استشعرت خطئها بقــوة ، وأدركت أنها بالفعل عانت الكثير بعد فقدانها للبصر ، بالإضافة إلى الوحدة والعزلة .. فقد باتت منبوذة ، مكروهــة من أقرب الناس إليها ..

لقد تأكدت من جريمتها ، وأنها مذنبة من رأسها لأخمص قدميها ..

أنهى الشيخ أحمد حديثه قائلاً :

-أرجو إن كلامي يكون بفايدة معاكي ، و تحسي بقلبك وبعقلك بالغلط اللي عملتيه في حق بنتك ، واحمدي ربنا على عطاياه مهما كانت ، هو رزقك بإنسانة كويسة ومحترمة ، ودي نعمة في حد ذاتها ، وإنتي أحسن من ناس كتير بيعانوا من عقوق أبنائهم وجحودهم !

تعالت شهقاتها ، ورغم هذا لم يشفق عليها زوجها عـوض ، فهو يرى أنها لو بكت لسنوات فلن يكون هذا كافاً لتعويض ابنتها عن لحظة واحدة مما عانته ...

....

بعد مـــرور عدة أيـــام ،،،

في فيلا عدي ،،،

دندنت ليـــان بحماس وهي تستحم في المرحـــاض بعد أن عـــادت من المقر الرئيسي للمجموعة ، فقد إصطحبها عدي معه لترى على أرض الواقع كيف يتم العمل هناك .. وتحمست كثيراً لأن تكون جزءاً من تلك المؤسسة العريقة التي شيدها شقيقها ، وشاركه في هذا النجاح زوجها .. وتمنت بجدية أن تنتهي سريعاً من دراستها الجامعية لتلتحق بالعمل معهما ..

كذلك أعجبها الدقـــة والتنظيم في العمل ، وروح الفريق البادية على جميع الموظفين ..

لم تغلق هي الباب جيداً ، واكتفت بسحب الستارة البلاستيكية عليها ..

أنهى عدي إتصالاً هاتفياً مع أحد العملاء وهو يصعد على الدرج ، ثم نزع رابطة عنقه ، وحل أزرار قميصه ، وولج إلى الغرفة وهو يصفر بخفوت ..

استمع إلى صوت دندنة خافتة تنبعث من المرحاض ، فقطب جبينه متعجباً ، وتسلل بحذر نحوه ..

إشرأب بعنقه محاولاً رؤيتها ، فلمح طيفها من خلف الستار وهو يتراقص ..

لاح على ثغره إبتسـامة عابثة ، ودار برأسـه الكثير من الأفكار المتهورة ..

هو يشتهي وجودها بقربه ، ويُمني نفسه بقضاء أمتع الأوقـات في أحضانها ..

وظل يؤجـل كل فرصة سانحة للحصول على مبتغاه منها حتى لم يعد بقدرته التحمل أكثر من هذا ..

شعور بداخله يحثه على الإنطلاق معها ، والبوح بمشاعره ..

ولذا لم يمهل نفسه فرصة للتفكير أو التريث ، بل أسـرع في نزع ثيابه ، واتجه نحو المسبح .. فقد تمكن منه تماماً شغفه بها ...

شهقت ليـان بذعـر حينما رأت من يحاوطها من الخلف ، وتلوت بجسدها محاولة تحريره ، وكادت أن تصرخ بعنف طالبة للنجدة ، ولكن طمأنها عدي قائلاً بعد أن كمم فمها :

-اهدي يا ليو ، ده أنا !

إستكان جسـدها نوعاً ما بعد أن إطمأنت منه ، وتوقفت عن المقاومة ، ولكن لم تهدأ الثورة الهائجة بداخلها ..

شعرت هي بسخونة بشرته عليها ، فأشعل بها لهيب الحب ..

تذكرت هي أنها تقف أمامه بلا شيء يسترها .. فإصطبغ وجهها بحمرة مثيرة .. وأطرقت رأسها خجلاً منه ، واضطربت مشاعرها بصورة جلية .. وبدت كالتائهة أمامه ..

همس لها عدي قائلاً بإشتياق :

-أنا بأعشقك يا ليو ! بأحب كل حاجة فيكي ، ونفسي فيكي أوي !

ثم طبع قبلة حـــارة على عنقها فألهبت مشاعرها نحوه أكثر .. وأدارت رأسها ناحيته وهي تجيبه بصوت لاهث :

-وأنا كمان !

حفزته كلماتها على المضي قدماً معها ، وبدأ يبث إليها أشواقــه الحارة مستخدماً طرقــه المغرية التي أصابتها بالجنون واللهفة ، وماهي إلا لحظـــات حتى انغمس الاثنين في لذة العشق ، وسبحا سوياً في عالم خاص بهما ، فإرتوت فيها ليـــان من بحور الغــرام ، وإرتشف فيها عدي من أنهــر العسل المصفى .. وباتا لأول مــرة منذ أشهر زوجين عاشقين منسجمين في روحهما وجسدهما ...

....

في مركز ما للإنجـــاب والحقن المجهري ،،،

مـــرت عدة أيـــام قبل أن يقرر عبد الحق وزوجته بطـة الذهـــاب إلى المركز للتأكد من حدوث الحمل ..

ترقب الإثنين ظهور نتائج التحليل النهائية بفـــارغ الصبر ..

أمسكت بطة بكف زوجها ، ونظرت إليه بقلق ، وهمست بصوت متقطع ومتوتر :

-أنا خايفة أوي يا عبده

ضغط على أصابعها بقبضته ، ورد عليه بترقب :

-اتعشمي في الله ، وهو كريم !

تنهدت بحرارة وهي تضيف بإنزعاج :

-ربنا يكملها على خير !

هــز رأســه عدة مرات وهو يقول بخفوت :

-إن شاء الله

بعد دقائق ولجت الطبيبة إلى الداخل وهي ترسم إبتسامة لطيفة على ثغرها ، فهب الاثنين واقفين من مكانـهما ، فأردفت قائلة وهي تشير بيدها :

-سوري على التأخير ، اتفضلوا اقعدوا !

سألها عبد الحق بتلهف :

-خير يا ضاكتورة ؟

إبتلعت بطة ريقها بخوف وهي تهتف بتلعثم :

-طمنينا الله يرضى عليكي !

ابتسمت لهما وهي تجيبهما قائلة :

-النتيجة إيجابية

تبادل الإثنين نظرات حائرة ، وحبست بطة أنفاسها في صدرها ، بينما تسائل عبد الحق بعدم فهم :

-يعني ايه ؟

هتفت بطة بتوتر كبير واضح على ملامحها ونظراتها :

-أنا مش فاهمة

زادت إبتسامة الطبيبة إشراقاً وهي تقول بهدوء :

-مبروك ، الحمل حصل !

تلاحقت أنفاس بطة وهي تهتف بعدم تصديق :

-ايييييه !

رفع عبد الحق يديه عالياً للسماء ، وصـاح مهللاً :

-الله أكبر ، يا ما إنت كريم يا رب ، بطة مراتي حبلى !

أضافت الطبيبة قائلة بجدية :

-طبعاً في شوية حاجات هنعملها عشان الحمل يكمل بدون مشاكل وآآ...

قاطعها عبد الحق بنبرة سعيدة :

-اللي تؤمري بيه يا ضاكتورة هانفذه !

ثم إلتفت إلى زوجته ، وإحتضنها بقوة ، وصـاح بنبرة أقرب للبكاء :

-الحمدلله يا بطة ، ربنا عوضنا خير ، وهايبقى عندنا عيل صغير !

بكت بطة غير مصدقة ، ونظرت إلى زوجها بسعادة وهي تجيبه :

-أنا مش مصدقة والله ، أنا .. أنا هابقى أم ويبقى عندي عيال !

إبتسم لها وهو يردد بفرحة :

-ايوه ، وإن شاء الله يبقى عندنا بدل العيل اتنين وتلاتة وعشرة

هزت رأسها قائلة بإرتيـــاح وهي تمسح بكفها عبراتها المنهمرة :

-واحد بس يرضيني !

....

في المقر الرئيسي لشركات الجندي للصلب ،،،

انتهى أوس من ترتيب كافة مواعيده خلال الفترة القادمة حتى يتسنى له أداء مناسك العمرة مع زوجته دون وجود أي تعطيل لأي أعمـــال مؤجلة أو عالقة ..

دقت السكرتيرة على الباب بخفة قبل أن تلج للداخل وهي تقول بهدوء ومشيرة بيدها :

-في يا فندم واحدة برا عاوزة تقابل حضرتك !

سألها بجمود وهو قاطب جبينه :

-مين دي ؟

ردت عليه بحذر وهي ترمش بعينيها :

-اسمها مدام تهاني

هتف مصدوماً وهو يضيق نظراته بشدة :

-ماما !

نهض عن مقعدة فجـأة ، و أشـــار لها بإصبعه وهو يأمرها قائلاً :

-دخليها بسرعة !

حركت رأسها بإيماءة خفيفة وهي ترد بخفوت :

-حاضر

ثم تحركت في إتجاه الباب بخطى ثابتة ، وأشـــارت لتهاني بيديها لكي تمرق إلى الداخل ، ثم إنصرفت هي وأغلقت الباب على كليهما ...

تحرك أوس نحو والدته ، ورمقها بنظرات مندهشة وهو يسألها بجدية بالغة :

-حصل حاجة يا ماما ؟

ردت عليه بإبتسامة صافية وهي تجيبه :

-اطمن يا بني ، كل حاجة بخير !

ثم مسحت على صدغه بكفها ، وأضافت بنبرة دافئة :

-أنا جيت أطمن عليك ، وأشوفك !

إرتسم على محياه ابتسامة هادئة وهو يقول بإيجاز :

-تمام

جلس الاثنين على الأريكة العريضة ، فأردفت تهاني حديثها قائلة بهدوء وهي محدقة بإبنها :

-كنت عاوزة أخد رأيك في حاجة كده !

رفع أوس حاجبه للأعلى ، وسـألها بإهتمام وهو يطالعها بنظراته القوية :

-ايه هي ؟

تنفست تهاني بعمق ، وأجابته بإرتباك :

-بص أنا فكرت في موضوع القصر ، و..آآ.. وجه في بالي أعمله دار للمسنين

مط أوس فمه للأمـــام وتابع حديثها بإهتمام دون أن تحيد عينيه عنها ..

تنهدت مجدداً ، وأكملت بجدية :

-أنا شايفة إن دي أكتر حاجة ممكن أستفيد بيها من القصر ، في ناس كتير كبيرة ، ظروفها وحشة ومتبهدلة ، ومحتاجة للرعاية ، فأنا نفسي أساعدهم زي ما لاقيت اللي ساعدني !

قطب أوس جبينه ، وسـألها بجدية :

-يعني انتي عاوزة ده ؟

أومــأت برأسها وهي تجيبه قائلة بتوتر :

-ايوه ، لو إنت معترض ممكن آآ...

قاطعها قائلاً بهدوء وهو يبتسم لها إبتسامة خطيرة :

-لأ يا ماما ، اعتبريه اتعمل ، وأنا بنفسي هاشوف إجراءات تحويله للدار ، وهاخلصهالك بمعرفتي !

إتسعت إبتسامتها ، وإحتضنت وجهه براحتيها ، ورمقته بنظرات حنونة وهي تقول :

-ربنا يباركلك يا حبيبي ويفرح قلبك زي ما بتفرح قلوبنا !

أمسك أوس بكفي والدته ، وقبلهما ، ثم سألها بإهتمام :

-طب فكرتي هاتسميها ايه ؟

ردت عليه بلا تردد :

-أيوه ، دار التقى !

إتسعت حدقتيه مصدوماً ، وخفق قلبه إلى حد ما ، وهتف بعدم تصديق :

-ايه ؟ تقــى !

هزت رأسها إيجاباً وهي تقول مبررة :

-أيوه ، مجاش في بالي إلا الاسم ده !

زادت إبتسامة أوس سعادة ، وأرجع ظهره للخلف ، ووضع كفيه على رأســه ، وتابع بحماس :

-أنا مش عارف أقولك ايه ، بجد مش مصدق ، دار التقى !

ثم أغمض عينيه قليلاً ، وتنهد في إرتياح ، وإستدار ليواجه والدته ، وتابع بجدية :

-إنتي كده هاتخليني أشاركك في المشروع ده

ردت عليه بخفوت :

-وماله يا حبيبي ، وربنا يجعلنا من فاعلين الخير

-يا رب أمين

سـألته تهاني بإهتمام :

-ها ، هاتسافر امتى للعمرة ؟

أجابها أوس بهدوء وهو يشعل سيجارته :

-بكرة بأمر الله

سألته بجدية وهي تضيق نظراتها :

-وتقى عرفت بـ آآ..

قاطعها نافياً وهو ينفث دخـان سيجارته :

-لأ ، لسه

إبتسمت له والدته وهي تضيف :

-أنا مش عاوزة أقولها حاجة ، عشانها مفاجأة !

هز رأســه قليلاً وهو يرد عليها :

-أنا عارف يا ماما

تسائلت تهاني بقلق وهي تشير بيدها :

-بس تفتكر فردوس ممكن تتغير بعد ده كله ؟

غمز لها بعينيه نافياً ، ثم أجابها على مضض :

-معتقدش ، بس أهي فرصة تطهر نفسها من الغل اللي جواها !

زمت تهاني شفتيها وهي ترد بإقتضاب :

-ربنا يهديها ويصلح حالها !

ســاد الصمت بينهما لعدة لحظات ، وأضــاف أوس بعدها قائلاً بتنهيدة مطولة وهو يطفيء سيجارته :

-أنا مش عاوز تقى تيجي في يوم وتلومني ، أو حتى تتهمني إني خليتها تقطع علاقتها بأمها ، مع إنها تستاهل أكتر من كده ، بس كفاية اللي هي فيه !

ربتت تهاني على كتفه وهي تقول بإمتنان :

-حبيبي يا بني ، ربنا يباركلي فيك ، إنت مش عارف أد ايه أنا فخورة بيك !

إبتسم لها إبتسامة مجاملة ولم يعقب ، بينما نهضت هي من مكانها ، وأكملت بنبرة هادئة :

-هاقوم أنا بقى وأروح لأختك في الفيلا

نهض هو الأخـــر من مقعده ، وهتف بجدية :

-ما لسه بدري ، ده أنا ملحقتش اعمل معاكي الواجب !

وضعت يدها على صدغه ، وإبتسمت له بصفاء وهي تقول :

-كفاية أشوفك وأطمن عليك ، خلي بالك من نفسك ، وسلم لى تقى لحد ما أشوفها بكرة !

هز رأسه قائلاً :

-حاضر

إحتضننته والدته مودعة إياه وهي تهتف بـ :

-مع السلامة يا بني

-الله يسلمك

قالها أوس وهو يـلوح لوالدته بكفه ..

....

بعد أقل من دقيقة ولج عدي إلى الداخل ، وتسائل بفضول وهو يدير رأســه للخلف :

-ايه ده ، هو مدام تهاني كانت هنا ؟

لوى أوس فمه قائلاً بإيجاز :

-مش أوي

عاتبه عدي بهدوء :

-طب مش تقولي كنت أسلم عليها !

أردف أوس قائلاً بلؤم وهو يغمز له :

-ما هي رايحالك الفيلا

فهم عدي المقصد من نظراته ، ورد عليه بعبوس زائف :

-تمام ، هابقى اشوفها هناك بقى !

تسائل أوس بمكر وهو يطالع رفيقه بنظرات متسلية :

-اخبارك ايه مع ليان ؟

تنحنح الأخير بصوت خشن وهو يجيبه بثقة بالغة :

-كله تمام يا باشا ، وأدينا بنتعلم منك !

قهقه أوس بمرح ، وتابع بهدوء :

-عظيم ، هاسيبك تكمل باقي الشغل ، ومش هوصيك !

أومــأ عدي برأســه قائلاً بجدية :

-اطمن

بدأ أوس في تجميع متعلقاته الشخصية ، ووضعها في حقيبة خاصة به .. ثم دس هاتفه المحمول وكذلك سلسلة مفاتيحه في جيب سترته ، وإرتدى ساعته الفضية .. وعـدل من وضعية ياقته ..

تابعه عدي بنظراته ، وهتف بحماس :

-اعمل حسابك ، أنا اللي هوصلك للمطار !

رد عليه أوس بإختصار وهو يمسك بولاعته في يده :

-أكيد

هتف عدي بحماس وهو يشير بيده :

-ماتنساش تدعيلنا !

وضــع أوس يده على كتف رفيقه ، ورد عليه بهدوء :

-طبعاً ، وعقبالك يا سيدي

مـــازحه عدي قائلاً :

-ماشي يا حــاج أوس ! بركاتك يا باشا !

....

في صبــاح اليوم التالي ،،،

في مطــار القاهرة الدولي ،،،

أجهشت ليـــان بالبكاء وهي تحتضن تقى بقوة ، فمسحت الأخيرة على ظهرها برفق ، وهمست لها محذرة :

-بلاش تعيطي ، أنا دموعي قريبة !

إنتحبت ليـــان بخفوت وعينيها تلمعان من العبرات :

-مش قادرة ، هاتوحشيني أوي !

لف أوس ذراعه حول شقيقته ، وقبل جبينها قائلاً بجدية :

-يا ليو احنا راجعين تاني

طالعتها بعينيها الدامعتين وهي تقول بصوت شبه باكي :

-انا عارفة يا أوس ، بس اتعودت على وجودكم معايا

جذبها عدي ناحيته ، وطوقها بذراعها من خصرها ، وضربها بمقدمـة رأسه في جبينها ، ومازحها قائلاً :

-دي عمرة يا ليان مش هجرة

ضربته في صدره بقبضتها وهي تقول بضيق :

- إنت بايخ على فكرة !

إحتضنت تهاني ابنها ، ومسدت على رأســه وهي تقول بصوت أمومي حاني :

-ربنا يسلم طريقك يا بني ، وترجعولنا بالسلامة

أجابها أوس بإبتسامة عذبة :

-اللهم أمين

اتجهت تهاني ناحية تقــى ، ثم لفت ذراعيها حولها ، وهتفت بنبرة أقرب للبكاء :

-هتوحشيني يا تقى !

ردت عليها تقى برقــة :

-وانتي يا خالتي

ثم تحركت مبتعدة عنها ، وأضافت بعتاب :

-مش كنتي جيتي معايا !

مسحت على وجنتها ، وهزت رأسها وهي تقول :

-المرة الجاية يا حبيبتي ، تتعوض إن شاء الله !

بادلتها تقى إبتسامة ناعمة ، ثم ردت بصوت خفيض :

-إن شاء الله

هتف عدي بجدية وهو يشير بيده محذراً :

-طب يالا يا جماعة عشان تلحقوا الطيارة ، كده الوقت هيسرقكم !

وقف أوس قبالة رفيق عمـــره ، ثم مــد يده ليصافحه ، ومن ثم دفعه ناحيته ليحتضنه وهو يقول :

-تمام .. سلام يا صاحبي

ربت عدي على ظهر أوس عدة مرات ، ورد عليه بتنهيدة :

-مع السلامة يا اخويا

ثم أمسك أوس بقبضة زوجته تقى ، ولوح الإثنين للجميع وهما يتحركان في إتجاههما ..

هتفت تهاني بصوت مرتفع وهي تشير بكفها :

-خدوا بالكو من نفسكم يا ولاد ، وطمنونا عليكم أول ما توصلوا !

ردت عليها تقى بإيماءة خفيفة :

-بأمر الله

بينما صـــاح أوس بإقتضاب :

-بـــاي !

أجهشت ليـــان بالبكاء ، ومسحت أنفها بالمنشفة الورقية ، فأردف عدي قائلاً بسخرية :

-ياني يا ليوو ، هتقلبي على جو أمينة زرق (ممثلة مصرية) تاني !!!

رمقته بنظرات حادة وهي تعاتبه :

-يووه ، حتى في العياط مش عارفة أخد راحتي !

نظرت لهما تهاني بقلق ، وسألتهما متوجسة :

-هتتخانقوا يا ولاد ؟

رد عليها عدي بإبتسامة عريضة :

-لا يا مدام تهاني ، احنا بنحب نرخم على بعض ، وهو أنا أقدر أزعل ليو حبيبتي !

نظرت تهاني إليهما بسعادة ، وأردفت قائلة بنبرة راجية :

-ربنا يباركلي فيكو ويحميكو !

ضغط عدي بقبضته على ذراع ليــان ، وهمس لها :

-مش يالا بينا يا حبيبتي !

أومـأت برأسها موافقة قائلة بخفوت :

-اوكي .. يالا

....

على متن الطائرة ،،،،

ســـاعد أوس زوجته في إحكام ربط حــزام الأمـــان الخاص بها بعد أن جلست على مقعدها بالطائرة ..

نظرت له بخجل ، وهمست ممتنة :

-شكراً

مــال عليها أوس بعد أن خلل أصابعه في أصابع كف يدها ، وســألها بهدوء :

-فرحانة يا تقى ؟

تنهدت في إرتيــاح ، ونظرت حولها بسعادة وهي تقول :

-اوي ، انت مش متخيل احساسي عامل ازاي

رفع أوس كفه إلى فمه ، وقبله بحنو ، ثم تابع قائلاً بنبرة رخيمة :

-طب .. طب أنا عندي ليكي مفاجأة كمان !

عقدت تقى ما بين حاجبيها ، وتسائلت بإستغراب :

-تاني ؟

رد عليها بثقة وهو يغمز لها :

-تاني وتالت وعاشر ومليون مرة !

ســألته بفضول وقد زاد بريق عينيها :

-طب ايه هي ؟

أشـــار لها برأســـه قائلاً بهدوء :

-بصي وراكي

إلتفتت تقى برأسها للخلف ، وتفاجئت بوجــود والديها في المقاعد الخلفية ، فشهقت مصدومة ، وتسارعت أنفاسها ، وعاودت النظر إليه ، وســألته بعدم تصديق :

-انت .. انت جبت بابا وماما معانا ؟

هــز رأســه بحركة بسيطة وهو يجيبها بهدوء :

-أيوه ، حسيت إن ده هايفرحك أكتر

تحركت بجسدها نحوه لتحتضنه ، وهتفت بنبرة لاهثة :

-حبيبي ، أنا مش لاقية كلام أقوله ليك يعبر عن اللي جوايا

مسح أوس على ظهرها بكفه ، ورمقها بنظرات عاشقة ، ثم شجعها قائلاً :

-قومي سلمي عليهم

اختفت الإبتسامة من على ثغرها فجــأة ، وتذكرت ما فعلته والدتها معها ، فتلعثمت قائلة بنبرة حائرة :

-بس .. ماما .. كانت .. وآآ...

ابتلع أوس تلك الغصة العالقة في حلقه ، فمـــازال قلبه يحمل الضيق من فعلة والدتها الشنيعة .. ولكنه تحامل على نفسه من أجل زوجته .. لذا تحدث بحذر وهو يطالعها بنظراته القوية :

-انسي اللي حصل ، وسامحيها ، هي برضوه أمك !

ثم رسم على ثغره إبتسامة هادئة وهو يتابع :

-وبعدين عشان العمرة تتقبل ، ولا انتي عاوزة تتحرمي من الثواب ؟

هتفت تقى بسعـــادة جلية وقد لمعت العبرات في عينيها :

-أنا بأحبك أوي أوي

رد عليها أوس بتنهيدة حـــــارة :

-وأنا بأعشق أي حاجة منك !

ثم ساعدها مجدداً في حل حزام الأمــان ، و نـهضت هي بحذر من على مقعدها ، وســـارت بخطى أقرب للركض نحو والديها لتحتضن كلاهما بتلهف ، وتعبر عن إشتياقها الكبير لـهما ..

قبلت والدها عوض من كفه ، ثم هتفت بمزيج بين البكاء والضحك وهي تحتضنه :

-أنا مش مصدقة عينيا ، إنتو هنا ومعايا !

وتلك المرة أبدت فردوس أسفها الحقيقي لإبنتها وهي تستمع إلى صوتها المعبر عن حبها الصافي لهما ، و تأكدت في النـهاية أنها لم تحصد من ركضها الدؤوب وراء الأموال إلا الشقاء والتعب .. وأنـها غفلت عن السعادة الحقيقية في وجود ابنة بـــارة تحبها ، وتسعى لإرضائها ..

كذلك إلتزمت بتعهدها مع أوس بألا تفتح باب الماضي مرة أخرى ، وألا تشير إلى ما مضى وخاصة (إتفاق الشيطان) ..

دققت تقى النظر في والدتها ، وإستغربت من إرتدائها لنظارة قاتمة ، فسألتها بإهتمام :

-إنتي لابسة النضارة ليه يا ماما ؟ مال عينيكي ؟

صدمت تقى حينما علمت بما آلم بوالدتها ، وشهقت بآسى ، وأدمعت عينيها حزناً عليها ، وتأسفت لها لتقصيرها في حقها .. وهمست بإستعطاف وهي تحتضنها :

-سامحيني يا ماما ، أنا مكونتش أعرف باللي حصلك ،والله ما حد قالي ، أنا أسفة أوي ، يا ريتني عرفت من بدري ، كنت وقفت جمبك ومش سيبتك للحظة واحدة ! أنا أسفة يا ماما ، حقك عليا !

خفق قلب فردوس بتحسر على دناءتها السابقة .. فإبنتها في الأخير لم تملك إلا قلباً طيباً ، وهي - كأمها - لم تكن تحمل سوى قلب ملوث سعى إلى إفساد حياتها ، وإلى حرمانها من أغلى شيء في الوجود ....

راقبهم أوس بنظرات متابعة ، وإرتسم على ثغره إبتسامة راضية وهو يرى تلك الهالة الآسرة من البراءة والنقاء تجتمع حول زوجته ، والتي أخذت بيده إلى طريق جديد دون أن تدري أنها كانت ملاكه الذي أخرجه من أحلك الظلمات ، فأبصر على يدها نوراً جديداً ..

لقد فهم الآن معنى الآية القرآنية ((وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)) .. وأدرك أن الزوجة الحقيقية هي تلك التي تسكن إليها روحــــه قبل جسده ، فتنبت بينهما المودة والرحمة ، وتغلف حياتهما بالسعادة والحب !

....

في الحرم المكي ،،،،

إستشعرت تقـــى وهي تطأ بقدميها الأراضي المقدسة ذلك الإحســـاس المرهف بالرهبة الممزوجة بالسعادة ..

فرؤيتها تتجسد الآن أمام أنظارها .. بل إنها تعيشها كاملة بكل جوارحها ..

هي بصحبة زوجها ووالديها ، ومن حولها يرفرف حمـــام الحرم ..

تلفتت حولها بفرحـــة غامرة ، وتسابقت دقات قلبها مع أصوات التهليلات والتكبيرات التي تحيط بها ...

هي الآن راضية ومرضية عن حالها ، وحياتها ..

هي الآن تنعم بالهدوء والحب النقي بعد عواصف البغض والذل ..

هي الآن تجني حصـــاد ثمـــار صبرها وتحملها تلك الإبتلاءات ..

انتبهت إلى صوت الأذان وهو يصدح في الميكروفون القريب ، فخفق قلبها أكثر ، ونهج صدرها بقوة ، وهتفت بحماس وعينيها تفيض من الدمع :

-اللهم لك الحمد والشكر ....!!!

....

الفصل الثالث والثلاثون :

((الأخير – الجزء الثاني))

انتهى كلاً من أوس وتقى من أداء مناسك العمرة كاملة ، وتحلل كلاهما من الإحرام .. ثم عـــادا إلى الفندق الذي يمكثان به ..

بدى على وجهها الحزن ، وترقرقت العبرات في عينيها ، فقد

أرادت أن تمكث ليلة إضافية ، فالرحيل عن تلك البقعة الطاهرة أضنى قلبها ..

لم يدخـــر أوس وسعه من أجل إرضائها ، فلبى لها أمنيتها على الفور ، وبقيا ليومين إضافيين ..

في حين إستقل والديها الطائرة عائدين إلى القاهـــرة ...

وقفت تقى أمـــام الحائط الزجاجي المطل على الحرم المكي وهي تتطلع بسعادة على ذلك المنظر المهيب ..

تنهدت في إرتيـــاح بعد أن عرف فؤادها السلام والسكينة .. وإستندت بكفيها عليه وهي تخرج تنهيدات حارة من صدرها ..

أشعل أوس سيجارته ليدخنها ، وإنشغل بمتابعة أعماله في القاهرة من خلال حاسوبه الشخصي ..

لم ينتبه لفرطه في التدخين ، فإمتلأت الغرفة بدخـــان سجائره المتتالية ..

إحتقن وجـــه تقى نوعاً ما ، وشعرت بإختناقها من كثرة إستنشاقها لذلك الدخـــان ..

عجزت هي عن التنفس بصورة طبيعية ، فإلتفتت برأسها إلى أوس ، ورأته منكباً على حاسوبه ..

أصابها دوار شديد ، وبدأت تسعل بخفوت ، وحاولت ألا تصدر جلبة .. لكنها لم تستطع ، فهتفت بصعوبة :

-آآ.. أوس !

-ايوه يا حبيبتي

قالها أوس وهو مسلط أنظاره على شاشة حاسوبه ..

دنت منه تقى ، ومدت يدها إليه وتابعت بصعوبة بالغة :

-أنا .. أنا بأتخنق !

رفع رأســه نحوها ، ونظر إلى حالتها بذعـر بائن في نظراته ، ثم هب واقفاً من على الفراش بعد أن ألقى بحاسوبه ، وركض نحوها صائحاً بخوف :

-تقى !

خـــارت قواها ، ولم تستطع ساقيها حملها ، ولكن كان أوس الأسرع في الوصـول إليها ، وأسندها بذراعيه ، ثم إنحنى ليحملها ، ووضعها برفق على الفراش ..

سألها بهلع وهو يمسح على وجهها بكفه :

-تقى مالك ؟ ردي عليا ! تقـى !

أجابته بصوت مختنق ومتقطع وهي تسعل وكأنها تلفظ أنفاسها الأخيرة :

-مش .. مش قادرة من ..دخـــان .. الـ.. السجاير !

هتف بفـــزع بائن في نبرته :

-أنا أسف يا حبيبتي ، مخدتش بالي والله !

غابت هي عن الوعي ، فصــرخ بذعــر أكبر وهو يحاول إفاقتها:

- تقى ردي عليا ، تقى !

صـــاح هو مستغيثاً بمن ينجده ، وبالفعل تم الإتصـــال بالإسعاف القريب ، وقـــام المسعفون بإفاقتها ، ثم نُقلت إلى المشفى القريب للإطمئنان على حالتها الصحية ...

لم يشعر أوس بفداحة الأمــر إلا حينما رأها تعاني بسببه من جديد ...

وضــع يده على فمه ليكتم شهقاته ، واستجمع رباطة جأشه ليظل متماسكاً أمـــام الجميع ..

حبس أنفاسه مترقباً خروج الطبيب في أي لحظة من الغرفة ، وما إن رأه يخرج منها حتى إندفع نحوه ، وســأله بتلهف :

-مراتي عاملة إيه ؟

أجابه الطبيب بهدوء :

-هي الوقتي أحسن ، اطمن

ســـأله بنبرة أكثر تلهفاً وقد زاد لمعان عينيه :

-طب أقدر أشوفها ؟

رد عليه بإقتضاب :

-اه ، شوية وهتتنقل على غرفة عادية ، وتقدر تشوفها هناك !

تنفس أوس الصعداء حينما سمح له الطبيب بالدخول لرؤيتها ، فبكى عفوياً حينما رأها ممددة أمامه ..

اقترب منها بخطى بطيئة ، وتسارعت دقات قلبه حتى كادت أن تصم آذانه ..

وقف قبالتها ، ومرر عينيه عليها ، ثم مــد كفه ليمسك بكفها ، ورفعه إلى فمه ليقبله نادماً ..

تلمس بيده الأخرى وجهها برفق شديد ، وانحنى ليقبل جبينها ، وهمس بشجن :

-سامحيني يا حبيبتي ، أنا السبب

بللت عبراته صدغيه وهو يتابع بآسى :

-أوعدك مش هادخن تاني ، بس قومي وكلميني ، تقى !

فتحت عينيها بتثاقل ، وســألته بنبرة واهنة :

-هو .. هو حصل ايه ؟

احنى جذعه عليها ، وإحتضنها بشغف ، وهمس بصوت باكي وهو يقبل كفها بأسف :

-بأحبك ، متعمليش فيا كده ، قوليلي بتكرهي السجاير بس متخوفنيش عليكي ، أنا روحي كانت هاتضيع مني !

ردت عليه بوهـــن :

-حـ.. حاضر

بللت عبراته كفها الذي يحتضنه ، ثم قبله مطولاً .. ورمقها بنظرات نـــادمة على فعلته الحمقاء ...

....

ومن وقتها أقلع أوس عن التدخين ، ولم تلمس شفتيه أي سيجارة ، وحَــذَرَ على نفسه التواجد في أي مكان يجلس به أي مدخن ، وبـــات معروفاً عنه رفضـــه التام للتدخين ســـواء في أي إجتماع أو إتفاق يحضره .. ووضع قـــانوناً خاصاً به في جميع شركاته يغرم مادياً من يدخن في مؤسسته .. وحرص جميع العاملين معه على الإلتزام بـــه..

كما إهتم أوس بحضور المتابعة الدورية للحمل ، ولم يفوت أي جلسة كشف تخص تقى ، فكان على إطلاع أولاً بـأول بنمو طفلته في أحشائها ..

غمــرت السعادة قلب تقى وهي ترى زوجها يشاركها أبسط الأمــور ..

و حينما كانت تئن ليلاً من التعب والإرهــاق ، كان يظل إلى جوارها مستيقظاً ، يمســد على رأســها ، ويدلك كتفيها حتى يرتخي جسدها ، وتغفو على صدره ، فيعدل من نومتها ، ويدثرها جيداً .. وينام إلى جوارها وهو متأملاً وجهها البشوش .....

لم يدخــر وسعه في تلبية كل رغباتها – حتى الغريب منها ، وظل مرافقاً لها وحريصاً على صحتها ..

....

بعد مــرور ثلاثة أشهر ،،،

عند قصــر عائلة الجندي سابقاً ،،،

أصــر أوس على حضــور زوجته إفتتاح دار رعاية المسنين الجديدة ، ولم يخبرها عن إسمها ، والذي فضل أن يكون مفاجـأة أخـرى لها ...

ترجلت تقى من السيارة وهي مستندة على يد زوجها ، ورمقته بنظرات ناعمة وهي تتحرك معه للأمـــام ..

مسح أوس على كفها بأنامله وهو يتأبط ذراعها ، وخطى ببطء معها ، فقد كانت مرهقــة من الحمل ..

إبتسمت في طريقها للجميع ممن تعرفهم أو لا .. وجابت بعينيها بنظرات خاطفة المكان من حولها ..

تعجبت هي من تغطية جميع لافتــات الدار .. ولكنها لم تتسائل عن السبب وإكتفت بمتابعة التغيير الجذري الذي تم إحداثه في حديقة القصـر الخارجية ..

ومـــر ببالها ومضـــات سريعة عن ذلك المكان ..

من قدومها للعمل فيه جبراً ، ومن إصابتها في قدمها وتحملها للآلم النفسي قبل الجسدي ..

ثم فرارها منه بمساعدة المدبرة عفــاف ..

أدارت رأسها في إتجـــاه أوس ، ورمقته بنظرات مطولة متأملة فيها ملامح وجهه المرتخية ، وإبتســامته الآســرة ..

نعم لقد تغير تماماً مثل القصـر ، و من أجلها فقط فعل المستحيل لتصفح عنه وتغفر له ، وأصبح شخصاً جديداً فأحبته بصــدق ، وعشقته بجوارحها ..

أفاقت من شرودها على صوته الهادىء :

-بصي هناك يا حبيبتي !

رفعت بصرها إلى حيث أشــار بعينيه ، فوجدت غطاءاً كبيراً ينزاح ببطء عن اللافتة ، فراقبته بعدم إهتمام ..

ثوانٍ قليلة مرت قبل أن يُكشف عن إسم الدار ..

رمشت بعينيها غير مصدقة وهي تقرأه بصوت خافت يحمل الفرحة :

-دار التقى لرعــاية المسنين !

إلتفتت نحو أوس ، وهتفت بسعادة :

-دي .. دي على اسمي !

أجابها مبتسماً وهو يرمقها بنظراته العاشقة :

-طبعاً ، بس المرادي مش مني ، دي من ماما

إحتضنت تهاني تقــى بحنان ، وقبلتها من وجنتها بعاطفة قوية ثم أضافت بمرح :

-دي أقل حاجة أقدمهالك يا بنتي على اللي عملتيه معايا ومع ابني !

أدمعت عيني تقى ، وهتفت بنبرة ناعمة :

-أنا .. أنا مش عارفة أقول ايه ، ده كتير والله !

هتفت ليـــان بحمـــاس وهي تشير بيدها :

-يالا يا مامي عشان تقصي الشريط

هزت تهاني رأسها معترضة ، وقالت بإصرار :

-مش لوحدي ، ابني معايا !

ابتسم أوس مجاملاً ، وتحرك خطوة للأمـــام ليقف إلى جوارها ، وحدق فيها مبتسماً .. ثم وضع الاثنين كفيهما معاً ليقصا الشريط الورقـــي ، فهتف عدي معلناً بصياح :

-مبرووووووك !

إلتفت أوس بجسده ناحية تقى ، ثم إحتضنها

تعالت التصفيقات من الحاضرين ، وولج الجميع إلى الداخل ليروا القصر بعد تعديله ..

إنبهر الحاضرين بتهيئة المكان ليصبح مركزاً لائقاً بكبار السن ، ومزوداً بأحدث وســائل الرعاية والإهتمام ..

وتم تخصيص جانب كبير فيه لرعاية غير القادرين منهم بالمجـــان ...

....

بعد مـــــرور ثلاثة أشهر ،،،،

بعد مجهود مضني من محامي ناريمان ، ومساعدة جمعية النساء الشهيرة تم تبرئتها من تهمة قتل عشيقة ممدوح ، وإعتراف المحامي الخاص بمهاب – نصيف - بارتكاب موكله الراحل لتلك الجريمة النكراء ...

كما حكم عليها بالسجن في قضية التزوير في أوراق رسمية ، وتغير النسب ، والتلاعب في مستندات طبية ، و التي أقيمت ضدها من أوس الجندي ، ورُفض الطلب الذي تقدمت به للحصـــول على إفراج صحي ..

وأقـــام أيضاً دعوة لرد شرف والدته وتبرئة اسمها من أي تهم سابقة قد تم تلفيقها لها خاصة وأن دلائل برائتها كانت بحوزته .. فإستعان بها في تلك القضية ..

....

في منزل أوس الجديد ،،،،

عقــد أوس رابطة عنقه ، ومشط شعره بالفرشـــاة ، ثم نشر عطره على قميصه ، وإلتفت برأســه ناحية تقى التي كانت تقف على أعتاب باب المرحــاض وهي ممسكة بأسفل بطنها ..

تأملها أوس بقلق ، وسألها بجدية :

-انتي تمام ؟

أومــأت برأسها وهي تجيبه بوهن :

-أهــا

رمقها أوس بنظرات متفحصة وهو يقول :

-أنا حاسس إنك هاتعمليها وتولدي

هزت رأسها نافية مجيبة إياه بخفوت :

-لأ .. لســه بدري !

ضغط على شفتيه ليقول بإصرار :

-تقــى ، شكلك بيقول كده !!

ابتسمت له إبتسامة باهتة وهي ترد :

-صدقني أنا كويسة !

تنهد بصوت مسموع ، وأضـــاف قائلاً بجدية :

-اوكي .. أنا هاكمل لبسي وهاخلص الاجتماع اللي عندي وأجيلك !

ضغطت تقى على شفتيها بقوة وهي تجيبه :

-ماشي

أضـــاف أوس قائلاً بصوت جـــاد :

-تقى لو عوزتي حاجة اتصلي بيا على طول وهتلاقيني عندك !

ردت عليه بنبرة شبه متآلمة بعد أن اعتصر الآلم بطنها :

-حاضر ، متقلقش عليا ، أنا معايا عفاف وماريا

تابع بجدية وهو يرمقها بنظراته الدقيقة :

-برضوه ، ده مايغنيش عني

-أكيد

شعورت هي بوخزات رهيبة وحــادة تجتــاح أسفل بطنها ، وضربات متلاحقة في ظهرها ، وجاهدت لتتحملها ، ولكنها فاقت قدرتها، فصاحت صارخة بآلم كبير :

-آآآآآه !

ركض أوس ناحيتها ، وأسندها بذراعيه ، وســألها بقلق :

-تقى !

ضغطت هي على ساعده ، وبكت مستغيثة :

-مش قــادرة ، الحقني !

رد عليها أوس بتوبيخ قليل :

-قولتلك من الأول ، إنتي شكلك بتولدي

صاحت فيه بإنفعال وهي تغمض عينيها بقوة :

-اتصرف ، آآه !!!!

تسائل أوس بحيرة وهو يتلفت حــوله :

-الشنطة بتاعتك فين ، أنا مجهزها بنفسي !

ردت عليه بصوت متألم وهي تصرخ :

-معرفش ، آآآه ، الحقني بسرعة

هتف قائلاً بنبرة مرتفعة ، وهو يميل بجسده للأسفل ليحمل زوجته :

-حاضر، يا عفـــاف ، تعالي بسرعة ، تقى بتولد

ردت عليه عفـــاف قائلة بتلهف :

-حاضر يا باشا ، كل حاجة جاهزة ، اطمن !

....

في العيادة النسائية ،،،،

أوصـــل أوس زوجته إلى عيادة الطبيبة بارسينيا ، حيث تم الإتفاق على أن تلد رضيعتها هناك .. وبالفعل وضعها على الناقلة الطبية ، وهتف بصياح :

-بسـرعة نادوا على د. بارسينيا ، أنا بأطلبها من بدري ومش بترد ، تقـــى بتولد !

أجابته الممرضة بهدوء حذر :

-للأسف د. بارسينيا سافرت لمؤتمر آآ....

قاطعها أوس بإنفعال واضح :

-إزاي تسافر ، احنا متفقين معاها ؟!

-آآآه ، مش قــادرة

قالتها تقـــى بصوت متشنج وهي تحاول كتم آهاتـها ...

انفعل أوس بغضب أشـــرس قائلاً :

-هو ده ينفع ، هي معندهاش تقدير للمسؤلية !

ردت عليه الممرضة بنبرة هـــادئة وهي تشير بإصبعها :

-يا فندم الموضوع جــه مفاجيء ، بس اطمن هي مرتبة مع الدكتور مارجريتا هي دكتورة أجنبية بس ممتازة ، وهتتولى كل حاجة هنا

صـــاح بها بصوت هـــادر وقد إحتقنت نظراته :

-طب هي فين دي كمان ؟

-موجودة يا فندم

قالتها الممرضة بجدية بالغة ، ثم دفعت الناقلة بمعاونة زميلاتها إلى داخـل غرفة ما جانبية لتجهيز تقـى إلى العمليات ..

تعذر على الطبيبة مارجريتا إيلاد الرضيعة بصورة طبيعية لتعسرهـا ، فلجـأت إلى استخدام عملية الولادة القيصرية ... ورفضت طلب أوس بالحضور ومشاركة زوجته لحظة ميلاد طفلته ..

وقف مترقباً بالخـارج ، ولكن علق قلبه وعقله وروحــه بالداخـل ..

مرت عليه الدقائق وكأنها أدهـر ..

وصل إلى العيادة عدي ومعه ليــان ، وركضت الأخيرة في إتجاه شقيقته وهي تســأله بتلهف :

-ايه الأخبار يا أوس ؟ تقى ولدت ؟

رد عليها بنبرة قلقة وأنظاره مسلطة على باب غرفة العمليات :

-مش عارف لسه ، هي موجودة جـوا

همست لها ليان وهي تضغط على كتفه بقبضتها :

-ربنا معاها

مــازحه عدي قائلاً بهدوء :

-اجمد يا باشا ! هي مش أول واحدة بتولد ، شعب مصر كله جرب الحكاية دي

لوى أوس فمه بضيق ، ونفــخ بصوت مسموع .. فأدرك عدي أن رفيقه ليس في حالة مزاجية جيدة تسمح بالمزاح ...

ظل أوس يجوب الرواق ذهاباً وإياباً وهو يدعو الله في نفسه أن تنجو زوجته وطفلته ..

بعد لحظات إنضمت إليهم تهاني وبصحبتها عــوض وهو ممسك بزوجته فردوس ..

أجلست تهاني فردوس على المقعد القريب ، ثم اتجهت ناحية ابنها ، وســألته بإهتمام كبير :

-طمني يا بني على تقى !

أجابها بنبرة شبه خائفة :

-معرفش أي حاجة ، بس مش مرتاح

ربتت على ظهره ، وضغطت على شفتيها قائلة بحذر :

-اهدى يا بني، وإن شـاء الله خير

أسند أوس كفه على الحائط الملاصق للباب ، وضرب بيده عليه عدة مـرات .. لم ينتبه هو إلى أي أحاديث جانبية ، ولم يشـارك التعليق في أي شيء يُسئل عنه ..

وفجـأة إنتبهت كافة حواسـه إلى تلك الصرخة الصغيرة التي إختطفت قلبه قبل عقله .. فأدار رأسـه ناحية الباب ، وأحس بإضطراب جلي يسيطر علىٍ كافة أعضائه ..وإستشعـر بقلبه تلك النبضات التي أعلنت رسمياً عن ميلاد أحب الأشخـاص إليه ..

تعجبت تهاني مما حدث لإبنها ، وسـأله بإستغراب :

-خير يا بني في ايه ؟

رد عليها بصوت لاهث :

-سمعتها يا ماما ، تقى ولدت !!!

هزت والدته كتفيها وهي تجيبه بفتور :

-بس إحنا مسمعناش حاجة ، تلاقيك بس آآ...

قاطعها بإصــرار جلي وهو يهز رأســه معترضاً :

-أنا متأكد من اللي بأقوله ، بنتي جت على الدنيا !

وما هي إلا دقائق أخــرى حتى خرجت الطبيبة مارجريتا من غرفة العمليات لتطمئن الجميع وعلى ثغرها إبتسامة ودودة ، فســألها أوس بتلهف :

-تقى ولدت ؟

هزت رأسها بعدم فهم ، فســألها مجدداً باللغة الإنجليزية ، فأجابته بنبرة هــادئة :

-Yes, and you can see her after while (نعم ، ويمكن أن تراها بعد لحظات)

سألها بصوت متقطع وهو يرمقها بنظرات شبه متوترة :

-And what about my baby ? (طب .. وآآ.. وبنتي)

ردت عليه بنبرة مطمئنة وهي ترسم تلك الإبتسامة اللطيفة على ثغرها :

-She's fine .. you can see her too (بخير ، لحظات وهاتكون معاها) !!

أحتضنت تهاني ابنها بعد أن أبلغ من حوله بميلاد رضيعته ، وهنأته قائلة :

-مبروووووك يا بني ، تتربى في عزك إن شــاء الله

اقترب منه عدي وصافحه وهو يقول بحماس :

-مبروك يا أوس !

هتفت ليــان بصياح وهي تقفز في مكانها :

-واو ، بقيت أنطي !

اقترب عـوض هو الأخــر من أوس ، وأردف قائلاً بصوت خافت :

-حمدلله على سلامتها ، ربنا يحفظهوملك يا رب

رد هو على الجميع بكلمات مقتضبة .. فعقله وقلبه مشغولان بزوجته وطفلته الرضيعة ..

حضرت ممرضــة ما إليه ، وأشــارت له بيدها وهي تقول بهدوء :

-حضرتك تقدر تشوف المولودة الوقتي

وبالفعل ســـار أوس بخطى سريعة خلفها ، ونبضاته تتســارع مع أنفاسه تلهفاً لرؤية ثمرة حبه والتي جمعت بينهما بعد وقت طويل من المعاناة والشقاء ...

تملكه القلق الممزوج بالخوف وهو يدلف إلى داخل تلك الغرفة الصغيرة ذات اللون الوردي ، وإستمع إلى أنين ضعيف ينبعث من فراش صغير يتوسط الغرفة ..

إزدرد ريقــه بإرتبــاك كبير ، وبحذر شديد دنـــا من الفراش ..

حبس أنفاســـــه وهو يسلط أنظاره على ذلك الملاك الغافل ..

إنها لحظة لا توصف بالنسبة له ، إحســـاس رهيب بالسعادة الغامرة سيطر عليه كلياً .. وإنسابت عبراته عفوياً حينما وقعت عينيه عليها .. وأمعن النظر فيها مطولاً قبل أن يمد يده المرتجفة لحملها ..

هي تملك سمات والدتها الخارجية .. لون البشرة والشعر .. نفس الشفاه .. ولكن لم يرْ عينيها بعد ..

فلديها بشــرة بيضاء فاتحة

وبحــذر شديد مــرر ذراعيه أسفل منها ليتمكن من حملها ..

إنها قارورته الغالية ، جوهرته الثمينة التي يخشى إيذائها ..

تنهد بحرارة وهو يقرب وجهها منه لطبع قبلة أبوية حانية على بشرتها الرقيقة ..

تململت الرضيعة بين ذراعيه ، فإرتجف قلبه خوفـاً عليها ..

ظن أنه يؤلمها بقبضته ، ولكنها كانت تتثاءب ، فضحك باكياً ..

قرب رأسها منه ، وقبلها مجدداً ، ثم همس في أذنها :

-تبارك الله ، إنتي .. إنتي ملاكي الجميل ، روحي ، إنتي حياتي كلها

حركت الرضيعة وجهها قليلاً ، وتأوهت بصوت آسـر ، فزادت إبتسامته سعــادة

دلفت الطبيبة مارجريتا إلى داخــل الغرفة لتفحص الرضيعة ، لكن لم ينتبه لها أوس ، فتابعتهما بنظرات مترقبة ، وإندهشت من حديثه معها ، وتفاعل الرضيعة معه وكأنها مستمتعة بما يقصه عليها ..

أمــال أوس رأس الصغيرة للأعلى ، ثم قرب فمــه من أذنها ليؤذن فيها بصوت خفيض ولكنه ســاحر ، أعجبت به الطبيبة وإبتسمت .. ثم تركتهما معاً دون أن تصدر جلبة ..

....

أفاقت تقى بعد برهــة ، وتلفتت حولها لتدقق النظر فيمن متواجد معها ..

إستمعت إلى مزيج من أصوات أبيها وأمها ، وكذلك خالتها وليــان ، وســألت بصوت واهن :

-فـ.. فين بـ.. بنتي ؟

ردت عليها ليـــان بنبرة مطمئنة :

-الحمدلله بخير ، هي مع أوس

هتفت تهاني بسعادة :

-حمدلله على سلامتك يا بنتي ، تتربى في عزك وفي عز أبوها

بينما أضــاف عوض قائلاً بهدوء :

-الحمدلله يا بنتي ، ربنا معاكي ويحفظهالك ، وتكون زيك صالحة وتقية

هتفت فردوس هى الأخــرى بصوت شبه مرتفع :

-مبروك يا حبيبتي ، ربنا يباركلك فيها وتكون ونعم البنت البارة بأمها !

أردف عدي قائلاً من بعيد :

-حمدلله على سلامتك يا مدام تقى ، ومبروك المولودة !

ولجت الطبيبة مارجريتا إلى داخل الغرفة لتفحص مريضتها ، وجاءت بصحبتها ممرضــة ما ..

فســألتها تقى بصوت متقطع :

-بـ.. بنتي كويسة ؟

ترجمت لها الممرضة سؤالها ، فأجابتها الطبيبة قائلة بإبتسامة مرحة :

She's with her father , and he's singing to her-

(هي مع أبيها ، وهو يغني لها بسعادة)

بعد لحظــات ولج أوس للداخل وهو يحمل بين ذراعيه برفق شديد كنزه الثمين ..

ركضت ليــان نحوه ، وأصرت على حمل الرضيعة لكنه رفض ، فإمتعض وجهها ، وهتفت بعبوس :

-أوكي يا أوس ، مش هنسهالك

ابتسم أوس وهو يقول بجدية :

-ممكن تسيبوني مع مراتي وبنتي شوية

هـز عدي رأســه وهو يرد عليه :

-خـد راحتك يا باشا ، احنا هنستناك برا

وبالفعل أخــرج رفيقه الجميع من داخل الغرفة ليظل أوس مع زوجته وابنته ...

دنا هو من الفراش ، وبحرص بالغ أســند الرضيعة إلى جوار والدتها ، ثم احنى جذعه عليهما ليقبلهما سوياً ..

إرتسم على ثغر تقى إبتسامة باهتة ، وســألته بصوت ضعبف :

-هـا .. حلوة ؟

رد عليها بخفوت وهو يمسح على جبينها :

-دي حتة منك ! بس لســه مش عارف لون عينيها

أضافت بصوت هامس :

-بعدين هيبان ! فكرت هاتسميها ايه ؟

أجابها بعد تنهيدة مطـــولة :

-ايوه

-ايه هو ؟

سألته تقى بفضـــول وهي تطالعه بنظراتها

إبتسم لـها قائلاً بعذوبة :

-هاسميها ((حيـــاة)) !!!

قطبت جبينها مندهشـــة، ورمقته بنظرات إستغراب وهي تردد :

-حياة ؟

هـز رأســـه بإيماءة خفيفة وهو يجيبها بهدوء :

-أيوه .. لأنها حياتي كلها ، ودنيتي الجديدة اللي ماتمناش غير إني أعيش فيها معاكي ومعاها ..!

إبتسمت له إبتسامة رقيقة وهي تضيف :

-وأنا موافقاك ، هي حياة لينا كلنا ، بداية أحسن وأفضل للي جــاي !

....

تعلق أوس بالرضيعة حيـــاة تعلقاً شديداً حتى باتت هوســـه الكبير ، والمصدر الرئيسي لسعادته الحقيقية .. وخاصة أنها كانت تحمل لون عيني والدتها ، فباتت نسخة ملائكية مصغرة منها ..

لم يفارقها إلا للحظات محددة ، وكثيراً ما كان يصطحبها معه لمقر شركته الرئيسي حتى أنه خصص لها في غرفة مكتبه ركناً خاصاً باللعب حتى تكون تحت أنظـــاره حينما يكون مشغولاً عنها .. ولم يهتم برأي العملاء ولا الموظفين.. فهو في النهاية صاحب تلك المجموعة ويحق لها التصرف كيفما يشـــاء ...

وذات يوم ، وبينما كان هو مندمجاً في التحضير لأحد إجتماعاته الهامة .. أخبرته السكرتيرة بميعاد إجتماع مؤجل مع بعض الوكلاء التابعين لشركة أجنبية والذي تقـارب وقته مع إجتماعه الأخـر ، فإضطر على مضض أن يخصص لهم بعض الدقائق للإلتقاء بهم على عجالة ، ومن ثم تحديد ميعاد أخــر لتناول كافة الأمـــور بالتفصيل ..

فولج إلى داخل مكتبه هؤلاء العملاء الجدد ، وتجاهل أحدهم التنبيه اللاذع الخاص بعدم التدخين .. فأشعل ذلك الوكيل (الغليون) الخاص به ، وألقى بعود الثقاب على الأرضية اللامعة دون إكتراث ..

أحضـــر الساعي صينية مليئة بالمشروبات الباردة ، وإنزعج من رؤية ذلك الوكيل يدخن ، فحذره قائلاً :

-ممنوع التدخين هنا يا فندم ؟

رمقه الوكيل بنظرات إحتقارية وهو يســأله بتهكم :

-ليه ، هو مكتوب هنا مستشفى ؟

رد عليه الساعي بهدوء :

-لأ يا فندم ، بس دي تعليمات أوس باشا ، واللي بيخالفها بيبقى في إجراء معاه

لوى الوكيل فمـــه إستهزائاً ، ثم أطفأ غليونه على مضض ..

ولج أوس وهو يحمل رضيعته على ذراعه ، فرمقه الوكلاء بنظرات متعجبة ، ولكنه لم يكترث بهم .. وأسندها في الزاوية الخاصة بها ..

ثم عــاد إليهم ، وأردف قائلاً بخشونة وهو يشير بيده لهم لكي يجلسوا :

-اتفضلوا ، أنا هاحدد ميعاد تاني معاكو ، بس الأول عاوز اخـد فكرة صغيرة عن طبيعة عمل الشركة على أرض الواقع مش الكلام المكتوب في الورق !

-أكيد طبعاً

قالها أحد الوكلاء بنبرة جــادة ،ثم إستعرض بإختصـــار أهم إنجازات الشركة في مجالها ..

في تلك الأثناء كانت الرضيعة حياة قد تعلمت الحبو ، وبدأت تزحف على قدميها وساقيها ، فتحركت في اتجاه أبيها بحماس ، واللعاب يسيل من فمها الصغير ..

لفت أنظارها عـود الثقاب المُلقى على الأرضية ، فإلتقطته بإصبعيها الضئيلين ، وحدقت فيه بفضول كبير ..

لاحظ أوس تعلق أنظـــار أحد الوكلاء بشيء ما خلفه ، وشروده عن المحادثة ، فإستدار برأســـه للخلف ليجد ((حيـــاته)) ممسكة بعود الثقاب وتقربه من فمها لتبتلعه ، فصـــاح بصوت هـــادر :

-حيــــاة !!!

فُـزعت على أثره الرضيعة ، وبكت بخوف ، فأســرع نحوها وحملها بين ذراعيه ، وقبلها بحنو أبوي ، ثم جذب من أيدها ذلك العود .. وهدأها بحركات بسيطة ، ولكن إستشاطت نظراته غضباً وهو يعاود النظر إلى الوكلاء ..

سألهم بصوت قاتم يحمل الشراسة :

-مين فيكم كان بيدخن هنا ؟

ســـاد الإرتباك والقلق بينهم ، وأجابه أحدهم بتلعثم :

-مـ.. محدش ، إحنا

قاطعه أوس بصوت هــادر ومخيف وقد تحولت نظراته للعدائية :

-أنا هاشوف في كاميرات المراقبة مين فيكم عمل كده وهيتحاسب عن ده ، ومش هارحمه !!

ابتلع المخطيء ريقه ، ورد عليه بنبرة مرتجفة :

-يا باشا أنا مقصدش ، ده كان سوء فهم مني وآآ...

قاطعه أوس بنبرة عنيفة :

-اعتبروا أي اتفاق لاغي ، حياة بنتي أغلى من أي اتفاق أو صفقة ، واللي يكسر قانون أوس الجندي مالوش مكان عندي ..!

ثم رمقهم بنظرات إحتقـــارية ، وتابع بجمــود أشرس :

-بـــــــرا !!!

إنصرف الوكلاء من مكتبه وهو يلعنون حظهم العثر ..

حدق أوس في صغيرته بنظرات حنونة للغاية ، وداعب طرف ذقنها بإصبعه ، ولكنها خدشته بكفها ، فتأوه من الآلم ، وعاتبها قائلاً بخفوت :

-آآي .. ينفع كده ، شكلك زي مامتك ، مش بتسكني عن حقك

ردت عليه الرضيعة بحرف واضح :

-بـ..ا... بـا .. بـا .. بـ.. آآ...

خفق قلب أوس بقـوة ، وسـألها بتلهف وهو يطالعها بنظرات عاشقة :

-انتي بتقولي ايه يا حياة

استمرت الصغيرة في ترديد :

-بـ..آآ.. با .. بـ.. آآ.. با

هتف أوس مجدداً بعدم تصديق وهو يمطرها بوابل من القبلات :

-إنتي بتقولي بابا ، حبيبة قلبي وروحي وحياتي كلها يا حيـــاة !!!

....

بعد مرور 3 سنين ،،،،،

انتهت ليان من دراستها الجامعية بالجامعة الأمريكية ، وتخرجت منها لتلتحق بالعمل في المقر الرئيسي لشركات الجندي ...

لم يخفْ عـدي سعادته بزوجته التي أثبتت براعتها ، وتفوقها بالإضافة إلى نضوجها كأنثى عاقلة ...

....

كذلك تابعت تقـــى مع خالتها تهاني العمل في دار التقى لرعـــاية المسنين ، وعاونهما عوض وزوجته فردوس في تجهيز كرتونات الطعام للمحتاجين وتوزيعها عليهم ، ورغم مرض فردوس والذي تضاعف بدرجة كبيرة حتى باتت غير قادرة على الحركة إلا أنها أصرت على المشاركة بما في وسعها لتكفر عن ذنبها في أيامها الأخيرة ...

....

أصــــر أوس على الإنتقـــال لقصر جديد قـــام بتأسيسه ليتناسب مع حجم عائلته والذي زاد بإنضمام عضو أخــر إليه إكتسب الكثير من سمـــاته الجادة والقوية ونظراته الثابتة ..

أسماه ((ريـــان)) ، وأحبه حباً جماً ، ولم يفرق في المعاملة بينه وبين أخته الكبرى .. ولكن إحتفظت حيـــاة بمكانة خاصة في قلبه ...

....

أغلقت تقى حاسوبها المحمول بعدما إنتهت من كتابة الفصل الأخير من روايتها الأولى ، والتي عكفت على كتابتها في وقت فراغها ، لتكون هي باكورة إنطلاق أعمالها الأدبية ..

، ثم نزعت نظارتها الطبية عن أنفها ، وفركت عينيها بإرهاق ..

إستمعت إلى صوت صغيرتها وهي تهتف ببراءة وهي ممسكة ببالون صغير في يدها :

-مامي ، آعبي (العبي معايا) !

ركضت تقى في إتجاه صغيرتها لتلهو معها قليلاً ، ولكن تركتها الصغيرة لتركض في إتجاه والدها حينما رأته وهي تهتف بسعادة واضحة :

-بابي .. بــابي !!

-روح قلب وحياة بابي !

قالها أوس وهو يحمل حيــاته ، وقبلها بشغف ، ثم داعب وجنتها بإصبعه ، ودغدغها في جسدها ، فتعالت قهقهاتها الطفولية الآســرة ..

اقتربت تقــى وهي تجر عربة الصغير ريــان ، وهتفت متذمرة :

-واحنا مالناش في الحب ده ؟!

دنا أوس منهما ، واحنى رأســه ليقبل حبيبته ، وهو يردد بهدوء :

-ده انتي الحب الأول والأخير ..

ثم أعطاها الصغيرة لتحملها ، وانحنى أكثر ليحمل ابنه ريــان من عربته ، فأمسك الرضيع بأذنه ، وظل يتفحصها ويتلمسها وكأنها إكتشــافه الهام و الكبير ..

طــوق أوس بذراعه زوجته وطفلته ، وضمهما إلى صدره ، وهمس بتنهيدة إرتياح :

-ربنا يخليكوا ليا !

....

بعد مـــرور عشرون عاماً ،،،

في المقر الرئيسي لشركـــات الجندي للصلب ،،،

وقف أوس أمـــام ذلك الحائط الزجاجي بجسده الشامخ ، وهيبته التي لا تليق إلا بـــه ، ثم عقد كفيه خلف ظهره ، وتأمل المشهد الخارجي لحركة السيارات بنظرات شبه شـــاردة ..

فقد عـــاد بذاكرته إلى لحظات مميزة قضاها مع حبيبته الأولى والأخيرة ..

فإلتوى ثغره بإبتسامة ناعمة وهو يتذكر ذكريات حمـل تقى المرحة معه ..

فلم ينس دقاتها المتواصلة على باب المرحـــاض أثناء اغتساله ، فيضطر أسفاً للخروج دون أن ينعم بإستحمام هانيء ، وتدفعه هي بعنف للخـــارج لتدخل وتصفق الباب خلفها لتقضي حاجتها ...

كمـــا أدهشـــه شراهتها لتنـــاول ثمـــار الخوخ في أوقـــات مختلفة من اليوم ، وبحثه ليلاً عنها في محـــال البقالة الشهيرة حتى في أوقـــات عدم وجودها ، وطلبه إستيرادها من الخـــارج خصيصاً لهـا ، ثم نفورها المفاجيء منها ، وتحول حبها للزيتون ..

قهقه بصوت خافت وهو يتذكر تخبئتها لبرطمـــان المخللات أسفل الفراش ، وشمـــه لتلك الرائحة النفاذة التي أرقت منامه ، وإنكارها لهذا ، ثم إكتشـــافه له أثناء بحثه عن حذائه ..

تذكر أيضاً بكائها الغير مبرر وهي تصر على مشاهدة تلك الأفلام القديمة ذات الطابع الحزين .. فكان يناولها المناشف الورقية واحدة تلو الأخـــرى لتجفف عبراتها وتمسح أنفها ، ثم يحتضنها بعاطفة قوية ليواسيها رغم عدم إقتناعه بما يراه ..

ولم يغبْ عن ذاكرته عجزها عن غلق سحاب بنطالها بسبب إنتفاخ بطنها ، وإستعانتها بأحد بناطيله الجديدة لترتديها كبديل عنه .. واضطراره لإرتداء شيء أخـــر لا يليق من أجلها فقط ..

ذكريات تليها ذكريـــات تسابقت في عقله ، ليسرح فيها أكثر ..

من دخـــول طفلته حياة للمدرســـة ، وتعلقها بعنقه ، وتشبثها به ، وبكائها المتواصل لتركه إياها ، وإضطراره للبقاء أمـــام باب مدرستها طوال اليوم للإطمئنان عليها ..

لحظة حصـــول ابنه ريـــان على أول ميدالية في السباحة ، وفخـــره به .. وركضه عليه ليريه إياها ..

نجـــاح العمل الأدبي الأول لزوجته ، وتحويله إلى فيلم سينمائي وتكريمها ..

سعـــادة حقيقية تذوقها مع عائلته وهو يعيش وسطهم أجـواء الأسرة الهادئة المستقرة التي لم يحظ بها في حياته السابقة ...

....

عـــاد أوس إلى واقعه الحالي ، وطالع بنظرات دقيقة ذلك الشاب الفتي الذي يحمل الكثير من صفاته الجسمانية وملامح وجهه وهو يدلف لداخل مؤسسته العريقة ...
والتوى فمه بابتسامة مغرية وهو يعبث بأصابعه بالشيب الذي يكسو شعره .. وتلك العلامة البارزة ، والمحفورة في جبينه ..

وهمس لنفسه بمزاح وهو يتذكر وصفها له :

-شيخ الشبـــاب !!!!

إستدار بجسده نحو مكتبه ، ليحدق في صور زوجته الموضوعة في برواز ذو إطار فضي مميز ..

تلمسه بأصابعه ، ثم رفعه لينظر إليه عن كثب ..

سحب مقعده بيده الأخـرى ، وجلس عليه ليطالعها بنظرات شغوفة لم ينتقص قدرها بمرور السنـــون ...

أعـــاد وضع البرواز على سطح مكتبه ، وأمسك بقلمه ليكتب عبارة تعني له الكثير على بطاقة صغيرة إعتاد إرسالها في مثل هذا اليوم من كل عام مع باقة ورد حمـــراء ..

فهو اليوم الذي أعلنت فيه عن حبها له ، وقبلت أن تكمل حياتها معه وأسلمت له قلبها قبل جسدها .. فحظى بعشقها ، وبات أسعد الرجــال ..

..

خط أوس بقلمه بلغة منمقة :

((ولأجلكِ فقط .. انحنت أقوى وأعتى الذئـــاب))

تم بحمد الله

الأعمال السابقة للكاتبة :

- وعني أحطم غرورك
- رهان بحد الأسد
- الفريسة والصياد - الجزء الأول
- خطأ لا يمكن إصلاحه (رفقاً بالقوارير)
- فريسة غلبت الصياد – الجزء الثاني
- فراشة أعلى الفرقاطة
- دميمة لعنها الحب (نوفيلا قصيرة)
- كتاب الحب (نوفيلا قصيرة)
- سيدرا (نوفيلا قصيرة)
- وجه لا يصدأ أبداً (نوفيلا قصيرة)
- اليوميات الرمضانية (نعمل إيه في أماني ، حتى مطلع الفجر ، في بيتنا بطة ، خير يعودكل شر يرجعلك)
- أربعة شكلوا حياتها (رواية شرقية)
- شهد الأفاعي (نوفيلا قصيرة – قيد الكتابة)
- كبرياء رجل شرقي (نوفيلاقصيرة)
- راسين في الحلال (قيد الكتابة)
- ذئاب لا تعرف الحب
- ذئاب لا تغفر
- وبقي منها حطام أنثى (قيد الكتابة)